



سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة
(١٣٩)

جمهورية العراق
ديوان الوقف السني
مركز البحوث والدراسات الإسلامية

سعيد النورسي

١٨٧٦ - ١٩٦٠

حركته ومشروعه الإصلاحية في تركيا

تأليف

الدكتور آزاد سعيد سمّو

تقديم

الدكتور اسماعيل علي سكيري

سعيد النورسي

(1876-1960)

حركته ومشروعه الإصلاحى فى تركيا

تأليف

الدكتور آزاد سعيد سمو

هذا الكتاب كان فى الأصل أطروحة دكتوراه تقدم بها المؤلف إلى كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية فى بيروت تحت إشراف الأستاذ الدكتور أسعد السحمراني وقد حاز بها على درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الإهداء:

إلى شَيْخِي (زاهد أسعد محمد) حفظه الله الَّذِي عرّفني لأول مرّة بالأستاذ
النورسي وتراثه العلميّ والفكري والدعوي... .

إلى الشهيد المرحوم الأستاذ (عزّ الدين يلدرم) الَّذِي فتح لي باب قلبه قبل
باب داره، وأعانني كثيراً على جمع المادّة العلمية في تركيا... .

إلى الوالدين العزيزين الكريمين اللّذين خفّف الله عني الكثير من المتاعب
بفضل بركة دعواتهما لي... .

إلى زوجتي وأولادي الثلاثة: (ريزان، رهوان، آ ظان) اللّذين صبروا على
ابتعادي عنهم، وحرمانهم من العناية والرعاية أثناء انشغالي بالدراسة، وأسفاري
الكثيرة... .

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي هذا مع دعائي لهم بالفوز في الدارين.

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

إن معرفتي بفكر الأستاذ سعيد النورسي رحمه الله تعود إلى بداية الثمانينيات حيث كنت طالباً في المرحلة المتوسطة، وكنت أرتاد المسجد القريب من منزلنا والذي كان الشيخ (زاهد أسعد) يؤم المصلين فيه، وكنت في ذلك الحين واحداً من الطلبة الملازمين للشيخ زاهد الذي كان يلقي علينا دروساً مسجديّة في الفقه والحديث والآداب الإسلاميّة بالإضافة إلى دروس تعليم القرآن الكريم، وكان من عادة الشيخ زاهد حفظه الله أن يقرأ علينا بعض الفقرات من كتاب معين في أوقات الفراغ أو الاستراحة، وفي أحد الأيام قال لنا سوف أقرأ عليكم اليوم بعض الفقرات من حياة وجهاد واحد من العلماء الدعاة ألا وهو الأستاذ سعيد النورسي، فقرأ علينا بعض الفقرات من كتاب (الموسوعة الحركيّة) للدكتور فتحي يكن، فأعجبت بالنورسي أيما إعجاب، وأصبحت بعد ذلك متلهّفاً لمعرفة المزيد من حياة هذا الرجل المبارك، فقامت بشراء ما تيسّر من رسائل النور التي كانت موجودة في المكتبات المتواضعة في مدينتنا (دهوك)، وهكذا بدأت مع الأستاذ النورسي إلى أن شاء الله سبحانه أن يكون الأستاذ النورسي وحركته موضوع أطروحة أقدّمها إلى كليّة الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلاميّة في بيروت.

في بداية عملي قمت وحسب الإمكان بجمع كل ما كتب عن الأستاذ النورسي، وقمت بدراستها لمدة ستة أشهر، ثم سافرت إلى تركيا في تموز 1999م وأقمت في مدينة استانبول فترة من الزمن، وهناك قمت بإجراء عدد من اللقاءات، وزرت الكثير من المكتبات، كما ذهبت إلى الأماكن التي كان يرتادها الأستاذ النورسي مثل (خان الشكرجي)، وخلال تلك الجولة جمعت مادة علمية غنية بالمعلومات وعدت إلى كردستان حيث قمت بدراسة تلك المادة العلمية والمصادر التي جمعتها في تركيا، ثم سافرت إلى تركيا مرة ثانية وذلك في (شباط من عام 2000م) لتدارك ما فاتني القيام به في المرة الأولى، فزرت هيئة وقف الأبحاث العثمانية، وأجريت لقاء مطوّلاً مع مديرها الأستاذ الدكتور (أحمد آق كوندز)، كما زرت مركز دراسات النور في استانبول الذي يديره الأستاذ إحسان قاسم الصالحي الذي لم يدخر جهداً لمساعدتي ورفدي بالمعلومات والمصادر النافعة، كما زرت مؤسسة نسيل، والتقيت هناك بعدد من الاخوة الأتراك وأجريت لقاءات مفيدة مع بعضهم، ومن الأماكن المهمة الأخرى التي زرتها مؤسسة وقف الزهراء الذي كان الأستاذ الشهيد (عز الدين يلدرم) يديره قبل استشهاده، وهناك اطلعت على الكثير من المصادر الكردية النافعة التي لا تتوفر في غيرها من الأماكن، وحصلت هناك على مجموعة من الوثائق المهمة التي تتعلق بالأستاذ سعيد النورسي، كما زرت مقرّ مجلّة نو بهار (الربيع الجديد) التي يصدرها بعض الاخوة النوريون الكرد حيث أهدوني مشكورين جميع أعداد المجلّة التي كانت قد صدرت حتّى ذلك الحين وهي (1-60)، والتي جمعت في مجلّات فاحرة.

لقد قمت خلال إعداد أطروحتي بزيارتين اثنتين إلى تركيا، وقد شاء الله سبحانه أن يقع في تركيا زلزال في كلتا المرتين، ففي المرة الأولى وقع زلزال طبيعي^(I)، أما في المرة الثانية فقد وقع زلزال سياسي^(II)، وقد أثر الزلزالان على عملي وحدث إرباك في المواعيد التي كنت قد اتفقت عليها مع

(I) المقصود بالزلزال الطبيعي هنا هو زلزال تركيا الشهير الذي وقع في شهر آب من عام 1999م، وكنت حينها في زيارة إلى تركيا حيث كنت مقيماً في مدينة استانبول، وقد كانت قوّة الزلزال 6,8 درجة (45) ثانية تقريباً، وبلغ عدد القتلى أكثر من (50) ألف قتيل، أما الجرحى فكانوا يقدرّون بمئات الآلاف، بالإضافة إلى الخسائر المادية التي بلغت مئات الملايين من الدولارات، هذا وقد اضطرت إلى العراء عدّة ليال أسوة بالناس خوفاً من وقوع زلزال آخر حسب معلومات دوائر رصد الزلازل، علماً أن الهزّات الأرضية الخفيفة كانت مستمرة طوال الفترة التي كنت في تركيا، لذلك فإن زيارة المكتبات، ودور الوثائق، واللقاء بالمعنيين لم يكن بالأمر الهين، لذلك اضطرت إلى تمديد إقامتي في تركيا، والتأني إلى أن خفف الروع عن الناس وعاد الهدوء النسبي إلى البلاد بعدها تمكّنت القيام بعملتي.

(II) بالنسبة للزلزال السياسي فإنه لم يكن أقلّ تأثيراً على عملي من الزلزال الطبيعي، ففي المرة الثانية عندما سافرت إلى تركيا كان البلد يمرّ بأزمة سياسية حيث كانت السلطات التركية تشنّ حملة واسعة من الاعتقالات في صفوف الجماعات الإسلامية، وقد قتلت في تلك الفترة مجموعة من الدعاة النشطين، ومن أبرزهم الشهيد المرجوم (الأستاذ عز الدين يلدرم) رئيس وقف الزهراء الذي التقيت به في سفري الأول إلى تركيا، والذي كان قد وعدني بإبداء المزيد من المساعدة وبذل الجهد للحصول على المادة العلمية، والمعلومات

بعض المعنيين إلا أنه والله الحمد والمنة تمكّنت من تحقيق أغلب ما كنت أنوي القيام به رغم تلك الظروف الصعبة والقاسية والمقلقة.

أهميّة الموضوع وسبب اختياره:

1- لقد كتب الكثير عن الأستاذ سعيد النورسي، وتناول الكتاب والباحثون جوانب متعدّدة من حياة وفكر وجهاد النورسي، ولكن مع ذلك فهناك الكثير من الجوانب الأخرى التي هي بحاجة إلى البحث والدراسة والتتبع ومن ثمّ تقديمها إلى قراء الأستاذ النورسي.

2- لا يمكن دراسة تاريخ تركيا خلال القرن العشرين بعيداً عن ذكر الأستاذ النورسي ودوره المؤثّر والواضح في الكثير من الأحداث التي شهدتها تركيا خلال القرن المنصرم.

3- عرف التاريخ الإسلامي الكثير من الدعاة والمصلحين إلا أن شخصيّة الأستاذ النورسي تستوقف قارئها أكثر من غيرها من الشخصيات، فالأستاذ النورسي يتميّز عن غيره بتأثيره العجيب على الشخص المقابل، ولا زال تأثيره باقياً على من يطالع رسائله (رسائل النور)، وكذلك طريقته وأسلوبه في العيش، وتعامله مع الآخرين، وشخصيته التي جمع فيها عدّة شخصيات، كل ذلك استوقفت الكتاب والباحثين وغيرهم ودفعت بهم إلى دراسة هذه الشخصيّة العجيبة النادرة.

٤ - هنالك الكثير من جوانب حياة الأستاذ النورسي قد أشبعت بحثاً ودراسة، أما الجوانب التي بحثتها فلا أعلم أن أحداً تناولها واهتمّ بها اهتماماً يتناسب مع أهميتها، فالجانب الحركي والتنظيمي واحد من تلك الجوانب المهمّة في حياة الأستاذ النورسي رغم ذلك لا أعلم أحداً تطرّق إليه بصورة مفصّلة.

خطة الأطروحة:

القيّمة والنادرة عن الأستاذ النورسي إذا ما سافرت إلى تركيا في المرّة القادمة، ولكن شاء الله سبحانه أن يسلم جثمانه إلى ذويه في اليوم الأول من وصولي إلى تركيا للمرّة الثانية.

هذا وبسبب الأوضاع الاستثنائية المقلقة التي كانت تشهدها تركيا في تلك الأيام لم يجرؤ الكثير من الاخوة الأتراك ولا الكرد على استقبالي، ولكن مع ذلك فقد تمكّنت بتوفيق الله من إقناع عدد منهم _بعدها أخذت الاحتياطات الأمنيّة اللازمة_ على قبول استقبالي وإجراء المقابلة معهم، أو توفير بعض المصادر المهمّة حول الموضوع.

لقد قسّمت أطروحتي هذه إلى مقدّمة وفصل تمهيدي وبابين وخاتمة، وسمّيت الفصل التمهيدي بـ (تركيا من الإسلام إلى العلمانيّة)، وتطرّقت فيه للحديث عن أصل العثمانيين، ونشوء الدولة العثمانيّة، ثمّ تحدّثت عن فترة حكم العثمانيين، وتحدّثت من خلال ذلك عن بعض فترات القوّة والضعف التي مرّت بها الدولة العثمانيّة، هذا وقد توسّعت بعض الشيء في الحديث عن فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني لأنه حدثت تغييرات مهمّة وجذريّة في فترة حكمه، ثمّ بعد ذلك بيّنت أهم الأسباب التي مكّنت رجال الاتحاد والترقي من الانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني وخلعه عن الحكم، وتحدّثت بعد ذلك عن الدولة العثمانيّة بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني، ومشاركتها في الحرب العالميّة الأولى، والأحداث التي أعقبت ذلك إلى أن ألغيت الخلافة رسمياً في 1924/3/3.

أما الباب الأول فقد أسمّيته: سعيد النورسي حياته وحركته، وقسّمته إلى فصلين اثنين:

الفصل الأول: سعيد النورسي عصره وحياته.

الفصل الثاني: حركة الأستاذ سعيد النورسي.

الفصل الأول: سعيد النورسي عصره وحياته.

تحدّثت فيه عن عصر الأستاذ النورسي حيث قمت باستعراض ثلاثة جوانب مهمّة من

عصره:

أولاً: الحالة السياسيّة في تركيا في عصر الأستاذ النورسي.

ثانياً: الحالة الفكريّة في تركيا في عصر الأستاذ النورسي.

ثالثاً: الحالة الاجتماعيّة في تركيا في عصر الأستاذ النورسي.

وبعد ذلك تحدّثت عن حياة الأستاذ النورسي، وقمت بتقسيمها إلى أربع مراحل وكما يأتي:

المرحلة الأولى: وتبدأ من سنة 1876م وتنتهي في سنة 1907م.

المرحلة الثانيّة: وتبدأ من سنة 1907م وتنتهي في سنة 1923م.

المرحلة الثالثة: وتبدأ من سنة 1923م وتنتهي في سنة 1949م.

المرحلة الرابعة: وتبدأ من سنة 1949م وتنتهي في سنة 1960م.

هذا وقد تحدّثت في كل مرحلة من تلك المراحل الأربع عن أبرز وأهم الأحداث التي مرّت على الأستاذ سعيد النورسي.

الفصل الثاني: حركة النور.

في البداية قمت بتعريف الحركة، وسبب تسميتها بذلك، كما تطرّقت إلى الحديث عن تاريخ تأسيس الحركة، كما تحدّثت عن الجوانب التنظيمية والأمنية في حركة النور، وتحدّثت أيضاً عن أهم الأسس والمبادئ التي استندت عليها الحركة، كما تحدّثت عن أهدافها ووسائلها، ومن الموضوعات الهامة التي تطرّقت إليها في هذا الفصل موقف الحركة تجاه أبرز القضايا التي كانت تشغل بال الناس في ذلك الوقت، وفي نهاية الفصل تطرّقت إلى مسألتين في غاية الأهمية وهما: حركة النور بعد وفاة الأستاذ النورسي، وتقييم الحركة وذكر ما لها وما عليها.

أما الباب الثاني فقد جاء تحت عنوان: سعيد النورسي ومشروعه الإصلاحية في تركيا، وقد قسمته إلى فصلين اثنين أيضاً:

الفصل الأول: سعيد النورسي وإصلاح الذات.

الفصل الثاني: سعيد النورسي وإصلاح المجتمع.

الفصل الأول: سعيد النورسي وإصلاح الذات.

تطرّقت في بداية هذا الفصل للحديث عن الواقع المزري الذي كانت تشهده تركيا في تلك الفترة والذي كان بأمس الحاجة إلى مصلح مثل الأستاذ النورسي، ومن ثمّ تحدّثت عن أهم الركائز التي ارتكز عليها الأستاذ النورسي في مشروعه الإصلاحية، ثمّ تحدّثت عن إصلاح الذات عند الأستاذ النورسي وقسمته إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: النورسي وإصلاح نفسه.

ثانياً: النورسي وإصلاح طلابه.

ثالثاً: النورسي وإصلاح الآخرين.

الفصل الثاني: سعيد النورسي وإصلاح المجتمع.

في البداية تحدثت عن كيفية إصلاح النورسي للمجتمع حيث حدّد في البداية الأمراض الرئيسية التي يعاني منها المجتمع، ومن ثمّ وصف لها الدواء الناجع، ثم بعد ذلك تحدّثت عن إصلاح الحكم، وإصلاح التعليم، وإصلاح الاقتصاد عند الأستاذ النورسي.

أما الخاتمة فقد خصصتها لذكر أهم النتائج التي توصلت إليها خلال الدراسة.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدّم بشكري وامتناني البالغين ودعواتي الخالصة لأستاذي الدكتور (أسعد السحمراني) حفظه الله على ما بذله من جهد مشكور جدّاً خلال إشرافه على أطروحتي وذلك بملاحظاته القيّمة، وتوجيهاته السديدة التي استفدت منها كثيراً أثناء جمع المادّة العلميّة، وكذلك أثناء صياغتها فجزاه الله خيراً، وكذلك أقدم شكري وامتناني البالغين لأستاذي الدكتور محمّد علي القوزي على تفضّله بإبداء مجموعة من الملاحظات الجوهرية القيّمة والتي لا شكّ ستسهم في تقوية هذه الدراسة من الناحية العلميّة والمنهجية فجزاه الله خيراً، كما أشكر أستاذي الدكتور علي دحروج على قيامه بمراجعة أطروحتي والمشاركة في مناقشتها وإبدائه ملاحظات قيّمة حولها فجزاه الله خيراً.

كما أتوجّه بالشكر إلى كل من الأستاذ إحسان قاسم الصالحي رئيس مركز دراسات النور في استانبول، والأستاذ الدكتور أحمد آق كوندز رئيس هيئة وقف الأبحاث العثمانية في استانبول، والأستاذ الشهيد عز الدين يلدرم الرئيس السابق لوقف الزهراء في استانبول، وسائر الاخوة الآخرين في تركيا الذين لم يدّخروا جهداً لمساعدتي، وتقديم المعلومات العلميّة، والمصادر والوثائق المفيدة التي تخصّ موضوع أطروحتي.

كما وأشكر كلاً من الزملاء: عبد الحميد محمد، وتحسين إبراهيم، وحمزة طاهر الشوشي، وعمر عبد العزيز، وفاروق رسول يحيى، وحبیب محمد سعيد، ورشدي عبید عقراوي، وغيرهم من الاخوة الذين قدّموا لي خدمات جليّة سواء بتوفير المصادر، أو طرح الملاحظات النافعة والأفكار المفيدة حول الموضوع أشكرهم جميعاً وأدعو الله أن يجعل ذلك في ميزان حسنات الجميع يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

الطالب

آزاد سعيد سمو

2002/1/6

الفصل التمهيدي

تركيا من الإسلام إلى العلمانية

نشوء الدولة العثمانية:

قبل البدء بالحديث عن بدايات نشأة الدولة العثمانية ينبغي التحدث عن العثمانيين وموطنهم الأصلي ونسبهم.

يعود نسب العثمانيين إلى عثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه بن قيا ألب زعيم قبيلة قالي خان إحدى القبائل التركبية التي كانت تسكن بلاد الخوارزم قرب بحيرة آرال، وعندما بدأ المغول بالزحف على العالم الإسلامي ووصولهم إلى بلاد الخوارزم سنة 617هـ/1220م اضطر سليمان شاه جد عثمان إلى الهجرة مع قبيلته فاتجه إلى بلاد الأناضول حيث استقر في منطقة تسمى "أخلاق" (I).

بعد هدوء الأوضاع في بلاد الخوارزم، وموت جنكيز خان رغب سليمان شاه في العودة ثانية إلى بلاده التي قدم منها في السابق، وأثناء العودة سقط سليمان شاه في نهر الفرات وغرق فيه وكان ذلك سنة 628هـ/1230م، وكان لسليمان شاه أربعة أولاد هم: (سنقور يكن) æ (كون طوغري) æ (أرطغرل) æ (دوتدار)، وقد انقسمت قبيلته بعد موته إلى قسمين:

القسم الأول: واصل سيره إلى بلاد خراسان _ حيث موطنهم الأصلي _ وقد تولّى قيادة هذا القسم ولدا سليمان شاه: (كونطغري) æ (سنقور يكن).

القسم الثاني: رجع إلى أرمينيا واستقر في سهول أرضروم، وقد تولّى قيادة هذا القسم كل من: (أرطغرل) æ (دوتدار) ولدا سليمان شاه (I).

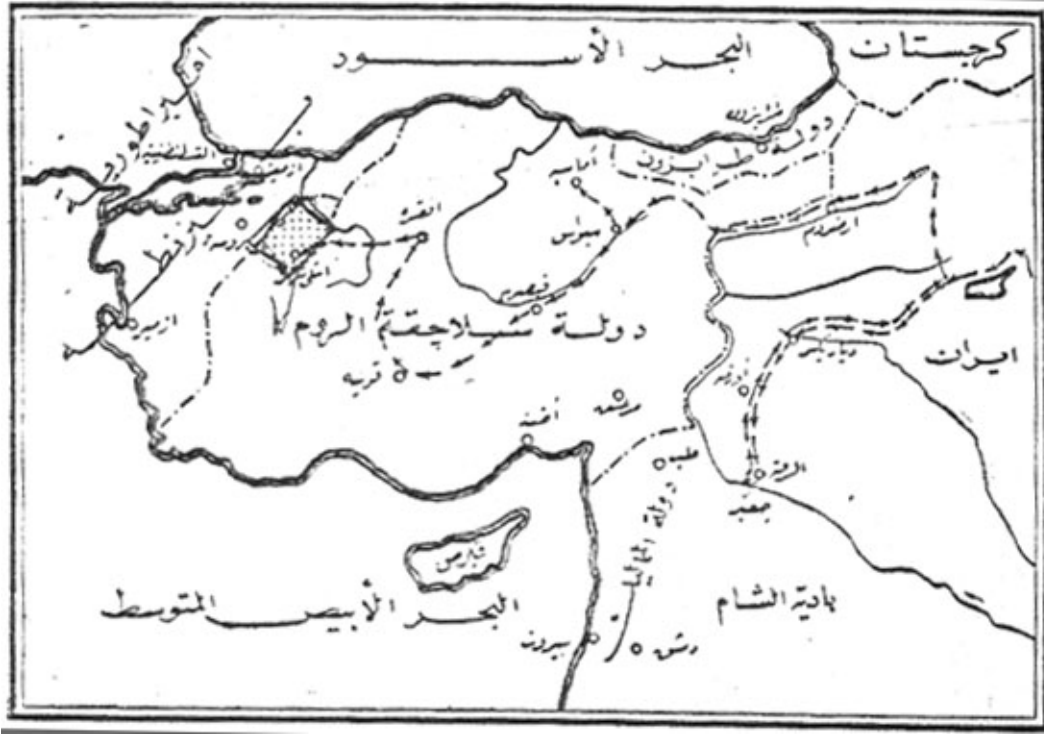
لقد حدث ذات يوم أن مرّ جيش (أرطغرل) على مقربة من حدود دولة سلاجقة الروم، فرأى جيشين يقتتلان فهب (أرطغرل) إلى نصره أضعف الجيشين وبالتالي تمكّن من إحراز النصر على الجيش الآخر، وبعد انتهاء المعركة تبين له أن الجيش الذي قام بنصرته هو جيش السلطان علاء الدين السلجوقي سلطان "قونية"، أما الجيش المهزوم فقد كان جيش آليخان بن جنكيز خان الذي كان قد عهد إليه إكمال فتح بلاد آسيا الصغرى (E)، واعترافاً بالجميل من قبل السلطان علاء الدين قام هذا الأخير بإقطاع بعض الأراضي التي تقع بمحاذاة بلاد الروم للقائد (أرطغرل)، وأعطاه لقب (أوج بك) í Ñ.

(I) راجع: علي حسون، الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية، ط3، بيروت، المكتب الإسلامي، 1403هـ - 1983 ñ 140.

(II) راجع: سعيد أحمد برجاي، الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري، د.ط، الأهلية للنشر والتوزيع، د. 240 ñ 240.

(E) تذكر بعض الروايات أن ذلك الجيش المهزوم كان جيشاً بيزنطياً.

محافظة الحدود، وبعد ذلك قام (أرطغرل) بهجمات متتالية على بعض مناطق الروم بقصد توسيع نفوذه إلى أن بلغ به الحد إلى الاستيلاء على أسكي شهر مما جعل السلطان علاء الدين يمنحه الولاية على تلك المنطقة وبعض المناطق المجاورة مع لقب آخر وهو "سلطان أوكي" أي مقدمة السلطان.



خارطة تبين موقع المقاطعة التي منحها السلطان علاء الدين لأرطغرل بك

وبعد ذلك بفترة مات (أرطغرل بك) وكان ذلك سنة 687هـ 1288م فقام السلطان علاء الدين بتعيين أكبر أولاده مكانه وكان يدعى (عثمان)، فقام هذا الأخير بشن حرب ضد البيزنطيين، ومما شجعه على ذلك التحاق الآلاف من المقاتلين من شتى المناطق بجيشه، وبالتالي استطاع الاستيلاء على قلعة "قره حصار" وذلك في سنة 688هـ 1289م مما دفع بالسلطان علاء الدين إلى أن يقربه إليه ويكافئه بمنحه لقب بك، وإقطاعه الأراضي والقلاع التي استولى عليها، كما أجاز له ضرب النقود، وذكر اسمه فوق المنابر^(N).

(N) راجع: علي حسون، المرجع السابق، ص14، وكذلك: سعيد أحمد برجواي، المرجع السابق، ص24.

وبمرور الزمن اشتدّ ساعد (عثمان بك)، وتوسّع نفوذه، وازدادت هيئته، وتنامت إمكانياته الماديّة والمعنويّة، وهكذا إلى أن استطاع أن يحل محل السلطان علاء الدين، أما عن كيفيّة ذلك فهناك روايتان سوف أذكرهما باختصار:

تقول الرواية الأولى: إن عثمان بك لما اشتدّ ساعده، ولم يكن لطموحاته حدّ رأى أن السلطان علاء الدين يقف حجر عثرة أمام تلك الطموحات والتي كان من أهمها السيطرة على سائر المنطقة، لذا قام بشن حرب على السلطان علاء الدين وتمكّن من قتله وبذلك أصبحت المنطقة تحت سيطرته وكان ذلك سنة 700هـ 1300م^(٩).

بينما تقول الرواية الثانية: إن السلطان علاء الدين توفي بعد فراره إلى القسطنطينيّة وذلك بعد الغارة التي قام بها المغول على دولة سلاجقة الروم سنة 699هـ مما اضطر عثمان بك من الإمساك بزمam الأمور^(٩).

وإذا كانت الروايات قد اختلفت في الطريقة التي انتهى بها حكم السلطان علاء الدين فإنها تتفق على أن عثمان بك هو الذي أصبح فيما بعد الرجل الأول في المنطقة، وقد استمر في توسيع مملكته فاستولى على قلعة "عك حصار"، وجزيرة كالوليمني في بحر مرمره مما جعله يحكم سيطرته على الممر المائي الذي يوصل بين بروسيا^(٩) والقسطنطينيّة، وبعد ذلك أرسل إلى جميع أمراء الروم في المنطقة يخيّرهم بين أمور ثلاثة: الإسلام، أو دفع الجزية، أو الحرب، فمنهم من أسلم، ومنهم من دفع الجزية، ومنهم من تحالف مع المغول ضدّ عثمان بك مما اضطر هذا الأخير إلى شن حملة واسعة عليهم فشنتّ شمل المغول ومن تحالف معهم ثمّ توجه إلى قلعة بروسيا وحاصرها بعد الاستيلاء على القلاع المحيطة بها، وقد دام حصاره لقلعة بروسيا تسع سنوات، وأخيراً قام البيزنطيون بإخلاء القلعة إلاّ أن عثمان بك توفي قبل أن يدخلها بقدميه فأدخله ابنه أورخان محمولاً على الأكتاف ووري عثمان بك ثراها وكان ذلك سنة 726هـ 1325م^(٩).

(٩) راجع: سعيد أحمد برجاوي، المرجع السابق، ص25.

(٩) راجع: علي حنون، المرجع السابق، ص15.

(٩) تسمى الآن بورصة.

(٩) راجع: سعيد أحمد برجاوي، المرجع السابق، ص26.

لذلك يعتبر عثمان بك بن أرطغرل بك مؤسساً للدولة العثمانية، وبعد وفاته تتابع سلاطين آل عثمان في حكم الدولة العثمانية وقد بلغ عددهم (37) سلطاناً بدءاً بـ (عثمان بك) وانتهاءً بـ (عبد المجيد الثاني).

انتقال الخلافة من العباسيين إلى العثمانيين:

ينقسم العصر العباسي إلى مرحلتين اثنتين:

المرحلة الأولى: وتبدأ من سنة 132هـ 749م حيث سقطت الخلافة الأموية وانتقلها إلى العباسيين، وتنتهي سنة 232هـ 846م، وقد تميّزت هذه المرحلة بازدياد نفوذ الفرس وهيمتهم على الخلفاء العباسيين وذلك بسبب نسب بعض أمهات الخلفاء العباسيين، حيث كان الكثير منهمّ فارسيات، فأنحاز أبناؤهمّ من الخلفاء إلى الفرس بتحريض من أمهاتهم وأخوانهم.

المرحلة الثانية: وتبدأ من سنة 232هـ 846م وتنتهي في سنة 656هـ 1258م حيث سقطت بغداد على أيدي المغول، وقد تميّزت هذه المرحلة بهيمنة الأتراك على الخلفاء العباسيين إلى درجة أن الكثير من الخلفاء العباسيين قتلوا على أيدي الأتراك، أو سملت أعينهم، أو سجنوا وخلعوا عن الحكم في أحسن الأحوال، وبذلك أصبحوا ألعوبة في يد الأتراك، يقال إن الخليفة العباسي (المعتز) سأل أحد المنجمين يوماً عن مدى عمره وخلافته، فقال له المنجم: (مهما أراد الأتراك) ^(١)، وبقي الحال على ذلك إلى أن استولى المغول على بغداد سنة 656هـ بقيادة (هولاكو) الذي أسر الخليفة (المستعصم بالله) وأولاده ثمّ قتلهم، كما قتل الآلاف من الناس، وهدم المساجد، وأحرق المنازل، وألقى بكتب العلم في نهر دجلة ^(١١)، ويذكر السيوطي (أن الناس خيل إليهم أن العالم قد أوشك من النهاية، وأن الساعة آتية لخلو العالم الإسلامي من خليفة) ^(١١).

(١) أبو الحسن علي بن عبد الواحد المعروف بابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج 7، ط، بيروت-لبنان، دار الفكر، 1398هـ-1978م.

(١١) راجع: علي حسني الخربوطلي، غروب الخلافة الإسلامية، د.ط، القاهرة، مؤسسة المطبوعات الحديثة، د.١٢٤٠.

(١١) الحافظ جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، د.ط، العراق-بغداد، مطبعة منير، 1371هـ-1952م.

وهكذا أسدل الستار على الخلافة العباسية، ولكن وبعد أربع سنوات من ذلك قام القائد المملوكي الظاهر بيبرس⁽ⁱⁱ⁾ بإحياء الخلافة العباسية في القاهرة حيث قام بتنصيب أحمد بن الإمام الظاهر العباسي خليفة على المسلمين، والجدير بالذكر هو أن الخلافة أصبحت بعد ذلك مسألة شكلية ليس إلا، إذ أنّ الخلفاء في تلك الفترة لم يكن باستطاعتهم أن يغيروا شيئاً، أو يصدروا أمراً، وكل ما لهم هو ذكر أسمائهم فوق المنابر أيام الجمع، أما ماعدا ذلك فقد كان بيد السلاطين المماليك حتى تنصيب الخليفة وعزله أيضاً كان بأيديهم، واستمر الحال على ذلك إلى زمن تنصيب آخر خلفاء بني العباس المتوكل على الله للخلافة، حيث انتقلت الخلافة في زمنه من العباسيين إلى العثمانيين وكان ذلك في سنة 923هـ/1517م، أما عن كيفية انتقال الخلافة إلى العثمانيين فتختلف الروايات في ذلك، فهناك روايات تقول إن السلطان العثماني سليم الأول عندما استولى على سورية، وفلسطين، ومصر، والحجاز أخذ الخلافة من المتوكل على الله قسراً، وتقول روايات أخرى إن الخليفة العباسي المتوكل على الله تنازل عن الخلافة للسلطان العثماني طواعية، وسلمه ما كان يحتفظ به من الآثار النبوية الشريفة مثل: البيرق^(iE) والسيف، والبردة، وبعض شعرات لحيته صلى الله عليه وسلم.

وأيا كانت الطريقة فإن المتفق عليه هو أن الخلافة قد انتقلت من العباسيين إلى العثمانيين في زمن المتوكل على الله آخر خلفاء بني العباس في مصر، وبذلك أصبح السلطان سليم الأول أول خليفة عثماني، والسلطان التاسع من بين سبعة وثلاثين سلطاناً عثمانياً توالوا على عرش السلطنة العثمانية. وبناء على ما سبق نستطيع أن نقسم مدة حكم العثمانيين إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: وتمتد من سنة 701هـ/1301م حيث مقتل السلطان علاء الدين، وانفراد عثمان بك بن أرطغرل بك بالحكم، وتنتهي هذه المرحلة في سنة 923هـ/1517.

(ii) هو رابع ملوك المماليك، أصله تركي، أخذ من بلاده وبيع في دمشق للعماد الصائغ ثم اشتراه الأمير علاء الدين البندقداري، ومن سخرية القدر أن يصبح الأمير علاء الدين من جملة أمراء الظاهر بيبرس عند تسلمه الحكم، ثم اشترى الملك الصالح نجم الدين "بيبرس" وأعتقه وجعله من جملة مماليكه وقدمه على طائفة "الجمدارية" لفطنته ودكائه، وقد حضر مع أستاذه الملك الصالح واقعة دمياط وكان طبيعياً أن تتوال السلطنة بعد مقتل "قطز" إلى قاتله الأمير ركن بيبرس بوصفه أقوى أمراء البحرية فضلاً عن مواقفه المعروفة في حرب التتار. تولى السلطان ظاهر بيبرس السلطنة سنة 658هـ، فبدأت صفحة جديدة في تاريخ مصر. نقلاً عن: الموسوعة العربية عالمية مصورة بالألوان، ج12، المشرف العام: الأستاذ نيقولا ناهض، بيروت، الشركة الشرقية للمطبوعات، سنة 2000ã jã2060.

(iE) البيرق: كلمة تركية وتعني العلم أو الراية، نقلاً عن: I. إبراهيم الداوقني وآخرون، المعجم التركي العربي، ج 1، العراق_ وزارة الثقافة والإعلام، 1981ã.

المرحلة الثانية: وتبدأ من سنة 923هـ 1517م حيث انتقال الخلافة من العباسيين إلى العثمانيين، وتنتهي في سنة 1343هـ 1924م حيث سقوط الدولة العثمانية وذلك بعزل السلطان عبد المجيد الثاني آخر سلاطين آل عثمان، وإعلان الجمهورية التركية.

الخلافة في ظل حكم سلاطين آل عثمان:

بعد انتقالها من العباسيين إلى العثمانيين مرّت الخلافة بفترات متباينة من حيث الضعف والقوة، ففي بعض الفترات بلغت أوج قوتها وازدهارها، بينما كانت تنزل في بعض الفترات الأخرى إلى درجات متدنية من حيث القوة، والهيمنة العسكرية والسياسية، وفيما يلي عرض موجز لواقع الخلافة العثمانية منذ عهد السلطان سليم الأول سنة 918هـ 1512م إلى آخر عهد السلطان عبد المجيد الثاني سنة 1343هـ 1924م.

بعد تسلّم السلطان سليم الأول عرش السلطنة بدأ يوجه سياسته نحو الشرق وذلك بسبب النشاط الذي دبّ في حركة الشيعة الصفويين بين أوساط التركمان في منطقة الأناضول، ففي آذار 920هـ 1514م اتجه السلطان سليم الأول نحو مدينة تبريز على رأس جيش قوامه (140000) مقاتل لكي يخوض الحرب مع الشاه إسماعيل الصفوي، فالتقى الجيشان في سهل جالديران (chaldiran) الواقعة بين بحيرة أرومية وتبريز وحدثت بينهما معركة حامية وعلى إثرها انتصر السلطان سليم الأول وهزم جيش الشاه إسماعيل الصفوي الذي جرح هو الآخر إلا أنه لاذ بالفرار مع فلول من جيشه المهزوم، ودخل السلطان سليم الأول مدينة تبريز واستولى على كنوز وخزائن الشاه الصفوي ونقلها إلى عاصمة سلطنته استانبول (İC)، وبعد ذلك استمر في فتوحاته حيث فتح كلاً من مصر، وسورية، وفي سنة 927هـ 1520م توفي السلطان سليم الأول فتسلّم ابنه سليمان الأول الملقب

(İN) معركة وقعت في 1514/ ÈÂ23م بين العثمانيين بقيادة السلطان سليم الأول، والإيرانيين بقيادة الشاه إسماعيل الصفوي، (وقد احتلّ العثمانيون العاصمة تبريز إثر المعركة، وفرّ الشاه وتقهقرت جيوشه ووقعت إحدى زوجاته في الأسر، ودخل السلطان تبريز واستولى على خزائن الشاه وأرسلها إلى العاصمة، كما أرسل إليها أربعين شخصاً من الصنّاع المهرة مظهراً اهتمامه بتقدّم الصناعة رغم انشغاله بالحروب. نقلاً عن: علاء الدين المدرّس، التقريب القرآني في ضوء الصراع الصفوي العثماني وأثره في بلورة الطائفية، ط 1، بغداد، مطبعة المعروف، ص10.

(İC) أنظر: سعيد أحمد برجاي، المرجع السابق، ص91.

بالقانوني (İC) عرش السلطنة، ويقال أنه كان رجلاً فتاكاً يقتل لأتفه الأسباب، وكان شاعراً كبيراً، ويقال بأنه كان ينوي جعل اللغة العربية اللغة الرسمية في الدولة العثمانية، وفي عهده بلغت الدولة العثمانية أوج قوتها وعنفوانها إلى درجة أنه أربك الصليبيين بفتوحاته الواحد تلو الآخر حيث تمكن من فتح كل من بلغراد، وجزيرة رودس (İC)، وجزيرة مالطة، وبغداد، واليمن وغيرها من البلدان واستمر في فتوحاته إلى أن توفي في سنة 974هـ 1566م وهو يحاصر مدينة زنجيد المجرية إلا أن وزيره كتم خبر موته عن الجيش خوفاً من حدوث الفوضى بين صفوفهم، وبعد موته بثلاثة أيام اندفع الجيش نحو قلعة المدينة وفتحوها بعد محاصرتها مدة خمسة أشهر (İC).

وبعد وفاة السلطان سليمان القانوني تسلم ابنه سليم الثاني السلطنة واستمرت الفتوحات في عهده أيضاً، وقد توفي السلطان سليم الثاني في العام نفسه الذي تسلم السلطنة فاعتلى عرش السلطنة ابنه مراد الثالث الذي استمر على منوال أسلافه من سلاطين آل عثمان حيث استمر في توسيع رقعة الدولة العثمانية حتى بلغت مساحتها في عهده (20000000) عشرون مليون كيلو متر مربع، وبعد وفاة السلطان مراد الثالث سنة 1003هـ 1594م بدأت الخلافة العثمانية تعيش فترة من الركود أدت بعد ذلك إلى التأخر و الانحطاط، ويمكننا أن نلخص أسباب ذلك بما يأتي:

١ - اتساع رقعة الدولة العثمانية:

لقد كان الشغل الشاغل للسلاطين العثمانيين هو توسيع رقعة الدولة العثمانية حتى ولو كان على حساب تقوية الصف الداخلي، وتنظيم أمور الدولة وتطويرها لكي تنسجم مع النمط الحديث لإدارة شؤون الدولة.

ولكي ندرك مدى اهتمام سلاطين آل عثمان ومحاولاتهم المستميتة في سبيل توسيع رقعة الدولة العثمانية تعالوا ننظر إلى مساحتها في بداية تأسيسها على يد عثمان بك بن أرطغرل بك، فقد كانت

(İC) اشتهر السلطان سليمان الأول بالقانوني بسبب القوانين العديدة التي سنّها في الدولة العثمانية.

(İC) جزيرة في بحر إيجه جنوبي اليونان.

(İC) أنظر: سعيد برجاوي، المرجع السابق، ص130.

مساحتها لا تتجاوز الـ (3000) كيلو متر مربع، بينما وصلت مساحتها إلى (20000000) كيلو متر مربع في زمن السلطان مراد الثالث (İç).

هذا وقد أدى ذلك التوسع الكبير في رقعة الدولة العثمانية إلى صعوبة السيطرة عليها، وإدارة شؤونها بشكل مرضٍ، فقد اشتملت الدولة العثمانية على أراضٍ من ثلاث قارات هي آسيا، وأفريقيا، وأوروبا، ولا يخفى على أحد الاختلاف الكبير بين شعوب كل قارة من تلك القارات_فضلاً عن اختلافها بين شعوب كل قارة وأخرى_ من حيث اللغة، والثقافة، ونوعية التفكير، والاهتمامات، ومسائل التأثير والتأثر وغيرها من نقاط الاختلاف، لذلك كان من الصعب جداً احتواء كل تلك الشعوب وجمعهم تحت مظلة الدولة العثمانية.

وهناك أمر آخر ينبغي أن لا ننساه وهو أن الكثير من شعوب الدولة العثمانية قد دخلت تحت لواء الدولة عن طريق الإكراه، لذلك لم يردعها أي رادع في التمرد على الدولة متى ما وجدت الفرصة سانحة أمامها، علماً أن الإعلان عن حركات العصيان والتمرد كان أمراً في غاية السهولة، بينما كان إخمادها أمراً في غاية الصعوبة وذلك بسبب البعد الشاسع بين أقاليم الدولة العثمانية من جهة والمناطق المنيعة التي كان المتمردون والثوار يتحصنون فيها، بالمقارنة مع وسائل النقل البدائية والبطيئة التي كان العثمانيون يعتمدون عليها.

٢ - التخلف العلمي:

لقد عُرفت الدولة العثمانية بالتخلف العلمي في وقت كان أعداؤها من الدول الأوروبية في طور نهضتها العلمية، فبالنسبة للجيش كان العثمانيون يعتمدون على الكثرة العددية لجيوشهم مع إغفال الجوانب العلمية والتكنولوجية الحديثة، وكمثال على ذلك (لم تدخل صناعة السفن إلى الدولة العثمانية إلا في القرن العاشر الهجري، ولم تدخل المطابع في العاصمة، والمهاجر الصحية إلا في زمن مصطفى الثاني في القرن الحادي عشر الهجري، وكذلك مدارس الفنون الحربية الحديثة) (İİ).

(İÇ) راجع: أورهان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عصره، ط 1، بغداد، دار الأنبار، 1407هـ_ 1987; 210.

(İİ) علي حسون، المصدر السابق، ص81.

ولكي ندرك تماماً مدى التخلف العلمي الذي كان سائداً لدى العثمانيين نورد هنا بعض المقتطفات القصيرة من الرسالة التي كان قد بعثها فؤاد باشا _ الذي كان يشغل منصب الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) _ إلى السلطان عبد العزيز وذلك قبل وفاة الأول منهما بفترة وجيزة حيث كتب إليه قائلاً:

(مولاي السلطان... إن دولة آل عثمان في خطر، فبسبب أخطاء أجدادنا تقدّم أعداؤنا بصورة مذهلة، وتخلّفنا نحن، وهذا دفع الدولة إلى هاوية الأزمات... لو كان جيراننا كما كانوا أيام أجدادنا فلا شك أن الوسائل القديمة كانت قادرة على إخضاع جميع أوروبا لأوامر سيدنا، ولكن أوروبا اليوم _ مع الأسف _ ليست أوروبا ما قبل مائتي سنة، فقد تقدموا إلى الأمام وخلقوا ورائهم، إن الدين الإسلامي قد تبيّن العلم دائماً، والعلم لا يفرق في الدنيا بين مسلم ومسيحي، فلا بدّ من قبول وتبني أي شيء مفيد لبني الإنسان بصرف النظر عن مكان اختراعه، إن الإسلام لم يأمر أحداً مطلقاً السؤال عما إذا كان هذا الشيء مخترعاً في المدينة المنورة أم في باريس...)(⁽ⁱⁱ⁾).

إن التأمل في العبارات الأخيرة لفؤاد باشا ومحاولاته المستميتة لإقناع أركان الدولة بأن مواكبة العلم، واستخدام الآلات الحديثة ليس أمراً محرماً يعطينا صورة واضحة عن مدى التخلف العلمي الذي كانت تشهده الدولة العثمانية آنذاك.

٣ - الجيش الإنكشاري⁽ⁱⁱⁱ⁾ ودوره السلبي في الدولة العثمانية:

لقد كانت المهمة الأولى والأساسية للجيش الإنكشاري هي حماية الدولة العثمانية، والقتال ضد أعدائها، وقد أبلى ذلك الجيش بلاءً حسناً في الحروب التي خاضها، وإليهم يعود الفضل في انتصار العثمانيين أثناء فتح القسطنطينية، إلا أن أفراد ذلك الجيش قد تغيّروا بمرور الزمن، وأصبحوا مصدر قلق للدولة العثمانية، فبعد اختلاطهم بسكان المدن، واطّلاعهم على نمط العيش فيها فسدت طباعهم، وانغمسوا في الملذات والمخمرات، واستصعبوا الذهاب إلى القتال، وفضّلوا العيش في المدن، وبدأوا

(⁽ⁱⁱ⁾) أورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني، ص 29.

(⁽ⁱⁱⁱ⁾) الإنكشارية هو ذلك الجيش الذي شكله السلطان أورخان، وكان مؤلفاً من أبناء نصارى البلدان الأوروبية المفتوحة حيث كان يؤتى بهم ويلقنون مبادئ الإسلام، وحب السلطان، ومن ثمّ يدرّبون على حمل السلاح وفنون الحرب لاستخدامهم في أوقات الشدّة.

بالاعتداء على الناس الأبرياء، وطالبوا بالمزيد من الاعطيات من السلطان، وحتى مشاركتهم في الحروب كان بهدف السلب والنهب، واستمرّ الحال على هذا المنوال إلى أن اشتدت قوتهم يوماً بعد يوم حتّى أصبح الكثير من السلاطين ألعوبة بأيديهم؛ يعزلونهم متى شاءوا، أو يقتلونهم إذا أصروا على مخالفتهم أو وضع حدّ لطغيانهم، وهكذا استمروا في غيهم إلى أن تسلّم السلطان محمود الثاني الحكم سنة 1223هـ _ 1808م حيث بدأ يخطط للتخلص من الانكشاريّة، وفي سنة 1242هـ _ 1826م قام بتشكيل جيش جديد وقام بواسطته، وبمعاونة عمّامة أفراد الشعب بالقضاء عليهم، وقد استخدم المدفعية التي أمطرت الانكشارية بالقذائف، وقتل منهم ما يقارب الثمانية آلاف حتّى قيل إن مياه مضيق البسفور قد تعفّن من كثرة الجثث التي ألقيت فيها، وبذلك تمكّن السلطان محمود الثاني من إنهاء فساد الانكشاريّة^(İE).

٤ - انغماس بعض السلاطين في حياة اللهو:

لقد كان بعض السلاطين العثمانيين _ والمتأخرين منهم خاصة _ يعيشون حياة ملؤها اللهو، والبذخ، والمجون، حيث كانوا يقضون معظم أوقاتهم مع الجوّاري، وإقامة الولائم، والحفلات الماجنة، وكل ذلك كان على حساب إدارة شؤون الدولة، وحمائتها من المؤامرات التي كانت تحاك ضدها ليل نهار. لهذه الأسباب وأسباب أخرى بدأ نجم الدولة العثمانية نحو الأفول حيث كانت تضعف أمام كيد أعدائها كلّما مرّت عليها الأيام والسنون.

(İE) أنظر: سعيد أحمد برجوي، المرجع السابق، ص214.

الخلافة العثمانية قبيل انتقالها إلى السلطان عبد الحميد الثاني:

قبل البدء بالحديث عن الخلافة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني من الضروري العودة إلى الوراء بعض الشيء وذلك لمعرفة وضع الخلافة قبل تسلمها من قبل السلطان عبد الحميد الثاني، ولنبدأ من عهد السلطان عبد العزيز الذي اعتلى عرش السلطنة عام 1278هـ _ 1861م، فلقد واجه هذا السلطان أول ما واجهه الأزمة الاقتصادية الحادة التي كانت تعاني منها البلاد، فقد ترك أخوه السلطان عبد الحميد الدولة ورائه وهي مثقلة بالديون، حيث كان هذا الأخير رجلاً مسرفاً جداً، بالإضافة إلى سوء الإدارة في عهده، فالديون التي كان على الدولة العثمانية تسديدها أثناء تولي السلطان عبد العزيز الخلافة كانت (كما يلي):

الديون الخارجية 70,926,000 ليرة ذهبية.

الديون الداخلية 68,043,630 ليرة ذهبية.

المجموع 138,969,630 ليرة ذهبية.

وكان ضمن هذه الديون فوائد مقدارها (58,247,505) أي أن الدين الأصلي المستلم كان (80,722,125) ليرة ذهبية فقط، فإذا أضفنا إلى مجموع هذا الدين ديوناً غير منتظمة بمقدار (9) ملايين ليرة ذهبية فإن المجموع يبلغ (150) مليوناً (i) وهو ما يزيد قليلاً على مليار جنيه استرليني (ii). وعندما أراد السلطان عبد العزيز أن يحل تلك المشاكل المالية لم يدعه أصحاب المصالح والبنفيعون القيام بذلك، بل جروه هو الآخر إلى حياة البذخ، واللهو، وإضاعة الأموال في الأمور التافهة، لذلك ساءت أحوال البلاد، وأصبحت تسير من سيئ إلى أسوأ، حيث غلت أسعار المواد التموينية التي أصبحت شحيحة جداً في الأسواق.

لقد ثار عدد من أركان الدولة على السلطان عبد العزيز وعزلوه ووضعوا ابن أخيه السلطان مراد الخامس مكانه، إلا أن هذا الأخير كان مختل العقل، بالإضافة إلى شربه الخمر بشكل جنوني، وقد أطبق عليه الجنون بعد حادثة انتحار أو مقتل عمه السلطان عبد العزيز، لذا فقد ساءت حالته العقلية جداً

(i) بل يبلغ المجموع (147,969630).

(ii) أورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني، ص46.

بحيث لم يكن بالإمكان إدارة شؤون الدولة مع بقاءه على تلك الحالة لذلك رأى وزراءه أنه لا يمكن الإبقاء عليه في السلطة وهو في هذه الحالة، وعرضوا المسألة على شيخ الإسلام حسين خير الله الذي اصدر فتواه بذلك الخصوص ونصها:

"إذا جنَّ إمام المسلمين جنوناً مطبقاً ففات المقصود من الإمامة فهل يصح حل الإمامة من عهده؟ الجواب نعم والله أعلم"، وبعد ذلك أخذت التدابير اللازمة لمبايعة شقيقه السلطان عبد الحميد الثاني لتولي الخلافة وكان ذلك في 31 آب من سنة 1293ھ _ 1876ھ.

السلطان عبد الحميد الثاني ومكانته بين السلاطين العثمانيين:

السلطان عبد الحميد الثاني هو السلطان الرابع والثلاثون من بين سبعة وثلاثين سلطاناً عثمانياً حكموا البلاد لمدة ستة قرون تقريباً، وقد كتب عن سلاطين آل عثمان مئات المجلدات، وتعرض المؤرخون، ورجال الفكر، والسياسيون لحياة أولئك السلاطين وكتبوا عنهم الشيء الكثير، إلا أننا نستطيع القول إن أحداً من أولئك السلاطين لم ينل من الاهتمام بقدر ما ناله السلطان عبد الحميد الثاني، وربما لا أكون مبالغاً إذا قلت إن ما كتب عن السلطان عبد الحميد الثاني وحده يعادل إن لم أقل يفوق ما كتب عن باقي السلاطين بأجمعهم، فالسلطان عبد الحميد الثاني مات (كما مات قبله وبعده بقية سلاطين آل عثمان، ولكنه ما زال وحده يستوقف بشخصيته وسيرته عشرات بل مئات المؤرخين، والمستشرقين، والباحثين في محاولة تلو المحاولة بهدف سير غور تلك الشخصية، والولوج إلى أعماق تلك السيرة، وتجربة فهم ومتابعة سير الأحداث عبر ذلك الزمن) (iō).

لا أريد هنا التحدث عن حياة السلطان عبد الحميد الثاني، فقد كتب عنه الكثير الكثير كما قلت قبل قليل، ولكنني أرى من المفيد في هذه العجالة التحدث عن بعض الجوانب من حياته لكي ندرك مدى ما كان يتمتع به ذلك السلطان المظلوم من خلق رفيع، وتواضع شديد، وذكاء حاد، وفراسة عجيبة، وقراءة متأنية للأحداث، فالسلطان عبد الحميد الثاني لم يكن مثل باقي السلاطين الذين كانوا طوال حياتهم السلطانية أسارى لبعض التقاليد السلطانية من مأكلاً وملبس، وتعامل مع أفراد أسرهم،

(iō) موفق بني المرجة، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، د.ط، الكويت، مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1984 jã 53Ö.

والزائرين، ورجال الدولة، والموظفين، فقد قام السلطان عبد الحميد الثاني في الأيام الأولى من تربيته على عرش السلطنة بوضع حدٍّ لذلك الإسراف الذي كان يعاني منه بيت المال على مرّ العصور حيث قام بـ (تقليل المصاريف الباهضة للقصر إذ استدعى الداماد (i) محمود جلال الدين باشا، ووزير المالية غالب باشا، وأمرهما أن يدققا مصاريف القصر، وأن يقلصاها إلى الحد الأدنى... وبهذا تقلصت مصاريف المطبخ في القصر التي كانت تبلغ أربعين ألف قطعة ذهبية شهرياً إلى الثلث، ثم أمر بمنع مظاهر البذخ والترف التي كانت عادةً للأمراء وأميرات القصر (i)).

ومن تواضعه أنه كان يتناول الطعام مع أفراد أسرته خلافاً للسلطين الآخرين الذين كانوا يرون تناول الطعام مع الآخرين ينقص من قيمة وهيبة السلطان.

لقد قدر للسلطان عبد الحميد الثاني أن يتسلم الحكم في زمن عصيب جداً، فقد ارتقى عرش السلطنة والدولة العثمانية تشق طريقاً محفوفاً بالمخاطر، فبسبب ضعف وإهمال السلطين الذين سبقوه أصبحت الدولة العثمانية تعيش حالة من التراجع، حيث كانت تضعف يوماً بعد يوم، وجعلت الأمراض تنخر جسمها، وتكاثرت الخرق على الراقع، وبلغت جروح الدولة مبلغاً لم يكن بالإمكان مداواتها بسهولة.

ولكن مع كل ما تقدم فقد استطاع السلطان عبد الحميد الثاني بحكمته، ودهائه، وصبره، وضموده أمام المشاكل والتحديات أن يواجه كل تلك التحديات أكثر من ثلاثين عاماً، إلا أنه في نهاية المطاف تمكنت تلك المشاكل من الإطاحة به، وجعلته ضحية لأخطاء وسوء تدبير السلطين الذين سبقوه، وفيما يلي عرض لأهم المشاكل التي كانت الدولة العثمانية تعاني منها في بداية عهد السلطان عبد الحميد الثاني، تلك المشاكل التي كانت السبب المباشر في تمكن رجال الاتحاد والترقي من الانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني وخلعه، وأهم تلك المشاكل كانت:

١ - الوضع المالي المتدهور:

(i) الداماد هو الصهر.

(i) أورهان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني، ص 93.

كان الوضع المالي المتدهور من المشاكل العويصة التي واجهها السلطان عبد الحميد الثاني، ولا يخفى على أحد التأثير الكبير للوضع المالي المتدهور على الدولة _ أية دولة _ فكم من دول وحكومات لم يتمكن منها الأعداء، بينما تمكنت منها الأوضاع المالية المتدهورة وبالتالي أسقطتها، فالدولة إذا لم تمتلك الأموال الكافية لإدارة شؤونها ستخرج زمام الأمور من يدها، حيث أنها ستضطر إلى أخذ القروض من بعض الدول الأخرى ولا شك أن ذلك سيؤدي إلى إضعاف موقفها تجاه الدول أصحاب القروض.

والدولة العثمانية بسبب سوء الإدارة، والحروب التي كانت تخوضها باستمرار، والإسراف الذي كان يفوق حدود المعقول من قبل أكثر السلاطين الذين سبقوا السلطان عبد الحميد الثاني، لكل تلك الأسباب وأسباب أخرى أصبحت الدولة العثمانية في زمن السلطان عبد الحميد الثاني تعاني من أزمة مالية حادة جداً، حيث بلغت الديون المتراكمة عليها ملايين الليرات الذهبية، وكانت تلك الدول أصحاب القروض _ وخاصة فرنسا وإنجلترا _ تطالب بقروضها باستمرار، لذلك عمل السلطان عبد الحميد الثاني على تسديد تلك القروض خوفاً منه أن يؤدي تأخيرها إلى تدخل تلك الدول في أمور الدولة العثمانية بحجة أنّ لها قروضاً عليها، فقام السلطان عبد الحميد بفرض سياسة تقشف شديدة في كافة مرافق الدولة لكي يتمكن من تخفيف تلك القروض، إلا أن تلك السياسة أضرت بالدولة داخلياً حيث جعلت المتضررين من سياسة التقشف ينقمون على السلطان عبد الحميد الثاني، ولكن رغم ذلك فإنه لم يلق بالاً إلى ذلك واستمرّ في سياسة التقشف، وأصدر فرماناً^(١٥) بتشكيل لجنة مهمتها وضع الخطط اللازمة لتسديد الديون.

ولكن مع كل تلك المحاولات المستمرة وسياسة التقشف الشديدة التي استمرت ما يقارب الثلاثين عاماً لم تتمكن الدولة تسديد سوى نصف ديونها أو ما يزيد على ذلك قليلاً، حيث أن الدولة العثمانية وبعد ثلاثين عاماً من تسديد الديون كانت لا تزال مدينة بأكثر من مائة مليون ليرة ذهبية، ولا شك أن (هذه الناحية بالذات كانت من أهم العوامل التي سببت تدمير الضباط الأمر الذي أدى في النهاية إلى الانقلاب ضد السلطان)^(١٥).

(١٥) فرمان: هو ذلك الأمر الذي يصدر من القصر _ قصر السلطان _ ويقابله ما يسمى في بعض الدول بالمرسوم الجمهوري، أو الإزادة الملكية في بعض الدول الأخرى.

(١٥) أورهان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني، ص 206.

٢ - حركات التمرد:

لقد كان للدولة العثمانية صراع طويل مع كلٍّ من روسيا ودول أوروبا الغربية وخاصةً فرنسا وبريطانيا، وقد اتخذ ذلك الصراع أشكالاً عدّة، ففي بعض الأحيان كان يتّخذ شكل الحرب المسلّحة بينها وبين تلك الدول، وفي بعض الأحيان الأخرى كان الصراع يتّخذ شكلاً آخر وهو ما نحن بصدد الحديث عنه وهو قيام بعض من تلك الدول بإثارة بعض الطوائف والحركات ضدّ الدولة العثمانية، وبالإضافة إلى ذلك كانت تقوم بتمويلها وتضع لها الخطط والتكتيكات، وتقدم لها الدعم المادي والمعنوي والسياسي أيضاً فقبيل أن يرتقي السلطان عبد الحميد الثاني عرش السلطنة قام نصارى البوسنة والمهرسك_ بإيعاز من بعض الدول الأوروبية_ بالثورة مطالبين من الباب العالي منحهم حق تقرير المصير، إلاّ أن الدولة العثمانية سرعان ما قامت بإخماد نار تلك الثورة، ولكن مع ذلك قامت الدولة العثمانيّة بمنح البوسنة والمهرسك بعض الحقوق، إلاّ أنّهم لم يقتنعوا بها وعادوا إلى خيار الثورة مرّة أخرى، إلاّ أن الدولة العثمانية سحقتها هي الأخرى أيضاً فقامت كل من ألمانيا، والنمسا، وروسيا بتقديم (لائحة سياسية إلى الدولة العثمانية أبدت رغبتها بتشكيل ائتلاف من أهالي المهرسك نصفه من النصارى، ونصفه الآخر من المسلمين لمراقبة تنفيذ ما جاء بالأمر السلطاني، كما طالبوا السلطان بالتعهد بإجراء الإصلاحات المذكورة معه، فوافق السلطان على تلك المطالب ولكن التمرد لم يتوقف، ثمّ تقدمت الدول إلى الباب العالي بلائحة برلين بقصد التشديد على تطبيق ما جاء بالأمر السلطاني عن طريق مجلس دولي، وإصلاح حال النصارى في الولايات العثمانية، ودعته إلى الاتفاق مع الثائرين وإلاّ فإن الدول ستضطر لاستعمال القوة، ولكن الباب العالي عاد ورفض هذه المطالب المجحفة)^(D).

بعد رفض السلطان عبد الحميد الثاني لذلك العرض المجحف قامت روسيا التي كانت تعتبر نفسها حامية المذهب الأرثوذكسي في العالم بإعلان الحرب ضد الدولة العثمانية، وفعلاً بدأت القوات الروسية في سنة 1294هـ _ 1878م بالتحرك نحو الدولة العثمانية وحدثت بينهما معارك عنيفة تفوّق فيها الجيش العثماني في بداية الأمر، ولكنه تراجع بعد ذلك، واضطر إلى الانسحاب من الكثير من المدن والمواقع المهمّة خصوصاً عند حلول فصل الشتاء، وانضمام كل من صربيا، والجبل الأسود إلى القوات الروسية في حربها مع الدولة العثمانية، لذلك فقد اضطرت إلى قبول المفاوضات، فحرت بينها

(D) علي حسون، المصدر السابق، ص172.

وبين الروس معاهدة (سان استفانو) (D) فما كان لعبد الحميد إلا الرضوخ والموافقة على المعاهدة المفروضة عليه من الروس وهي تقضي بما يلي:

1- استقلال إمارة الجبل الأسود وتوسيعها بضم بعض الأراضي لها من البوسنة والهرسك، وميناء انتيفاري على ساحل بحر الأدرياتيك.

2- استقلال بلاد الصرب وضم مقاطعتي نيتش وترفنا إليها.

3- تطبيق الإصلاحات التي اقترحتها مؤتمر الإستانة على الباب العالي في البوسنة والهرسك تحت إشراف روسيا والنمسا المشترك.

4- تدمير القلاع التركية الواقعة تحت نهر الدانوب.

5- استقلال رومانيا.

6- تنازل الدولة العثمانية للروس عن قلعة قارص في أرمينيا، وعن ميناء باطوم وأراضي أخرى في آسيا.

7- قيام بلغاريا الكبرى الممتدة من نهر الدانوب إلى بحر إيجه مع تمتعها بالاستقلال الذاتي تحت الوصاية الروسية (D).

وبذلك تقلصت حدود الدولة العثمانية، حيث اقتطعت منها كل من: (الجبل الأسود، وصربيا، ورومانيا، وبلغاريا)، ومن الناحية السياسية فقدت الدولة كثيراً من هيبتها التي كانت تفرضها قبل ذلك على دول المنطقة مما شجعت الدول الأوروبية بعد ذلك للإقدام على احتلال الكثير من البلاد الإسلامية، أما من الناحية الاقتصادية فقد تكبدت خسائر مالية تقدر بملايين الليرات الذهبية.

3 - تأمر يهود على السلطان عبد الحميد الثاني:

(D) معاهدة أبرمت بين روسيا والعثمانيين في آذار سنة 1878م نتيجة للحرب التي وقعت بينهما سنة 1877م، وبموجبها انتقلت أردهان، وقارص، وباطوم، ووادي الشكر، وبايزيد، وأراضي أخرى في شرقي تركيا وإيران إلى روسيا. نقلاً عن: Āi. خالفين، الصراع على كردستان، ترجمة: Ā. أحمد عثمان، د. Ā. Ā. Ā. Ā. 740.

(D) سعيد أحمد برجايوي، المرجع السابق، ص 259.

لم يكن عدد يهود المقيمين في الدولة العثمانية ليبلغ الخمسمائة نسمة قبل القرن الخامس عشر الميلادي، إلا أن عددهم بلغ (46000) نسمة تقريباً وذلك بعد الهجرة الجماعية التي قاموا بها من إسبانيا إلى الدولة العثمانية، أما عن سبب تلك الهجرة فهو إثارة القلاقل _ كما هو ديدنهم في كل مكان _ في إسبانيا باستمرار مما دفع بملك إسبانيا فرديناند (ferdinand) إلى طردهم منها وذلك في سنة 898هـ _ 1492م، فطلب بعض حاخاماتهم من السلطان بايزيد الثاني أن يسمح لهم بالإقامة في الدولة العثمانية فسمح لهم بذلك^(D)، وبمرور الأيام ازداد عددهم في الدولة العثمانية عن طريق كثرة الإنجاب، والهجرة المستمرة إليها.

هذا وقد تحسنت أحوال يهود المعاشية بسرعة في ظل الدولة العثمانية، حيث عمل الكثير منهم في التجارة^(D)، وبالتالي سخروا تلك الأموال لتحقيق مآربهم، وبمرور الزمن أصبحت التجارة في الدولة العثمانية بأيدي يهود (فقد أوعز المجلس الأعلى لليهود إلى بعض أتباعه أن يعتنقوا الإسلام ليسهل عليهم التغيرير بالأترك، وكسب ثقتهم كي يتسنى لهم التغلغل إلى مراكز الجاه والسلطان، كما أن ذلك يساعدهم على المدى البعيد لحماية أبنائهم اليهود، وتحقيق الأهداف العامة لهم، حيث قام بعض الأفراد البارزين من اليهود بالتظاهر باعترافهم بالإسلام، واتخذوا لهم أسماء إسلامية، وسمي هؤلاء بيهود الدوغة^(D)، وقد اندمج هؤلاء في صفوف الشعب وراحوا يعملون في الخفاء لتحقيق أغراضهم^(D) .

^(D) يعتبر سماح بعض السلاطين العثمانيين لليهود بالإقامة في الدولة العثمانية من الأخطاء الكبيرة التي وقعوا فيها، ففي الوقت الذي كانت الدول الأخرى تحاول التخلص من يهود بسبب مكرهم وخيانتهم لكل من ليس من بني جلدتهم، وبينما كان يهود يطردون من كل مكان قام بعض السلاطين العثمانيين بالسماح لهم بالهجرة إلى الدولة العثمانية، تلك الدولة التي لقيت من يهود كل الغدر، والخيانة مقابل إيوائهم وحفظهم من الضياع والشتات!!

^(D) المعروف عن يهود أنهم ماهرون في الأمور التجارية، وجمع المال منذ القدم، وذلك بسبب حبهم الشديد للمال والغنى، لذلك قلماً ترى يهودياً فقيراً.

^(D) طائفة يهودية طردت من إسبانيا على إثر حملات الاضطهاد المعادية لليهودية التي شملت البلدان الأوروبية واستقرت في اليونان التي كانت خاضعة للحكم العثماني، وقد اعتنقت هذه الطائفة الدين الإسلامي في القرن الثامن عشر محتفظة ببعض العادات والطقوس الدينية اليهودية، واندجحت في الحياة العامة والسياسية إلى حد أنها شاركت في الكثير من الحركات الرامية إلى إعلان الدستور وإلغاء نظام الخلافة وإعلان تركيا جمهورية علمانية، كما أنها قامت بدور بارز في انقلاب 1908م الذي قاده أتاتورك. نقلاً عن الموسوعة السياسية، مرجع سابق، ص271. والدوغة بتسكين النون كلمة تركية تعني العودة أو الرجوع، أنظر: مصطفى طوران، يهود الدوغة، ترجمه عن التركية كمال خوجة، تونس، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1983jã 30.

ويقول الدكتور حستان حلاق: (("الدوغة" كلمة تركية تعني "المرتدين" ومشتقة من تركيبين (ã) أي اثنين وهي فارسية الأصل، ã (نم) بمعنى نوع وهي الطائفة القائمة على نوعين من الأصول، النوع اليهودي، والنوع الإسلامي. نقلاً عن: الدكتور حستان حلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897_1909jã 30.

^(D) الدكتور أحمد نوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، د.ط، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1990jã 30.

لقد كان يهود يلمون بوطن آمن لهم يحميهم ويحتضنهم، وقد كانوا يطمحون أن يكون ذلك الوطن في فلسطين، فكانوا ينتظرون الفرصة المواتية لعرض طلبهم على السلطان عبد الحميد الثاني، وعندما رأى يهود بزعامة (تيودور هرتزل) (᠓᠓) الدولة العثمانية مثقلة بالديون، وتعاني من عجز حاد في الميزانية رأوا في ذلك فرصتهم الذهبية كي يقنعوا السلطان عبد الحميد الثاني عن طريق الرشوة لكي يأذن لهم بإقامة وطنهم القومي في فلسطين ف تقدم هرتزل وبصحبه الخاخام اليهودي (موشي ليفي) من عبد الحميد قائلاً "مولانا صاحب الشوكة جلالة السلطان، لقد وكلنا عبيدكم اليهود بتقديم أسمى آيات التبجيل والرجاء، عبيدكم المخلصون اليهود يقبلون التراب الذي تدوسونه ويستعطفونكم للهجرة إلى فلسطين المقدسة، ولقاء أوامركم العالية الجليلة نرجو التفضل بقبول هديتكم خمس ملايين ليرة ذهبية" فما كان موقف الخليفة منهم؟ لقد طردهم عبد الحميد وقال: "بلغوا هرتزل ألا يبذل بعد اليوم شيئاً من المحاولة في هذا الأمر فإنني لست مستعداً لأن أتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد لتذهب إلى الغير، فالبلاد ليست ملكي بل هي ملك لشعب روى تراجمها بدمائه، فلتحتفظ اليهود بملايينهم من الذهب" (᠓᠓).

بعد تلك الحادثة أصبح يهود يحدون على السلطان عبد الحميد الثاني، وقرروا منذ ذلك اليوم من عام 1315هـ _ 1897م العمل على خلعهم بسبب قناعتهم التامة أنهم لا يستطيعون التحدث عن القدس ما بقي السلطان عبد الحميد في الحكم، فبدأوا حملتهم ضده بتمويل حركات التمرد، وتأجيج نار الفتن، وإحداث القلاقل داخل الدولة العثمانية، كل ذلك في سبيل إضعاف سلطته وبالتالي خلعهم السلطنة لكي يتمكنوا من تحقيق أحلامهم بإقامة وطنهم المزعوم في فلسطين.

٥ - الفتن الداخلية:

(᠓᠓) تيودور هرتزل (Theodor Hertzl) (1860-1904) (مؤسس الصهيونية السياسية الحديثة، وأول رئيس للمنظمة الصهيونية العالمية، ولد في بودابست ثم عاش في فيينا حيث مارس الصحافة وتأليف القصص والروايات، أحدثت دعوته إلى الدولة اليهودية 1896م ثورة في العالم اليهودي أدت عام 1897 إلى عقد أول مؤتمر صهيوني عالمي في مدينة بال السويسرية، وفي هذا المؤتمر تركزت الدعوة إلى إقامة وطن قومي صهيوني في فلسطين، وظل هرتزل يبذل حتى موته كل ما في وسعه من جهد لاستصدار ميثاق لهذا الغرض تضمنه الدول الكبرى، وكان مشروعه هذا يندرج ضمن المشاريع الاستعمارية الغربية التي كانت سائدة آنذاك). نقلاً عن: عبد الوهاب الكيتالي وآخرون، الموسوعة السياسية، ط1، بيروت_لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص558.

(᠓᠓) علي حسون، المصدر السابق، ص189.

قلنا في السابق إن السلطان عبد الحميد الثاني عندما تسلم السلطنة كانت الدولة العثمانية في غاية الضعف بسبب مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية، ولقد بذل السلطان عبد الحميد الثاني كل ما في وسعه لرأب الصدوع التي تعرضت لها الدولة العثمانية إلا أنه لم يتمكن من ذلك فالسلطان عبد الحميد رغم قيامه بالكثير من الإصلاحات إلا أنه ظل عاجزاً عن إصلاح الشيء الأهم وهو الفساد الذي كان قد استشرى داخل مؤسسات الدولة.

في سنة 1306هـ _ 1888م قامت مجموعة من العسكريين، والسياسيين، والموظفين الذين فصلوا من مناصبهم، أو نقلوا من وظائفهم إلى وظائف لا تعجبهم، قاموا بتشكيل جمعية سرية أطلقوا عليها اسم "جمعية الاتحاد والترقي"، وكان شعار الجمعية المذكورة: حرية _ تقدم _ مساواة، أما هدفها الأساسي فقد كان خلع السلطان عبد الحميد الثاني، والجدير بالذكر هو أن الذين كانوا يديرون الجمعية كانوا من كبار الماسونيين أمثال: (طلعت بك) (N) عضو محفل (فريد اس) في مدينة سلانيك، هذا وقد بلغ عدد الماسونيين الأتراك في عام 1300هـ _ 1882م حوالي (10000) شخص، وقد ضم هذا العدد الوزراء، والنواب، وقادة الجيش، وقام السلطان عبد الحميد بغلق جميع المحافل في سلانيك بسبب ارتباطها الدولية (N).

هذا وقد استمرت جمعية الاتحاد والترقي في نشر أفكارها، وتوسيع نشاطها، وفتح مكاتب جديدة لها على مدى عشرين عاماً، إلى أن تمكنت من نشر خلاياها التنظيمية بين صفوف الجيش، والموظفين، والطلبة، والتجار، وكافة شرائح المجتمع، وبدأوا ينتقدون سياسة السلطان عبد الحميد علناً بواسطة الجرائد التابعة لهم مثل جريدة: (مشورت) æj (الميزان)، وكانوا يبثون الحملات الدعائية ضد

(N) ولد في عام 1874م وقد تعلم الفرنسية في مدرسة الاتحاد اليهودي، وأصبح رئيساً للكتاب في ولاية سلانيك ثم أصبح مأموراً للبريد.. كما أصبح عضواً في الخزانة العامة وأصبح أيضاً وزيراً للداخلية، وقد عمل جاهداً إلى أن وصل إلى منصب الصدر الأعظم، وقد انتمى طلعت بك إلى محفل الشرق الأعظم الماسوني، وعمل طلعت دوراً بارزاً منذ أن كان مؤزراً للبريد والبرق في أدرنة، فقد كلف من قبل جمعية الاتحاد والترقي بنقل الرسائل السرية من وإلى سلانيك، وقد عمل طلعت بك جاهداً منذ أن كان وزيراً للداخلية على نشر المحافل الماسونية، وقام بإسناد الوظائف الرئيسية في الدولة إلى ولاية ومتصرفين من الماسونيين وفي نهاية حياته اختلف طلعت = مع الماسونيين الأمر الذي أدى إلى اغتياله من قبل المحافل الماسونية حيث اغتاله رجل أرمي في برلين في 15 1921. نقلاً عن: الدكتور أحمد نوري النعيمي، أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين، بغداد، مطبعة جامعة بغداد، 1982. 105Ö jã

(N) أنظر: الدكتور حسان حلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897-1909م، بيروت، الدار الجامعية للطباعة والنشر، 1978. 290Ö jã

السلطان عبد الحميد ويصفونه بالسلطان الأحمر لكثرة إراقتة لدماء الناس ظلماً _بزعهم_ (Ñ) ، هذا وقد قويت شوكة جمعية الاتحاد والترقي يوماً بعد يوم، وانضم إليها عدد من حاميات الجيش فحاول السلطان عبد الحميد القضاء عليهم حيث أرسل الفوج الأول من الجنود الأناضوليين المرسلين إلى مدينة سالونيك لإخماد الثورة واعتقال مسببيها، ولم يكن من أولئك الجنود إلا أن ألقوا سلاحهم وهم يهتفون مع الثائرين: حرية. تقدم. مساواة، معلنين بذلك تضامنهم مع الثوار دون أن يجروا أحد على منعهم من ذلك (Ñ).

بعد ذلك أرسل أعضاء جمعية الاتحاد والترقي إنذاراً للسلطان عبد الحميد بضرورة إعلان المشروطة (الدستور) الذي صدر عام 1293 هـ _ 1876 م خلال أربع وعشرين ساعة، وإلا سوف يقوم الجيش الثاني والثالث باقتحام العاصمة استانبول، وما أن أبلغ السلطان بذلك حتى سارع إلى إعلان الدستور تفادياً لحدوث الفوضى، وإراقة الدماء، وفي 24 تموز 1908 م صدر القرار بالخط الهمايوني (ÑÑ) معلناً العمل بالدستور مرة أخرى.

وبذلك استطاع السلطان عبد الحميد الثاني دفع أشد الضربين، وإيقاف ثورة جمعية الاتحاد والترقي بصورة مؤقتة.

خلع السلطان عبد الحميد الثاني:

(Ñ) لو كان السلطان عبد الحميد رجلاً دموياً كما زعموا لقام بإراقة دماء رجال الاتحاد والترقي قبل غيرهم، فقد ألقى القبض على أقطابهم عدة مرات كما حدث في عام 1895 م حيث ألقى القبض على كل من عبد الله جودت، وشرف الدين مغمومي، وإسحاق سكوتي، وكريم سيباطي، وعبد القادر أفندي، وأحمد بك، وغيرهم إلا أن السلطان عبد الحميد كان في كل مرة يمتنع عن إعدامهم رغم كون القانون يسمح بإعدامهم لكثرة ووضوح الأدلة الجنائية ضدهم. بل كان يكتفي بنفيهم إلى أماكن نائية، تلك الأماكن التي سرعان ما كانوا يفرون منها ويلتحقون بأعوانهم لمواصلة العمل في سبيل خلع السلطان عبد الحميد، ولا شك في أن هذا الإجراء من قبل السلطان عبد الحميد الثاني يعتبر من أكبر أخطائه التي ارتكبها في التعامل مع خصومه. (أنظر: أورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني، مصدر سابق، ص 272 وما بعدها).

(Ñ) أنظر: سعيد أحمد برجوي، المرجع السابق، ص 272.

(ÑÑ) هابيوني كلمة فارسية الأصل ومعناها الأصلي "مبارك" وبناء عليه يكون معنى الخط الهمايوني الخط المبارك، ولعل تلك البركة تكون بسبب صدور ذلك القرار من القصر السلطاني وبأمر منه.

بعد إعلان الدستور بشهور تم الإعلان عن قانون الانتخابات البرلمانية، وقد جرت الانتخابات في شهر تشرين الثاني من عام 1326هـ _ 1908م، وتقرر أن يكون عدد أعضاء البرلمان (288) نائبا، أما بالنسبة إلى تمثيل كل قومية أو طائفة في البرلمان فكانت كما يأتي:

(147) نائبا عن الأتراك.

(60) نائبا عن العرب.

(27) نائبا عن الألبان.

(26) نائبا عن اليونان.

(14) نائبا عن أرمينيا.

(4) نائبا عن اليهود.

(10) نائبا عن السلاف.

ومن الجدير بالذكر أن جمعية الاتحاد والترقي كانت قد فازت بأغلب المقاعد في البرلمان، لذلك اتفق أعضاؤها في البرلمان على منع السلطان عبد الحميد الثاني من التدخل في شؤون الدولة، وقاموا بمحاولة تبديل قوانين الدولة _ التي كانت مستمدة من الشريعة الإسلامية _ بالقوانين الغربية، كما قاموا بإقالة كبار رجال الدولة، والموظفين المواليين للسلطان عبد الحميد الثاني، (وفي أحد الأيام عقدت جلسة صاحبة في المجلس تجرأ خلالها كامل باشا^(N) على مهاجمة أعضاء لجنة الاتحاد والترقي، فقام أنور بك^(N) وأصدقاؤه وشهروا مسدساتهم في وجوه النواب مؤكدين بهذه الطريقة سلطتهم في المجلس، وفي اليوم التالي فوجئ كامل باشا بإقالته من منصبه، وبحلول حلمي باشا محلّه، ولم يسع هذا الأخير إلا الخضوع التام لرغبات لجنة الاتحاد والترقي ... وبعد ذلك أي في الحادي والثلاثين من شهر آذار 1909م قام

(N) كان واحداً من أعضاء البرلمان آنذاك.

(N) ولد في الاستانة من أب موظف في السكة الحديدية وهو خريج الكلية الحربية في الاستانة، انضم إلى جمعية الاتحاد والترقي ولعب الدور الرئيس في حركة تموز 1908، خدم كملحق سياسي عسكري في برلين، ثم كضابط ميدان وذلك في 23 كانون الثاني 1913 إلى إيصال الاتحاد والترقي إلى الحكم ثانية بعد أن عاد إلى استانبول ليقود الحملة ضد الحكومة. نقلاً عن: الدكتور أحمد نوري النعيمي، الحياة السياسية في تركيا الحديثة، بغداد، مطبعة جامعة بغداد، 1990 jãl 410.

جنود السلطان من حامية العاصمة بهجوم على مجلس النواب حيث أطلقوا النيران على نواب الاتحاد والترقي، وقضوا على حياة بعضهم^(٦٧).

هذا وقد استغلت جمعية الاتحاد والترقي حادثة 31 آذار فأوعزوا إلى الجيش الذي كان يقوده الفريق محمود شوكت باشا^(٦٨) والذي سمي فيما بعد بجيش الحركة_ بالتوجه نحو استانبول، وبعد وصول جيش الحركة إلى ضواحي استانبول تهيأ أفراد حامية القصر_ التي كان يبلغ عددها أربعة آلاف رجل_ لمواجهة جيش الحركة، إلا أنهم فوجئوا بأمر سلطاني يمنع إطلاق رصاصة واحدة، فحاول رجال الحامية إقناع السلطان بالسماح لهم بالقضاء على جيش الحركة إلا أن السلطان لم يسمح لهم بذلك^(٦٩)، وقال إذا أردتم إطلاق النار فأطلقوها عليّ أولاً، لذا اضطر جنود السلطان إلى الاستسلام حيث أخلي القصر الذي كان السلطان عبد الحميد الثاني يقيم فيه، ولم يبق فيه إلا السلطان، وأفراد عائلته، وأصبح محاطا بجنود الحركة، (وفي الأيام التالية زار سفراء ألمانيا، وفرنسا، وإنكلترا القصر وقابلوا السلطان حيث عرض كل واحد منهم استعداد حكومته تأمين سلامته، وأهم ينتظرون إشارة منه، فشكرهم على ذلك وأعلمهم عدم وجود أية نية عنده في اللجوء إلى أية دولة مع أنه أصبح متأكدا بعد محاصرة القصر من خلعه، بل وقتله على غرار قتل عمه السلطان عبد العزيز، وكان يقول: "إنني أعلم أن هذه الترتيبات كلها ليست إلا مؤامرة لقتلي... إن هذا شيء واضح، والظاهر أن عاقبتني ستكون مثل عاقبة عمي عبد العزيز، ومع ذلك فلو علمت أنهم سيقطعون لحمي قطعة قطعة فلن ألبأ إلى دولة أجنبية لأن من

^(٦٧) سعيد أحمد برجايوي، المرجع السابق، ص 276.

^(٦٨) عسكري وسياسي تركي، رئيس وزراء وهو المشير محمود شوكت باشا، ولد ببغداد عام 1858م، التحق بالكلية الحربية في اسطنبول (1880_75) وعمل بعد تخرجه بهيئة أركان الحرب واتصل بالجنرال (فون جولتر) الألماني الذي أوفد لإعادة تنظيم الجيش العثماني وعن طريقه أرسل صاحب الترجمة إلى ألمانيا حيث قضى 10 سنوات 1884-1894م بمصانع موزر للأسلحة للإشراف على العتاد الحربي المطلوب للجيش، وبعد عودته عين مفتشاً للترسانة الحربية باسطنبول، تولى منصب الحاكم العام للحجاز 1901_1903م، ثم انتقل إلى الصرب وهناك كانت صلته بحركة جماعة الاتحاد والترقي (تركيا الفتاة) التي جعلت سالونيك مركزاً لنشاطها، وعندما جرى انقلاب عام 1909م كان شوكت باشا على رأس الجيش الذي استولى على العاصمة وأجبر السلطان عبد الحميد على التخلي عن العرش، وانصرف بعد قيام العهد الجديد إلى الشؤون العسكرية ف قضى على ثورة ألبانيا عام 1912م، وفي صيف العام نفسه تولى وزارة الحربية، وفي يناير 1913م خلف كامل باشا في منصب الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) فغني بالإصلاحات العسكرية ولكنه لم يلبث أن اصطدم بجماعة الأحرار الذين كانوا يعارضون سياسة الاتحاديين، وفي 15 يونيو 1913م اغتاله بعض أعضاء هذه الجماعة بميدان بيازيد وهو في طريقه إلى الباب العالي). نقلاً عن: أحمد عطية، القاموس السياسي، د. 697Ö jĒ.İ jã.İ jã.

^(٦٩) لقد كان بإمكان حامية القصر سحق جيش الحركة، حيث كان عدد أفراد الحامية يفوق أربعة آلاف رجل بالإضافة إلى الحاميات الأخرى التي كانت متواجدة في أنحاء متفرقة من استانبول والتي كانت مجهزة تجهيزاً كاملاً ولكن مع ذلك أمرهم السلطان عبد الحميد الثاني بعدم إطلاق رصاصة واحدة تفادياً لإراقة الدماء ولو أدى ذلك إلى خلعه، وقد فاتته أن أولئك الغوغائيون لا يكفون عن إراقة الدماء حتى لو تنازل لهم عن السلطة، لذا يعتبر أمر السلطان لجنوده بعدم المصادمة مع جيش الحركة واحدة من أكبر أخطائه التي ارتكبها.

العار عليّ أن أهرب من وطني، وأنا أعد ذلك خاصة بالنسبة لسلطان مثلي حكم ثلاثا وثلاثين سنة دناءة وسفالة لا مثيل لهما وأنا راض بحكم الله وبقدري" (٥).

هذا وقد بقي السلطان عبد الحميد الثاني في قصره محاصرا لعدة أيام ولما جاء (يوم الثلاثاء المصادف لليوم السادس من ربيع الآخر سنة 1327هـ_27 نيسان 1909م حضر الوفد المكلف بإبلاغ قرار خلع السلطان إلى قصر يلدز في الساعة 1,32 ظهرا وكان يتألف من:

- ١ - الفريق عارف حكمت باشا، وكان عضوا في مجلس الأعيان.
 - ٢ - آرام أفندي، وهو أرمني وكان عضوا في مجلس المبعوثان.
 - ٣ - اللواء أسعد باشا، نائب في مجلس المبعوثان.
 - ٤ - عمانوئيل قره صو، يهودي من سلانيك، إسباني الأصل، ونائب عن سلانيك، كان يحمل الجنسية العثمانية، والجنسية الإيطالية في الوقت نفسه!! ومن زعماء الجمعية الماسونية في سلانيك، والمخفل الماسوني الإيطالي. (أنظر إلى الصورة رقم (1) في ملحق الصور).
- دخل الوفد مع الميرالاي (غالب بك) (٥) على السلطان الذي استقبلهم واقفاً وقد بادره أسعد باشا قائلاً له لقد أتيناك من قبل مجلس المبعوثان (٥) ...، وهناك فتوى شرعية شريفة ... أن الأمة قد عزلتك، ولكن حياتك في أمان فاعترض السلطان على كلمة (العزل)، وفضل استعمال كلمة (الحل)، ثم تلا قوله تعالى: {ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} (٥) ثم التفت إلى الوفد مشيراً إلى قره صو اليهودي قائلاً:

(٥) أورهان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عصره، ص 329.

(٥) الضابط المسؤول عن أمن قصر يلدز بعد استيلاء جمعية الاتحاد والترقي على القصر.

(٥) كان مصطلح مجلس المبعوثان يطلق على مجلس النواب في ذلك الحين.

(٥) يس، 38.

"ألم تجدوا شخصا آخر غير هذا اليهودي لكي تبلغوا خليفة المسلمين قرار الحل؟" ثم أردف قائلاً وهو يشير إلى حوادث 31 مارس التي اتهم فيها بأنه هو المدبر لها:

"إني لم أفعل ذلك وعلى الأمة أن تفتش عن مسببها وأن تجدهم، لقد بذلت كل ما في وسعي من أجل صالح شعبي، أما الآن فقد ذهب هذا هباء منثوراً، لقد أسدلوا ستاراً كثيفاً على خدماتي... لقد كان هذا قدرتي، إن على الشعب أن يكتشف المسببين، ولكنني أرجو أن أقيم مع عائلتي في قصر (جراخان) الذي كان يسكنه أخي".

أجابه الوفد بأن المجلس اتخذ قراره بجعل إقامته في مدينة سلانيك، فقال السلطان: إني متعب، كما أن تقدم سني لا يسمح لي بالسفر الطويل، وأنا أقسم بالله بأنني لا أرغب بالسلطنة لذا أرجو أن أقيم مع عائلتي في قصر (جراخان).

أجاب الوفد السلطان بأن إيفاء طلبه هذا خارج عن صلاحياتهم لذا فإنهم سيعرضون طلبه على المجلس.

بعد ساعتين أو ثلاث من مغادرة الوفد القصر جاء الجواب من المجلس وهو التهيؤ فوراً للسفر إلى سلانيك (٥٣).

وهكذا أسدل القدر ستاره على السلطان المظلوم، السلطان الرابع والثلاثون من سلاطين آل عثمان، ومن الجدير بالذكر أن السلطان عبد الحميد الثاني كان آخر سلطان بإمكانه أن يأمر وينهى، ويدير أمور الدولة بنفسه، حيث أصبحت السلطنة بعده مجرد مسألة شكلية، فالسلاطين الثلاثة الذين جاؤوا بعده كانوا الأعياب بيد رجال جمعية الاتحاد والترقي كما سيأتي.

الدولة العثمانية بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني:

بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1327هـ _ 1909م قرر الانقلابيون من رجال الاتحاد والترقي اختيار شقيق السلطان عبد الحميد الأمير محمد الخامس سلطاناً مكان أخيه المخلوع، ويحكى عن السلطان محمد الخامس أنه كان منقطعاً _ قبل توليه السلطنة _ عن العالم الخارجي بسبب

(٥٣) أورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني، ص 333.

انعزاله عن الحياة الاجتماعية قبل ذلك مما سهّل لرجال جمعية الاتحاد والترقي السيطرة على زمام الأمور في الدولة العثمانية حيث قاموا بعد ذلك بحملة أخرى واسعة النطاق لتصفية مرافق الدولة ممن تبقى من مؤيدي ومقرّي السلطان عن عبد الحميد الثاني.

ما أن استلم السلطان محمد الخامس السلطنة حتى بدأت الأخطار الخارجية تحرق بالبلاد مرة أخرى، فقد أقدمت إيطاليا سنة 1329هـ _1911م على احتلال طرابلس الغرب أسوة بفرنسا التي كانت قد احتلت كلاً من تونس والجزائر، فحاول الجيش العثماني استعادة ليبيا من سيطرة القوّات الإيطالية، إلا أنه قامت كل من الجبل الأسود، وبلغاريا، والصرب، واليونان، بإعلان الحرب على الدولة العثمانية مما اضطرها إلى التصالح مع إيطاليا، والتنازل عن ليبيا لكي تتفرغ لمواجهة دول البلقان التي أعلنت الحرب عليها إلا أن الدولة العثمانية كانت في ذلك الوقت أضعف من أن تستطيع مواجهة كل تلك الدول، لذلك ألحقت تلك الدول الهزيمة تلو الهزيمة بالدول العثمانية وفيما يلي ذكر لأهم تلك الحروب:

- ١ - في 20 تشرين الأول 1912م استولى الصربون على برستينا.
- ٢ - في 22 تشرين الأول 1912م ربح الصرب المعركة في كومانوفو وأخلى الأتراك كيركليستا مندحين.
- ٣ - في 26 تشرين الأول 1912م استولى الصربون على اسكوب.
- ٤ - في 28 تشرين الأول 1912م انتصر البلغاريون في معركة لول بورغاس.
- ٥ - في 5 تشرين الثاني 1912م انتصر اليونانيون في معركة بنتيغاديا.
- ٦ - في 8 تشرين الثاني 1912م دخل اليونانيون مدينة سالونيك بعد استسلامها.
- ٧ - في 13-16 تشرين الثاني 1912م خسر الأتراك معركة منستير أمام البلغاريين.
- ٨ - في 17 تشرين الثاني 1912م تقدم البلغاريون إلى تحصينات وخطوط تشاتالجا على بعد ثلاثين كيلومترا من العاصمة استانبول (٥٥).

وهكذا تلقت الدولة العثمانية الكثير من الهزائم إلى سنة 1332هـ 1913م، مما اضطرها إلى التوقيع على العديد من معاهدات الصلح التي تنازلت الدولة العثمانية بموجبها عن الكثير من أراضيها.

الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى:

في سنة 1333هـ _ 1914م وقعت الحرب العالمية الأولى، وقد كانت الدولة العثمانية منقسمة على نفسها تجاه الحرب، فقد كان السلطان محمد الخامس، وولي عهده، والصدر الأعظم، وعدد من النواب والوزراء يرفضون مشاركة الدولة العثمانية في حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل، بينما كان رجال الاتحاد والترقي يرغبون في المشاركة في الحرب إلى جانب دول المحور، وقد سعى الحلفاء للحيلولة دون وقوف الدولة العثمانية إلى جانب دول المحور، ووعدت الدولة العثمانية بإلغاء الامتيازات الأجنبية فيها، ودفع القروض الكبيرة إليها، إلا أنها لم تستطع إقناعها بعدم المشاركة في الحرب.

لقد دخلت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول المحور التي هزمت في تلك الحرب، وفي 30 تشرين الأول 1337هـ _ 1918م عندما توقفت الحرب بموجب هدنة مودرس (٥٥) التي وقّعت الدولة العثمانية عليها أصبحت الدولة العثمانية (تحت حكم الحلفاء الذين احتلت جيوشهم جميع مرافقها، وممتلكاتها ووضعوها تحت المراقبة، فالفرنسيون احتلوا ولاية أضنة، والإنكليز سمسون، ومرسيفون، وأورفة، ومرعش، وعينتاب، والإيطاليون أنطاكية، وقونية، وأكشهر، وأفيون، وقره حصار (٥٥)).

وبعد ذلك بأيام قلائل توجهت سفن بريطانية، وفرنسية، وإيطالية إلى سواحل استانبول، وبعد دخولها عيّنوا مندوبيهم فيها، (وحلّوا البرلمان، وفرضوا الرقابة على الصحف، ومنعوا التجمعات، وأجروا حملات اعتقال للعناصر المناوئة للاحتلال الأجنبي، وأعادوا نظام الامتيازات الذي ألغته الحكومة في بداية الحرب العالمية الأولى، كما فرضوا سيطرتهم على البنوك وسكك الحديد، ومؤسسات الدولة، وفرض ضباط جيوش الحلفاء رقابتهم على قيادة الجيش، ووزارة الحربية) (٥٥).

(٥٥) هدنة أبرمت في سنة 1918م بين الأتراك والحلفاء، وقد ضمنت استسلام تركيا دون قيد أو شرط، وأصبح اقتسام الإمبراطورية العثمانية على بساط التنفيذ بين الدول الحليفة المنتصرة، وكانت كل من بريطانيا وفرنسا قد وقّعتا سراً عام 1916م على اتفاقية سايكس-بيكو الإستعمارية المعروفة وقد وافقت عليها روسيا القيصرية. نقلاً عن: عزيز الحاج، القضية الكردية في العشرينات، ط2، بغداد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1985 jã 15Ö.

(٥٥) راجع: سعيد أحمد برجاي، المرجع السابق، ص300.

(٥٥) إبراهيم خليل أحمد وآخرون، تركيا المعاصرة، د.ط، العراق - الموصل، 1988 jã 26Ö.

هذا وقد توفي السلطان محمد الخامس في أواخر الحرب العالمية الأولى سنة 1337هـ_1918م واعتلى عرش السلطنة الأمير وحيد الدين (محمد السادس)، ويحكى عن السلطان محمد السادس أنه كان مطيعا جدا للإنكليز والفرنسيين الذين كانوا يحتلون الدولة العثمانية آنذاك، لذلك كان الناس ينقمون منه، ويكرهونه كرها شديدا، وفي عهده فقدت الدولة العثمانية سيادتها، بعدما فقدت هيبتها، فقد تقلصت حدودها كثيرا، حيث (اقترح مشروع معاهدة الصلح في باريس الإبقاء على دولة تركية صغيرة في وسط الأناضول بزعامة السلطان ولكنّه تحت السيطرة الفعلية للحلفاء، أما المناطق الأخرى فقد كان المشروع يقضي بتقسيمها بين الدول الاستعمارية)^(٥٥).

أمام هذه المؤامرات الدولية تجاه الدولة العثمانية قامت كافة شرائح المجتمع التركي وخاصة طبقة الفلاحين بمواجهة تلك الأزمة، وأظهروا رفضهم القاطع لجميع تلك المشاريع التي كانت تستهدف النيل من كرامة الشعب التركي، وفي تلك الأثناء برز نجم أحد الضباط وكان يدعى مصطفى كمال باشا^(٥٦) الذي عرفته الحركة الوطنية فيما بعد باسمه إذ أصبح يطلق عليها الحركة الكمالية، فبدأ مصطفى كمال يجمع حوله العناصر المناوئة لسياسة السلطان الاستسلامية^(٥٧)، ويث فيهم روح المقاومة، ولما أدرك المندوبون الساميون لدول الحلفاء خطورة مصطفى كمال عليهم أوعزوا للسلطان بإقالة مصطفى كمال إلا أن هذا الأخير امتنع عن تنفيذ أوامر السلطان، وقرر البقاء في الأناضول لكي يقود الحركة الوطنية لمواجهة المحتلين.

وفي 20 حزيران 1919م عقد مصطفى كمال مؤتمرا مصغرا مع عدد من الضباط، وقادة الجيش، وأكد في المؤتمر أن السلطان وأتباعه يتعاونون مع المستعمرين، ودعوا إلى مؤتمر آخر في أرضروم وانتخب

^(٥٥) إبراهيم خليل أحمد وآخرون، المرجع السابق، ص 27

^(٥٦) ولد مصطفى كمال باشا عام 1298هـ _ 1880م في مدينة سلانيك وكان من عائلة يقال أنّها تركية، وهناك شكوك كثيرة حول نسبه، فالبعض ينسبونه إلى أحد الموظفين الحكوميين كان يدعى علي رضا، بينما يقول آخرون إنه _أي مصطفى كمال_ من يهود الدومّة، أما والدته فهي زبيدة هانم، بعدما أكمل مصطفى باشا دراسته الابتدائية والثانوية دخل المدرسة العسكرية وتخرج منها برتبة ضابط في الجيش العثماني، وبعدها بفترة التحق بالأكاديمية الحربية في مدينة استانبول، ثم دخل كلية الأركان وتخرج منها برتبة نقيب، تزوج مصطفى كمال باشا من لطيفة هانم ابنة أحد كبار الأغنياء في مدينة أزمير وقد أمر أن تجرى مراسيم زواجه على الطريقة الغربية، لم يدم زواجه كثيرا حيث قام مصطفى كمال بتطليق زوجته التي لم تعد تتحمل تصرفاته الجنونية، وأخلاقه الدنيئة، وميوله الإجرامية.

قام مصطفى كمال _الذي لقب فيما بعد ب (أتاتورك) أي أبو الأتراك_ بقيادة الحركة الوطنية ضد الاستعمار البريطاني والفرنسي، واستمر في نضاله السياسي إلى أن أصبح أول رئيس للجمهورية التركية عام 1342هـ_1923م، وقد توفي سنة 1357هـ_ 1938م.

^(٥٧) على حدّ زعم الكماليين.

مصطفى كمال رئيساً للجنة الدفاع عن الولايات الشرقية، فقام مصطفى كمال باشا بطرح أفكاره حول تحرير البلاد ومواجهة محاولات تقسيم البلاد.

وفي شهر أيلول من عام 1919م عقد مؤتمر سياسي في سيواس وقد شارك فيه كبار الضباط، والموظفون، والتجار، ورؤساء العشائر، والخطباء، والعلماء، وأصدر المؤتمر المبادئ الأساسية للحركة، كما قرروا الوقوف أمام محاولات تقسيم البلاد، واتفقوا على عدم تلقي الأوامر من حكومة السلطان محمد السادس لكونهم متعاونين مع أعداء البلاد من الدول الاستعمارية، وقد انتخب مصطفى كمال فيما بعد رئيساً للحركة الوطنية مرة أخرى.

لقد حاول السلطان محمد السادس وضع حد للحركة الوطنية بزعامة مصطفى كمال، ودعا إلى حملة وطنية للقضاء على الكماليين، فاستجاب له عدد من الولاة، والموظفين إلا أنهم لم يتمكنوا من القضاء على الحركة الوطنية التي كانت تزداد قوة يوماً بعد يوم، فقد كانت الحركة تكسب ثقة الشعب التركي باستمرار، وكان يلتحق بصفوفها في كل يوم المئات من الناس.

في نيسان من عام 1920م جرت انتخابات برلمانية، فانتخب (233) نائباً للبرلمان الذي أطلق عليه المجلس الوطني الكبير، وانتخب مصطفى كمال أتاتورك أول رئيس للمجلس الوطني الكبير (البرلمان).

وفي 10-11-1920م عقدت معاهدة سيفر (sever) (Ö) التي حصلت اليونان بموجبها على تراقية الشرقية، وحصلت فرنسا على كل من ولايتي مرعش، وعينتاب، وأورفة، ووقعت أجزاء من ديار بكر وولاية الموصل تحت السيطرة البريطانية، ووقعت منطقة جنوب غرب الأناضول، وأفيون، وقونية وقره حصار تحت السيطرة الإيطالية، كما تقرر تشكيل لجنة لوضع مشروع إدارة مركزية تضم المناطق التي تكون أغليبتها من الكرد.

(Ö) في 10-11-1920م وقّع الحلفاء مع تركيا معاهدة سيفر وقد أعطت هذه المعاهدة الصفة القانونية لمعاهدة سان ريمو ونظام الانتداب بموجب المادة (94)، وضع العراق تحت الانتداب (وفقاً للفقرة الرابعة من المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الأمم).

وقد نصّت المادة نفسها على تشكيل لجنة لتعيين خط الحدود التركية العراقية الموصوف في المادة السابعة والعشرين من المعاهدة وهذا الخط يمتد شرقاً مع الحدود التركية السورية حتى نقطة على خط الحدود الشمالية لولاية الموصل، ومنها شرقاً حتى نقطة التقاء الحدود التركية الإيرانية، ويعدّل خط الحدود الشمالي لولاية الموصل بحيث يمرّ في جنوب العمّادية، ونصّت المادة نفسها على أن الدول الحليفة الرئيسية تعيّن حدود العراق الأخرى وتختار الدول المنتدبة عليه.

إن عدم إبرام تركيا لهذه المعاهدة لم يغيّر موقف الحلفاء من سورية والعراق، وقد استمرت بريطانيا العظمى وفرنسا في وضع خططهما موضع التنفيذ في هاذين البلدين كما لو كانا فصلاً من تركيا بطريقة شرعية. نقلاً عن: الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل، ط 2؛ بغداد، مطبعة أشبيليا، 1977j 12Ö.

لقد أثارت مقررات مؤتمر سيفر الحركة الكمالية لذا قرّروا الوقوف أمام تنفيذها بشدة، وفي آذار من عام 1340هـ _ 1921م نشبت معركة قوية بين القوات اليونانية والكماليين الذين استطاعوا إلحاق الهزيمة باليونانيين^(٥٢)، وفي شهر آب وأيلول من العام نفسه جرت واحدة من أعنف المعارك بين اليونانيين والكماليين، وفيها أيضا تمكن الكماليون من إلحاق هزيمة كبيرة بأعدائهم اليونان، وأمام انتصارات الكماليين المتلاحقة بدأت دول الحلفاء يعيدون النظر في كيفية التعامل مع الحركة الكمالية، فبدأت القوات الإيطالية تنسحب من الأراضي التركية، واعترفت فرنسا بحكومة مصطفى كمال أتاتورك، وانسحبت من بعض الأراضي التركية، فقامت حكومة أتاتورك باستغلال تلك الظروف، حيث بدأت بتقوية جيشها، وشراء الأسلحة الحديثة، وإعادة بناء جيشها، وقامت في شهر آب من عام 1341هـ _ 1922م بهجوم ساحق على القوات اليونانية فكبدتها خسائر فادحة حيث قتلت منهم عشرات الآلاف، وأسرت منهم ضعف ذلك العدد.

إلغاء الخلافة العثمانية:

وفي 30 تشرين الأول من عام 1922م قدّم مصطفى كمال مشروع قرار إلى المجلس الوطني الكبير يقضي بإلغاء الخلافة العثمانية، فقبل مشروعه بالرفض في بداية الأمر مما حدا بمصطفى كمال بإلقاء خطبة في قاعة المجلس الوطني الكبير (البرلمان) بيّن خلالها مساوئ السلاطين العثمانيين، وكيف كانوا يحكمون البلاد بالقوة طيلة ستة قرون، ولقد أطلق أتاتورك خلال خطبته تلك بعض عبارات التهديد لمن يرفض مشروعه، فعرض المشروع على المجلس مرة أخرى وقرّروا فيه إلغاء السلطنة، وهكذا وفي تشرين الثاني من عام 1922م تقرّر إلغاء السلطنة وإبقاء الخلافة مؤقتا إلى أن يتمكن الكماليون من إعداد بعض التمهيديات لكي يتقبل الشعب إلغاء الخلافة أيضا، وبعدها علم السلطان محمد السادس بالقرار هرب على متن باخرة بريطانية مع أفراد أسرته إلى جزيرة مالطة، وفي اليوم التالي اختير الأمير عبد المجيد الثاني خليفة للمسلمين.

(٥٢) أنظر: ضابط تركي، الرجل الصنم كمال أتاتورك، ترجمة عبد الله عبد الرحمن، ط 5، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1414هـ - 1994م؛

في 20 تشرين الثاني من عام 1922م عقد مؤتمر لوزان (lausanne) في سويسرا وذلك لإعادة النظر في بنود معاهدة سيفر (sevre)، وقد استمر المؤتمر مع الانقطاع إلى 24 تموز من عام 1923م، وقد شاركت في المؤتمر كل من بريطانيا، وفرنسا، وتركيا، وإيطاليا، واليونان، واليابان، ويوغسلافيا، كما سمح لممثلي عدة دول أخرى بالمشاركة في المؤتمر بصفة مراقب، وبعد مناقشات طويلة، وانقطاعات عديدة تمكنت تركيا من الحصول على اعتراف الدول المشاركة بالجمهورية التركية، وتخلّت هي مقابل ذلك عن أيّ حقّ لها في العراق، وسورية، وفلسطين، والأردن، ومصر، والجزيرة العربية، وليبيا، وقبرص، أما حقوق الشعب الكردي التي كانت تلك الدول قد اعترفت بها في مؤتمر سيفر فقد أصبحت في مهب الريح، وأصبحت القضية الكردية ضحية الصراعات الدولية، وتصفية الحسابات بين الدول المتصارعة.

وبعد أن حقّق مصطفى كمال أتاتورك انتصاراته العسكرية، والسياسية، قام في 8 نيسان من عام 1342هـ _ 1923م بتشكيل حزبه الذي سمي بحزب الشعب الجمهوري، وفي شهر حزيران من العام نفسه بدأت الانتخابات النيابية التي حصل فيها حزب الشعب الجمهوري على (263) مقعداً من بين (286) مقعداً، وتم على إثرها أي في 29 تشرين الأول من عام 1342هـ _ 1923م الإعلان عن تأسيس الجمهورية التركية، وجعلت أنقرة عاصمة لها، وانتخب مصطفى كمال أتاتورك أول رئيس للجمهورية التركية (٥٧).

وبعد كل تلك الأحداث رأى مصطفى كمال أنه قد حان الوقت المناسب لإلغاء الخلافة الإسلامية _ رغم أنها كانت شكلية _ نهائياً، لذا أعلن في 3 آذار من عام 1924م إلغاء الخلافة الإسلامية، كما ألغيت وزارة الشريعة والأوقاف، ونفي الخليفة وأفراد أسرته إلى خارج تركيا، وسحبت منهم الجنسية التركية، وهكذا أصبحت تركيا دولة علمانية (٥٨).

(٥٧) أنظر: سعيد أحمد برجوي، مرجع سابق، ص 298.

(٥٨) العلمانية (secularism) هي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين، وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم، وقد ظهرت في أوروبا منذ القرن السابع عشر وانتقلت إلى الشرق في بداية القرن التاسع عشر وانتقلت بشكل أساسي إلى مصر، وتركيا، وإيران، ولبنان، وسوريا، ثم تونس، ولحققتها العراق في نهاية القرن التاسع عشر، أما بقية الدول العربية فقد انتقلت إليها في القرن العشرين، وقد اختيرت كلمة (علمانية) لأنها أقل إثارة من كلمة لا دينية ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع وإبقائه حياً في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه فإن سمح له بالتعبير عن نفسه ففي الشعائر التعبدية والمراسيم المتعلقة بالزواج والوفاة ونحوهما. نقلاً عن الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مصدر سابق، ص 689.

الباب الأول

سعيد النورسي حياته وحركته

الفصل الأول: سعيد النورسي عصره وحياته.

الفصل الثاني: حركة الأستاذ سعيد النورسي.

الفصل الأول

سعيد النورسي عصره وحياته.

عصر الأستاذ سعيد النورسي:

أن العصر الذي يعيش فيه الإنسان _ أي إنسان _ له تأثير كبير عليه سواء من الناحية السياسية، أو الفكرية، أو الاجتماعية، أو غيرها من النواحي، فالإنسان كما يقولون ابن بيته، بها يتأثر، ومعها يتفاعل، ومنها ينطلق نحو المستقبل.

لذلك من الضروري عند دراسة حياة أي شخص _ سيما إذا كان من أصحاب الشأن من العلماء، أو المفكرين، أو السياسيين وكبار القادة _ دراسة العصر الذي عاشه ذلك الشخص، لذلك لابد _ وقبل دراسة حياة الأستاذ النورسي _ من دراسة العصر الذي عاش فيه الأستاذ سعيد النورسي.

لقد عايش النورسي عصرا مليئا بالأحداث الساخنة، لذا يمكننا أن نسمي عصره بعصر التحولات، التحولات في كافة النواحي، السياسية، والفكرية، والاجتماعية، والخلقية، والاقتصادية، والعسكرية، وغيرها من المجالات، وبما أن دراسة جميع تلك النواحي أمر يطول، ولا أظني بحاجة إلى دراستها جميعا، لذا سوف أتناول عصر الأستاذ النورسي من ثلاث نواحي وهي الناحية السياسية، والناحية الفكرية، والناحية الاجتماعية.

أولا: الحالة السياسية في تركيا في عصر النورسي:

لقد عاصر الأستاذ النورسي مرحلتين من مراحل الحكم في تركيا، وهما مرحلة حكم السلاطين، ومرحلة الجمهورية، وقد قضى الأستاذ النورسي (48) سنة من عمره في المرحلة الأولى أي في عهد سلاطين آل عثمان، فالأستاذ النورسي ولد سنة 1293هـ 1876م أي في نفس السنة التي تولى السلطان عبد الحميد الثاني عرش السلطنة، كما عاصر النورسي كلا من السلطان محمد الخامس، ومحمد السادس، والسلطان عبد الحميد الثاني الذي يعد آخر سلاطين آل عثمان، فقد ألغيت الخلافة الإسلامية في عهده كما مرّ معنا في الفصل السابق.

أما السنوات المتبقية من عمر الأستاذ سعيد النورسي وهي (36) عاما فقد قضاها في ظل الحكم الجمهوري في تركيا.

هذا وقد تحدثنا في الفصل التمهيدي عن الحياة السياسية في مرحلة حكم السلاطين، وبقي علينا أن نتحدث عن الحالة السياسية في تركيا في عهد الجمهوريين.

لقد أريد لتركيا أن تكون دولة علمانية منذ بداية تأسيسها، فالرجل المريض (الدولة العثمانية) رغم مرضه وشيخوخته كان مصدر قلق وخوف للدول الأوروبية التي كانت تحسب للدولة العثمانية ألف حساب وحساب، لذلك بذلوا قصارى جهدهم لإبعاد تركيا عن هويتها الحقيقية، وعن كل ما هو إسلامي، ففي مؤتمر لوزان الذي عقد سنة 1923م بين تركيا والحلفاء (وضع كرزون رئيس الوفد الإنجليزي أربعة شروط للاعتراف بتركيا وهي:

- ١ - قطع كل صلة لتركيا بالإسلام.
- ٢ - إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاء تاما.
- ٣ - إخراج الخليفة وأنصار الخلافة والإسلام من البلاد، ومصادرة أموال الخليفة، والتعهد بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة.
- ٤ - اتخاذ دستور مدني بدلا من دستور تركيا القديم^(١).

بعد إلغاء الخلافة الإسلامية وإعلان الجمهورية في تركيا بزعمامة مصطفى كمال أتاتورك، قام هذا الأخير بشن حملته ضد الإسلام، حيث قام بالإجراءات التالية:

- ١ - ألغى كلاً من وزارة الشريعة، ووزارة الأوقاف.
- ٢ - قامت الدولة بملاحقة كل من يتحدث عن الخلافة الإسلامية، وتصدر عليهم أحكاما بالسجن والتعذيب، وربما الإعدام في بعض الأحيان، (ووصل الأمر بالدولة حد مراقبة من يتحدث عن الخلافة حتى في خارج البلاد وبعيدا من سلطة الحكومة التركية وأراضيها، ومن ذلك أن الحكومة التركية قد أقلقها جداً قيام بعض المسلمين بـ (مكة) (القدس) بالتشاور في أمر الخلافة الإسلامية عام 1350هـ_1931، فكان أن قابلت ذلك بتصرف عجيب وهو أنها قامت بإبلاغ الإنكليز والدول المجاورة، وأفغانستان، وألبانيا، ومصر، أنها لن تسمح بأي وسيلة بإقامة خلافة إسلامية حتى ولو خارج الحدود التركية^(١).

- ٣ - كما قامت بإغلاق المساجد في بداية الأمر، إلا أنها سمحت بعد ذلك بفتح بعضها، أما أيا صوفيا التي حولها المسلمون _ بعد فتح القسطنطينية _ من كنيسة إلى جامع كبير

(١) جميل عبد الله محمد المصري، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، ط2، المدينة المنورة، 1406هـ/1989jäl270.

(٢) سهيل صابان، الأوضاع الثقافية في تركيا في القرن الرابع عشر الهجري، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية الشريعة في الرياض، سنة 1415هـ/1994jäl266.

فقد جعلتها الدولة متحفًا، أما جامع محمد الفاتح فقد حوّل إلى مستودع تابع للدولة، ولكن بعد ذلك بسنوات عدة سمح بإقامة الصلاة فيه، وقد زرت ذلك الجامع أيضًا، ويظهر مدى براعة الفن المعماري في عهد سلاطين آل عثمان، أما جامع السلطان أحمد الذي بني أمام أيا صوفيا والذي يفوقها من الناحية المعمارية فقد حوّل إلى ثكنة عسكرية خلال الحرب العالمية الثانية، إلا أنه سمح بعد ذلك بإقامة الصلاة فيه مرّة أخرى.

٤ - أصدرت الدولة عدة قرارات شملت تترك الأذان، وترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية، ومنع الكتابة بالأحرف العربية، كما أصدرت قرارًا ينص على استخدام الآلات الموسيقية مع قراءة القرآن الكريم^(E)، كما تم تقليص عدد الخطباء والوعاظ، وأمروا أن يركزوا في خطبهم على الشؤون الزراعية، والصناعية، والتجارية، ومدح أتاتورك وإجراءاته الجيدة في إدارة أمور الدولة.

٥ - قامت بإلغاء العمل بالشرعية الإسلامية، واستبدلت القانون السويسري بها، وجعلت يوم الأحد عطلة لنهاية الأسبوع بدلاً من يوم الجمعة، وأبدل التقويم الهجري بالتقويم الميلادي، ومنع الرجال من لبس الطربوش حيث أبدل بالقبعة الأوروبية، أما النساء فقد منعن من لبس الحجاب، وهكذا قاموا بمحاربة جميع المظاهر الإسلامية التي استبدلت بالتقاليد والعادات الأوروبية.

أما بالنسبة للحياة السياسية والحزبية فإن مصطفى كمال لم يكن يتحمل وجود حزب سياسي آخر في الساحة التركية، لذلك انفرد حزبه الذي كان يسمى بـ (حزب الشعب الجمهوري) في ممارسة العمل السياسي، لذلك لم يكن مستغرباً أن يشكل حزبه الأغلبية الساحقة في المجلس الوطني الكبير (البرلمان).

لقد شكل حزب الشعب الجمهوري سنة 1923م، وقد اشتهر الحزب بمبادئه الست والتي هي: (الجمهورية، القومية، العلمانية، الشعبية، الثورة، سلطة الدولة)، وقد تأسس الحزب في البداية لغرض الدفاع عن حقوق الولايات الشرقية، هذا وقد فاز الحزب في انتخابات حزيران 1923م (263) مقعداً من مقاعد البرلمان البالغ عددها (286) مقعداً، ومن القرارات الأولى التي أصدرها المجلس الوطني الكبير (البرلمان):

١ - المصادقة على معاهدة لوزان.

٢ - نقل العاصمة إلى أنقرة.

٣ - إعلان الجمهورية.

(E) لقد قامت حكومة أتاتورك بإصدار تلك القرارات نكاية بالإسلام والمسلمين، ولكن الأنكى من ذلك قيام بعض علماء السوء بإصدار الفتاوى الشرعية بجواز ذلك.

٤ - اختيار مصطفى كمال أتاتورك لكي يكون أول رئيس للجمهورية التركية^(٨).

وفي نيسان 1924م أقر المجلس الوطني الكبير _ الذي كان حزب الشعب الجمهوري يهيمن عليه _ الدستور الجديد لتركيا والذي نص على أن يكون النظام البرلماني على أساس مجلس واحد وهو المجلس الوطني الكبير الذي أنيط به (صلاحيات تشريع القوانين، والمصادقة على الميزانية، وانتخاب رئيس الدولة من بين أعضائه، ومنح الثقة للحكومة التي تؤلف من بين أعضائه، وعقد معاهدات الصلح، وإعلان الحرب، كما حول الدستور للمجلس الوطني الكبير تعديل الدستور بناء على اقتراح ثلث أعضائه، وموافقة أكثرية الثلثين، كما نص الدستور على استقلال السلطة القضائية، وعلى الحقوق العامة للمواطنين الأتراك)^(٩).

وفي عام 1928م أجري تعديل آخر في الدستور التركي، حيث قام النائب عصمت إينونو مع مائة وعشرين نائبا آخر بتقديم اقتراح إلى المجلس الوطني الكبير يدعو إلى تعديل بعض مواد الدستور مثل المادة (2) التي كانت تنص على أن دين الدولة الإسلام^(٩)، والمادة (26) التي ذكرت فيها عبارة (تنفيذ الأحكام الشرعية)، وكذلك دعا الاقتراح المذكور إلى تعديل المادتين (16) æ (38) لأنهما كانتا تنصّان على صيغة القسم أمام المجلس الوطني الكبير حيث كان يتم القسم بالله سبحانه وتعالى فأبدل بالقسم بالشرف^(٩).

وبالنسبة للتعددية الحزبية فإن مصطفى كمال كان يرفضها بشدة، وكان يصر على أنه يجب على جميع الأتراك الانخراط في صفوف حزبه حزب الشعب الجمهوري، ولقد قال أتاتورك يوما في ردّه على رؤف بك^(٩):

(احتفظوا بمنظوماتكم الشعبية سوف تكونون جميعا حزب الشعب، وعلى الأتراك المخلصين أن ينضموا إلى صفوف هذا الحزب الذي من حقه وحده أن يحكم البلاد)^(٩).

(٨) أنظر: إبراهيم خليل أحمد وآخرون، مرجع سابق، ص41.

(٩) المرجع السابق، ص98.

(٩) هذه العبارة التي تحتوي عليها أغلب _ إن لم نقل جميع _ الدساتير العربية والإسلامية وإن كانت عدم القيمة من الناحية العملية، ولكن مع ذلك رفضها العلمانيون الأتراك مما يظهر مدى توغلهم في الابتعاد عن الإسلام، وكل ما يتصل به ولو شكليا، كما يظهر مدى حقدهم تجاه الإسلام والمسلمين.

(٩) أنظر: أحمد نوري النعيمي، الحياة السياسية في تركيا الحديثة 1918-1938 ĩ. ط، بغداد، من منشورات جامعة بغداد، 1989 ĩ. 124.

(٩) رؤف بك هو مؤسس الحزب الجمهوري التقدمي في تركيا.

(٩) أحمد نوري النعيمي، مرجع سابق، ص198.

ولكن بالرغم من ذلك فقد تشكلت بعض الأحزاب في تركيا مثل الحزب الجمهوري التقدمي
بزعامة رؤف بك، والحزب الجمهوري الحر بزعامة فتحي أوكيار، إلا أن مصطفى كمال أتاتورك لم
يفسح المجال لكلا الحزبين كي يقوموا بدورهما في العمل الحزبي، وكان يضع العراقيل في طريقهما
وخاصة الحزب الجمهوري التقدمي الذي اتهمه أتاتورك بمساندة الحركة الكردية التي قام بها الشيخ
سعيد بيران عام 1925^(١١).

إن التأكيد على نظام الحزب الواحد كان واحدا من مرتكزات الدولة التركية التي أسسها
مصطفى كمال أتاتورك، وقد أكد حزب الشعب الجمهوري على ذلك مرارا كما حدث في مؤتمر
الحزب لعام 1935م، لذلك فلا غرابة أن نرى أن أكثر الموظفين في الجمهورية التركية كانوا أعضاء
في حزب الشعب الجمهوري، فالحزب كان هو الحكومة، والحكومة هي الحزب، كما هو متبع لدى
أكثر الأحزاب الدكتاتورية، وقد جاء في أحد أحاديث أتاتورك:

(إن الأمة قد احترقت ونالها أكبر الأضرار من تعدد الأحزاب، وفي البلاد الأخرى تتعدد
الأحزاب حسب اختلاف المذاهب الاقتصادية التي هي مظاهر تعدد الطبقات وتفاوتها فيتألف
حزب لصيانة حقوق طبقة أخرى ما هو [كذا] ^(١٢) طبيعي، أما عندنا فقد تعددت الأحزاب ونالت
أمتنا ضررها العظيم في حين أن أمتنا ليست متفاوتة أو متعددة الطبقات، ونحن إذ نقول (حزب
الشعب) نعني حزب الأمة كلها وليس حزب طبقة منها) ^(١٣).

وفي السنوات الأخيرة من حكم أتاتورك حاول الكثير من الجماعات والتيارات تشكيل
أحزاب سياسية، والعمل ضمن المعارضة السياسية تجاه حزب أتاتورك، إلا أن هذا الأخير وقف سداً
منيعاً في وجوههم، ولم يعط لهم أي مجال لتحقيق ما كانوا يبنون القيام به.

وعلى الصعيد الخارجي حاولت تركيا تقوية مركزها بين الدول، فأقامت علاقات دبلوماسية
مع العديد من الدول الأوروبية، والأمريكية، والآسيوية، وفي سنة 1932م أصبحت تركيا عضواً في
عصبة الأمم، وفي سنة 1934م أصبحت عضواً في حلف البلقان ^(١٤)، وفي سنة 1938م مات

(١١) قام الشيخ سعيد بيران بحركته في شباط 1925م وذلك كرد فعل على إلغاء الخلافة الإسلامية من قبل مصطفى كمال
أتاتورك، وقد استطاعت الحركة بقيادة الشيخ سعيد بيران السيطرة على مدن كبرى مثل ديار بكر إلا أن الحكومة التركية ردت عليها
بكل قسوة، وأعلنت الأحكام العرفية في المنطقة لعدة شهور، وأسرت الشيخ سعيد بيران مع عدد من الثوار الكرد وأحيلوا جميعاً على
محاكم عسكرية ونفذت فيهم حكم الإعدام بتهمة العمل على إقامة كردستان مستقلة.
(١٢) ولعل الصواب وهو.

(١٣) محمد عزت دروزه، تركيا الفتاة، بيروت، مطبعة الكشاف، 1946 j 1630.

(١٤) أنظر: إبراهيم خليل أحمد وآخرون، مرجع سابق، ص 44.

رئيس جمهورية تركيا مصطفى كمال أتاتورك فاختار المجلس الوطني الكبير عصمت إينونو رئيساً للجمهورية.

تركيا في عهد الرئيس عصمت إينونو:

عندما تسلّم عصمت إينونو رئاسة الدولة في تركيا أكد ومنذ الوهلة الأولى أنه سوف يسير وفق المبادئ التي وضعها مصطفى كمال أتاتورك، وفي سنة 1939م عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية حاولت تركيا اتخاذ موقف الحياد وإبعاد الشعب التركي عن ويلات الحرب إلا أنها لم تستطع الاستمرار على ذلك، فعندما أحرزت ألمانيا بعض الانتصارات، وسيطرت على بعض الدول الأوروبية قامت تركيا بتوقيع معاهدة الصداقة مع ألمانيا، وأمام الانتصارات المتلاحقة للجيش الألماني اغتر الكثير من الضباط الأتراك وطالبوا بالاشتراك في الحرب إلى جانب ألمانيا على أمل تحقيق حلمهم بقيام الإمبراطورية التركية التي سوف تضم جميع الشعوب التي تنتمي إلى المجموعة التركية، إلا أن الهزائم التي لحقت بألمانيا فيما بعد أيقظت تركيا من حلمها فبدأت تغير مواقفها، وقامت بشن الحملات الدعائية ضد ألمانيا إلى أن وصلت إلى حد قطع العلاقات الدبلوماسية معها في سنة 1944م.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية حدثت بعض التغييرات المهمة في الحياة السياسية في تركيا حيث سمحت الدولة في عام 1945م بتشكيل الأحزاب السياسية، والجمعيات الثقافية، والنقابات المهنية، وفي المؤتمر العام لحزب الشعب الجمهوري طالبت مجموعة من أعضاء الحزب تغيير المنهاج، وإجراء انتخابات حرة، ولكن المؤتمر رفض طلبهم بشدة، وأمر بطردهم من صفوف الحزب، فقام الأعضاء المطرودون بتشكيل الحزب الديمقراطي بزعامة جلال بايار وعدنان، مندريس، وآخرين، وأخذ الحزب بالتوسع والانتشار بين صفوف الشعب التركي، وبدأ الحزب الديمقراطي بشن الحملات الدعائية ضد حزب الشعب الجمهوري، وفي انتخابات 1946م حصل الحزب الديمقراطي على (62) مقعداً في المجلس الوطني الكبير لذلك لم يتمكن من الدخول في الحكومة فاختير عصمت إينونو مرة أخرى لرئاسة الجمهورية، وفي تلك الفترة حدث تقارب ملحوظ بين تركيا وأمريكا التي وعدت تركيا بتقديم مساعدات مالية كبيرة لها مقابل قبولها إقامة قواعد أمريكية في شرق البحر

المتوسط، وتماشيا مع العلاقات المتينة بين أمريكا وتركيا اعترفت هذه الأخيرة بالكيان الإسرائيلي، وأبدت تعاطفا كبيرا تجاه يهود.

في سنة 1950م أجريت الانتخابات العامة في تركيا، وقد فاز فيها الحزب الديمقراطي بزعامة جلال بايار الذي أصبح فيما بعد رئيسا للجمهورية، وشكلت الحكومة الجديدة برئاسة عدنان مندريس، وفي سنة 1951م دخلت تركيا في الحلف الأطلسي، والجدير بالذكر أن الحزب الديمقراطي لم يكن مقبولا لدى الشعب التركي لأنه _ حسب رأي الشعب التركي _ أصبح يتعامل مع الأحداث خلافا لمبادئ الديمقراطية التي كان يناادي بها قبل وصولها إلى الحكم، فبدأ الصراع بين حكومة مندريس ومنافسها السياسي حزب الشعب الجمهوري الذي كان يتهم الحكومة بخروجها عن مبادئ أتاتورك، و استمرت في تركيا مرحلة من التوتر الداخلي إلى سنة 1960م حيث تظاهر طلاب جامعة استانبول وانظم إليهم طلاب جامعة أنقرة فأعلنت الحكومة الأحكام العرفية لكي تقضي على التظاهرات إلا أن الأمر كان قد استفحل ولم يكن بمقدور الحكومة السيطرة على الوضع فحدث انقلاب 1960م الذي قام به كل من الجنرال جمال كورسيل، والجنرال جمال مدان أغلو، والكولونيل ألب أرسلان توركيش، وألقي القبض على رئيس الجمهورية جلال بايار، ورئيس الحكومة عدنان مندريس، ووزير الخارجية فطين رشدي، ووزير المالية حسين بولاتكان، وصدر بحقهم حكم الإعدام إلا أن الرئيس السابق عصمت إينونو توسط لدى زعماء الانقلاب فخفف حكم الإعدام عن الرئيس جلال بايار إلى السجن المؤبد، أما الباقيون فقد نفذ فيهم حكم الإعدام، وهكذا أصبح جمال كورسيل الرئيس الرابع للجمهورية التركية.

ثانيا: الحالة الفكرية في تركيا في عصر النورسي:

لقد تأثرت الدولة العثمانية بالدول الأوروبية منذ وقت مبكر، وبرز ذلك التأثير عهد السلطان سليم الثالث في فترة التنظيمات (١٨٠٨) التي أعلنها السلطان سليم، فقد كلف السلطان سليم هيئة من رجال الإدارة إعداد تقارير تتعلق بأوضاع الدولة وتطويرها، فقامت الهيئة المذكورة بإعداد تقارير مفصلة حول كيفية تطوير مؤسسات الدولة وخاصة المؤسسة العسكرية، فقامت الدولة بفتح مدارس حربية حديثة، وفتحت لها سفارات في العواصم المهمة، وأنشأت مجلسا استشاريا يشترك فيه كبار الموظفين، كما أوصت الهيئة بترجمة العديد من الكتب الأوروبية، وقام السلطان سليم باستدعاء مجموعة من الخبراء في مجال الإصلاح في فرنسا، وبريطانيا، والسويد، وغيرها من الدول للاستئناس بأرائهم في الإصلاحات المزمع إجراؤها في الدولة العثمانية (١٨٠٨).

ومنذ ذلك الوقت بدأت الدولة العثمانية ثم الجمهورية التركية الحديثة فيما بعد تزداد تأثرا يوما بعد يوم بأفكار الدول الغربية، ونستطيع تحديد عوامل ذلك التأثير بما يأتي:

١ - موظفو السفارات العثمانية في الدول الأوروبية :

لقد ذكرنا سابقاً أنه تم في عهد السلطان سليم الثالث فتح سفارات للدولة العثمانية في بعض الدول الأوروبية، وقد بدأت تلك السفارات عملها فيما بعد حيث احتك موظفوها لأول مرة بالمجتمعات الغربية، واطلعوا على نمط الحياة لديهم، وطريقتهم في إدارة الدولة، فتأثروا بهم تأثرا كبيرا، وبعد عودتهم إلى بلادهم قاموا بالدعوة إلى اقتباس الأنظمة الغربية، وإعادة بناء مؤسسات الدولة وفق الأنظمة الغربية.

٢ - الجمعيات الفرنسية في تركيا:

تأسست في تركيا عدة جمعيات فرنسية كان لها تأثير بالغ على تركيا من الناحية الفكرية، فالفرنسيون المقيمون في استانبول (قد أسهموا بدورهم في نشر الأفكار الفرنسية من خلال تشكيلهم للنوادي والجمعيات التي أنشأوها في استانبول نفسها، وأهم هذه الجمعيات كانت الجمعية

(١٨) يقصد بالتنظيمات إعادة تنظيم وبناء مؤسسات الدولة العثمانية وفق المواصفات العصرية وفي جميع المجالات الثقافية، والفكرية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وغيرها من المجالات.
(١٩) أنظر: سعيد أحمد برجوي، المصدر السابق، ص205.

التي أسّسها دوكورش (des corches) عام 1793م باسم "الجمعيّة الجمهوريّة لأصدقاء الحرّية والمساواة"، ثمّ الجمعيّة التي أسّسها (henin) في نفس السنة باسم "الجمعيّة الشعبيّة الجمهوريّة" (iQ), وغيرها من الجمعيات التي كانت تروج للأفكار الغربية داخل المجتمع التركي. أمّا عن سبب نشأة مثل هذه الجمعيات فقد كانت لفرنسا عدّة دوافع من وراء ذلك من أهمّها:

١ - إبقاء الصلة مفتوحة مع الفرنسيين العاملين والمقيمين في الدولة العثمانية حيث كانت تلك الجمعيات تحتضنهم، وتقدّم لهم الدعم المادّي والمعنوي.

٢ - كانت فرنسا تقوم بعملية الدعاية والنشر لأفكارها داخل المجتمع التركي من خلال تلك الجمعيات (فالثورة الفرنسيّة قد نهجت مع قيامها نهجاً متعدد الأوجه يهدف إلى تسريب أفكارها إلى جهات العالم، وكانت الدولة العثمانية بأقاليمها وولاياتها المتعدّدة أولى المناطق خارج أوروبا الموضوعة ضمن دائرة اهتمام رجال النظام الجديد في باريس، وقد اتخذت خططاً لنشر الدعاية لأفكار الثورة وشعاراتها ولنظام الحكم في فرنسا) (iQ).

هذا وقد وّجّهت فرنسا دعايتها لأفكارها إلى رعايا الدولة العثمانية من المسيحيين سواء اليونانيين أو الأرمن أو غيرهم بشكل خاص وإلى المسلمين الأتراك بشكل عام، فقد نشرت فرنسا بياناً باللغتين العربيّة والتركيّة باسم المؤذن العثماني جاء فيها: (اعلموا أنّ صديق المسلمين القديم فاتح لهم باب مودّته، وأنّ مملكته فرنسا لم تنس صداقتها ومودّتها معنا من أول الزمان وهذه الصداقة مؤسسة على منفعة الجهتين فكلمّا حصل للإسلام من خير أو شرّ قد حصل للفرنسيّة) (iQ).

٣ - حماية حقوق الأقليّات، فقد كانت الكثير من الأقليّات تعيش في كنف الدولة العثمانية وكثيراً ما كان يقع عليها شيء من الظلم، أو تنتهك حقوقهم فكانت تلك الجمعيات الفرنسيّة تحل على عاتقها مهمّة حماية حقوق تلك الأقليّات، وتعمل على تحقيق المساواة بينهم وبين الأتراك في الحقوق والواجبات.

هذا وقد كانت تلك الجمعيات تقوم بالعديد من النشاطات الثقافيّة والاجتماعيّة والفكريّة ومنها:

(iQ) الدكتور خالد زيادة، اكتشاف التقدّم الأوروبي دراسة في المؤثّرات الأوروبيّة على العثمانيين في القرن الثامن عشر، ط بيروت_لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1981 jãl58Ö.

(iQ) المصدر نفسه، ص57.

(iQ) المصدر نفسه، ص59.

١ - نشر الكتب الخاصة التي تبرز مزايا الأتراك وأمجادهم وتفضّلهم على العرب وغيرهم من الأمم الإسلاميّة، ومن ذلك على سبيل المثال كتاب بعنوان: "مدخل لتاريخ آسيا" لمؤلّفه ليون كوهين^(II) (الذي استخدم لنفسه اسماً مستعاراً هو "تكين ألب" (tekın alp) التقى بأعضاء "تركيا الفتاة" المنفيين في فرنسا ما بعد الستينات من القرن التاسع عشر وعقد معهم صداقات، وأهدى لهم كتابه الذي ألفه عام 1286هـ-1869م بعنوان: مدخل لتاريخ آسيا والذي ترجم عام 1316هـ-1899م إلى اللغة التركيّة وقد بيّن فيه دور القبائل التركيّة في آسيا الوسطى، واهتمّ بمزايا الأتراك وإظهار أمجادهم، وأصبح مصدراً فكريّاً للقوميين الأتراك فيما بعد، وقد ركّز ليون كوهين وهو يهوديّ الأصل على التاريخ التركي القديم، ومحاولة تجريد الشعب التركي من الإسلام واعتباره حدثاً طارئاً في حياتهم)^(II).

٢ - إحياء المناسبات الوطنيّة الفرنسيّة، وإقامة الاحتفالات بتلك المناسبات مثل الاحتفالات التي كانت تنظّمها تلك الجمعيات سنويّاً بمناسبة قيام الثورة الفرنسيّة.

٣ - العمل على تمتين أواصر المحبّة، وتقوية العلاقات الاجتماعيّة بين أعضاء الجاليّة الفرنسيّة في الدولة العثمانيّة وتقديم الخدمات والرعاية الاجتماعيّة لهم.

٣ - الأساتذة الأوروبيون الوافدون إلى تركيا:

من الخطوات التي اتخذتها الدولة العثمانية، والجمهورية التركية فيما بعد لتطوير المؤسسات التعليمية في تركيا استضافة عدد من المدرسين والأساتذة للقيام بتحسين أوضاع المدارس، والكليات، والمؤسسات التعليمية في تركيا، فقام أولئك الأساتذة، والمدرسون بنشر الأفكار الغربية في تلك المدارس والكليات التي كانت تضم خيرة الشباب التركي آنذاك، ولقد استعان الأتراك بالأساتذة الأوروبيين دون أن تتحقّق من نوعيّة توجهاتهم وارتباطاتهم وميولهم الفكرية والسياسية فعلى سبيل المثال (بعد إنشاء جامعة استانبول (1351هـ_1932) دعي ثمانية وثلاثون أستاذاً من الغرب

(II) ليون كوهين (leon cohen) 1841-1900م كاتب ومؤرّخ فرنسي يهودي بدأ حياته العلميّة بنشر مقالات في بعض المجلّات الشهيرة، أرسل في أعوام 1881؛1880؛1878م إلى الدول الاشرقيّة في رحلات البحث العلمي فأجرى بحثاً شاملاً على اللغة والأدب التركي-المغولي وشارك في مؤتمرات إستشراقية، أكثر بحوثه في اللغة والأدب التركي وخاصة ما يتعلّق بلهجات أترك آسيا الوسطى وله مؤلّفات كثيرة في هذا الصدد. نقلاً عن: الدكتور سهيل صابان، المصدر السابق، ص139.

(II) الدكتور سهيل صابان، المصدر السابق، ص140.

فأسند (38) منصباً إلى الأجانب فمنهم (32) من الألمان الأكثرية من اليهود وخمسة من فرنسا⁽ⁱⁱ⁾.

وكذلك المستشرق برنارد لويس (الذي حاز على نفوذ كبير في الأوساط العلمية بتركيا ولا يخفى الدور الذي يقوم به في خدمة المخابرات البريطانية والدبلوماسية الغربية والاتصالات الوثيقة مع إسرائيل)^(iE).

ولقد كان الكثير من أولئك الأساتذة المتقدمين يثيرون مسائل علمية تافهة وبالتالي يقومون بتضخيمها والاهتمام بها، ومن تلك المسائل والموضوعات على سبيل المثال: الكلمات الجديدة والاصطلاحات في اللهجات التركية، وفقه لغة التتار التركية، ومعلومات جديدة عن تاريخ الأتراك والمغول، ولا يخفى أنهم كانوا يبتغون من وراء ذلك دراسة التاريخ التركي بعيداً عن الإسلام وتأثيره عليهم.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد هو أن استخدام الأساتذة الأوروبيين إلى الجامعات والمؤسسات العلمية التركية لم يكن خالياً من الإيجابيات أيضاً حيث قام الكثير من أولئك الأساتذة بمساهمات فعالة ونافعة في تطوير وتحديث المناهج العلمية وأساليب التدريس والتعليم في الجامعات والمعاهد التركية، فقد (قدم الفرنسي دو بوتفال مشروعاً لتأسيس مدرسة للهندسة، كما قدم مشروعاً آخر لإقامة جسم جديد للمدفعية، وقد عمل بالمشروعين وأصبح الكونت دو بوتفال_الذي سيكتسب اسم أحمد باشا بعد دخوله في الإسلام_ أول مسؤول عن أول جسم للمدفعية العثمانية الحديثة... وقد اهتم السلطان ^(iN) بإنشاء المدارس والمعاهد التعليمية، فأعاد تنظيم مدرسة الهندسة تحت إدارة فرنسية وإنكليزية، ومدّة الدراسة فيها أربع سنوات تدرّس خلالها الموادّ العلمية كالحساب والهندسة والجغرافيا والجبر وحساب المثلثات، كما كانت تدرّس فيها مواد التاريخ واللغات، وكانت الفرنسية تدرّس في السنتين الأولى والثانية بالإضافة إلى اللغة العربية)^(iO).

٤ - البعثات العلمية إلى أوروبا:

(ii) سهيل صابان، المصدر السابق، ص145.

(iE) سهيل صابان، المصدر السابق، ص145.

(iN) يقصد السلطان سليم الثالث الذي تولّى السلطنة عام 1789م.

(iO) الدكتور خالد زيادة، المصدر السابق، ص53.

أرسلت الدولة العثمانية عدة مجموعات من طلبتها إلى الدول الأوروبية لمواصلة دراستهم في جامعاتها، وعندما رجع أولئك الطلبة إلى بلادهم كانوا محملين _بل مشبعين_ بالأفكار الغربية فقاموا بنشرها في مؤسسات الدولة التي تسلموها باعتبارهم خير من يديرها بسبب حصولهم على الشهادات العالية في الدول الغربية.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد هو أن أولئك الطلبة المبتعثين لم يكونوا كلهم سلبيين، وحتى السلبيين منهم كان فيهم نوع من الإيجابية حيث خدم الكثير منهم بلادهم وذلك بنقل المعلومات والتجارب العلمية التي تلقوها وتعلّموها في الغرب إلى بلادهم ونشرها فيه، بالإضافة إلى ترجمة الكثير من الكتب العلمية النافعة إلى اللغة التركية وتعميمها في الجامعات والمعاهد التركية.

٥ - التعليم الغربي:

لقد تسابقت الدول الغربية فيما بينها لإنشاء المدارس الخاصة بها في الدولة العثمانية _الجمهورية التركية فيما بعد_ ورغم إسهام العديد من تلك المدارس في نشر العلم والثقافة بين شباب وشابات الترك إلا أن الهدف الأساسي من وراء إنشاء وفتح تلك المدارس كان نشر الأفكار والتراث والعادات والتقاليد الغربية بين الأوساط التركية، وقد أخذت الدول الغربية منذ عهد التنظيمات خاص تنافس في توسيع نفوذها في البلاد العثمانية عن طريق تأسيس المدارس لنشر لغاتها وثقافتها إضافة إلى نشر مذهبها الديني والعلمانية⁽ⁱ⁾.

وعندما رأت أمريكا تسابق الدول الأوروبية في فتح المدارس الخاصة بها في الدولة العثمانية قامت هي الأخرى أيضاً بفتح المدارس الأمريكية في الدولة العثمانية (ويكفي دليلاً على انتشار المدارس الأمريكية في الدولة العثمانية في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي بشكل ملفت للنظر أن السلطان عبد الحميد الثاني أمر بإغلاق أربع مائة مدرسة أمريكية لكونها افتتحت بدون رخصة)⁽ⁱⁱ⁾. ويستعرض جورج أنطونيوس في كتابه يقظة العرب ظاهرة انتشار المدارس الغربية في الدولة العثمانية فيقول:

(i) أنظر: ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، القاهرة، جامعة الدول العربية _معهد الدراسات العربية العالمية،

1957 ñ 82.

(ii) الدكتور سهيل صابان، المصدر السابق، ص 154.

(كان لانتشار التعليم الغربي آثار سيئة أيضاً وقد يبدو هذا القول عجيباً متناقضاً ولكنه الحقّ

بعينه فقد انتشر هذا التعليم في بلاد الشام في عهد عبد الحميد على نطاق واسع جداً مما كان في العهود السابقة، وأدى ذلك إلى قيام شبكة من المدارس والكلّيّات امتدت إلى جميع أنحاء البلاد، ولم تعد هذه المعاهد مقصورة على ما كانت تنشئه فرنسا وأمريكة وبريطانية بل دخلت الميدان البعثات التبشيريّة الروسيّة والإيطاليّة والألمانيّة، وأضافت جهودها إلى جهود الدول التي سبقتها، وكان هذا التنوع نفسه شراً جديداً في بلاد كانت فريسة للانقسامات الداخليّة وذلك لأنّ بعض البعثات التبشيريّة أصبحت أدوات للمطامع السياسيّة فاختلفت مساوئ المنافسة الدوليّة وشروطها بحسنات التعليم ونعمه.

فكانت الحكومة الفرنسيّة لحرصها على تقوية نفوذها تقدّم العون المالي إلى البعثات التبشيريّة الفرنسيّة، وتعاونت هذه البعثات مع رجال الدين من الموارنة والملكانيين (i) وبذلت جميعها جهودها لتعليم الشباب الناشئ تعليماً هو في ذاته حسن ولكنه كان يرمي إلى تكوين عقولهم على النمط الفرنسي وتوجيه أنظارهم وولائهم الفكري إلى فرنسا (ii).

٦ - حركة الترجمة:

لقد ترجم الكثير من الكتب الأوروبية إلى اللغة التركيّة، ومن بينها (الكتب التي تروج لمبادئ الثورة الفرنسيّة لبث روح التغيير في نفوس الشباب مثل كتاب روح القوانين لمونتسكيو (iii) (montesquieu)، وكتب جان جاك روسو (iv) (Jean Jacque Rosseau) وفولتير (v) (voltaire)، وغيرهم (vi).

(i) وهم من الروم الكاثوليك.

(ii) جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ترجمة الدكتور ناصر الدين الأسد والدكتور إحسان عباس، ط 4، بيروت_لبنان، دار العلم للملايين، 1974jā6164.

(iii) مفكر سياسي واجتماعي فرنسي معروف، له العديد من المؤلفات ومن أشهرها كتابه الأنف الذكر روح القوانين، توفي عام 1169h. 1755.ä.

(iv) فيلسوف فرنسي معروف له العديد من المؤلفات من أشهرها (العقد الإجماعي) توفي عام 1192h. 1778.ä.

(v) كاتب ومفكر فرنسي له العديد من المؤلفات التي كان يسخرها لنقد الكنيسة وسياساتها توفي عام 1192h. 1778.ä.

(vi) فرج محمد الوصيف، بديع الزمان سعيد النورسي عصره ودعوته، القاهرة، دار نور الإسلام للنشر والتوزيع، 1996jā430.

لقد ساهمت تلك العوامل مع عوامل أخرى في جعل تركيا أسيرة للأفكار الغربية، ومن ثم قيامها بمحاولات مستميتة لجعل تركيا قطعة من أوروبا وذلك عن طريق السير على خطاها، وتقليدها في المأكّل، والمشرب، والملبس، والمسكن، واتباعها فكرياً، وعقدياً، وسياسياً.

وبناء على ما تقدم فقد راج في المجتمع التركي الكثير من القضايا الفكرية التي كانت تعادي الإسلام والمسلمين، ولعل أهم الأسباب التي ساعدت على انتشار تلك الأفكار ما يأتي:

1- الحملة الشرسة التي قادها الكماليون ^(٤٧) ضد الأفكار الإسلامية، حيث سخرها جميع إمكانياتهم المادية والمعنوية في سبيل نشر تلك الأفكار الغربية بين الناس.

2- إن أكثر الذين قبلوا تلك الأفكار لم يكونوا يفرقون بين الإسلام والسياسات الخاطئة التي كان يتبعها أغلب سلاطين آل عثمان، حيث كانوا يعتقدون أن تلك الأخطاء هي من صلب الإسلام لذلك قاموا بتقبل تلك الأفكار المعادية للإسلام بسرعة وسهولة.

هذا ومن القضايا الفكرية التي طرحت وانتشرت في الشارع التركي:

أولاً: الزعم بأن الإسلام لا يصلح لهذا الزمان، وأنه لا يواكب التطور الفكري، والعلمي الذي لا يقف عند حد، وأن الإسلام لا يفي بحاجات العصر، لذلك ينبغي فصل الدين عن الدولة كما هو متبع في الدول الغربية التي لم تتقدم بهذا الشكل الذي هي عليه الآن إلا بعد نبذهم للدين، وجعله في زاوية ضيقة، واعتباره علاقة بين العبد وربّه ليس إلا.

ثانياً: الاستهزاء بالدين، وبالشعائر الإسلامية، والإنكار على من ينتسب للإسلام، والزعم أن الإسلام انتشر بحد السيف، وقد ألفت كتب كثيرة للنيل من الإسلام وشرائعه، وبلغت الوقاحة ببعضهم إلى درجة النيل من الرسول صلى الله عليه وسلم واتهامه بشتى التهم.

ثالثاً: التنقيص من شأن العلماء والاستهزاء بهم بقصد الاستهزاء بالدين نفسه، فقد اتهم الكماليون العلماء المعارضين لسياساتهم الإلحادية بالجهل، والتخلف، والتعصب، للأفكار البالية، وبالتالي قاموا بفصل بعضهم من وظائفهم، ومنع آخرين من إلقاء الدروس وإدارة الحلقات العلمية في المساجد، وأغلقت المدارس الشرعية، ومنع تعليم الحروف العربية ^(٤٨)، وبذلك عمّ الجهل بأمور

^(٤٧) يقصد بالكماليين أتباع مصطفى كمال أتاتورك.

^(٤٨) يعد تعليم أو تعلم الحروف العربية في تركيا جريمة يعاقب عليها القانون، وعندما سافرت إلى مدينة استانبول في شتاء عام 2000م كان الكثير من الاخوة الأتراك هناك ينصحونني بعدم حمل الكتب العربية معي أثناء تجوالي في الأماكن العامة لئلا أثير انتباه رجال الشرطة أو الأمن الذين يقومون بإخضاع من يجردونهم بحوزته كتباً بالأحرف العربية إلى استجوابات وتحقيقات مطولة، وقد حدث لي ما كانوا يحذرونني منه وذلك عندما رجعت من سفري، فعند وصولي إلى الحدود فتشوا أمتعتي وعندما وجدوا معي كمية كبيرة من الكتب العربية جنّ جنونهم وقاموا بإجراء تحقيقات مطولة جداً معي، ولم أتمكن التخلص منهم إلا بعدما دفعت إليهم بعض النقود

الدين بين الناس إذ لم يكن يسمح للعلماء بتعليم الناس أمور دينهم، أو الإجابة على أسئلتهم الفقهية^(٥٧).

رابعاً: قام الكماليون بإعادة صياغة المناهج التعليمية في كافة المراحل الدراسية، حيث قاموا بإلغاء المواد المتعلقة بالأمور الدينية^(٥٨)، وقرروا تدريس المبادئ العلمانية بدلاً من ذلك، وتم إضافة نظرية دارون إلى المناهج الدراسية، ولقنوا التلاميذ أن الكون تكون من نفسه دون أي تدخل خارجي، كما قاموا بتشويه الإسلام أمام تلاميذ المدارس، ونسجوا حكايات خيالية حول سيرة عظماء الإسلام للتقليل من شأنهم، ومقابل ذلك قاموا بتبجيل رجال الغرب وتمجيدهم^(٥٩).

وبناء على ما تقدم (اعتبرت مادة الدين مادة تافهة، وشوهت سمعة الدين، وصور بمظهر المعارض للعلوم، وأن مضمونه خرافات وقصص خيالية، فهو لا يمت إلى العلم بشيء، لذا فلا شأن له بالحياة، لأن " المرشد الحقيقي في الحياة هو العلم المحسوس^(٦٠)، أما ما سوى ذلك فهو من علوم ما بعد الطبيعة الذي يرفضه العقل، وكان من شأن هذا أن يدفع اهتمام الجيل بالرياضيات، والمواد التقنية، وثقافة العلوم البحتة فحسب، وذلك على حساب التخلي عن دراسة الأخلاق، والثقافة الإسلامية)^(٦١).

ثالثاً: الحالة الاجتماعية في تركيا في عصر النورسي:

لقد عاصر الأستاذ النورسي نهاية وبداية مرحلتين من مراحل الحكم في تركيا، فقد أمضى ما يقارب خمسة عقود من عمره في ظل الدولة العثمانية، أما عمره المتبقي أي ما يقارب ثلاثة عقود ونصف العقد فقد أمضاه في ظل الجمهورية التركية، ولاشك أن هناك فارقاً كبيراً بين المرحلتين من

التي سدت أفواههم، هذا وقد شمل المنع القرآن الكريم أيضاً، فقد قيل لي في تركيا إذا ثبت على شخص ما في تركيا أنه يقوم بتعليم القرآن الكريم ولو كان في أحد المنازل فإنه يعرض نفسه للسجن.

(٥٧) سهيل صابان، المصدر السابق، ص 277.

(٥٨) في تركيا يتوقف تعليم الصغار أمور دينهم على الأبوين إذا كانا يرغبان في ذلك، وهذا إذا كان الأبوان أو أحدهما يعرف شيئاً من أمور دينه، وإلا فسيبقى الطفل بعيداً عن تعلم أمور دينه ويكبر ويتبرع بعيداً عن الإسلام إلى أن يصبح الإسلام لديه مجرد انتساب ليس إلا.

(٥٩) أنظر: فرج محمد الوصيف، المصدر السابق، ص 53.

(٦٠) هذه إحدى مقولات مصطفى كمال أتاتورك وقد درج أن تكتب بخط بارز وجميل وتعلق على جدران المدارس في تركيا.

(٦١) سهيل صابان، المصدر السابق، ص 290.

ناحية الحياة الاجتماعية التي عاشها الشعب التركي وذلك بسبب التغييرات السياسية التي طرأت على البلاد بعد بروز جمعية الاتحاد والترقي، وكذلك بعد تسلم الكمالين للحكم في تركيا وإعلان النظام الجمهوري، فالتغيير السياسي الذي حدث في تركيا آنذاك كان تغييراً في الأفكار والأيدولوجيات أيضاً، لذلك صاحب التغيير السياسي التغيير الاجتماعي أيضاً.

لقد استطاع الشعب التركي الحفاظ على موروثاته الاجتماعية ردحا من الزمن، إذ لا يخفى على أحد أن المؤثر الأقوى الذي كان يسيطر على الشعب التركي كان الإسلام، فقد تقبل الشعب التركي الإسلام منهجاً، وأصبحوا هم حماة في وجه الأعداء مدة تزيد على أربعة قرون، فالشعب التركي رغم أخطاء بعض سلاطين آل عثمان _ شعب ملك الإسلام مجامع قلبه لذلك أثر الإسلام فيهم تأثيراً بالغاً سواء من الناحية العقديّة، أو الاجتماعية.

هذا ونستطيع القول أن التحولات الاجتماعية داخل المجتمع التركي مرّت بمراحل:

أولاً: مرحلة التأمل والتفكير في نمط الحياة الاجتماعية لدى الشعوب الغربية.

ثانياً: مرحلة الدعوة إلى الاقتباس من عادات وتقاليد المجتمعات الغربية.

ثالثاً: مرحلة الشروع في تطبيق تلك العادات والتقاليد في الحياة اليومية.

وفيما يلي ذكر بعض التحولات الاجتماعية والخلقية التي حدثت داخل المجتمع التركي في

عصر الأستاذ النورسي:

أولاً: تقليد الدول الغربية في المأكل، والملبس، والمشرب، فقد أبيع شرب الخمر بأنواعها،

وأصبحت تستورد المشروبات المسكرة من الدول الأخرى، وانتشرت الحانات وأماكن بيع الخمر في أنحاء تركيا، وعد شرب الخمر علامة من علامات الرقي والتقدم.

أما بالنسبة للملبس فقد منع مصطفى كمال أتاتورك لبس الطربوش بحجة أنه رمز للإسلام،

وأمر بلبس القبعة الإفرنجية، هذا وقد امتنع الكثير من الأتراك عن لبسها لأنهم كانوا يعتبرون ذلك

كفراً لأنها من لباس الكفار، وعندما رأى مصطفى كمال المعارضة الشديدة من قبل الشعب التركي

أمر بتشكيل محكمة الاستقلال التي حكمت على الكثيرين بالإعدام شنقاً بسبب معارضتهم للبس

القبعة، وقال أحد علماء الأتراك وهو في ظل جبل المشنقة: (إن القبعة من علامات الكفر، إن

لبسها كفر، وأنا أحمد الله بأنني أموت وأنا لم ألبسها) (N).

ثانياً: سنّ القوانين التي من شأنها تفكيك الروابط الأسرية، وهدم الأخلاق الإسلامية، ومن تلك القوانين:

- Ā - تحريم تعدد الزوجات.
- Ē - إلغاء المهر وعدم فرضه على الزوج.
- Ĕ - منع حق الزوج في الطلاق.
- Ė - حرية زواج المرأة المسلمة التركية بنصراني، أو يهودي، أو غير ذلك.
- Ħ - التغيير في أحكام الميراث الشرعي والتسوية بين الذكر والأنثى.
- Ĩ - إلغاء نظام الإرث بالتعصيب والإرث بالقرابة البعيدة.
- Ī - وضع حد لسن الزواج (Ñ).

ثالثاً: تهميش دور المناسبات الإسلامية، والاهتمام بالمناسبات غير الإسلامية، ومن ذلك على سبيل المثال:

- Ā - تحويل عطلة نهاية الأسبوع من يوم الجمعة إلى يوم الأحد وذلك تشبهاً بالدول الأوروبية، وقد أدى ذلك إلى فوات صلاة الجمعة التي هي من شعائر الإسلام وفرائضه عن الكثير من المتدينين الذين يؤدون الفرائض الإسلامية.
- Ē - اعتماد التقويم الميلادي بدلاً عن التقويم الهجري مما أدى إلى الاهتمام الكبير بيوم رأس السنة الميلادية، وإقامة الحفلات الساهرة في تلك الليلة، مع العلم أن يوم رأس السنة الهجرية يمر دون أن يحس به أحد.

رابعاً: انتشار العادات السيئة لدى الغرب داخل المجتمع التركي مثل:

- Ā - الاختلاط بين الرجال والنساء دون قيد.
- Ē - إقامة الحفلات والسهرات الماجنة، ورقص الرجال مع النساء.
- Ĕ - انتشار صالات القمار في أنحاء تركيا.
- Ė - انتشار البنوك الربوية، والتعامل على أساس ربوي.

خامساً: بروز حالة الشعور بالضعف من قبل الإنسان التركي أمام الإنسان الأوروبي، حيث بدأ الإنسان التركي يحس أنه ضعيف، ومتخلف، وجاهل، مقارنة مع الإنسان الأوروبي الذي يرى التركي فيه القوة، والهيمنة، والإقدام، وباختصار أصبحت شريحة واسعة من الأتراك ترى أن الأوروبيين هم أفضل منهم في كل شيء وذلك بسبب التقدم العلمي والتكنولوجي الذي حققه الأوروبيون، وكذلك التفوق العسكري والآلات والمعدات الحربية التي كانوا يمتلكونها والتي كانوا يهددون بها الدول الأخرى.

حياة الأستاذ سعيد النورسي:

لقد تبين لنا في الصفحات السابقة أن العصر الذي ظهر فيه الأستاذ النورسي وعاش فيه كان عصراً عصيباً على المسلمين، فقد وجد المسلمون أنفسهم أمام تحديات كبيرة من قبل أعداء الإسلام، أولئك الأعداء الذين قاموا بنهش جسم الأمة الإسلامية وتمزيقها، كما قاموا بزرع بذور الأخلاق والعادات الغريبة على المسلمين، لذا أصبح الإسلام يعيش في غربة، وأصبح المتمسكون به غرباء في ديارهم وبين أهليهم وبني جنسهم كما ورد في الحديث النبوي الشريف: (بدأ الإسلام غربياً وسيعود كما بدأ غربياً فطوبى للغرباء)^(١).

لقد عاش الأستاذ النورسي في عصر شهد الإسلام إحدى أعنف الهجمات عليه من قبل أعدائه، لذلك كان على الأستاذ النورسي أن يواجه مهمة شاقة وصعبة جداً لا يقوى على حملها إلا من وهب نفسه لله سبحانه، وزهد عن مطامع الدنيا، واستمد قوته من الله سبحانه، وقد من الله على الأستاذ النورسي إذ جعله يتصف بكل تلك الصفات مما جعله يستطيع بعون الله سبحانه أن ينقذ تركيا من الأوضاع المتردية وضعف الإيمان والابتعاد عن الله، فلا يستطيع أحد أن ينكر الدور الكبير، والبارز، والأساسي الذي لعبه النورسي، ورسائله رسائل النور في يقظة الأمة التركية، وإعادة لها إلى حظيرة الإيمان، بعد المحاولات العديدة والمستمرة التي قام بها أعداء الإسلام لسلخ الشعب التركي عن دينه ومعتقداته وأخلاقه.

لقد عاش الأستاذ النورسي حياة مليئة بالمكابدة والمجاهدة، والمقارعة مع الأفكار والمبادئ التي كان يروج لها أعداء الإسلام، لذلك لم يذق الأستاذ النورسي طعم الراحة منذ اطلاعه على مخططات الأعداء إلى أن لقي ربه حيث كان يتنقل من بلد إلى آخر لنشر الوعي الإسلامي بين الناس، لذلك قام الكماليون ومن بعدهم بملاحقته، وتقديمه إلى المحاكمة، ونقله من منفى إلى آخر،

(١) الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح، ج 2، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، د.ع.ج. كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غربياً، ص 176.

واقحامه بشقى الئهم؁ إلاء أنه كان أكبر من أن يستسلم لهم؁ بل زاده ذلك إصرارا؁ وعزما على مقارعة الباطل وفضحه أمام الناس.

ولكى يكون تناولى لءىاء الأستاذ النورسى أكثر منهءىة سوف أقسمها إلى أربع مراحل وكما يأتي:

المرءلة الأولى: من سنة 1876م إلى سنة 1907م.

وهى مرءلة الولاءة؁ والطفولة؁ وأخذ العلم؁ وانتشار شهرته بين الناس؁ وتءواله بين القرى والمدن فى كردستان تركيا.

المرءلة الئانية: من سنة 1907م إلى سنة 1923م.

وهى مرءلة الانتقال إلى اسئانبول؁ وممارسة العمل السىاسى؁ والمشاركة فى تأسيس الجمعىاء؁ والعمل فى الصءافة؁ والسفر إلى كل من الشام وبيروت؁ والمشاركة فى القئال فى الحرب العالمىة الأولى.

المرءلة الئالئة: من سنة 1923م إلى سنة 1949م.

وهى مرءلة ءىاء المكابءة؁ ومقارعة الباطل؁ والمءاكماء؁ والسءن؁ والئئقل من منفى إلى آءر؁ وئألىف أغلب رسائل النور.

المرءلة الرابءة: من سنة 1949م إلى سنة 1960م.

وهى مرءلة انئهاء فئراء السءن والمءاكماء؁ وطبع رسائل النور؁ ووفاءه رحمه الله فى نءاية هذه المرءلة.

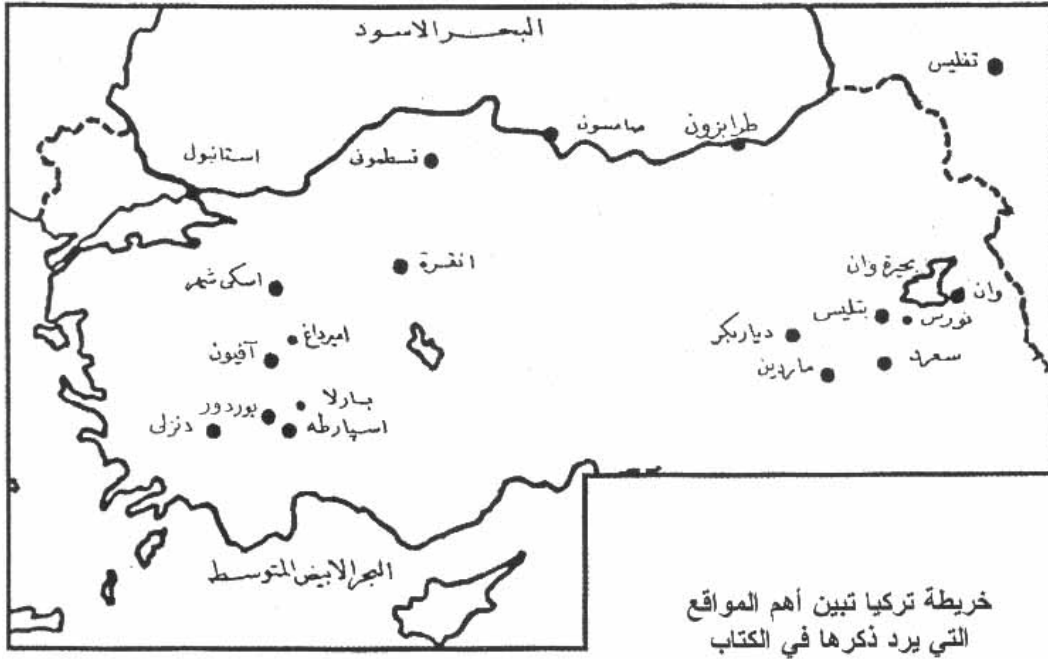
والآن سوف نشرع فى عرض ءىاء الأستاذ سعىء النورسى ءسب المراحل الآنفة الءكر.

المرحلة الأولى:

وتبدأ من سنة 1293 هـ 1876 م وتنتهي في سنة 1325 هـ 1907 م:

ولادته وأسرته:

ولد الأستاذ سعيد النورسي في ربيع سنة 1293 هـ 1876 م (ÑÑ) وذلك حسب ما أملاه هو بنفسه عندما عين عضواً في دار الحكمة الإسلامية باستانبول (ÑÑ)، أما مكان ولادته فهو قرية (نورس) (ÑÑ) بضم النون وفتح الراء (ÑÑ)، وقرية نورس تابعة لقضاء هيذان (ÑÑ) في ولاية (ÑÑ) بدليس (Ñ).



(ÑÑ) هناك عدة روايات أخرى في تحديد السنة التي ولد فيها الأستاذ سعيد النورسي، فمن قائل أنه ولد سنة 1973 م، ومن قائل أنه ولد سنة 1877 م، إلا أن الراوية الصحيحة بالنسبة لسنة ولادته هي ما ذكرته آنفاً.

(ÑÑ) أنظر: بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالح، ط 1، إستانبول، دار سوزلر للنشر، 1419 هـ - 1998 ã 35.

(ÑÑ) أنظر إلى موقع القرية على الخريطة أعلاه.

(ÑÑ) الكثير من الدارسين يتلفظون اسم قرية الأستاذ النورسي (نورس) بفتح النون وتسكين الواو وفتح الراء وهذا خطأ ف (النورس) هو اسم لطائر معروف، أما (نورس) بضم النون فهو اسم قرية الأستاذ النورسي.

(ÑÑ) مركز قضاء تابع لولاية بدليس التي تقع في شرق تركيا.

(ÑÑ) لا يزال مصطلح (الولاية) متداولاً في تركيا وهي وحدة إدارية تقابلها المحافظة في الكثير من الدول.

(ÑÑ) مدينة تقع في شرق تركيا، وقد نفي الأستاذ النورسي إليها سنة 1895 ã. (أنظر إلى موقع المدينة على الخريطة أعلاه).

أسرته:

ولد الأستاذ سعيد النورسي من أبوين كرديين صالحين، واسم والده ميرزا، وكان مثالا في الورع والتقوى إلى درجة أنه كان أحيانا يباليغ في الورع إذ يحكى أنه عندما كان يعود بماشيته في المساء من المراعي إلى القرية كان يشد أفواهها لئلا تأكل من بساتين ومزارع الآخرين، وحكي عنه أيضا أنه لم يطعم أولاده حراما قط، وكانت مهنته الفلاحة، وتربية الأغنام والماشية، أما والدته الأستاذة النورسي فكانت تسمى (نوري) بالإمالة (ÒÑ)، ويصل نسبها من جهة الأب إلى سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما، ومن جهة الأم إلى الإمام الحسين رضي الله عنهما (ÒÑ)، وهي أيضا كانت على جانب كبير من الورع والتقوى، وقد سئلت ذات يوم عن سبب الذكاء الحاد عند أولادها؟ فأجابت: لم أفارق صلاة التهجد طوال حياتي إلا الأيام المعدودة شرعا، ولم أرضع أولادي إلا على طهر ووضوء (ÒÑ).

كانت أسرة الأستاذ النورسي مكونة من تسعة أفراد: الأبوان، وأربع أولاد، وثلاث بنات، وتسلسلهم حسب الولادة كالتالي: درية، خانم، عبد الله، سعيد، محمد، عبد المجيد، مرجان، توفي والد الأستاذ النورسي في العشرينيات من القرن العشرين، أما أخواته فقد توفين مع والدته عندما كان النورسي صغيراً، يقول الأستاذ سعيد النورسي:

(ولم أتمكن من مشاهدة أخواتي الثلاث منذ الخامسة عشرة من عمري، حيث ذهبن مع والدتي إلى عالم البرزخ فبتّ محروما من كثير من الطاف الرحمة والاحترام التي تنشر في الجلسات الأخوية الطيبة اللذيذة في الدنيا) (ÒÑ)، هذا وقد توفيت أخته خانم سنة 1945 في مكة المكرمة،

(ÒÑ) لقد ذكر أغلب الكتاب إن لم نقل كلهم أن اسم والدته الأستاذة النورسي هو (نورية)، بينما الاسم الصحيح لوالدته هو كما ذكرنا (نوري) بالإمالة وذلك حسب الكتابات الكردية التي اطلعت عليها في تركيا، و(نوري) بالإمالة اسم علم مؤنث شائع بين الكرد في جميع المناطق.

(ÒÑ) حبيب محمد سعيد، (جميك له زياني ماموستا سعيدى نورسى) Ì: "نبذة عن حياة الأستاذ النورسي" مؤلف باللغة الكردية، 1922 ã 1413 ã - 8 ã jã.

(ÒÑ) أنظر: إحسان قاسم الصالحى، بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره، (مؤلف باللغة العربية) Ø j2 إستانبول، دار سوزلر للنشر، 1987 ã 19 ã.

(ÒÑ) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص36.

ويقول النورسي عن وفاتها (تلك التي حجت وطاقات البيت وهي تعاني سكرات الموت، وسلمت روحها في الطواف وهي المرحومة أختي العاملة خانم^(٥)).

أما اخوته فقد توفي عبد الله عام 1914م، وهو والد عبد الرحمن تلميذ الأستاذ النورسي وابنه المعنوي حسب تعبير الأستاذ، وتوفي محمد سنة 1951م، وتوفي عبد المجيد سنة 1967^(٥) بعد وفاة الأستاذ النورسي بسبعة أعوام، والجدير بالذكر أن أخوه عبد المجيد هو الذي قام بترجمة الكثير من رسائل النور إلى اللغة العربية إلا أنها نشرت في وقتها ضمن نطاق ضيق، كما ترجم رسائل النور التي كتبت باللغة العربية إلى اللغة التركية مثل: (إشارات الإعجاز) æj (المنثوي العربي) i وكان أخوه عبد المجيد هذا مدرسا للغة العربية، ثم مفتيا، ثم مدرسا للعلوم الإسلامية في معهد الأئمة والخطباء والمعهد الإسلامي في قونيا^(٥).

صفاته الخلقية:

كان الأستاذ سعيد النورسي طويل القامة، عسلي العينين حنطي اللون، وكان يتمتع بجسم رشيق، ولياقة بدنية جيدة، ولم يكن ذا لحية بل كان يخلقها باستمرار، قال لي أحد طلابه ويدعى نور الدين الكيلاني: سألت الأستاذ سعيد النورسي يوما عن سبب حلقه للحية؟ فأجاب: إنني أعرف أن حلقي للحية هو ترك للسنة، ولكنني إذا تركت لحيتي فسيقوم الجندرمة^(٥) بحلقها، وعندها سأموت من الغم لذلك فإنني أحلق لحيتي باستمرار^(٥)، أما لباسه فقد كان اللباس الكردي المعتاد وأحيانا كان يلبس الجبة والعمامة، ويصف نور الدين الكيلاني عمامة الأستاذ النورسي بأنها كانت مكونة من ثلاث لفات، أما ألوانها فقد كانت السفلى خضراء، والوسطى بيضاء، والتي فوقها صفراء اللون. (انظر إلى الصورة رقم (3æ) في ملحق الصور).

(٥) (٥) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط 1، إستانبول، دار سوزلر للنشر، 1414هـ
_1993jãl322.

(٥) (٥) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص36، حاشية المترجم.

(٥) (٥) أنظر: بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص322، حاشية المترجم.

(٥) (٥) تطلق كلمة جندرمة على البوليس التركي.

(٥) (٥) لقاء مع نور الدين الكيلاني، في الساعة (15 2j) بعد ظهر يوم 1999/8/19م في مدينة إستانبول بتركيا.

صفاته الخُلقيّة:

لقد كان الأستاذ سعيد النورسي يتمتع بجملة من الصفات الخُلقيّة جعلت الناس يحبونه حبا شديدا، ويحترمونه احتراما كبيرا ومن تلك الصفات:

أولاً: لم يكن الأستاذ النورسي يقبل الهدايا من أحد، وكان يقول إن العلماء فقدوا هيبتهم لأنهم كانوا يعيشون على ما يتصدق الناس به عليهم، لذلك كان يمتنع عن أخذ الصدقات التي يجمعها أهل القرية لطلاب العلم، قال لي نور الدين الكيلاني:

(عندما ذهبت للقاء الأستاذ النورسي لأول مرة كان الأخ (مصطفى صنكر) ^(٥) عند الباب فقال لي قبل أن تدخل على الأستاذ اقرأ هذه العبارة، فإذا بعبارة مكتوبة على باب غرفة الأستاذ النورسي ونصها: (أنا لم أقبل في عمري هدية من أحد، وقسم من الناس يصرفون الأموال في طريقهم لزيارتي فهذا أيضا تعتبر هدية، وقسم يقبلون يدي وأنا أحب أن أصفح من أن يقبل أحد يدي) ^(٥) .

يقول فكرت أزدمير في ذكرياته:

000 وفي زيارة أخرى عندما كان الأستاذ في فندق (آق شهر) أخذت معي زوجا من الحوارب من صنع مدينة بدليس هدية للأستاذ فقلت له:

أستاذي 000 أرجو أن تقبلها مني هدية متواضعة فهي من مدينة بدليس فأخذها بيده ثم قال: لقد قبلت هديتك وأخذتها ولكن البسها أنت بدلا عني ^(٥) ^(٥) .

ثانياً: كان الأستاذ النورسي إنسانا جريئا، فقد (دخل ذات يوم على رئيس عشيرة "ميرا" ^(٥) مصطفى باشا، وكان ظلما يستهين بحقوق الله وحقوق الناس، فلما نظر إليه الباشا قال له:

^(٥) مصطفى صنكر هو أحد طلاب الأستاذ النورسي المخلصين، وقد لازمه مدة طويلة، وخدمه كثيرا، كما خدم رسائل النور بعد وفاة الأستاذ النورسي، ولا زال على قيد الحياة.

^(٥) لقاء مع نور الدين الكيلاني، في الساعة (15 2) بعد ظهر يوم 1999/8/19م في تركيا في مدينة إستانبول.
^(٥) في اعتقادي إن في ذلك مبالغة في الزهد من قبل الأستاذ النورسي، وهو مخالف لما كان عليه خير البشر صلى الله عليه وسلم الذي كان يقبل الهدية، ويمتنع عن أخذ الصدقة لأنها لا تجوز له، لذلك فإن هذه المبالغة في عدم قبول الهدايا التي لا شبهة فيها اجتهاد خاطئ من قبل الأستاذ والله أعلم.

^(٥) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص544، حاشية المترجم.

^(٥) ميرا هي إحدى العشائر الكردية التي تنتشر في كردستان تركيا.

لماذا جئت إلى هنا؟

فقال: جئت لإرشادك، فإما أن تسمع وتطيع، وإما أن أقتلك!!

فغضب الباشا 000 ثم نظر إلى سيف بيد بديع الزمان قائلاً: بهذا السيف القدر تقتلني؟

فقال: السيف لا تقطع [كذا] (٥٥) 000 وإنما باليد!

فقال الباشا: لي علماء كثيرون في هذه الجزيرة (٥٥) فإن تغلبت عليهم أحببتك إلى ما تقول وإلا

فسألتك في نهر الفرات.

فقال بديع الزمان: كما أنه ليس من شأني أن ألزم جميع العلماء، فليس من شأنك أن تلقيني

في البحر، ولكن أريد منك إن أحببت علي أسئلة العلماء أن تكافئني بإعطائي بندقيتك، فإن لم

تجني إلى نصيحتي قتلتك بها!!

وجمع الباشا له العلماء 000 وكسب بديع الزمان الشرط 000 وتاب الباشا على يده توبة

صادقة (٥٥).

ثالثاً: كان الأستاذ النورسي رحيمًا عطوفًا حتى مع الحيوانات، فقد كان من عاداته أن يترك

شيئًا من طعامه للنمل، فإذا سئل عن سبب ذلك أجاب:

(إنها مكافئة مني لنظام هذه الأمة وجمهوريتها الرائعة) (٥٥)، وكان النورسي رحيمًا حتى مع

أعدائه، حيث كان يدعو لهم بالهداية، ولم يدع على أحد في حياته (٥٥).

نشأته وتلقيه العلم:

في صغره لم يكن الأستاذ النورسي مثل سائر الصغار، فالصغار كما هو معلوم يقضون سائر

أوقاتهم في اللعب، والمرح، والأشياء التافهة، أما سعيد النورسي فلم يكن كذلك، بل كان دائم

التفكير في الأمور التي يراها من حوله، وكان كثير الاستفسار من والديه عن طبيعة الأشياء

(٥٥) ولعل الصواب لا يقطع.

(٥٥) يقصد جزيرة (ابن عمر)، وتسمى الآن (جزيرة بوتان) وتقع في كردستان تركيا.

(٥٥) الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، من الفكر والقلب، دمشق، منشورات مكتبة الفارابي، 1969 jãl 270.

(٥٥) محمد سعيد رمضان البوطي، المصدر نفسه، ص 269.

(٥٥) لقاء مع نور الدين الكيلاني، في الساعة (15 2j) بعد ظهر يوم 1999/8/19م في تركيا في مدينة إستانبول.

وماهيتها، وبالمقابل كان والداه يجيبانه عن جميع تساؤلاته حسب معلوماهما القليلة برحابة صدر، وكان النورسي كثيرا ما يرتاد مجالس العلم والعلماء، ويستمتع بشغف، وإنصات، وأدب إلى ما يدور بينهم من مناقشات علمية فأدى ذلك مع مرور الأيام إلى أن تتوق نفسه لطلب العلم إلى درجة كبيرة كما يقول هو عن نفسه:

(لقد حدثت خيالي في عهد صباي: أي الأمرين تفضل؟ قضاء عمر سعيد يدوم ألف ألف سنة مع سلطنة الدنيا وأبجتها على أن ينتهي ذلك إلى العدم، أم وجودا باقيا مع حياة اعتيادية شاقة؟ فرأيتة يرغب في الثانية ويضجر من الأولى) (٥).

لقد كان الأستاذ سعيد النورسي متفائلا منذ طفولته بشأن مستقبله العلمي، وريادته الإصلاحية، يقول هو في ذلك:

(كنت أحمل حالة روحية تنسم بالفخر والاعتزاز يوم كنت في العاشرة من عمري 000 فكنت أتقلد طور بطل عظيم، ورائد كبير، وصاحب عمل عظيم، أما قرينتنا (نورس) فإن أهلها _وطلابي_ القدامى يعرفون_ أن أهاليها كانوا يحبون المدح والثناء عليهم كثيرا 000 والآن عرفت السر بإخطار حقيقي: إن أولئك النورسيين يتباهون لأن قرينتهم (نورس) ستكسب فخرا عظيما بنور رسائل النور، حتى إن الذين لم يسمعوها باسم الولاية، والناحية سيعرفون تلك القرية باهتمام بالغ، فهؤلاء النورسيين يظهرون شكرانهم _بحس مسبق_ لتلك النعمة الإلهية.

نعم إنه عندما كان جميع كردستان يتخذ وضع المفتخر المختال بغزارة الطلاب، والأئمة، والعلماء (٥) المتخرجين بمهمة وجهود الشيخ عبد الرحمن تاخي الشهير الملقب بـ (سيدا) (٥) في ناحيتنا (اسبارت) التابعة لقضاء خيزان كنت أشعر بينهم أيضا 000 كأن أولئك العلماء سيفتحون الأرض كلها، فكنت أستمع وأنا لم أتجاوز العاشرة من عمري مناقب العلماء القدامى المشهورين 000 ويرد إلى قلبي أن هؤلاء الطلاب، العلماء سيفتحون آفاقا عظيمة في العلم والدين (٥).

(٥) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص 277.

(٥) تشتهر بلاد الكرد بكثرة المدارس الشرعية في المساجد، فقلما تجد مسجدا حتى في القرى النائية_ إلا وفيها شيخ، وحوله العشرات من طلبة العلم الذين تركوا أهلهم وذويهم وجاءوا لكي يلتحقوا بركب طلبة العلم حيث يتلقون العلوم الشرعية من فقه، وحديث، وتفسير، وعلوم الآلة كالنحو، والصرف، والبلاغة، وغير ذلك إلى أن ينالوا الإجازة العلمية حيث يرجع كل واحد منهم إلى قرينته أو إلى أية قرية أخرى لكي يقوم هو الآخر بدوره في إرشاد الناس وتعليمهم أمور دينهم من وضوء، وطهارة، وصلاة، ومعرفة الحلال والحرام، وغير ذلك من الأمور المهمة في الإسلام.

(٥) (سيدا) كلمة كردية وتعني الأستاذ، أو المعلم.

(٥) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص 41.

بدأ الأستاذ سعيد النورسي خطواته الأولى نحو العلم بتعلم القراءة والكتابة في مسجد قريته، ثم بدأ بتعلم القرآن الكريم حسب ما هو متبع لدى طلبة العلم وكان ذلك سنة 1303هـ/1885م ومن الذين أثروا في النورسي في تلك المدّة أخوه الكبير الملا عبد الله حيث كان هذا الأخير من طلبة العلم البارعين، وبعدهما تعلم النورسي القراءة والكتابة وقراءة القرآن الكريم قصد قرية طاغ كلي _ القرية بعض الشيء من قريته نورس_ لكي يواصل تلقيه العلم عند الملا محمد أمين أفندي، وبعد فترة وجيزة قضاهما النورسي عند الملا محمد أمين قرر العودة إلى قريته تاركا دروسه التي كان يتلقاها عند الملا محمد أمين (٥٦)، وبعدهما عاد النورسي إلى قريته اقتصر في تعلمه على الدروس التي كان يلقيها عليه أخوه الكبير الملا عبد الله وذلك أثناء عودته إلى القرية في أيام الجمع، وبقي النورسي على ذلك الحال مدة من الزمن غير أنه أدرك فيما بعد أن يوما واحدا في الأسبوع لا يكفي لجعله عالما فاستأذن والديه ليذهب إلى قرية (بيرميس) (٥٧)، ومنها إلى قضاء هيزان فدرس على يد الشيخ محمد أفندي مدة من الزمن، وبعدها تحول النورسي في عدد من القرى والمدن الكردية طلبا للعلم مثل: قرية نورشين (٥٨)، وكواش (٥٩)، وولاية بدليس، إلا أن تحصيله للعلم بدأ بصورة جادة في قضاء بايزيد التابع لولاية أرضروم (٦٠).

سعيد النورسي في بايزيد:

في حدود سنة 1308هـ/1890م سافر سعيد النورسي بصحبة صديقه الملا محمد إلى قضاء بايزيد لكي يدرس على يد الشيخ محمد الجلاي، فبدأ بقراءة أمهات الكتب العلمية، وكان له نعم

(٥٦) ربما كان لصغر سن النورسي دورا كبيرا في عدم تحمله الاستمرار في تلقي الدروس عن الملا محمد أمين.
(٥٧) (بيرميس) كلمة كردية مكونة من مقطعين بير أي الشيخ، وميس وهو تحويل للاسم موسى، إذا (بيرميس) تعني الشيخ موسى، وتقع هذه القرية بالقرب من قرية "نورس" مسقط رأس الأستاذ النورسي، وقد ذهب الأستاذ النورسي إلى تلك القرية في صغره لتعلم القراءة والكتابة وتلاوة القرآن الكريم.

(٥٨) قرية قريبة من قرية "نورس" مسقط رأس الأستاذ النورسي وقد ذهب إليها الأستاذ النورسي في صغره لتعلم القراءة والكتابة وتلاوة القرآن الكريم.

(٥٩) هي أيضاً قرية قريبة من قرية "نورس" وقد ذهب إليها الأستاذ النورسي في صغره طلباً للعلم وبقي فيها شهراً.
(٦٠) أنظر: سمير رجب محمد، الفكر الأدبي والديني عند الداعية الإسلامي بديع الزمان سعيد النورسي، ط 2، القاهرة، شركة سوزلر للنشر فرع القاهرة، 1416هـ _ 1995م/32.

شديد نحو القراءة، فقد قرأ كتاب جمع الجوامع (٥٥٥)، وشرح المواقف (٥٥٦)، وتحفة المحتاج في شرح المنهاج (٥٥٧) مع الفهم التام من دون معونة أحد، هذا وقد تمكن الأستاذ سعيد النورسي من الحصول على الإجازة العلمية خلال ثلاثة أشهر (٥٥٨) بينما كان أمثاله من طلبة العلم لا يتمكنون من ذلك إلا بعد سنوات من الدراسة وتلقي العلم.

وعندما كان الأستاذ سعيد النورسي في بايزيد كان يمضي الكثير من أوقاته بجانب ضريح الشاعر الكردي المعروف (أحمد الخاني) (٥٥٩)، حتى أنه كثيراً ما كان يُفتقد في الليل وعندما كان يبحث عنه أصحابه كانوا يجدونه عند القبر المذكور وهو يطالع في الكتب على ضوء شمعة.

وفي سنة 1310هـ 1892م ذهب الأستاذ سعيد النورسي إلى مدينة (سيرت) (٥٦٠) والتقى بالملا (فتح الله أفندي) في مدرسته، فسأله الملا (فتح الله) عن مجموعة من الكتب العلمية إن كان قد قرأها أم لا، فأجابه النورسي أنه قرأها كلها فلم يصدقه وقام بتوجيه أصعب الأسئلة في تلك الكتب إلى النورسي، فكان النورسي يجيبه إجابات وافية، ومفصلة عن تلك الأسئلة، فقال له الملا (فتح الله) حسنا دعنا نجرب قوة حفظك أيضاً، فهل تستطيع أن تحفظ بضعة أسطر من مقامات الحريري بعد قراءتها مرة أو مرتين؟ فتناول النورسي الكتاب وقرأ صفحة كاملة ومرة واحدة فقط ثم قرأها له عن ظهر قلب، فأعجب الملا (فتح الله) به إعجاباً شديداً (٥٦١) وقال له: ((إن اجتماع الذكاء الخارق مع القابلية الخارقة للحفظ في شخص واحد من أندر الأمور)) (٥٦٢).

(٥٦٣) جمع الجوامع كتاب في علم أصول الفقه لتاج الدين السبكي (727 - 771)هـ، وهو كتاب مختصر جمعه المؤلف من زهاء مائة مصنف، وللكتاب شروح وحواشي كثيرة، ويعتبر دراسة هذا الكتاب شرطاً أساسياً لنيل الإجازة العلمية في مدارس كردستان. (٥٦٤) يقصد بالمواقف كتاب المواقف في علم الكلام لعضد الدين الإيجي ت (756)هـ وهو أيضاً من الكتب المهمة والنافعة لطلبة العلم، وله شروح عديدة منها شرح الجرجاني، والكرماني، وغيرهما.

(٥٦٥) مؤلف الكتاب هو ابن حجر الهيتمي المكي، والكتاب هو شرح لـ (منهاج الطالبين) للإمام النووي الشافعي.

(٥٦٦) سليمان جفك، حياة ونضال بديع الزمان سعيد النورسي، مجلة نو بحار (الربيع الجديد)، العدد السادس، سنة 1992هـ 210.

(٥٦٧) أحمد الخاني: شاعر كردي معروف ولد سنة 1061هـ 1650م من عائلة دينية، قضى طفولته في بايزيد وفيها بدأ تحصيله العلمي، ومن أشهر المدارس التي أخذ فيها علمه (المدرسة اليوسفية) وهي من أرقى المدارس هناك ويقال إنها من آثار السلطان (مراد الثاني)، رحل في طلب العلم وقصد "أورفه" "رها" "أخلاق" "بديليس" وبعد ذلك عاد إلى مدينة "بايزيد" مرة أخرى وواصل دراسته إلى نال الإجازة العلمية ثم بنى فيها مسجداً ومدرسة شغل فيها منصب الإمامة والتدريس وبقي على ذلك إلى أن توفي سنة 1119هـ 1707م، له العديد من الدواوين الشعرية من أشهرها: ديوانه المسمى "مم وزين" "أه نو بحار". نقلاً بتصرف عن: تحسين إبراهيم الدوسكي، المدخل لدراسة الأدب الكردي، ج 1: 101، م، منشورات جمعية علماء كردستان، 1413هـ 1993ج 170.

(٥٦٨) مدينة تقع في جنوب شرق تركيا. (انظر إلى موقع المدينة على الخريطة في ص 67).

(٥٦٩) يقال إن الملا فتح الله أفندي هو أول من أطلق لقب (بديع الزمان) على الأستاذ سعيد النورسي.

(٥٧٠) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص 51.

وهناك عند الملا فتح الله أفندي حفظ الأستاذ سعيد النورسي كتاب جمع الجوامع عن ظهر قلب وذلك بقراءته كل يوم ساعة أو ساعتين ولمدة أسبوع واحد فقط، فكتب الملا فتح الله شهادته للنورسي على غلاف كتاب جمع الجوامع بقوله: قد جمع في حفظه جمع الجوامع جميعه في جمعة (٥٥).

وعندما بلغ النورسي السادسة عشرة من عمره ذاع صيته، وانتشرت شهرته بين الناس وخاصة العلماء وطلبة العلم، وكان النورسي قد أعلن قبل ذلك أنه مستعد للإجابة على أي سؤال، وفعلا كان يأتيه الطلبة والعلماء وكانوا يختارون أعقد الأسئلة ويلقونها عليه فكان يجيب عليها إجابات وافية ومفصلة، وعندما أطلق الناس عليه (سعيد المشهور).

وبعدما ذاع صيت النورسي، وانتشرت أخبار ذكائه الحاد بين الناس حاول بعض ادعياء العلم النيل منه بدافع الحقد (وما أكثر هؤلاء في كل عصر ومكان فراحوا يحقدون به [كذا] (٥٥) ممتحنين له مرة، وواشين به إلى بعض الأمراء والولاة أخرى، ولكن علمه الغزير، وتواضعه العجيب كانا ينجيانه مما يراد به من سوء، ولقد أحدق به ذات يوم بعضهم قاصدين إيدائه فقال لهم: (اقتلوني... ولكن أرجو أن تحافظوا على مكانة العلم وسمعته!)، وسمع والي سعرت (سيرت) بالأمر وكان يقدر بديع الزمان، فقصد إلى معاقبة الذين حاولوا إيدائه ولكنه عارضه قائلا: "نحن طلاب العلم نتخاصم، ونتراضى، ولذا فلا أرى من الحسن أن يتدخل في شأنهم من ليس منهم، على أن الخطأ كان مني" (٥٥).

بعد ذلك وفي السنة نفسها _ أي في سنة 1310 هـ 1892_ ذهب الأستاذ سعيد النورسي إلى مدينة ماردين (٥٥) وفيها (التقى بطالين حيث ساعدها على تنويع آفاقه الفكرية، أحدهما كان من أتباع جمال الدين الأفغاني (٥٥)، أما الطالب الثاني الذي حصل منه النورسي على المعلومات عن

(٥٥) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص53.

(٥٥) ولعل الصواب يحقدون عليه.

(٥٥) محمد سعيد رمضان البوطي، المصدر السابق، ص268.

(٥٥) مدينة تقع في جنوب شرق تركيا. (أنظر إلى موقعها على الخريطة في ص67).

(٥٥) جمال الدين الأفغاني (1837_1897): من أوائل المنادين بالجامعة الإسلامية له نظرة تقدمية ومتقدمة في الدين والوطنية

والأحوال الاجتماعية، هاجر إلى القاهرة حيث تتلمذ عليه دعاة الإصلاح، اشترك في المجلات والصحف للدعوة إلى الاستقلال

والكرامة، أصدر مع تلميذه الشيخ محمد عبدة جريدة "العروة الوثقى"، وكتب في مجلة "ضياء المناقير" التي كانت تصدر بالعربية

والإنكليزية، ألف كتاب "الرد على الدهريين" وهاجم الفلسفة المادية، وكتاب "تممة البيان أو المختصر في تاريخ الأفغان". أنظر:

الموسوعة السياسية، إشراف د. عبد الوهاب الكيالي وكامل زهيري، ط 1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1974j

الإسلام خارج الدولة العثمانية فكان من أتباع الطريقة السنوسية (Ö) (Ö) ، وفي مدينة ماردين بدأ الأستاذ النورسي يلقي دروسه على طلبة العلم الذين أعجبوا به أيما إعجاب، فالتفوا حوله وكان يجيب على أسئلة الناس، ويعلمهم أمور دينهم إلا أن بعض الحاقدين قاموا بالوشاية به عند الوالي فقام بطرده من (ماردين) وسبق إلى مدينة (بدليس) فلما علم والي (بدليس) عمر باشا حقيقة هذا الشاب أكرمه كثيرا، وأسكنه في منزله لمدة سنتين، وهناك وجد النورسي الفرصة السانحة كي يتعمق أكثر فأكثر في العلوم الإسلامية المختلفة، فانكب على مطالعة كتب التفسير، والحديث، والفقه، كما بدأ بحفظ الكثير من المتون حتى بلغ مجموع ما حفظه من المتون ثمانين متنا من شتى العلوم، ودرس هناك أيضا بعض الكتب على يد الشيخ محمد الكفروي (Ö) .

وفي سنة 1312هـ 1894م انتقل الأستاذ سعيد النورسي إلى مدينة وان (Ö) ، وهناك بدأ يسلك مسلكا آخر في حياته العلمية، حيث بدأ بقراءة كتب العلم الحديث مثل الجغرافيا، والفلك، والرياضيات، والكيمياء، والفيزياء، والفلسفة، والجيولوجيا، إلى غير ذلك من العلوم، فقد كان النورسي يدرك أن المناهج العلمية لدى طلبة العلوم الإسلامية فيها نقص كبير من ناحية العلوم الكونية، والتجريبية، لذا كان دوما يؤكد على أن العالم الديني يجب أن لا يكون جاهلا بتلك العلوم، وأن على طلبة المدارس الشرعية دراسة تلك العلوم الحديثة إلى جانب كتب الفقه، والحديث، والتفسير، وكان يرى (عدم جدوى الطرق القديمة المتبعة في المدارس الدينية، أو في حلقات العلماء، ويرى كيف أن الطلاب لا يتزودون من العلوم الحديثة شيئا فإسف، ويعتم لذلك، فاقتنع بأن الخطوة الأولى للإصلاح يجب أن تبدأ بإصلاح نظام التعليم، إذ كان يرى أن المدارس الحكومية الاعتيادية تدرس القوانين العلمية دون التأكيد على أنها نواميس إلهية، وأن المدارس الدينية تدرس العلوم الدينية دون الإشارة إلى العلوم الحديثة، لذلك فالإصلاح يبدأ من قيام المدارس الحكومية

(Ö) السنوسية دعوة إسلامية إصلاحية تجديدية روحية على أساس الكتاب والسنة ظهرت في ليبيا وعمت مراكزها الدينية شمال أفريقيا والسودان والصومال وبعض البلاد الإسلامية. أنظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف = وتخطيط ومتابعة د. مانع بن حماد الجهني، ط 3، الرياض، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، 1418هـ - 1998ج، 291Ö.

(Ö) أحمد نوري النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا حاضرها ومستقبلها، الأردن - عمان، دار البشير، 1992ج، 56Ö.
(Ö) أنظر: آ. محسن عبد الحميد، النورسي متكلم العصر الحديث، القاهرة، دار سوزلر للنشر فرع القاهرة، د. 11Ö.
(Ö) مدينة تقع في شرق تركيا على الحدود التركية الإيرانية، وكان واليها حسين باشا قد دعا الأستاذ النورسي لكي يستقر فيها وذلك في سنة 1897م فأجابه الأستاذ النورسي إلى ذلك ومكث في المدينة ما يقارب خمس عشرة سنة وفيها أطلع لأول مرة على العلوم الحديثة وقام بمدارسها والتوسع فيها. (أنظر إلى موقع المدينة على الخريطة في ص67).

بتدريس الدين بجانب العلم لكي لا ينحرف الطلاب إلى الشك والإلحاد، وقيام المدارس الدينية بتدريس العلوم الحديثة لكي لا ينحرف طلابها إلى التعصب أو إلى ضيق الأفق^(٥٥).

هذا وقد استطاع الأستاذ سعيد النورسي التعمق في دراسة تلك العلوم إلى درجة التأليف في بعضها^(٥٦)، وحفظ كتابا في الجغرافيا خلال أربع وعشرين ساعة ثم في اليوم الثاني ناظر أحد مدرسي الجغرافيا وألزمه الحجة، كما أنه ناظر أحد مدرسي الكيمياء وتغلب عليه بعدما حفظ كتابا في الكيمياء العضوية^(٥٧).

وفي مدينة وان قام الأستاذ سعيد النورسي بتأسيس مدرسة خاصة به سماها مدرسة(خور خور)^(٥٨)، وكانت تطل على بحيرة وان، أما عدد طلابها فكان يبلغ (300) طالبا تقريبا، وقد استشهد أغلبهم في الحرب العالمية الأولى، فالمدرسة كانت تدرب طلابها على الفنون الحربية بالإضافة إلى العلوم الدينية، وبعد دخول القوات الروسية مدينة وان أثناء الحرب العالمية الأولى أحرقت المدرسة مع جميع بيوت القرية^(٥٩).

يورد الأستاذ سعيد النورسي في إحدى ذكرياته عن المدرسة المذكورة، ومدينة (ä) وذلك بعد عودته من الأسر في روسيا فيقول:

"وهناك قبل كل شيء ذهبت لزيارة مدرستي المسماة بـ (خور خور) فرأيت أن الأرمن قد أحرقوها مثلما أحرقوا بقية البيوت الموجودة في (ä) أثناء الاحتلال الروسي... صعدت إلى القلعة المشهورة في وان وهي كتلة من صخرة صلدة تضم تحتها مدرستي الملاصقة بها تماما، وكانت تمر من أمامي أشباح أولئك الأصدقاء الحقيقيين، والاحوة المؤمنين من طلابي في مدرستي الذين فارقتهم منذ سبع سنوات خلت، فعلى إثر هذه الكارثة أصبح قسم من أولئك الأصدقاء الفدائيين شهداء حقيقيين، وآخرون شهداء معنويين، فلم أتمالك نفسي من البكاء والنحيب... صعدت إلى قمة القلعة وارتقيتها وهي بعلو المنارتين، ومدرستي تحتها وجلست عليها أتأمل فذهب بي الخيال إلى ما يقرب من ثماني سنوات خلت، وجمال بي الخيال في ذلك الزمان لما لخيالي من قوة، ولعدم وجود مانع

(٥٥) أورهان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، ط 1، تركيا _ إستانبول، شركة النسيل للطباعة، 1416هـ - 1995jã 25.

(٥٦) ألف الأستاذ سعيد النورسي كتابا في الرياضيات إلا أنه احترق في حادث حريق.

(٥٧) بدیع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص63.

(٥٨) خور خور هو اسم المنطقة التي أسس الأستاذ النورسي فيها مدرسته، وربما يكون هذا الاسم مقتبسا من صوت الماء الذي يسمى بالخزير .

(٥٩) أنظر : عبد الله شرقية، منهج سعيد النورسي في الإصلاح الديني، رسالة ماجستير، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1998jã 13.

يجول بيني وبين ذلك الخيال، ويصرفني عن ذلك الزمان إذ كنت وحيدا منفردا... دمرت بيوت المسلمين في المدينة كليا ولم تبق إلا محلة الأرمن فتألمت من الأعماق، وحزنت حزنا شديدا ما لو كان لي ألف عين لكانت تسكب الدموع مداراً^(١١١).

وفي تلك الأثناء قرأ الأستاذ النورسي في بعض الجرائد أن وزير المستعمرات البريطاني غلادستون (Gladstone) قال في مجلس العموم البريطاني وهو يخاطب أعضاء المجلس، وبإيدى نسخة من المصحف الشريف: "مادام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم لذا فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به"، عندها أدرك النورسي أن ثمة مؤامرة كبيرة تحاك ضد الإسلام والمسلمين، وأن الأمر جد خطير، فقال قولته المشهورة: "لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها"^(١١٢).

وبدأ الأستاذ سعيد النورسي يخطط لإنشاء جامعة إسلامية باسم جامعة الزهراء في كردستان تركيا^(١١٣)، فسافر سنة 1314هـ 1896م إلى استانبول لتقدم مشروعه إلى سلطات الدولة، ونورد فيما يلي بعض المناقشات التي جرت بين الأستاذ النورسي وبعض رجالات الاتحاد والترقي بخصوص إنشاء جامعة الزهراء في كردستان تركيا:

(الأستاذ النورسي: أيها الخواص ندعي [كذا]^(١١٤) منكم حقنا.

Ö: ما تريدون؟

İ: نريد أن تصدقوا قولكم بفعلكم، ولا تعتذروا بقصور غيركم، ولا تتواكلوا فيما بينكم، ولا تتكاسلوا في خدمتنا الواجبة عليكم... ونطلب نصيبنا من معنى الاتحاد والترقي لا الاسم... ندعي ما يخف عليكم وهو عظيم عندنا.

Ö: ما هو سؤالك؟

İ: أخت الجامع الأزهر المسماة بـ (مدرسة الزهراء) المتضمنة لدار الفنون^(١١٥) في (بدليس) i ورفيقتها في æj(ä) (ديار بكر)^(١١٦).

(١١١) بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ترجمة إحسان قاسم الصالح، ط 1، تركيا-إستانبول، دار سوزلر للنشر، 1413هـ_1993jã379.

(١١٢) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص 66.

(١١٣) إن السبب الذي دفع الأستاذ النورسي لاختيار مكان جامعة الزهراء في كردستان تركيا هو: وجود المدارس والجامعات في المناطق الأخرى من تركيا وحرمان المنطقة الكردية منها مما أدى إلى انتشار الجهل والتخلف بين الناس هناك.

(١١٤) ولعل الأضرب نطلب.

(١١٥) دار الفنون، أو كلية الفنون التي كانت متداولة آنذاك ويقابلها الآن دار العلوم، أو كلية العلوم.

Ö: ما الشرائط؟

İ: مزج علوم المدارس بالفنون (İÖ) الجديدة، ودرجها فيها مع جعل اللسان العربي أساسا واجبا، والكردي جائزا، والتركي لازما.

Ö: كيف؟

İ: ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو الفنون المدنية، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، وبافتراقهما يتولد الخيل من هذا... والتعصب البارد من ذلك.

وأن ينتخب المدرسون فيها إما من علماء الأكراد ذوي الجناحين (İÖ) لأنهم عندهم معتمدون، أو ممن يعرفون اللسان المحلي ليستأنسوا بهم.

يا أيها الأشراف: فاحدمونا كما خدمناكم... ويا أهل الحكومة الذين تدعون الوصاية فاعدلوا وارشدوا كما نطيعكم.

يا أهل الاتحاد والترقي: فاستقيموا واعلموا كما تأمركم الوظيفة المهمة لأنكم تصديتم وتحملتم وظيفة المليية... فإن تحسنوا وإلا فردوا الأمانات إلى أهلها (İÖ).

مكث الأستاذ سعيد النورسي سنة ونصف السنة في استانبول إلا أنه لم يستطع تحقيق ما كان يريد فرجع مرة أخرى إلى مدينة وان وبقي فيها تسع سنين أخرى أي إلى سنة 1907م، وقد أمضى تلك السنوات بالتدريس والإرشاد والوعظ حيث كان يتجول بين المدن والقرى الكردية في كردستان تركيا، كما كان يصرف جهودا كبيرة في الإصلاح بين العشائر الكردية، (فما كان يطرق سمعه نزاع بين العشائر إلا ويتوجه إليهم ويرشدهم، حتى أنه استطاع إجراء الصلح بين (شكر آغا) æ (مصطفى باشا) رئيس عشيرة ميران بينما أخفقت الإدارة العثمانية من فض النزاع بينهما) (İİ).

وبذلك أصبح الأستاذ سعيد النورسي رمزا بارزا في المنطقة، كما أنه اكتسب شهرة كبيرة فيها سواء من الناحية العلمية، أو الناحية الفكرية، أو الثقافية، أو الاجتماعية، وحتى العسكرية.

(İÖ) كان ضمن مخطط الأستاذ النورسي فتح جامعة الزهراء في مدينة بدليس مع فرعين آخرين لها في كل من مدينة وان، وديار بكر الكرديتين.

(İÖ) الفنون أي العلوم وكلية الفنون أي كلية العلوم.

(İÖ) لعل المقصود بذلك العلماء الذين يجيدون اللغتين العربية والكردية.

(İÖ) بديع الزمان سعيد النورسي، رجة العلماء، أنقرة_تركيا، مطبعة النور، 1958; 218Ö.

(İİ) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص62.

وهكذا انتهت المرحلة الأولى من الحياة المباركة التي عاشها الأستاذ النورسي، تلك المرحلة التي دامت إحدى وثلاثين سنة تقريباً، استطاع الأستاذ النورسي من خلالها أن يكمل عدته، ويهيأ نفسه للقيام بأمر عظام لا يقوى على القيام بها إلا القلة القليلة من الرجال.

المرحلة الثانية:

وتبدأ من سنة 1325هـ / 1907م إلى سنة 1342هـ / 1923م:

إذا كان لكل مرحلة من مراحل حياة الأستاذ سعيد النورسي طابعها البارز والمتميز فإنّ أهم ما يميز هذه المرحلة من حياته هو خوضه في العمل السياسي، ومواجهة كبار رجال الدولة

ومناقشتهم بكل جرأة وشجاعة، ونشر أفكاره في الإصلاح السياسي، والإداري للدولة، وكذلك مشاركته في تأسيس الجمعيات، وانتمائه إلى بعضها، والعمل في الصحافة، لذا نستطيع أن نطلق على المرحلة الثانية من حياة الأستاذ النورسي تسمية المرحلة السياسية.

بعدما أكمل الأستاذ النورسي عدته العلمية، والفكرية، والثقافية في كردستان تركيا، وبعدما وثق بقدراته الإصلاحية قرّر الانتقال إلى مدينة استانبول حيث مركز القرار في الدولة، وتواجد رجالات الفكر والسياسة هناك، لذا سافر في سنة 1907م إلى استانبول وكانت هذه هي المرة الثانية التي يزور فيها تلك المدينة، كانت المرة الأولى في سنة 1314هـ 1896م إلا أنه لم يستطع في تلك المرة تحقيق هدفه وذلك بسبب عدم تعرف الناس عليه، وعدم سماعهم بشهرته، وبمقدرته العلمية، والفكرية، والإصلاحية لذا عاد إلى مدينة وان مرة أخرى، وعندما سافر إلى استانبول للمرة الثانية سنة 1907م كانت شهرته قد سبقته إليها لذلك استقبل هذه المرة بحفاوة وتقدير واحترام من قبل العلماء، والمثقفين، والمفكرين، وكبار القادة والسياسيين، هذا وقد أقام الأستاذ النورسي في (خان الشكرجي) (١١١). (أنظر إلى الصورة رقم (4) في ملحق الصور).

لم يلبث الأستاذ النورسي في مدينة استانبول فترة طويلة حتى ذاع صيته في كل أنحاءها وخارجها أيضا، يقول الأستاذ النورسي في إحدى ذكرياته: (في أثناء مجيئي إلى استانبول قبل عهد الحرية اقتنيت بضعة كتب قيّمة تخصّ علم الكلام فقرأتها بدقّة، وبعد مجيئي إليها دعوت العلماء ومدرسي المدارس الدينية إلى المناقشة بإعلاني "أسألوا ما شئتم" إلا أن الشيء المحيّر أن المسائل التي طرحها القادمون كنت قد قرأت أجوبتها في طريقي إلى استانبول) (١١٢).

æ(يقول السيد "حسن فهمي باش أوغلو" الذي أصبح فيما بعد عضوا في هيئة الاستشارة للشؤون الدينية في تركيا:

عندما كنت طالبا في (مدرسة الفاتح) زمن المشروطة (١١٣) سمعنا بقدوم شاب إلى استانبول اسمه (بدیع الزمان) علّق لوحة على باب غرفته في (خان الشكرجي) الذي يقيم فيه كتب فيها: هنا

(١١٤) مصطلح الخان هو التسمية القديمة للفنادق، ويقع خان الشكرجي في منطقة محمد الفاتح من مدينة استانبول، وكان الخان المذكور في ذلك الحين بمثابة ملتقى لكبار الأدباء والمفكرين والشعراء والمثقفين، وأثناء إقامتي في مدينة استانبول في صيف عام 1999م ذهبت إلى ذلك الخان فوجدته وقد حول إلى مستودع للبضائع التجارية، هذا وقد تجوّلت فيه، وكانت البناية كبيرة وكانت كما هي لم تجر فيها أية تغييرات من حيث الهدم أو إعادة البناء.

(١١٥) بدیع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص67.

(١١٦) يقصد بالمشروطة إعلان الدستور العثماني الذي صدر في عام 1876م وذلك عندما تسلّم السلطان عبد الحميد الثاني السلطنة العثمانية، وتسمّى تلك المشروطة بالمشروطة الأولى أي إعلان الدستور لأول مرة، هذا وقد أوقف السلطان عبد الحميد

تحلّ كل معضلة، ويجاب عن كل سؤال دون توجيه سؤال لأحد، وقد خطر ببالي أن صاحب هذا السؤال لا بدّ أن يكون مجنوناً، ولكن كثرة الثناء والمديح المتكرّر الذي بدأت أسمعها من الناس، ومن الطلبة، ومن العلماء الذين قاموا بزيارته أثارت في نفسي رغبة كبيرة لزيارته، فقررت أن أختار أصعب الأسئلة لأدق المسائل لأطرحها عليه، وكنت آنذاك أعد من الطلبة المتفوقين في المدرسة، وفي مساء أحد الأيام تهيأت واخترت من علوم العقائد أدقّ المواضيع التي تحتاج الإجابة عليها إلى عدّة كتب، وذهبت إليه في اليوم التالي ووجهت إليه تلك الأسئلة فكانت أجوبته خارقة ومدهشة وعجيبة، فكأنه كان معي يدقّ الكتب البارحة لأن أجوبته كانت تامة وكاملة، أما أنا فقد اطمأنت تماماً، وعلمت علم اليقين بأن علمه ليس كسببنا كعلمنا، بل هو علم لديّ (١١٦) ثم أخرج لنا خريطة أوضح عليها مدى أهمية وضرورة فتح المدارس العلميّة في شرقي البلاد (١١٧) التي كانت تدار آنذاك من قبل القوات الحميدية (١١٨) (١١٩).

الأستاذ سعيد النورسي والسلطان عبد الحميد الثاني:

الثاني العمل بالمشروطة الأولى منذ إعلانه بسبب بعض الاضطرابات التي وقعت آنذاك، واستمر الحال على ذلك إلى سنة 1908ã حيث أعيد العمل بالمشروطة (الدستور) مرّة أخرى، وسميت بالمشروطة الثانية.

(١١٦) العلم اللدّي هو: (أن يسعى الإنسان بواسطة الرياضات والمجاهدات في أن تصير القوى الحسيّة والخياليّة ضعيفة، فإذا ضعفت قويت القوّة العقليّة، وأشرقت الأنوار الإلهيّة في جوهر العقل، وحصلت المعارف وكملت العلوم من غير واسطة سعي وطلب في التفكير والتأمل وهذا هو المسمّى بالعلوم اللدّيّة) أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين الرازي (٤٥٥_606هـ)، التفسير الكبير، ج30؛ 12، بيروت_لبنان، دار إحياء التراث العربي، د. 1500.

وعزّفه الخازن بأنه: (علم الباطن إلهاماً) علاء الدين علي بن محمد البغدادي المعروف بالخازن، تفسير الخازن، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، د. 1810.

(١١٧) مصطلح (شرقي البلاد) من المصطلحات المنتشرة في المصادر المتعلقة بتركيا، ويقصد به كردستان تركيا.

(١١٨) القوات الحميدية، أو الحّيالة الحميدية نسبة إلى السلطان عبد الحميد الثاني، وكانت عبارة عن فرق و مجاميع من القوات المسلّحة التي شكلها السلطان عبد الحميد الثاني من الكرد، وكانت مهمتها السيطرة على الأوضاع في كردستان تركيا، وكانت لتلك القوات دور بارز في إخماد تمرد الأرمن في البلاد.

(١١٩) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص67.

تختلف الروايات حول مسألة اللقاء بين الأستاذ النورسي والسلطان عبد الحميد الثاني، فتقول بعض الروايات إنه تمّ اللقاء بينهما في قصر يلدز (İİÖ)، وتجاوزاً معاً بشأن مطالب الأستاذ النورسي، بينما تقول روايات أخرى أن السلطان عبد الحميد قد أرسل بعض مندوبيه للقاء بالأستاذ النورسي (İİÖ)، وأياً كانت الروايات فإنّ الشيء المهم هو وصول مطالب الأستاذ سعيد النورسي إلى السلطان عبد الحميد الثاني، وقد تمثّلت تلك المطالب بما يأتي:

١ - الاهتمام بالولايات الكرديّة التي كانت محرومة من الخدمات من كافة النواحي: التعليمية، والصحيّة، والإداريّة وغير ذلك.

٢ - فتح جامعة في كردستان تركيا باسم جامعة الزهراء.

٣ - الابتعاد عن الاستبداد، وإصلاح نظام الحكم، والتثبيت من صحة التقارير التي ترفع إلى السلطان (İİİ).

وسوف أتّرك الحديث عن تلك المطالب هنا، و ربّما نعود إليها في الباب الثاني عند الحديث عن المشروع الإصلاحية للأستاذ سعيد النورسي إن شاء الله تعالى.

بعدما عرض الأستاذ النورسي مطالبه على السلطان بواسطة المندوب الذي كلفه السلطان بمقابلة النورسي قام بعض رجال القصر بمناقشته نقاشاً طويلاً، وبعدما هزمهم الأستاذ النورسي في تلك المناقشات اتهمه بعض رجال القصر بالجنون، وأحالوه إلى مستشفى المجانين بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني (İİİ) كما يقول الأستاذ النورسي: (طوال حياة التلمذة وتحصيل العلوم دخلت في مناقشات علمية حادّة مع كل من قابلته من العلماء، كنت أتعلّب عليهم بفضل العناية الرّبانيّة، حتّى بلغت استانبول وهناك في جوها المشوب بأفة الشهرة والصيت لم أنقطع عن مناظراتي العلميّة،

(İİÖ) قصر يلدز هو القصر الذي كان السلاطين العثمانيون يقيمون فيه، حيث كان كل من يتسلم السلطنة ينتقل هو وأسرته إلى ذلك القصر، وأثناء إقامتي في مدينة استانبول في صيف 1999م زرت قصر يلدز الذي حوّل إلى متحف كبير يجوي في داخله كل ما كان يتعلق بالسلاطين من أثاث منزلي، وأدوات الطبخ، والأسلحة، والهدايا التي أرسلت إليهم، كما يجوي في داخله على بعض آثار الرسول (صلى الله عليه وسلّم) والتي تشمل: بعض شعراته، وسيفه، ودرعه، ورسائله التي كان قد أرسلها إلى المقوقس، وقصر يلدز هو قصر كبير جدا يطلّ على بحر مرمره.

(İİÖ) الرواية الراجحة لديّ هي أن الأستاذ النورسي لم يتمكّن من اللقاء بالسلطان عبد الحميد الثاني بدليل قوله لوزير الأمن وذلك عندما رفض المرتب الذي حدّده السلطان له: (إنني أردّها لكي يتكذّر السلطان ويستدعيني، عند ذلك أجد الفرصة لقول الحق عنده).

(İİİ) كثيراً ما كانت ترفع التقارير إلى السلطان وكانت تحتوي إما على حقائق مشوّهة، أو أخبار معكوسة في بعض الأحيان. (İİİ) يبدو أن السلطان عبد الحميد الثاني لم يستفد من نصيحة الأستاذ النورسي الذي نصحه قبل ذلك بمدة قصيرة ألاّ يعتمد على تقارير المخبرين التي لا تتحرى نقل الحقائق للسلطان، حيث وقع في الخطأ نفسه وأمر بتحويل الأستاذ النورسي إلى مستشفى المجانين دون أن يتحقق إن كان المتهم مجنوناً فعلاً أم لا.

إلا أن وشاية الحاسدين والخصماء أدت بي إلى مستشفى المجاذيب (iii) بأمر السلطان عبد الحميد رحمه الله رحمة واسعة (iiD).

بعد إحالة الأستاذ النورسي إلى مستشفى المجانين جرت بينه وبين الطبيب المعالج محاورة طويلة أجهرت الطبيب ومن حوله، وهنا سوف أورد بعض المقتطفات من كلام الأستاذ النورسي في حوار مع الطبيب المذكور:

(أيها الطبيب المحترم! استمع أنت فسأتكلم أنا، أعطيك دليلاً آخر على جنوني وهو الجواب من دون سؤال! لاشك أنكم ترغبون في الاستماع إلى كلام مجنون غريب، إنني أطلب إجراء الكشف عليّ على صورة محاكمة، وليكن وجدانك هو الحكم، ومن العبث والفضول إلقاء درس في الطبّ إلى طبيب، ولكن واجب المريض أن يعينه في تشخيص العلة، فأرى من الضروري الاستماع إليّ كي لا يكذبكم المستقبل، فخذوا هذه النقاط الأربع بنظر الاعتبار:

أولاهما: إني ترعرعت في جبال كردستان، فعليكم أن تزونا أحوالي التي لا تروق لكم بميزان كردستان لا بميزان استانبول الحضاري الأنيق... ذلك لأن الأخلاق المفضّلة في الأناضول (iiN) هي الجسارة، وعزة النفس، والثبات في الدين، وانطباق اللسان على ما في القلب.

ثانيهما: إن أحوالي وأخلاقي مخالفة للناس، كما هو الحال في ملاسي (iiO) ... إنني مسلم ملتزم ومكثّف بهذا الالتزام والوفاء به من حيث الإسلام، فعليّ أن أفكر فيما ينفع الأمة، والدين، والدولة، ولا أقول ذلك القول الفاسد المमित "ما لي وهذا فليفكر فيه غيري". (أنظر إلى الصورة رقم (5) في ملحق الصور).

ثالثها: لقد أتى ومضى أشخاص نوادر كلِّ سبق زمانه ولكن الناس حملوا أظواهرهم على الجنون... لأنه يجيب على كل مسألة.

رابعتها: إنه من الضروري أن يجتد ويغضب كل من له مزاج عصبي مثلي... فلئن كانت المداهنة، والتملق، والتزلف، وفداء المصلحة العامة في سبيل المصلحة الخاصة تعدّ من مقتضى العقل... فاشهدوا أنّي أقدم براءتي من هذا العقل مفتخراً بالجنون الذي هو أشبه ما يكون بمرتبة من مراتب البراءة (iiO).

(ii) أي مستشفى المجانين.

(iiD) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص514.

(iiN) تنقسم تركيا إلى قسمين: الأناضول وتراقيا، وتقع كردستان تركيا ضمن قسم الأناضول.

(iiO) كان الأستاذ النورسي يلبس اللباس الكردي المعتاد في أغلب أحيان.

(iiO) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص69.

بعد سماع الطبيب المعالج لكلام الأستاذ النورسي كتب تقريره الطيّ للقصر حول الوضع العقلي للأستاذ النورسي بقوله:

(لو كانت هناك ذرّة من الجنون عند بديع الزمان إذاً لما كان هناك عاقل واحد في الدنيا بأسرها) (iiO).

وبعد اطلاع القصر على ذلك التقرير كُلف وزير الأمن شفيق باشا للقيام بتكريم الأستاذ النورسي، فاستدعاه الوزير وجرى بينهما الحوار التالي الذي أورده الأستاذ النورسي بنفسه في سيرته الذاتية:

وزير الأمن: السلطان يسلم عليك، كما أمر بصرف مرتّب شهري لك بمبلغ ألف قرش، وقال إنّه سيرتفع إلى ثلاثين ليرة.

فقلت جواباً: أنا لست متسوّل مرتّب وإن بلغ ألف ليرة، فأنا لم آت إلى هنا إلا من أجل أمّتي وليس من أجل نفسي، ثمّ إنّ ما تحاولون تقديمه لي ليس إلاّ إتاوة (iiO) للسكوت.

الوزير: أنت تردّ إرادة السلطان، وهذه الإرادة لا تردّ.

قلت جواباً: إنّي أردّها لكي يتكدّر السلطان ويستدعيني عند ذلك أجد الفرصة لقول الحق عنده.

الوزير: ستكون العاقبة وخيمة.

الجواب: لو كانت نتيحتها إلقائي في البحر فإن البحر سيكون لي قبراً واسعاً، وإن نقذ إعدامي فأرقد في قلب الأمة.

شفيق باشا: إن اقتراحك بنشر المعارف والعلوم في كردستان هو الآن موضع دراسة في مجلس الوزراء.

بديع الزمان: إذا فلماذا أجّل بحث المعارف، واستعجل في المرتّب؟ وعلى أي أساس تمّ هذا؟ لماذا تفضّلون المنافع الشخصية على المنافع العامة (iiO).

(iiO) أورخان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر، ص 35.

(iiO) إتاوة أي رشوة.

(iiO) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص 74

كانت جمعية الاتحاد والترقي في ذلك الوقت في أوج قوتها وانتشارها، وكان مركزهم الرئيسي في مدينة سلانيك (١٤١٠هـ)، لذا قرّر الأستاذ النورسي السفر إلى تلك المدينة للتعرف على رموز تلك الجمعية، والتعامل معهم عن قرب.

لقد كانت الحرية من أبرز الشعارات التي رفعتها جمعية الاتحاد والترقي لذلك قام الأستاذ سعيد النورسي بإلقاء خطاب شهير في ساحة الحرية في مدينة سلانيك، وشرح فيه المفهوم الصحيح للحرية، وأن الحرية التي يجب أن ينادى بها هي الحرية التي تكون في إطار الشريعة الإسلامية، لا الحرية الفوضوية التي لا حدود لها.

بعد سماع رجال الاتحاد والترقي بقدوم الأستاذ سعيد النورسي إلى مدينة سلانيك واطلاعهم على شهرته وقوة تأثيره على الناس حاولوا كسبه إلى صفوفهم حيث التقى به اليهودي المعروف (عمانويل قره صو) _العضو البارز في جمعية الاتحاد والترقي_ محاولاً جرّه إلى صفوف جمعيته إلا أنه وبعد شيء من الحوار والمناقشة قاطع (قره صو) الجلسة قائلاً: (لقد كاد هذا الرجل العجيب أن يزيحني بحديثه في الإسلام) (١٤١٠هـ)، وبعد ذلك عاد الأستاذ النورسي إلى مدينة استانبول مرّة أخرى.

الأستاذ النورسي مع مفتي الديار المصرية:

في سنة 1908 زار الشيخ (محمد بجيت) (١٤١٠هـ) مفتي الديار المصرية مدينة استانبول، فحاول البعض ترتيب لقاء بينه وبين الأستاذ النورسي لعلّه يستطيع إفحامه، وفعلاً التقى المفتي بالأستاذ النورسي، وجرى بينهما مناقشة طويلة، ومن الأسئلة التي وجهها المفتي للأستاذ النورسي:

(ما تقول في حقّ هذه الحرية العثمانية، والمدنية الأوروبية؟ فأجابه سعيد: إن الدولة العثمانية حاملة بدولة أوروبية وستلدها يوماً ما، وإن أوروبا حاملة بالإسلام وستلده يوماً ما، فقال له الشيخ

(١٤١٠هـ) مدينة تقع في شمال شرق اليونان وقد كانت ولاية تابعة للدولة العثمانية، وكانت المدينة مستقراً لليهود (الدوغة) وكان فيها محفل من محافل الماسونية.

(١٤١٠هـ) Ì. محسن عبد الحميد، النورسي متكلم العصر الحديث، القاهرة، دار سوزلر للنشر- فرع القاهرة د. 16Ö jË.

(١٤١٠هـ) هو الشيخ محمد بجيت بن حسين المطيعي الحنفي، مفتي الديار المصرية، ومن كبار فقهاءها، ولد في بلدة (المطبعة) التابعة لمحافظة أسيوط من صعيد مصر، وتعلّم في الأزهر واشتغل بالتدريس فيه، وانتقل إلى القضاء الشرعي سنة (1297=1879ã) واتصل بالسيد جمال الدين الأفغاني، ثم عيّن مفتياً للديار المصرية سنة 1333هـ 1914م إلى سنة 1343هـ 1924م، وله كتب قيمة وتوتّي سنة 1345هـ 1926ã. (نقلًا عن الإعلام لخير الدين الزركلي 274/6).

الجليل: وأنا أصدّق ما يقوله، ثم قال لمن حوله من العلماء: لا يناظر هذا الشاب، ولا أتمكّن أن أغلبه) (١٤٣).

حادثة 31 آذار 1909:

في ليلة 31 آذار من سنة 1909م حدث تمرد من قبل بعض أفراد الجيش في استانبول حيث احتجزوا بعض الضباط في ثكنة عسكريّة، وبعد ذلك ازداد عدد المتمرّدين حيث انظم إليهم بعض الجنود من المعسكرات الأخرى، كما انظم إليهم بعض طلاب المدارس الدينيّة، وبعض المتصوّفة لأنّ المتمرّدين كانوا ينادون نريد الشريعة.. نريد الشريعة، وهكذا تفاقم الأمر يوماً بعد يوم ولم يستطع السلطان عبد الحميد السيطرة على الوضع، والذي يبدو لي هو أن الحادثة كانت مدبّرة من قبل رجال الاتحاد والترقي لكي يتخذوها ذريعة للتدخل العسكري بحجة الحفاظ على أمن استانبول وهو ما وقع فعلاً، فقد أرسلت جمعية الاتحاد والترقي جيشاً من مدينة سلانيك إلى استانبول بقيادة (محمد شوكت باشا) أطلق عليه اسم (جيش الحركة)، ومن الجدير بالذكر أن القوة المذكورة لم تكن جيشاً نظامياً بل كانت عبارة عن خليط غير متجانس من العصابات، والغوغائيين من الأرمن، والألبان، ويهود مدينة سلانيك، بالإضافة إلى بعض الجنود الأتراك.

وبعد وصول جيش الحركة إلى استانبول أعلنت الأحكام العرفية، وخلع السلطان عبد الحميد الثاني (١٤٣)، وشكلت المحاكم العسكريّة لمحاكمة المسؤولين عن تلك الحادثة، وكان الأستاذ النورسي ضمن الذين قدّموا للمحاكمة، أما التهمة التي وجهت له فهي مقالته التي نشرها في جريدة وولقان (١٤٣)، وأنه أيضاً كان يدعو إلى تطبيق الشريعة، ويتحدّث الأستاذ سعيد النورسي عن محاكمته فيقول:

(لقد قلت في المحكمة العسكريّة العرفيّة في أثناء حادثة (31) مارت: إنني طالب شريعة، لذا أزن كل شيء بميزان الشريعة فالإسلام وحده هو ملتي لذا أقيّم كل شيء وأنظر إليه بمنظار

(١٤٣) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتيّة، ص84.

(١٤٣) لا نريد هنا الخوض في التفاصيل لأننا تحدّثنا عن تلك الفترة في الفصل التمهيدي بالتفصيل.

(١٤٣) جريدة وولقان وتعني البركان، كانت الجريدة لسان حال جمعية الاتحاد المحمّدي، وكان السيد درويش وحدتي رئيس تحريرها، وقد عرف عنه شدّة عدائه لجمعية الاتحاد والترقي حيث كان يكتب مقالات عنيفة في الجريدة المذكورة ضدّهم وقد نهه الأستاذ النورسي على خطورة ذلك على حياته مراراً إلا أنّه لم يعمل بنصيحته مما أدّى إلى اعتقاله ومن ثمّ إعدامه على يد الاتحاديين.

الإسلام... لقد كانت هذه الحكومة تحاصم العقل أيام الاستبداد، إلا أنها الآن تعادي الحياة بأكملها، فإن كانت الحكومة على هذا الشكل والمنطق فليعيش الجنون، وليعيش الموت، ولتعش جهنم مثوى للظالمين... في الأيام الأولى من التحقيق سألوني مثلما سألوا غيري:

وأنت أيضا قد طالبت بالشرعية؟

قلت: لو كان لي ألف روح، لكنت مستعدا لأن أضحي بها في سبيل حقيقة واحدة من حقائق الشرعية، إذ الشرعية سبب السعادة، وهي العدالة المحضة، وهي الفضيلة، أقول: الشرعية الحقّة لا كما يطالب بها المتمردون... (١٤٥).

بعد نقاش طويل بين الأستاذ النورسي وأعضاء المحكمة العسكرية برأت المحكمة الأستاذ سعيد النورسي وأطلقت سراحه.

عودة الأستاذ النورسي إلى وان:

في سنة 1911م، قام الأستاذ سعيد النورسي بجولة واسعة بين العشائر الكردية في كردستان تركيا، كما زار مدينة "Erbil" التي قضى فيها فترة غير قصيرة من حياته قبل سفره إلى استانبول، وخلال جولته بين العشائر الكردية كان الأستاذ النورسي يث الوعي الديني بين الناس، وكان يلقي عليهم الخطب والدروس الدينية، والنصائح الاجتماعية، كما كان يحتّمهم على المطالبة بحقوقهم المشروعة، وكان يبيّن لهم مساوئ الاستبداد في الحكم، ويتحدث لهم عن المشروطة ومحاسنها، هذا وقد أورد الأستاذ النورسي أخبار جولته تلك في كتابه (رجلة العلماء) بالتفصيل، وضمنها الأسئلة التي وجهها إليه العشائر الكردية مع أجوبته على تلك الأسئلة أثناء إلقاءه للدروس والخطب هناك (١٤٦).

رحلة الأستاذ النورسي إلى بلاد الشام:

(١٤٥) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص69.
(١٤٦) سوف نعود للحديث عن جولة الأستاذ النورسي بين العشائر الكردية وذلك عند الحديث عن فاعلية حركة النور بين الكرد.

بعدما قضى الأستاذ سعيد النورسي عدّة سنوات من عمره في نشر أفكاره الإصلاحية بين الكرد، والترك، وغيرهم من الشعوب التي تعيش في تركيا شعر أنّ أفكاره الإصلاحية يجب أن لا تنحصر في تركيا فقط، بل يجب أن تصل إلى الاخوة العرب أيضا في البلدان العربية، والأستاذ النورسي رغم وصول الكثير من رسائله إلى البلدان العربية مثل سوريا، والعراق، ومصر، والسعودية، إلّا أنّه لم يكتف بذلك بل قرّر السفر إلى بعض تلك البلدان بنفسه لكي يقوم بنشر أفكاره الإصلاحية هناك، ولكي يفيد ويستفيد في آن واحد، لذلك سافر في شتاء عام 1911م إلى بلاد الشام، وعند وصوله إلى مدينة دمشق ذهب إلى الجامع الأموي واستقبل من قبل علمائها ووجهائها استقبالاً رائعاً، وطلبوا منه إلقاء خطبة على الناس في الجامع المذكور فألقى الأستاذ النورسي فيها خطبته المشهورة بـ(الخطبة الشامية) تلك الخطبة التي أثارت إعجاب الحاضرين ونالت استحسانهم، هذا وقد طبعت تلك الخطبة مرّات عدّة باللغة العربية، والتركية، والكردية، وغيرها من اللغات، وقام الأستاذ النورسي بتنقيحها، وتصحيحها بنفسه، يقول الأستاذ سعيد النورسي في مقدمة إحدى الطبعات:

هذه الرسالة العربية قد أُلقيت درسا في الجامع الأموي بدمشق قبل أربعين عاماً وذلك بناء على إصرار العلماء هناك، واستمع إليها ما يقرب من عشرة آلاف شخص، بينهم ما لا يقلّ عن مائة من كبار علماء الشام.

والآن وقد بدأ تبشير تحقق ما أخبر عنه تلوح في أفق العالم الإسلامي، بمعنى أن هذا الدرس المهم ليس مجرد خطبة قديمة قد عفا عليها الزمن، بل هو درس اجتماعي إسلامي، يحتفظ بكامل جدته، وطراوته، وحقيقته طوال هذه الفترة، وكلّ الذي حدث هو أن عام 1327هـ^(١٣٢٧) قد أصبح عام 1371هـ، وأن الجامع الأموي قد حلّ محلّه جامع العالم الإسلامي الذي يضمّ ثلاث مائة وسبعين مليون نسمة^(١٣٧١)(^{١٣٧١}).

وفيما يلي سوف أنقل بعض الفقرات من تلك الخطبة كما هي، أي من النسخة التي لم يشملها التنقيح والتصحيح وذلك لأنها أقرب إلى النصّ الذي ألقاه الأستاذ في تلك الخطبة:

^(١٣٧١) لعلّ في ذكر هذا التاريخ سهوا من قبل الأستاذ النورسي، لأنّ سنة 1327هـ تقابل سنة 1909م، والسنة التي ألقى فيها الأستاذ الخطبة الشامية هي سنة 1911م، وتقابلها سنة 1330هـ.

^(١٣٧١) كان ذلك تعداد المسلمين آنذاك.

^(١٣٧١) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالح، ط 1، استانبول - تركيا، دار سوزلر للنشر، 1416هـ - 1995jã 481.

(التحيات لله الذي قال { لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ } (١٦٦) والصلاة على محمد الذي قال: (جئت لأتمم مكارم الأخلاق) (١٦٧).

وبعد... يا أيها الإخوان العرب... ما قمت هذا المقام لإرشادكم لأنه فوق حدّي، بل مثلي معكم كمثل صبيّ ذهب إلى المدرسة ثمّ رجع في المساء إلى أبيه فعرض درسه على أبيه، نعم نحن الأكراد صبيان بالنسبة إليكم، وأنتم أساتيدنا،... ثمّ إنّي تعلمت من زماننا أنّ الذي أوقفنا في القرون الوسطى _ مع طيران الأجنبي في الترقّي إلى الاستقبال _ (سته أمراض) وهي: حياة اليأس... وموت الصدق... ومحبة العداوة... والجهل بالرابطة النوراتية... والاستبداد المتنوع... وقصر الهمة على الشخصية.

إنّ اليأس أشدّ مرض ألمّ بالإسلام... وهو الذي قتلنا، وأمات أخلاقنا العالية... وكسر قوتنا المعنويّة، حتّى أن المرء بتكاسل غيره يقع في اليأس والفتور، ويظن قصور غيره عذرا لقصوره... ألا فلنأخذ قصاصنا من (اليأس) الذي قتلنا، ولنضربه بسيف (فلا تقنطوا) (١٦٨)، ولنكسر ظهره ب(ما لا يدرك كلّ لا يترك جلّه).

يا هؤلاء: لا تعتذروا بأننا لا نضر ولا نقدر النفع، إنّ كسلانكم واعتزالكم ضرر أي ضرر علينا، وكذا إنّ الحسنة لا تتوقّف على فاعلها، بل تسري إلى ملايين من النفوس فتقوي رابطة حياتهم.

أيها الإخوان: لا تظنوني أنّي قمت لنصيححتكم، بل أدعي منكم حقنا... لأن منافعنا مربوطة بكم، فبتكاسلكم نتضرّر...

يا معشر العرب: إنّ أوّل من يخاطب بهذا الكلام أنتم بأنكم أساتيدنا، وكنتم أئمتنا، وحمّة الإسلاميّة... فذنبكم أعظم وأعظم... وحسنتكم هي العليا...
إنّي بكمال التأسف أقول:

إنّ الأجنبي كما أخذوا أموالنا الغالية، وأعطوا بدلها ثمنا بخسا،... كذلك سرقوا أخلاقنا العالية التي تنبت من معدن الدين الحق، وأعطوا في مقابلها أخلاقهم السيئة... مثلاً إنّ الرجل منهم يقول: "إن أمت فليحيا [كذا] (١٦٩) ملّي فإن لي فيها حياة باقية" هذه في الأصل كلمتنا التي تولدت

(١٦٦) الزمر، 53.

(١٦٧) الحديث أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة بلفظ: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق). أحمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج2، بيروت-لبنان، المكتب الإسلامي، د. 3810.

(١٦٨) يقصد قوله سبحانه في الآية (53) من سورة الزمر { قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ } (١٦٩) ولعلّ الصواب فلتحيا.

من الدين الحق وهي الأساس المتين لتزقياتهم سرقتها منا... والرجل منا يقول: "إن أمت عطشا فلا نزل القطر، إن لم أر فلتكن الدنيا كما شاءت" هذه هي الكلمة الحمقاء التي تولدت من عدم الدين، وعدم الإقرار بالآخرة قد تداخلت إلينا... فليحيا الصدق... ولا عاش اليأس... فلتدم المحبة... ولتقوى الشورى... إن الملام على من اتبع الهوى والسلام على من اتبع الهدى (١٦٧).

وبعدما قضى الأستاذ النورسي عدّة أيام في دمشق مع علمائها، وعامة الناس هناك، سافر منها إلى مدينة بيروت، أما أعماله ونشاطاته في بيروت فلم أقف على أيّة معلومات حولها، وقد اتجه من بيروت عن طريق البحر إلى مدينة أزمير (١٦٧) الساحلية في تركيا، ومنها اتجه إلى استانبول لمواصلة نشاطاته الإصلاحية.

وبعد عودته إلى استانبول رافق السلطان محمد رشاد في إحدى رحلاته، وكثّر مطالبته بفتح جامعة الزهراء في كردستان تركيا، ويتحدث الأستاذ النورسي عن تلك الرحلة فيقول: (رافقت أيضا السلطان رشاد في سياحته إلى "الروم إيلي" (١٦٧) ممثلاً عن الولايات الشرقية، وذلك في بداية عهد الحرية) (١٦٧).

وفي تلك الأثناء وافق السلطان محمد رشاد على مقترح الأستاذ النورسي لإنشاء جامعة الزهراء في كردستان تركيا، وخصّص مبلغاً من المال قدره (19) تسعة عشر ألف ليرة ذهبية للغرض المذكور، وبوشر بالعمل في بناء الجامعة في مدينة وان وأرسيّت قواعدها فعلاً إلا أنّ أحداث الحرب العالمية الأولى حالت دون إتمام بناء الجامعة المذكورة.

الأستاذ سعيد النورسي والعمل العسكري:

كان الأستاذ سعيد النورسي شخصيّة متعددة المواهب، حيث جمع في شخصه عدّة شخصيات، فما كان يعمل في جانب من جوانب الحياة إلاّ ويبدع فيه، ويحقق ما عجز عن تحقيقه

(١٦٧) بديع الزمان سعيد النورسي، رجّة العلماء المسماة برجّة الخواص وبآجرها رجّة العوام، تركيا، أنقرة، مطبعة النور، 1958jäl 230 وما بعدها.

(١٦٧) مدينة تقع في غرب تركيا على ضفاف بحر إيجه. (أنظر إلى موقع المدينة على الخريطة في ص 67).

(١٦٧) كان مصطلح روم إيلي يطلق على المناطق الأوروبية التي كانت خاضعة للحكم العثماني ويقطنها المسلمون.

(١٦٧) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص 116.

المختصون في ذلك المجال، فقد مرّ معنا قبل الآن كيف استطاع أن يصبح أعجوبة في مجال العلوم الشرعية، وكيف استطاع التفوق على الكثير من أصحاب العلوم الحديثة إلى درجة التأليف في عدد من تلك العلوم، أما بالنسبة للجانب الخطابي فقد أبدع فيه أيما إبداع، وخطبه المتعددة في المناسبات المختلفة خير شاهد على ذلك، وعندما عمل فترة في الصحافة كانت لمقالاته رونقا ونوراً على صفحات الجرائد والصحف التي كان يكتب فيها، وكان لأسلوبه في الكتابة تأثير كبير على القراء.

أما الجانب العسكري في حياة الأستاذ النورسي والذي نحن بصدد الحديث عنه فلا يقلّ أهميته عن أهمية الجوانب الأخرى في حياته يرحمه الله، فقد كان يمتلك جسماً رشيقاً، وكانت بنيته الجسميّة، ولياقته البدنيّة تتناسبان مع ميوله العسكريّة، ولا ننسى أن النورسي منذ شبابه كان يجري مع بعض طلابه تدريبات عسكريّة، ورياضيّة متنوّعة.

النورسي وقيادة القوات الفدائيّة سنة 1912:

بعد تسلّم رجال الاتحاد والترقي الحكم في تركيا اتفقت أربع دول وهي: بلغاريا، وصربيا، والجبل الأسود، واليونان على إعلان الحرب ضدّ تركيا، ولم تكن تركيا مهيأة لخوض الحرب مع أربع دول في آن واحد، لذا خسرت في حربها مع تلك الدول، وخرجت أراضي واسعة عن سيطرتها في أعقاب الحرب، وكانت مشاركة الأستاذ النورسي فعّالة في تلك الحرب، حيث تسلّم قيادة قوات المتطوعين القادمين من كردستان تركيا، وبعد ذلك أصبح عضواً في التشكيلات الخاصّة (İnkı) ، وقد اشتهر الأستاذ النورسي وطلّابه بالبسالة والشجاعة، ودقّة التصويب، وإليهم يعود الفضل في وقف عصابات الأرمن عند حدّهم، فقد كان الأرمن وبدعم من روسيا يقومون بشنّ الهجمات على القرى الحدوديّة، ويرهبون الأطفال، والنساء، والشيوخ، وبعد عدّة مواجهات بينهم وبين قوّة الأستاذ النورسي تراجعت العصابات الأرمنيّة إلى الوراء، وكانوا يتحاشون المصادمة مع طلاب النورسي، وفي ذلك يقول الأستاذ النورسي:

(İnkı) كانت التشكيلات الخاصّة مؤسسة عسكريّة أمنيّة سرّيّة تشكّلت بأمر من السلطان للحفاظ على وحدة أراضي الإمبراطوريّة الإسلاميّة ومحاربة أعدائها، وكانت ضمن هذه التشكيلات قسم الاتحاد الإسلامي وانظم إليه كثير من الكتاب ورجال الفكر وكان بديع الزمان من أنشط أعضائه. (أنظر: بديع الزمان سعيد النورسي الإنسان والإيمان، ترجمها إحسان قاسم الصالح، وقدم لها علي محي الدين القرداغي، القاهرة، 1983 jã 370).

(ولمناسبة هذه المواقف سألوني: إن عصابات الأرمن التي تملك فدائيين رهيبين تخشاكم، حتى أنها تجنبت الاحتكاك معكم، وتفترقوا بعيدا عنكم لما صعدتم جبل "BNA" في "äæ" ترى ما القوة التي فيكم حتى يكون الأمر هكذا؟ فكنتم أجيبهم: إن فدائيي الأرمن الذين يقومون بهذه البطولات الخارقة إنما يقومون بها في سبيل الحصول على حياة دنيوية فانية، ولأجل كسب مصلحة قومية مؤقتة صغيرة وللحفاظ على سلامتها... ونحن نجابه هؤلاء بالطلاب الذين يسعون في سبيل الحصول على حياة باقية خالدة، ولأجل كسب مصالح إيجابية لأمة الإسلام السامية العظيمة، وقد أيقنوا بأن الأجل واحد لا يتغير... (١٥٠)).

الأستاذ سعيد النورسي في الحرب العالمية الأولى:

قبل بدء الحرب العالمية الأولى كان الأستاذ سعيد النورسي يدرك أن حربا كبيرة سوف تقع قريبا، وقد صدرت منه عدة إشارات بخصوص الحرب العالمية الأولى قبل وقوعها، فكثيرا ما كان يخبر طلابه أن زلزلة عظيمة سوف تقع قريبا، وعلى الرغم من معارضته لمشاركة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى إلا أنه لما أعلنت الحرب اشترك هو وطلابها فيها، وقد سقط المئات من طلابه شهداء في تلك الحرب.

عندما بدأت الحرب العالمية الأولى كان الأستاذ النورسي في استانبول، فقام مع مجموعة من العلماء بإصدار فتوى الجهاد، ومن أولئك العلماء:

1- شيخ الإسلام خيري أفندي.

2- الشيخ صالح شريف السنوسي.

3- حمدي يازر.

4- محمود أسعد أفندي.

5- الأستاذ سعيد النورسي.

وثيقة تثبت قيادة الأستاذ النورسي لفرق المتطوعين الكرد أثناء الحرب العالمية الأولى

وفي غمرة الحرب العالمية الأولى، وتحت دويّ القذائف ألف الأستاذ النورسي كتابه الرائع "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" وهو كتاب في التفسير ألفه الأستاذ النورسي باللغة العربية وقد أملاه على تلميذه الملاّ حبيب قبل أن يستشهد هذا الأخير رحمه الله.

لقد كانت روسيا تحاول بكل جهودها كسر جبهة الأناضول، وبعد عدّة محاولات تمكن الجيش الروسي من دخول مدينة أرضروم وذلك في 1916/2/16، وبعدها دخلت مدينة بدليس فانسحب الجيش العثماني، إلا أن الأستاذ النورسي بقي هو وثلة من طلابه الشجعان داخل قلعة بدليس يواجهون الجيش الروسي بأسلحتهم البسيطة، وقد استمروا في المواجهة إلى أن تمكن الأهالي من النساء والصبيان والشيوخ من الانسحاب من المدينة والتوجه نحو مناطق آمنة.

وفي تلك المعركة الدفاعية جرح الأستاذ النورسي جرحا بليغا وكسرت ساقه، وبقي هو وأحد طلابه محتبئين داخل بركة ماء بارد جداً لمدة يومين تقريباً وقد أغمي عليه عدّة مرات بسبب النزيف والألم الشديدين في ساقه المكسور، وبعدها رأى تلميذه أن الأستاذ النورسي سوف يهلك إن بقي في تلك الحالة خرج من المخبأ وأخبر الجنود الروس بموضع الأستاذ النورسي، وهكذا وقع النورسي في أسر الجيش الروسي وكان ذلك في سنة 1916.

الأستاذ سعيد النورسي في الأسر:

بعد وقوع الأستاذ سعيد النورسي في الأسر قام الجنود الروس بمداواة جرحه، ومعالجة ساقه المكسور، وأرسل مع مجموعة كبيرة من الأسرى إلى إحدى معسكرات الأسر في مدينة "قوصتورما" ورغم كون الأستاذ النورسي أسيراً إلا أنه لم يترك واجب الدعوة والإرشاد حيث كان يلقي دروسه على الأسرى، ويرشدهم إلى الخير والصلاح، يقول الأستاذ النورسي في ذلك:

(عندما كنت أسيراً في روسيا... وكنت في قوشتورما مع تسعين من ضباطنا الأسرى في ردهة واحدة وكنت ألقى عليهم أحيانا الدروس، وذات يوم حضر القائد الروسي وشاهد الموقف وقال **Ää** هذا الكردي قائد المتطوعين قد ذبح الكثير من جنودنا وبأتي الآن ويلقي دروساً سياسية هنا، لا يمكن هذا امنعه قطعاً، ولكن بعد يومين قال: يبدو أن دروسكم غير سياسية، بل دينية، وأخلاقية، استمر عليها، فسمح بإلقاء الدرس، وعلى الرغم من أن الروس كانوا ينظرون إليّ بصفة قائد للمتطوعين الأكراد، والظالم الذي يذبح الأسرى والقزاق، إلا أنهم لم يمنعوني من إلقاء الدروس، فكنت ألقئها على معظم زملائي الأسرى من الضباط البالغ عددهم تسعين ضابطاً) **(İÖ)**.

والأستاذ النورسي رغم كونه أسيراً لدى الروس إلا أنه لم يتخلل عن إباته وعزته الإيمانية، فقد روى أحد الأسرى الذين كانوا مع الأستاذ النورسي الحادثة التالية حيث يقول:

(عندما جرحت وأسرت في موضع "بتليس" في الحرب العالمية الأولى، وقع بديع الزمان أيضاً في اليوم نفسه أسيراً، فأرسل إلى أكبر معسكر للأسرى في سيبيريا، وأرسلت إلى جزيرة "نانكون" التابعة لـ"باكو"، في يوم من الأيام عندما يزور نيقولا نيقولا فيج المعسكر المذكور للتفتيش يقوم له الأسرى احتراماً وعندما يمرّ من أمام بديع الزمان لا يحرك ساكناً، ولا يهتمّ به، مما يلفت نظر القائد العام، فيرجع ويمرّ من أمامه بحجة أخرى فلا يكثرث به أيضاً، وفي المرة الثالثة يقف أمامه، وتجري بينهما المحاورّة التالية بواسطة المترجم:

- أما عرفنتني؟

- نعم لقد عرفته إنه نيقولا نيقولا فيج حال القيصر والقائد العام لجبهة القفقاس.

- فلم إذن قصد الإهانة؟

- كلاً معذرة إنني لم أستهن به، وإنما فعلت ما تأمرني به عقيدتي.

- وماذا تأمر العقيدة؟

-إنني عالم مسلم أحمل في قلبي الإيمان، فالذي يحمل الإيمان في قلبه أفضل ممن لا يحمله، فلو أنني قد قمت له احتراماً لكنت إذن قليل الاحترام لعقيدتي، ولهذا لم أقم له.

- إذن فهو بإطلاقه صفة عدم الإيمان عليّ يكون قد أهانني، وأهان جيشي، وأهان أمّتي، والقيصر فلتشكل حالاً محكمة عسكرية للنظر في استجوابه.

وتشكّلت محكمة عسكرية بناء على هذا الأمر، ويأتي الضباط الأتراك، والألمان، والنمساويون (١٥٠٣) للإلحاح على بديع الزمان بالاعتذار من القائد الروسي، وطلب العفو منه إلا أنه أجابهم بالآتي: "إني راغب في الرحيل إلى دار الآخرة، والمثول بين يدي الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فأنا بحاجة إلى جواز سفر فحسب للآخرة، ولا أستطيع أن أعمل بما يخالف إيماني...".^١

وتجاه هذا الكلام يؤثر الجميع الصمت منتظرين النتيجة، وتنتهي المحكمة أعمالها بإصدار قرار الإعدام بموجب مادة إهانة القيصر، والجيش الروسي، وتحضر مفرزة يقودها ضابط روسي لأخذه إلى ساحة الإعدام، ويقوم بديع الزمان إلى الضابط الروسي قائلاً له بابتهاج: اسمحوا لي خمس عشرة دقيقة فقط لأداء واجبي، فيقوم إلى الوضوء وأثناء أدائه الصلاة يحضر نيقولا نيقولا فيج ويخاطبه:

أرجو منك المعذرة كنت أظنّ أنكم قمتم بعملكم هذا قصد إهانتني فاتخذت الإجراءات القانونية بحقكم، ولكن الآن أدركت أنكم تستلهمون هذا العمل من إيمانكم، وتنفذون ما تأمركم به عقيدتكم، لذا أبطلت قرار الحكم بحقكم، إنكم تستحقون كل تقدير وإعجاب لصلاحكم وتقواكم، أرجو المعذرة فقد أزعجتكم، وأكثر رجائي مراراً أرجو المعذرة.

إنّ هذه العزة الدينية، وهذه السجّية الرفيعة التي هي قدوة حسنة للمسلمين جميعاً أخبر عنها أحد أصحابه في معسكر الأسر، وهو برتبة نقيب وكان شاهداً عياناً للحادثة (١٥٠٣).

فرار الأستاذ النورسي من الأسر:

بقي الأستاذ النورسي في الأسر الروسي سنتين ونصف السنة تقريباً، عانى خلالها الكثير من المتاعب إلا أنه رغم ذلك لم يتخلّ عن مهمته الأساسية المتمثلة في إرشاد الناس، وتوعيتهم، وتعليمهم أمور دينهم.

إنّ حياة الغربة قاسية جداً على المرء، فما بالك بحياة الأسر في الغربة، لا شك أنّها تزداد قسوة، ولا يطيقها أي إنسان مهما كانت أعصابه باردة، وقلبه قاسياً، فكيف بإنسان مثل الأستاذ النورسي صاحب القلب الرقيق، لذلك كانت تلك الأيام تمرّ عليه وكأنها سنين طوال، يقول الأستاذ النورسي عن حالته النفسية في تلك الفترة:

(١٥٠٣) لقد كان أولئك الضباط أيضاً ضمن الأسرى لدى الروس.
(١٥٠٣) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص 130.

(كان الأرق يصيبني كثيراً في تلك الليالي الحالكة السوداء المتسريلة بأحزان الغربة القائمة، حيث لا يسمع إلاّ الخرير الحزين لنهر "فولغا" (١٥٥)، والأصوات الرقيقة لقطرات الأمطار، ولوعة الفراق في صفير الرياح.. كل ذلك أيقظني مؤقتاً من نوم الغفلة العميق... ورغم أنني لم أكن أعد نفسي شيخاً بعد، ولكن من يرى الحرب شيخ، حيث أيامها يشيب من هولها الولدان، وكأن سرّاً من أسرار الآية الكريمة {يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا} (١٥٦) قد سرى فيها، ومع أنني كنت قريباً من الأربعين إلاّ أنني وجدت نفسي كأنني في الثمانين من عمري.

أما روحي التي تذكّرت أحبابي القدامى في بلدي، وتخيّلت موتي في هذه الغربة... على أي حال فقد أصبح عجزى، وضعفي في تلك الليلة المحزنة الطويلة الحالكة بالفرقة، والرقّة، والغربة، وسيلتين للتقرّب إلى العتبة الإلهية (١٥٧).

بينما كان الأستاذ النورسي يعيش في تلك الأجواء الثقيلة جدّاً على النفس، وبينما كان يتذكّر أحبابه، وأصحابه في بلده، أحسّ بهاجس يحثّه على الفرار من الأسر، فاستجاب لذلك الهاجس وقرّر الفرار من الأسر الروسي، فسار مشياً على الأقدام يقطع الوديان، والجبال، والصحاري، إلى أن وصل إلى "وارشو" عاصمة بولندا، ومنها توجه إلى النمسا مروراً بألمانيا إلى أن وصل إلى مدينة استانبول، يقول الأستاذ النورسي في ذلك:

(... وهكذا نجوت من ذلك الأسر بسهولة تدعو إلى الدهشة حيث أكملت سياحة الفرار الطويل بسهولة ويسر كبيرين، بحيث لم يكن لينجزها أشجع الأشخاص وأذكاهم وأمكرهم وممن يلمّون باللغة الروسية (١٥٨).

(١٥٥) نهر (فولغا) نهر مشهور في روسيا ينصبّ في بحر الخرز.

(١٥٦) المزمل، 17.

(١٥٧) بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص36.

(١٥٨) بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص361.

Offener Befehl
Nr. 63
ОТКРИТЬ ЛИСТЪ
N°



آچيق امر
نومرد ۶۳
számú
Nyilt parancs

für Herrn ... } Said Mirza } für részere
за Господниъ... }
Căușebonă ție...
Truppenteil... }
Csapatfest... } Kurd isai Mogy }
Отъ кои войско... }
на честь... }
Staatsangehörigkeit... }
Honosság... } Osmanki }
Илдацистао... }
Reist von... }
Utazik... } Sofia }
Иагуна отъ... }
nach... }
за... } Istanbul }
Zweck der Reise... }
Az utazás célja... }
Причини на пътуването... }
بو آچيق امر... }
تاریخ... }
مصدر... }
Dieser Ausweis - offene Befehl - ist nur gültig im Zusammenhang mit...
ausgestellt von...

الترخيص الذي منح للأستاذ النورسي للعودة إلى استانبول بعد فراره من الأسر

الروسي، ويحتوي على المعلومات التالية:

الاسم: سعيد ميرزا أفندي.

الرتبة: مساعد القائد.

القوة: فرقة فدائيي الكرد.

مكان المغادرة: صوفيا.

المكان الذي سيتوجه إليه: استانبول.

سبب السفر: العودة من الأسر.

17/حزيران/ 1334 رومي 1918.

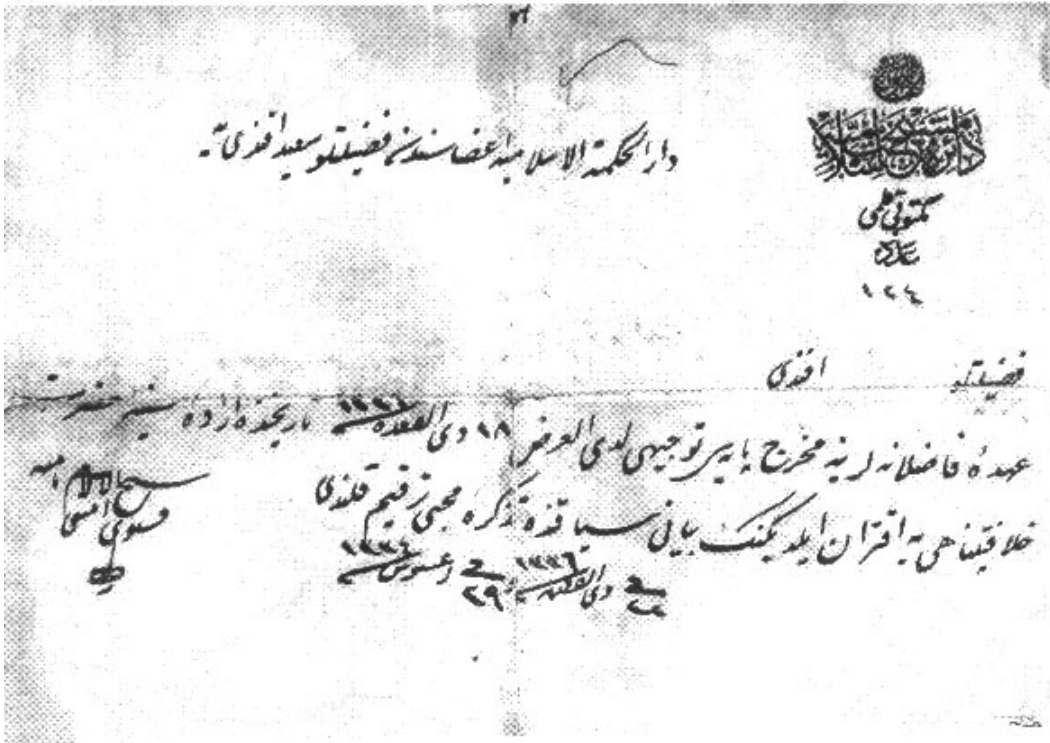
وعندما وصل الأستاذ النورسي إلى استانبول في (19 رمضان 1336هـ) الموافق 8 تموز

1918م، استقبل استقبال الأبطال من قبل السلطان وحيد الدين (محمد السادس)، وشيخ الإسلام، والقائد العام، وطلبة العلوم الشرعية، وأهدته وزارة الحربية مكافأة مالية قدرها (150) ليرة ذهبية، مع ميدالية حربية تقديراً لمواقفه البطولية التي قدمها في جبهات القتال أثناء الحرب مع الروس.

الأستاذ سعيد النورسي عضواً في دار الحكمة الإسلامية:

عيّن الأستاذ النورسي عضواً في دار الحكمة الإسلامية (İÖÖ) باستانبول، وكان راتبه خمسون ليرة ذهبية، إلا أنه لم يكن يأخذ من الراتب المخصص له سوى ما يكفيه لسدّ حاجاته الأساسية، ويدفع الباقي إلى ابن أخيه عبد الرحمن كي يصرفه على الفقراء، والذي يبدو أن دار الحكمة تلك لم تستطع أداء دورها المطلوب، وقد سئل الأستاذ النورسي يوماً عن سبب ذلك فأجاب:

(إن أعضاء دار الحكمة غير قادرين على الامتزاج فيما بينهم، بل حتى الاختلاط، فلكلّ منهم مزايا خاصّة به، ولم تتولّد بينهم روح الجماعة، إذ "أنا" كلّ منهم إلى حدّ لا ينحرق ولا يتمزّق



كي يتحوّل إلى "نحن" لذا اضطلعوا في مساعيهم بدستور المشاركة فيما أهملوا دستور التعاون⁽¹⁰⁾.

الطلب الذي قدّمه شيخ الإسلام إلى السلطان لمنح الأستاذ النورسي مرتبة علمية عالية في دار الحكمة الإسلامية.

(10) كانت دار الحكمة الإسلامية مؤسسة علمية تابعة للمشيخة الإسلامية العامة للدولة العثمانية، وكانت لا تضم إلا كبار العلماء أمثال: محمد عاكف (شاعر الإسلام في تركيا)، وإسماعيل حقي أزميرلي، وحمد المالملي، وغيرهم وقد عيّن الأستاذ النورسي في تلك المؤسسة لأنه كان ضليعا في علم الحديث النبوي.

(11) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص136.



فلسطين
بدمشق

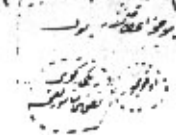
دولة سوريا - دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل العلم نوراً والحق نوراً والعدل نوراً

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً والحق نوراً والعدل نوراً
الحمد لله الذي جعل العلم نوراً والحق نوراً والعدل نوراً

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً والحق نوراً والعدل نوراً
الحمد لله الذي جعل العلم نوراً والحق نوراً والعدل نوراً

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً والحق نوراً والعدل نوراً
الحمد لله الذي جعل العلم نوراً والحق نوراً والعدل نوراً



الفرمان الذي صدر بخصوص قبول عضوية الأستاذ النورسي في دار الحكمة

الأستاذ سعيد النورسي في آنقرة:

بعد سيطرة جمعية الاتحاد والترقي على الحكم في تركيا قاموا باختيار آنقرة عاصمة لحكمهم، وكان مصطفى كمال أتاتورك يقيم هناك حيث وجود مجلس المبعوثان (البرلمان)، وقد دعي الأستاذ النورسي مراراً لزيارة آنقرة واللقاء بمجلس المبعوثان إلا أنه كان يمتنع عن الذهاب إلى هناك مبرراً ذلك بقوله:

(إنني أريد أن أجاهد في أكثر الأماكن خطراً من وراء الخنادق، وأرى أن مكاني هذا أخطر من الأناضول) (١٠١).

وبعد عدة دعوات للأستاذ النورسي لزيارة آنقرة استجاب لدعوة مصطفى كمال أتاتورك فسافر إلى آنقرة في 8 تشرين الثاني من سنة 1922م، وعندما وصل إلى محطة آنقرة للقطار استقبل بحفاوة من قبل حشد كبير من أعضاء البرلمان والشخصيات البارزة، وفي اليوم التالي أقيم احتفال مهيب في قاعة مجلس المبعوثان (البرلمان) بمناسبة قدوم الأستاذ سعيد النورسي، وقد فوجئ بأن أغلب أعضاء البرلمان لا يقيمون الصلاة، ويرتكبون المنكرات، فقام بإلقاء خطابه المشهور في قاعة المجلس فتأثر به أغلب الأعضاء (وكان من تأثير هذا البيان أن استقام على إقامة الصلاة ستون نائباً، حتى أن الغرفة التي كانوا يؤدون فيها الصلاة لم تعد تسعهم فاتخذوا غرفة أوسع منها لإقامة الصلاة) (١٠٢).

وفيما يلي نورد بعض المقتطفات من تلك الخطبة:

خطاب إلى مجلس الأمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

{ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا } (١٠٣)

أيها المبعوثان: إنكم لمبعوثون ليوم عظيم.

أيها المجاهدون ويا أهل الحل والعقد!

أرجو أن تعيروا سمعا إلى مسألة يسديها إليكم هذا إلى الله بضع نصائح في عشر كلمات:

(١٠١) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص 144.

(١٠٢) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص 183.

(١٠٣) النساء، 103.

أولاً: إن النعمة الإلهية العظمى في انتصاركم هذا (ἰόν) تستوجب الشكر لتستمر وتزيد... فعليكم إذاً الامتثال بأمره الصريح وهو الصلاة المكتوبة...

ثانياً: لقد أجهتكم العالم الإسلامي بهذا الانتصار وكسبتم ودهم... ولكن هذا الود والتوجه نحوكم إنما يدومان بالتزام الشعائر الإسلامية...

ثالثاً: لقد توليتم قيادة مجاهدين وشهداء في هذا العالم، فمن شأن أمثالكم من الغيارى السعي والجد لامتثال أوامر القرآن الكريم...

رابعاً: إن هذه الأمة الإسلامية مع أن قسماً منهم لا يؤدون الصلاة إلا أنهم يتطلعون أن يكون رؤسائهم صالحين أتقياء حتى لو كانوا هم فسقة، بل إن أول ما يبادر أهل كردستان مسئوليتهم هو سؤالهم عن صلاتهم...

خامساً: إن ظهور أكثر الأنبياء في الشرق، وأغلب الفلاسفة في الغرب رمز للقدر الإلهي بأن الذي يستنهض الشرق ويقويه إنما هو الدين...

سادساً: إن خصومكم قد استغلوا ولا يزالون يستغلون إهمالكم أمور الدين... فينبغي لكم باسم مصلحة الإسلام، وسلامة الأمة تحويل هذا الإهمال إلى إعمال...

سابعاً: على الرغم من تمكن عالم الكفر في الإغارة على العالم الإسلامي منذ مدة مديدة فإنه لم يتغلب عليه دينياً مع جميع إمكاناته وقدراته ووسائله الحضارية...

ثامناً: ليس بالإمكان القيام بعمل إيجابي بناء مع التهاون في الدين...

تاسعاً: إن الذين يولونكم الحب قلباً وروحاً، ويشمنون خدماتكم وانتصاراتكم في حرب الاستقلال هذه هم جمهور المؤمنين...

عاشراً: إن كان في طريق تسعة احتمالات للهلاك واحتمال واحد فقط للنجاة فلا يسلكها إلا مجنون طائش لا يبالي بحياته، ففي أداء الفرائض الدينية نجاة بتسع وتسعين بالمائة...

إن تصرفات هذه القافلة المجاهدة من أعضاء هذا المجلس العالي بالغة الأهمية إذ أنها سوف تُقلد... فالأمة إما أنها تقلد أخطائهم أو تنتقدتها، وكلاهما مليء بالأضرار والأخطاء...

أنتم أعلم بأن أعدائكم الدائمين وخصومكم يحاولون تدمير شعائر الإسلام، مما يستوجب عليكم إحياء هذه الشعائر والمحافظة عليها وإلا فستعينون _ بغير شعور منكم _ العدو المستحقر للانقضاض عليكم.

إن التهاون في تطبيق الشعائر الدينية يؤدي إلى ضعف الأمة، والضعف يغري العدو فيكم ويشجعه عليكم ولا يوقفه عند حدّه، حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير (١٥٩).

يبدو أن هذا الخطاب الذي ألقاه الأستاذ النورسي في قاعة البرلمان لم يرق لمصطفى كمال أتاتورك رغم _ تأثر أغلبية أعضاء المجلس النيابي به _ لذلك عاتب أتاتورك الأستاذ النورسي على ما جاء في خطابه من التأكيد والتعزيز على إقامة الصلاة مدّعياً أن ذلك سوف يؤدي إلى بذر بذور الخلاف داخل المجلس، إلا أن الأستاذ النورسي ردّ عليه بكل جرأة بقوله: يا باشا إن أعظم حقيقة في الإسلام _ بعد الإيمان _ هي الصلاة، والذي لا يصلّي خائن وحكم الخائن مردود، عند ذلك أحسّ أتاتورك بخطر بقاء الأستاذ النورسي في آنقرة لذا حاول إبعاده عنها بأية وسيلة، فعرض عليه وظيفة الواعظ العام في كردستان تركيا بدلاً عن الشيخ السنوسي لعدم معرفة هذا الأخير التحدث باللغة الكردية، وعرض عليه أتاتورك بالإضافة إلى ذلك المنصب عضوية مجلس المبعوثان (البرلمان)؛ وكذلك رئاسة الشؤون الدينية مع العضوية في دار الحكمة الإسلامية، إلا أن الأستاذ النورسي أدرك ما كان يرمي إليه أتاتورك من خلال تلك العروض السخية والمغرية لذلك رفضها جميعاً.

العودة إلى وان:

بعد عدّة مواجهات كلامية بين الأستاذ النورسي ورجال الاتحاد والترقي في آنقرة، قرّر ترك آنقرة والعودة إلى مدينة "ä" وكان ذلك سنة 1923م، وبينما كان الأستاذ النورسي في انتظار القطار في محطة آنقرة وحوله ثلّة من طلابه ومحبيه لتوديعه فوجئ بقدم مصطفى كمال أتاتورك إلى المحطة، وهناك جرى نقاش حادّ بينهما بسبب نصب تماثيل أتاتورك في الأماكن العامة، وعندما دافع أتاتورك عن ذلك قال له الأستاذ النورسي:

(١٥٩) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص 183.

(إن هجوم آيات قرآنا العظيم إنما ينصب على التماثيل (١٠٦)، أما النصب التذكارية التي يجب على المسلمين إقامتها فهي المستشفيات، والمدارس، وملاجئ الأيتام، والأقسام الداخلية للطلبة، ودور العبادة، وشق الطرق... (١٠٦).

وبعودة الأستاذ النورسي إلى وان تنتهي مرحلة من المراحل الساخنة من حياته وهي مرحلة المواجهات السياسيّة، والفكريّة، لقد كان الأستاذ النورسي يهدف من وراء سفره إلى استانبول في سنة 1907م القيام بالإصلاح السياسي، والفكري في تركيا، إلا أنه أدرك في نهاية المطاف أن التيار الذي يقف أمامه أقوى من محاولاته تلك، حيث اطلع على حقيقة نوايا رجال الاتحاد والترقي وعلى رأسهم أتاتورك، لذا قرّر العودة إلى وان لكي يبدأ ببناء جيل من طلابه، وفعلاً عندما وصل إلى وان جمع حوله طلابه وبدأ يلقي عليهم الدروس، ويربهم تربية إيمانية لكي يقوموا هم أيضاً بعد ذلك بدورهم في إرشاد الناس وتوجيههم الوجهة الصحيحة، ويروي عنه أحد طلابه قوله: (لو بقيت في

(١٠٦) إذا كان الفقهاء قد اختلفوا في حكم الصور التي لا ظلّ لها فإنهم قد اتفقوا قديماً وحديثاً على تحريم صنع تعليق ونصب التماثيل المحسّمة ذات الظلّ، يقول الإمام النووي: (وأجمعوا على منع ما كان له ظلّ ووجوب تغييره) محي الدين يحيى بن شرف النووي (٦31-676هـ)، صحيح مسلم بشرح النووي، ج14، بيروت-لبنان، دار الكتب العلميّة، د. 820. لذلك فإنه يحرم (الصور ذات الظلّ وكل الصور المحسّدة، والتماثيل لكل روح من إنسان أو حيوان لإجماع العلماء على ذلك، ويحرم صنع التماثيل ونصبها في أي مكان لما أخرجه الشيخان أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: (إنّ الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تماثيل)، الدكتور وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج10:4، دمشق، دار الفكر، 1418هـ-1997م: 2674. هذا وقد استثنى الفقهاء من هذا التحريم لعب الأطفال كالعرائس والخيول والحيوانات عموماً والتي تصنع من القطن أو القماش أو الطين أو البلاستيك، واستدلوا على ذلك بحديث عائشة رضي الله عنها (أنّ النبي صلى الله عليه وسلّم قدم عليها من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها [أي رقها] ستر، فهبت الريح فكشفتها عن بنات لعائشة لُعب، فقال ما هذا يا عائشة؟ قالت: بناتي، ورأى بينهنّ فرساً له جناحان من رقاغ فقال: ما هذا الذي أرى وسطهنّ؟ قالت: فرس، قال وما هذا الذي عليه؟ قالت: جناحان، قال: فرس له جناحان؟ قالت: أما سمعت أنّ لسليمان خيلاً لها أجنحة، قالت: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلّم حتّى بدت نواجذه) رواه أبو داود.

ولقد أفتى بعض العلماء المعاصرون بإباحة صنع التماثيل للضرورة العلميّة حيث يحتاج طلبة كليّات الطب إلى التمرّس عليها لذلك ف (الصور المحسّمة أو غيرها التي نضطرّ إليها في التعليم أو علم التشريح لا تحرم... فإنّ أساس تحريم التصوير هو قطع الطريق على صناعة الأصنام والأوثان، وسدّ السبيل على الوثنيّة والإشراك بالله جلّ جلاله) الدكتور أحمد الشرباصي، يسألونك في الدين والحياة، بيروت-لبنان، دار الجيل، د. 632.

أما التماثيل الأخرى التي لا فائدة من ورائها والتي تصنع على سبيل المباهاة ونوع من التقديس فهي محرّمة ويأثم صانعها وبائعها والذي يقوم بنصبها على حدّ سواء، يقول الدكتور وهبة الزحيلي: (وأما أعمال النحت والرسم للنساء العازبات التي يقوم بها طلاب كليّات الفنون الجميلة فهي من أشدّ المحرّمات والكبائر، ولا يصحّ قياس الرسم على تشريح الجثث في كليّات الطب، لأنّ التشريح ضرورة علميّة تحقّق فائدة الحفاظ على حياة الإنسان بعكس الرسم الذي هو مجرد عمل ترفيهي كماله) الدكتور وهبة الزحيلي، المصدر السابق، ص2676.

(١٠٦) أورشان محمد علي، رجل القدر، ص106.

هذه الجزيرة (١٥٧) عشر سنوات وقمت بتربية خمسين طالباً لاستطعت بحلول الطلبة الخمسين نشر الإسلام في العالم أجمع (١٥٧).

(١٥٧) يقصد جزيرة (آق داماد) وهي جزيرة في بحيرة وان في كردستان تركيا.
(١٥٧) أورخان محمد علي، رجل القدر، ص107.

المرحلة الثالثة:

وتبدأ من سنة 1342هـ/1923م وتنتهي في سنة 1369هـ/1949م:

بعد عودة الأستاذ سعيد النورسي إلى مدينة "آق" سنة 1923م تبدأ المرحلة الثالثة من حياته المباركة، أما المدة الزمنية لهذه المرحلة فهي ربع قرن تقريباً، وأهم ما تميّزت به تلك المرحلة هو عيش الأستاذ النورسي في المنافي والمعتقلات، وتقديمه إلى المحاكم، فما كان ينتهي من محاكمة حتى تبدأ أخرى، وما كانت ساحته تبرز من تهمة حتى يوجه إليه سيلاً آخر من التهم، لذلك تعتبر هذه المرحلة من أقسى مراحل حياته.

لقد كان في وسع الأستاذ النورسي أن يجنب نفسه كل تلك المتاعب، بل كان في وسعه أن يعيش عيشة الأمراء سواء في آنقرة، أو استانبول، أو أيّ مكان آخر، إلاّ أنّه رفض ذلك لأنه كان يدرك أنّه إذا فعل ذلك لا يستطيع أن يبلغ رسالته الإصلاحية التي نذر نفسه للقيام بها، لذلك فضّل العيش في السجون والمعتقلات، والتنقل من منفى إلى آخر في سبيل نشر أفكاره الإصلاحية بين الناس، وفيما يلي عرض لأهم الأحداث التي وقعت للأستاذ النورسي في تلك المرحلة.

بعد انتقال الأستاذ إلى مدينة "آق" قضى سنة ونصفاً من حياته في عزلة عن الناس في جبل (BNA)، وكانت تلك الفترة فترة تحوّل للأستاذ من سعيد القديم إلى سعيد الجديد، كما كانت فترة صفاء ونقاء روحيين حيث كان يكثر من العبادات المتنوعة كقيام الليل، وقراءة القرآن الكريم، وقراءة التسيّحات والأذكار (İÖ).

الأستاذ النورسي وثورة الشيخ سعيد:

قام الشيخ سعيد بيران في سنة 1925م بالثورة على حكومة الاتحاد والترقي وذلك بسبب سياسة الكماليين المعادية للدين، والشعب الكردي كما هو معروف لدى الجميع يحمل في نفسه الحميّة الإسلامية، ويغار لدينه، ولا يقبل التهاون أو المهادنة على حساب عقيدته الإسلامية، وعلى

(İÖ) أنظر: نجم الدين شاهين، ذكريات عن سعيد النورسي، ترجمة أسيد إحسان قاسم، ط 1، بغداد، مطبعة الحوادث، 1406هـ-1986م j100.

سبيل المثال لتأمل فيما جاء في كلام حسين (١٥٦) باشا الذي بعثه الشيخ سعيد بيران إلى الأستاذ النورسي قبل بدء الثورة، فقد جاء ضمن كلامه للأستاذ النورسي: (لقد أهلكنا الروس، وقتلونا، وأبادوا أموالنا و ذرارينا، بينما ظلّ شرفنا مصاناً دون أن يمسه أحد بسوء، ولكن الآن أصبح ديننا مهدداً، وشرفنا معرضاً للتهتك...) (١٥٧).

لقد قام الشيخ سعيد بيران ومن معه بالثورة على الكماليين، وبعد عدّة معارك استطاعت القوات الحكومية إخماد نار الثورة بسبب عدم تكافؤ القوى بين الطرفين من حيث العدد والعدّة، وألقي القبض على الشيخ سعيد بيران مع عدد كبير من رجاله وسيقوا إلى المشانق وأعدموا في الحال، وهكذا تمّ القضاء على ثورة الشيخ سعيد بيران (١٥٨).

والذي يهمنا هنا هو موقف الأستاذ سعيد النورسي من ثورة الشيخ سعيد بيران (١٥٩)، لقد تعددت الآراء حول موقفه من تلك الثورة، فمن قائل إنه لم يؤيدها لأنها قامت على أغراض عرقية (١٦٠)، ومنهم من يقول إنه لم يؤيدها لأنه كان يشك في نوايا الثوار، ومنهم من يبرّر عدم تأييده للثورة لأنها بنيت على أسس قومية إلى غير ذلك من الآراء.

والذي يبدو لي هو أنه لا شكّ فيه أن الأستاذ النورسي لم يشارك في الثورة، لا بل حتّى أنه لم يؤيدها، أما عن سبب ذلك فبرأيي إنّ الأستاذ النورسي لم يكن مقتنعاً بطريقة التغيير التي سلكها الثوار، وإلاّ فإنّ الأستاذ النورسي كان يدرك قبل غيره مدى الفساد الفكري، والإداري، والحلقي لدى حكومة الاتحاد والترقي، لقد كان الأستاذ النورسي على علم تام بمدى عداوة مصطفى كمال أتاتورك ورجاله للدين، لأنّه إذا كان غيره قد سمع بأفعال أتاتورك وآرائه تجاه الإسلام والمسلمين فإنّ الأستاذ النورسي قد لمس ذلك من خلال مناقشاته الجريئة مع أتاتورك وأعوانه، إذ أنّ النورسي كان يؤمن بضرورة تغيير النظام، إلاّ أنه كان يختلف مع الذين كانوا يعتقدون بأن التغيير يجب أن يكون بالثورة، وإعلان القتال، وعندما سئل عن سبب موقفه ذلك أجاب: (نحن مسلمون والأترك إخواننا

(١٥٦) كان رئيس عشيرة كردية موالية للشيخ سعيد بيران.

(١٥٧) قارن بين هذه المقولة وبين ما ذهب إليه الدكتور فرج محمد الوصيف في كتابه سعيد النورسي عصره ودعوته من أن ثورة الشيخ سعيد بيران قامت على أساس الأغراض العرقية لا الإسلامية.

(١٥٨) لقد تمّ القضاء على ثورة الشيخ سعيد بيران في 15/4/1925م، وأحيل الشيخ سعيد بيران مع (47) من رجال الثورة إلى المحاكمة وأعدموا جميعاً في مدينة ديار بكر.

(١٥٩) يقال بأن الشيخ بيران كان قد أرسل عدّة رسائل للأستاذ النورسي يطلب منه الاشتراك في الثورة ضد حكومة الاتحاد والترقي، إلاّ أن الأستاذ عبد الملك فرات أحد أحفاد الشيخ بيران ينكر أن يكون جدّه الشيخ سعيد بيران أرسل آية رسالة من هذا القبيل إلى الأستاذ النورسي، أنظر إلى نص المقابلة التي أجريت مع الأستاذ عبد الملك فرات في: مجلّة نو بحار (الربيع الجديد)، استانبول-تركيا، العدد (46) j1996 j80.

(١٦٠) ومنهم الدكتور فرج محمد الوصيف كما مرّ معنا قبل قليل.

فلا تجعلوا الأخ يقاتل أخاه فهذا لا يجوز شرعاً، إن السبيل الوحيد أمامنا للخلاص في هذا الزمان هو القيام بإرشاد الناس إلى حقائق القرآن، وإلى حقائق الإيمان... لذا أرى أن تصرفوا النظر عن محاولتكم هذه لأنها محكومة بالإخفاق، إذ سيهلك الآلاف من الرجال والنساء بسبب حفنة من القتلة المجرمين (١٠٥).

لقد كان الأستاذ النورسي يدرك مدى وحشيّة رجال الاتحاد والترقي، كما أنّه كان مطلعاً على القدرات العسكريّة المتواضعة جدّاً لدى أرباب الثورة، فكان يشفق عليهم لأنّه كان يرى النهاية المأسويّة لثورتهم، لذلك كرّر على حسين باشا نصيحته بقوله: لا ترق الدم يا باشا، لا ترق الدم، لا ترق الدم، إلّا أنّه وللأسف الشديد لم يجد الأستاذ النورسي أذناً صاغية فحدث ما حدث، ودمّرت البلاد، وشرّد الآلاف من الناس عن قراهم ومزارعهم، ونفي مثل ذلك العدد إلى أماكن متفرّقة من البلاد.

والأستاذ النورسي رغم عدم اشتراكه في الثورة إلّا أنّه أيضاً اعتقل مع من اعتقل، ويروي أحد الجنود الأتراك (١٠٦) في ذكرياته مشهداً من تلك المشاهد المأساوية التي شهدتها بنفسه في أعقاب القضاء على ثورة الشيخ سعيد بيران فيقول:

(عندما خرجت القافلة كان الموسم شتاء، والثلج يغطّي كلّ مكان، وكان في القافلة ما يقارب (70-80) زحافة تجرّها الخيول والثيران، وقبل بدأ الرحلة توضّأت استعداداً للصلاة، وقد عيّني القائد على زحافة "بديع الزمان" ولكنني لم أكن أعرفه لأنني لم أكن قد رأيته بعد... وفي المساء وصلنا إلى إحدى القرى فاستقبلنا أهلها عن بكرة أبيهم... وهكذا كان ولكن الأكراد من أهل القرية استقبلونا استقبالاً جيّداً ورحّبوا بنا وقالوا بأنهم سيقومون بواجب الضيافة، وأنهم لن يقبلوا أن يطبخ القائد والجنود أي طعام... كان خط سير قافلة المنفيين كما يأتي: اتجهت القافلة من مدينة "آغري" إلى "ارجش" ومنها إلى "باتنوس" حيث استراحت هناك ما يقارب أربعة أيام، ثمّ توجهت إلى مدينة "آغري" (أكري) (١٠٧) وبقيت فيها يوماً واحداً، ومنها إلى "أرضروم" حيث

(١٠٥) أورخان محمد علي، بديع الزمان سعيد النورسي رجل القدر، ص114.

(١٠٦) اسم ذلك الجندي هو مصطفى أغريلي وقد كان مكلّفاً بحراسة قافلة المعتقلين من الرجال والنساء والأطفال الذين نفوا إلى أماكن بعيدة عن قراهم ومدنهم.

(١٠٧) مدينة تقع في شرق تركيا قرب الحدود التركيّة الإيرانيّة. (أنظر إلى موقعها على الخريطة في ص67).

قضت فيها أسبوعاً واحداً، وتوجهت منها إلى مدينة "طرابزون" (١٥٠٠) وقضت فيها عشرين يوماً، ثم أجهت إلى (استانبول) بالباخرة وبلغتها في موسم الربيع ومكثت فيها (20-25) يوماً (١٥٠٠).

وبعد ذلك نقل الأستاذ النورسي من استانبول إلى بوردور (١٥٠٠)، و بقي هناك سبعة أشهر تقريباً، وألف هناك رسالة "المدخل إلى النور"، ويبدو أن الأستاذ النورسي كان مرتاحاً إلى حد ما في منفاه في "بوردور" حيث كان الجميع يحترمونه، يقول الأستاذ النورسي في ذلك: (كان المسؤولون في هذه المدينة يراقبون المنفيين مراقبة شديدة، وكان على المنفيين إثبات وجودهم بحضورهم مساء كل يوم لدى الشرطة إلا أنني وطلّابي المخلصين استثنينا من هذا الأمر ما دمت قائماً بخدمة القرآن... حتى أن الوالي شكّا من عملنا هذا لدى (فوزي باشا) (١٥٠٠) عند قدومه إلى المدينة، فأوصاه: "احترموه ولا تتعرضوا له" (١٥٠٠).

بعد فترة سبعة أشهر قضّاها الأستاذ النورسي في منفاه في مدينة "بوردور" نقل إلى منفى آخر في مدينة "اسبارطة"، أما سبب نقله إلى هناك فقد بيّنه الأستاذ النورسي بنفسه حيث يقول: (حينما استولت على الرغبة في إنقاذ نفسي وإصلاح آخري، و فترت عن العمل للقرآن -مؤقتاً- جاءني العقوبة بخلاف ما كنت أفصده وأتوقعه، أي نفيت من "بوردور" إلى منفى آخر... إلى "اسبارطة"...) (١٥٠٠).

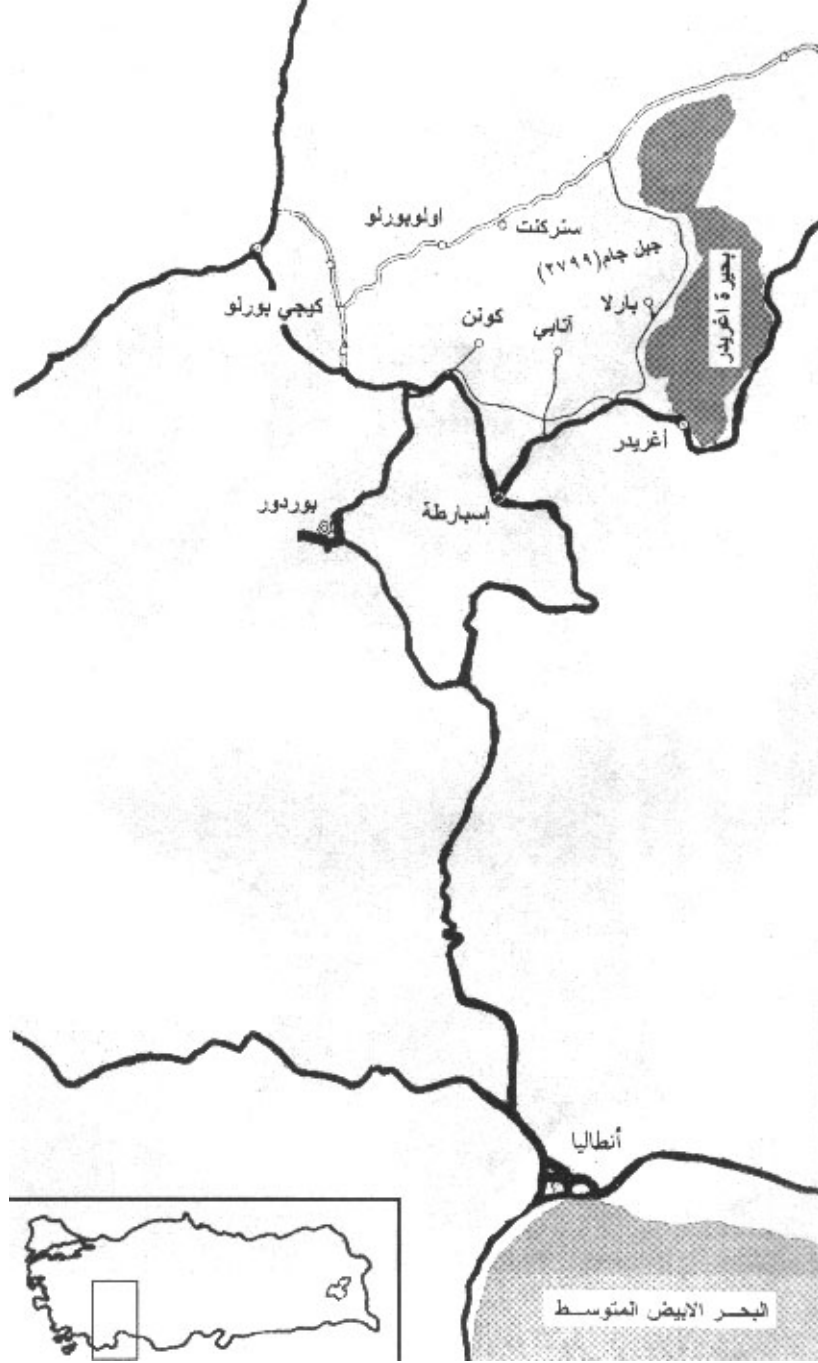
بقي الأستاذ النورسي في منفاه الجديد في اسبارطة عشرين يوماً فقط نقل بعدها إلى منفى آخر في مدينة "بارلا" (١٥٠٠).

النورسي في منفى بارلا:

-
- (١٥٠٠) مدينة تقع في شمال تركيا على ساحل البحر الأسود، وقد مكث فيها الأستاذ النورسي عشرين يوماً وذلك أثناء توجهه ضمن قافلة المنفيين إلى بوردور إثر القضاء على حركة الشيخ سعيد بيران سنة 1925. (أنظر إلى موقع المدينة على الخارطة في ص 67).
- (١٥٠٠) أورخان محمد علي، بديع الزمان سعيد النورسي رجل القدر، ص 121.
- (١٥٠٠) محافظة تقع في جنوب غرب تركيا (أنظر إلى موقعها على الخريطة في ص 67).
- (١٥٠٠) كان فوزي باشا رئيساً لأركان الجيش في ذلك الوقت.
- (١٥٠٠) بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص 68.
- (١٥٠٠) بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص 68.
- (١٥٠٠) قرية تابعة لولاية اسبارطة التي تقع في جنوب غرب تركيا، وقد نفى الأستاذ النورسي إليها سنة 1926م وبقي هناك ثمان سنوات، وفيها أّلف معظم رسائل النور. (أنظر إلى موقع القرية على الخريطة في ص 67).

لقد مكث الأستاذ النورسي في منفاه في بارلا ما يقارب الثماني سنوات، وهي أطول فترة
منفى من بين عدّة فترات قضاها الأستاذ النورسي في العديد من المنافي، وصل الأستاذ النورسي إلى
منفاه في مدينة "بارلا" في 1927/3/31م وقد خصّصت له السلطات المحليّة هناك منزلاً متواضعا
مؤلّفا من غرفتين بسيطتين، وكان المنزل يطلّ على بساتين بارلا الممتدّة على ضفاف بحيرة
"آغريدّر" (Āğrıdər) العذبة. (أنظر الصورة رقم (8) في ملحق الصور).

(Āğrıdər) مركز قضاء يقع في جنوب تركيا بالقرب من قرية بارلا التي نفى الأستاذ النورسي إليها سنة 1926م، وتوجد في آكريدّر بحيرة
جميلة ذات مياه عذبة تسمّى بحيرة آكريدّر. (أنظر إلى موقع قضاء آكريدّر على الخريطة في ص118).



خريطة تبين موقع مدينة بارلا التي نفي الأستاذ النورسي إليها

يبدو أن السلطات في "بارلا" كانت تضايق الأستاذ النورسي باستمرار، وتراقب كل حركاته و سكناته، لذلك كان الناس يتجنبون زيارته أو التقرب منه مما دفع بالأستاذ النورسي إلى أن يقضي معظم أوقاته في العبادة، وقد اختار أعالي الشجرة الموجودة أمام منزله مكاناً للتعبد، أما في فصلي الربيع والصيف فكان يذهب إلى قمة جبل "جام" ويقضي الأوقات الطوال هناك في التأمل، والتعبد. (أنظر إلى الصورة رقم (9) في ملحق الصور).

ظهور رسائل النور:

لقد أريد للأستاذ سعيد النورسي الضياع والاضمحلال من خلال نفيه إلى تلك المنطقة النائية، إلا أنّ القدر الإلهي قد حوّل ذلك المنفى إلى مركز إشعاع إيماني كبير للأمة الإسلامية حيث ولدت فيها رسائل النور، تلك الرسائل التي أنارت تركيا في وقت عمّ عليه ظلام العلمانية والزندقة، ففي منفاه في "بارلا" كتب الأستاذ النورسي أكثر رسائله، أما سبب إطلاق الأستاذ النورسي اسم النور على رسائله فدعنا نسمع الإجابة من الأستاذ نفسه حيث يقول:

(إنّ كلمة النور قد جابحتني في كل مكان طوال حياتي، منها: قريتي اسمها: نورس، اسم والدتي المرحومة نورية ^(١٥٥)، و أستاذي في الطريقة النقشبندية: سيد نور محمد، وأستاذي في الطريقة القادرية: نور الدين، وأستاذي في القرآن: نوري، وأكثر من يلازمي من طلابي من يسمون باسم نور، وأكثر ما يوضّح كتيبي وينورها هو التمثلات النورية، و أول آية كريمة التمعت لعقلي وقلبي وشغلت فكري هي { اللّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ }... ^(١٥٦)، وأكثر ما حلّ مشكلاتي في الحقائق الإلهية هو اسم "النور" من الأسماء الحسنى، ولشدة شوقي نحو القرآن وانحصار خدمتي فيه فإنّ إمامي الخاص هو سيدنا عثمان ذو النورين رضي الله عنه ^(١٥٧).)

التعريف برسائل النور:

لقد خلّف الأستاذ النورسي وراءه تراثاً علمياً وفكرياً هائلاً يقدر بآلاف الصفحات، وقد أودع الأستاذ النورسي في كتاباته تلك جميع أفكاره، وآرائه حول الإسلام، والشيء الجيد الذي فعله

^(١٥٥) الصحيح هو أن اسم والدته الأستاذ النورسي "نوري" بالإمالة، وهو اسم علم مؤنث في اللغة الكردية، وتقابلها في اللغة العربية "نورة".

^(١٥٦) النور، 35.

^(١٥٧) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور، ترجمة إحسان قاسم الصالح، ط 1، تركيا_استانبول، دار سوزلر للنشر، 1415هـ_1995jã710.

الأستاذ النورسي _ حسب اعتقادي _ هو قيامه بتصنيف كتاباته حسب أربع مجموعات أساسية وهي: سوزلر (الكلمات)، و مكتوبات (المكتوبات)، و لمعلر (اللمعات)، و شعاعلر (الشعاعات)؛ هذا وللاستاذ النورسي كتابات أخرى غير هذه المجموعات الأربع الرئيسة وهي:

1- محاكمات عقلية في التفسير والبلاغة والعقيدة.

2- قزل إيجاز (وهي عبارة عن حاشية الأستاذ النورسي على كتاب في المنطق باسم السلم المنورق لشيخ الإسلام عبد الرحمن الأخصري).

3- تعليقات على برهان الكلنوي (وهي أيضا عبارة عن تعليقات الأستاذ النورسي على كتاب في المنطق باسم البرهان لإسماعيل بن مصطفى الكلنوي).

4- السانحات (وتتضمن تفسيراً لبعض الآيات القرآنية مع بعض قضايا العقيدة).

5- المناظرات (وهي مجموعة من الدروس ألقاها الأستاذ النورسي في أوقات متفرقة على العشائر الكردية في كردستان تركيا بغية توعيتها وتعليمها أمور دينها).

6- المحكمة العسكرية العرفية (وهي عبارة عن دفاع الأستاذ النورسي أمام المحكمة العسكرية العرفية في عهد الاتحاديين).

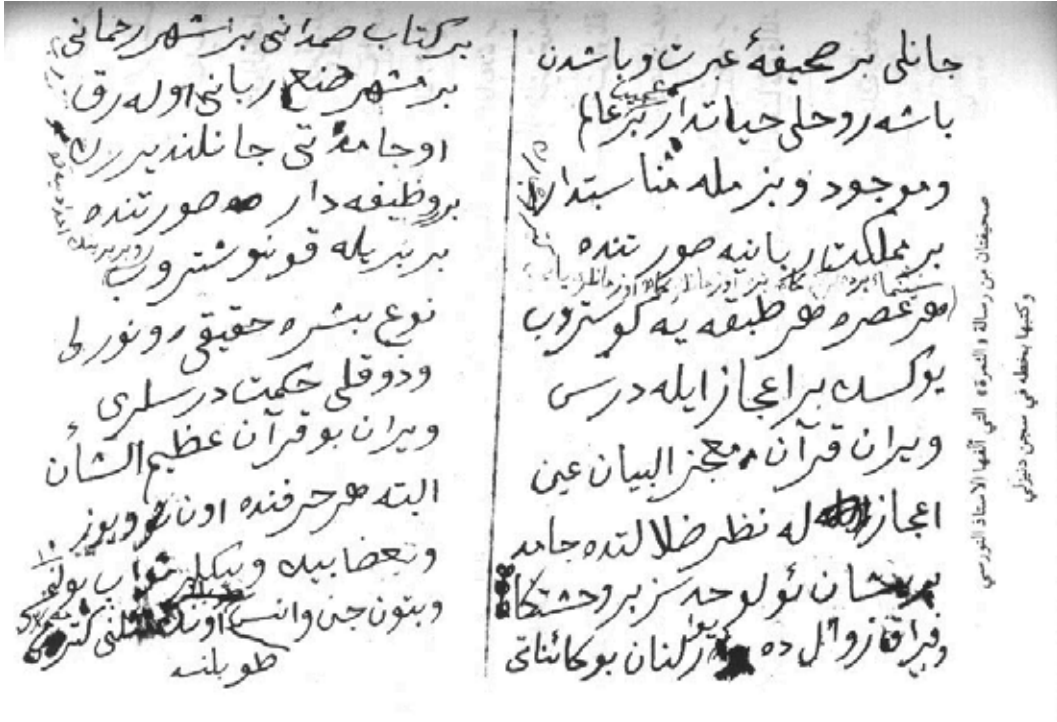
7- الخطبة الشامية (وهي الخطبة التي ألقاها الأستاذ النورسي في الجامع الأموي بدمشق سنة 1911م).

8- الخطوات الست لمقاومة الإنكليز (وقد ألقاها الأستاذ النورسي عندما احتل الإنكليز مدينة استانبول).

انتشار رسائل النور:

لقد كان الأستاذ النورسي يستصعب الكتابة، وكان خطّه رديماً لذلك كان غالباً ما يستعين بطلّابه في كتابة رسائل النور حيث كان يملي عليهم فيقومون بكتابتها، وبعد ذلك كانوا يقرءونها عليه وهو بدوره يقوم بتصحيحها إذا وجد فيها بعض الأخطاء، ولما كانت الكتابة بالأحرف العربية أمراً ممنوعاً يعاقب عليه القانون اضطر طلّاب النور كتابة الرسائل بخط اليد، وهكذا سخر المئات من طلّاب النور جلّ أوقاتهم في كتابة رسائل النور ومن ثمّ نشرها، هذا (وقد ساهمت النساء في هذه

الحملة مساهمة فعّالة، فالفتيات اللائي كنّ يعرفن الكتابة ساهمن في الكتابة والاستنساخ، و اللائي يجهلنها كن يقلدن الكتابة تقليداً، أي يقمن بالكتابة على طريقة النقش والتصوير، وقد أتت بعض النسوة إلى الأستاذ سعيد النورسي قائلات له: يا أستاذنا...إننا لكي نشارك في خدمة رسائل النور_ قررنا القيام بالأعمال اليومية لأزواجنا لعلهم يتفرغون كلياً لكتابة رسائل النور لنغنم ثواب المشاركة في الخدمة) (١٥٠).



نماذج من خط الأستاذ النورسي رحمه الله

أما نشر الرسائل فقد كانت تتم بصورة مذهلة، فقد انتشرت الرسائل في البداية في "بارلا" ومنها انتشرت في كافة أنحاء تركيا حيث كان الناس يقومون بتداولها فيما بينهم، ومن الجدير بالذكر أن رسائل النور لم تقتصر على الانتشار بين طبقة واحدة أو طبقتين من الناس بل شملت كافة الطبقات والشرائح سواء كانوا من موظفي الدولة، أو العسكريين، أو طلبة المدارس، أو غيرهم من شرائح المجتمع.

وهكذا بقيت رسائل النور تكتب وتنشر بهذه الطريقة أكثر من عشرين عاماً إلى أن سمحت الدولة بطباعتها في المطابع وذلك في سنة 1956م (١٥٠).

(١٥٠) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص 246.

(١٥٠) إلى الآن يوجد في تركيا بعض من طلبة النور الذين يحزمون كتابة رسائل النور بالآلة الكاتبة أو في المطابع، ويقومون بكتابتها بخط اليد.

والجدير بالذكر في هذا الصدد هو أنّ رسائل النور كانت متفرقة حتى زمن قريب، إلا أن الأستاذ (إحسان قاسم الصالحي) حفظه الله قام ببذل جهود مباركة حيث جمع تراث الأستاذ النورسي بأكمله تقريباً وترجمه إلى اللغة العربيّة، كما قام بتحقيقها تحقيقاً علمياً، وضبطها ضبطاً تاماً، ووضع لها فهرس تفصيليّة، وأخرجها لقراء العربيّة في أجمل حلّة، وقد طبعت في دار سوزلر للنشر في كل من استانبول والقاهرة باسم كليّات رسائل النور، وهي في تسع مجلّدات بعضها كبيرة، وبعضها الآخر متوسّطة الحجم وهي كالآتي:

- 1-الكلمات: وتقع في (920) صفحة، وتتضمن (33) كلمة.
- 2-المكتوبات: وتقع في (672) صفحة، وتتضمن (33) مكتوباً.
- 3-اللمعات: وتقع في (646) صفحة، وتتضمن (33) لمعة.
- 4-الشعاعات: وتقع في (752) صفحة، وتتضمن (15) شعاعاً.
- 5-إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز: وتقع في (332) صفحة، والكتاب نفسه هو المكتوب الثلاثون في كتاب المكتوبات.
- 6-المثنوي العربي النوري: ويقع في (534) صفحة، ويتضمن (12) رسالة كتبها الأستاذ النورسي باللغة العربيّة، والكتاب نفسه هو اللمعة الثالثة والثلاثون من كتاب اللمعات.
- 7-الملاحق: وتقع في (461) صفحة، وتتضمن: 1-ملحق بارلا 2-ملحق قسطموني (١٥٥)
- 3-ملحق أمير داغ (١٥٥).
- 8-صيقل الإسلام: ويقع في (597) صفحة، ويتضمن الكتب الثمانية التي ذكرتها قبل قليل وهي: 1- محاكمات عقليّة 2- قزل إيجاز 3-تعليقات 4-السانحات 5-المناظرات 6-المحكمة العسكرية العرفيّة 7- الخطبة الشاميّة 8-الخطوات الست.
- 9-سيرة ذاتيّة: وتقع في (584) صفحة، وتتضمن السيرة الذاتية للأستاذ سعيد النورسي، والكتاب عبارة عن مقتطفات من كلام الأستاذ النورسي عن حياته، وقد جمعت أقواله تلك من ثانيا مؤلفاته الأنفة الذكر.

(١٥٥) مدينة تقع في شمال تركيا نفي إليها الأستاذ النورسي سنة 1936م وبقي هناك تحت الإقامة الجبريّة ما يقارب سعة أعوام تعرّض خلالها لمضايقات كثيرة، وعدّة محاولات قتل بواسطة دسّ السم في طعامه. (أنظر إلى موقع المدينة على الخريطة في ص67).

(١٥٥) قضاء يقع في الوسط الغربي من تركيا نفي إليه الأستاذ النورسي سنة 1944 وظلّ فيه ما يقارب أربع سنوات. (أنظر إلى موقع القضاء على الخريطة في ص67).

بعدهما قضى الأستاذ سعيد النورسي ثمان سنوات تقريباً من حياته في منفاه في "بارلا" نقل في صيف عام 1934م إلى مدينة "اسبارطة"، و بقي هناك إلى ربيع عام 1935م حيث بدأت حملة اعتقالات واسعة ضدّ طلابّ النور، وسيق الأستاذ النورسي مع المئات من طلابّه إلى سجن "أسكي شهر" (İÖŞ)، وهناك فصل الأستاذ النورسي عن طلابّه حيث وضع في زنزانه انفراديّة.

الأستاذ النورسي في أسكي شهر:

لقد عومل الأستاذ النورسي وطلابّه المائة والعشرون في سجن أسكي شهر معاملة قاسية، حيث حرّموا من أبسط لوازم العيش، وضيّق عليهم الخناق، بالإضافة إلى الحرب النفسيّة التي شتّوها عليهم حيث كانوا يبتّون بينهم وبين أقربائهم أن الأستاذ النورسي وجميع طلابّه سيعدمون لا محالة، وعندما قدّم الأستاذ النورسي وطلابّه إلى المحاكمة وجّهت إليهم العديد من التهم ومن أخطرها:

1- تأليف جمعيّة سرّيّة.

2- العمل على هدم أسس الثورة الكماليّة.

3- السعي للقيام بانقلاب عسكري.

4- السعي إلى تطبيق الشريعة الإسلاميّة (İÖŞ).

وبعد انعقاد عدّة جلسات في محكمة أسكي شهر حكم على الأستاذ سعيد النورسي بالسجن أحد عشر شهراً، كما حكم على خمسة عشر من طلابّه بالسجن مدّة ستة أشهر، وأطلق سراح البقيّة وكان عددهم مائة وخمسة طلابّ.

والجدير بالذكر في هذا الصدد هو أن الأستاذ النورسي كان أثناء جلسات المحاكمة يدافع عن نفسه وعن طلابّه ورسائل النور بكل جرأة، ولم تظهر عليه أية علامة من علامات الخوف والوجل، بل وزيادة على ذلك وجد فرصته كي يشرح للحضور أسس دعوته، وحقيقة مدرسة النور التي يضع أسسها العلميّة والفكريّة، والثقافيّة، لذلك أرى من المفيد أن أورد هنا بعض المقتطفات من دفاع الأستاذ النورسي في محكمة أسكي شهر:

(İÖŞ) مدينة تقع في شمال غرب تركيا، وقد أودع الأستاذ النورسي وثلّة من طلابّه في سجنها سنة 1935م وفيها تعرّضوا لأشكال من التعذيب البدني والنفسي. (أنظر إلى موقع المدينة على الخريطة في ص67).

(İÖŞ) راجع: سليمان جفيك، حياة ونضال بديع الزمان سعيد النورسي، مجلّة نوبهار (الربيع الجديد)، استانبول_تركيا، العدد السادس، ص21.

(بدهي أن لا يعلم ولا يقدر رعاية الأصول الرسميّة والقوانين من انزوى في الحياة مدّة ثلاث عشرة سنة، لذا أرجو أن تستمعوا إلى إفادتي هذه بدلاً عن تلك الأسئلة والأجوبة الرسميّة... أيتها الهيئة الحاكمة المحترمة: لقد اتهموني ببضعة مواد فأوقفوني:

المادة الأولى: وقوع أخبار بوجود النية بالسعي للإخلال بالأمن العام عن طريق استغلال الدين بقصد إرجاع الشريعة.

الجواب: الإمكان شيء والوقوع شيء آخر، فمن الممكن أن يقتل أي إنسان أناساً كثيرين، فهل يحاكم أحد بتهمة إمكان القتل، ومن الممكن أن يحرق عود الكبريت بيتاً كاملاً فهل يحكى وجود الكبريت بناء على هذا الممكن؟

أيها السادة: أي إنصاف يسمح بأن ينظر إلى "رسائل النور" التي تكشف وتوضح مئات المسائل الإيمانيّة كهذه المسألة على أنها كتب مغرضة تستغلّ للتيارات السياسيّة وكأنها نشرات فاسدة مضرة، حاشاها مائة ألف مرّة عن ذلك... إنني لا أوجه كلامي هذا إلى حكّام التحقيق الذين يؤدّون واجبهم، بل أوجهه إلى الملحدّين الظالمين الذين استنبدوا إلى أقوالهم في قرار الاتهام وأقول:

إنني أتهمكم بأنكم تريدون استغلال السياسة في سبيل الإلحاد، تجاه اتهامكم إياي بأني أستغل الدين للسياسة، لأنني أثبت بمائة دليل قاطع أن هذه فرية فاضحة وباطل لا أساس له من الصحة... إن أجزاء "رسائل النور" التي ليست سوى علوم إيمانيّة تؤسس الأمن والنظام، ذلك لأن الإيمان الذي هو منبع الخلق الحسن والخصال الحميدة ومنشؤها لن يُخلّ بالأمن بل يحققه ويضمّنه، أما ما يُخلّ بالأمن فهو عدم الإيمان بسوء خلقه وسجيّته...

إن ما يحرّنا ويدهشنا للغاية هو سؤالهم وبإصرار يومي وجود جمعيّة أو تنظيم فعلاً، فيقولون من أين تجدون المال لتأسيس هذا التنظيم؟

الجواب: وأنا أسأل هؤلاء السائلين: هل توجد وثيقة أو أمارة على تأسيسنا لجمعيّة سياسيّة؟ وهل وجدوا دليلاً أو حجة على تشكيلنا لتنظيم بالمال حتّى يصرّون [كذا] (١٥٥) على السؤال إلى هذا الحدّ؟

إنني أريد حفظ حقوقي في إطار القانون، كما أتهم كل من يخالف القانون ويدسّ عليه باسم القانون بأنه يرتكب جنائية، ولا شك أن قوانين الحكومة الجمهوريّة ترفض أعمال هؤلاء الجناة وآمل أن تعاد لي حقوقي (١٥٥).

وبعدما قضى الأستاذ النورسي فترة حكمه في سجن أسكي شهر مدّة أحد عشر شهراً نقل إلى منفاه في مدينة "قصطموني".

الأستاذ سعيد النورسي في منفى قصطموني:

بعد نقل الأستاذ النورسي من منفاه في أسكي شهر إلى منفاه الجديد في قصطموني أوقف في مخفر الشرطة هناك مدّة ثلاثة أشهر، وقد استتقل الأستاذ النورسي في بداية الأمر توقيفه هناك إلاّ أنّه بعد ذلك أصبح منشرج الصدر وذلك بعدما أصبح أفراد الشرطة بمثابة أصدقاء له على حدّ تعبيره، حيث كانوا يخدمونه، ويخرجونه للاستحمام في ضواحي قصطموني.

وبعد مرور تلك الأشهر الثلاثة قامت السلطات المحليّة باستئجار شقّة متواضعة للأستاذ النورسي (١٥٥)، وكانت الشقّة تقع مقابل مخفر الشرطة لكي يكون الأستاذ النورسي تحت أنظارهم دوماً، هذا وقد استثمر الأستاذ النورسي إقامته الجبريّة في تلك الشقّة لاستئناف كتابة رسائل النور، كما قام بتصحيح وتنقيح بعض رسائله التي كان قد كتبها قبل تلك الفترة، وقد قيّض الله له ستة من خيرة طلابه (١٥٥) للقيام بكتابة الرسائل ونشرها.

ومن الحوادث المهمّة التي حدثت للأستاذ النورسي في منفاه في قصطموني تعرّضه لحالات التسميم مرّات عدّة، فقد حاولت الجهات الأمنيّة قتله بواسطة دس السم في الطعام المقدم له، أو عن طريق الفاكهة التي أدخل السم إليها بواسطة الإبر الطبيّة، إلاّ أن الله سبحانه قد نجّاه من كل تلك المؤامرات الدنيّة.

وبمرور الزمن في قصطموني ازدادت مضايقات الجهات الأمنيّة للأستاذ النورسي، فقد قاموا بمداهمة شقّته عدّة مرّات، وفي شهر أيلول قاموا باعتقاله وأرسلوه إلى سجن في مدينة "دنيزلي" (١٥٥). وفي الطريق إلى "دنيزلي" مرّ بأنقرة، وعندما علم والي أنقرة (نوزاد طان دوغان) بوجود الأستاذ النورسي في أنقرة استدعاه فأحضر محفوراً إلى الوالي، وجرت بينهما مناقشات حادّة وطويلة، ويبدو

(١٥٥) بديع الزمان سعيد النورسي، سير ذاتيّة، ص252 وما بعدها.

(١٥٥) لقد رفض الأستاذ النورسي أن تدفع السلطات أجرة شقّته وأصرّ على أن يدفع هو بنفسه الأجرة، فازداد بذلك تقديره واحترامه من قبل السلطات المحليّة والناس هناك.

(١٥٥) الطلاب الستة هم: فيضي، وأمين، وحلمي، وصادق، ونظيف، وصلاح الدين.

(١٥٥) مدينة تقع في جنوب غرب تركيا، وقد سجن الأستاذ النورسي في سجنها تسعة أشهر تقريباً وفيها تعرّض الأستاذ إلى مضايقات شديدة، وأدخل بمفرده في قاعة كبيرة ذات عفونة ورطوبة شديديتين. (أنظر إلى موقع المدينة على الخريطة في ص67).

أن الوالي المذكور كان يريد إجباره على الالتزام بقانون القيافة (iií) ، إلا أن الأستاذ النورسي ردّ عليه بحدة قلّما ردّ بمثلها على غيره في حياته كما دعا عليه بقوله: "ليصبك الله في رأسك" (iií) ، وعندما أصرّ الوالي على أن ينزع الأستاذ النورسي عمامته ويلبس القبعة، أجابه الأستاذ النورسي: "إنّ هذه العمامة لا تنزع إلاّ بانتزاع رأسي"، وهكذا أصرّ الأستاذ النورسي على موقفه ولم يسمع لأوامر الوالي رغم أنّه كان محتجزاً لديهم.

الأستاذ النورسي في سجن دنيزلي:

عند وصول الأستاذ النورسي ومجموعة من طلابه (iiÉ) إلى مدينة دنيزلي أودعوا جميعاً في سجنها، إلاّ أن الأستاذ النورسي وكالعادة فصل عن طلابه، وهناك تعرض هو وطلابه لأنواع من المتاعب والمضايقات، فقد كان وضع السجن رديئاً جداً، فالتهوية كانت شبه معدومة مما جعلت الروائح الكريهة تنبعث منها، وقد نال الأستاذ النورسي النصيب الأوفر من ذلك العناء والمشقة، حيث أدخل في بداية الأمر في سجن انفرادي ذات رطوبة وعفونة شديتين، بالإضافة إلى البرودة القارصة، وفوق كلّ ذلك تعرّض في ذلك السجن إلى حادثة تسميم أخرى حيث دسّ له السمّ في طعامه إلاّ أن الله سبحانه نجاه مرّة أخرى من كيد أعدائه، ولكن رغم قسوة الوضع في ذلك السجن لم يتخلّ الأستاذ النورسي وطلابه عن مهمّتهم التي نذروا أنفسهم للقيام بها ألا وهي العمل على هداية وإرشاد الناس، فقد استطاعوا في فترة وجيزة تحويل السجن الذي كان يأوي أعنى أنواع المجرمين من القتلة والمعتدين إلى مدرسة من مدارس النور، حيث تاب أكثرهم وبدأوا يتعلمون قراءة القرآن الكريم ويحفظونه، وتعلّموا أمور دينهم، فكان ذلك بمثابة ولادة جديدة لهم.

بعد فترة قصيرة من السجن بدأت محاكمة الأستاذ النورسي وطلابه، أما التهم فكانت كالتهم السابقة نفسها، ولكن في هذه المرّة قررت المحكمة تشكيل لجنة للنظر في رسائل النور إن كان فيها ما يخالف القانون أم لا، فاعترض الأستاذ النورسي على اختيار أعضاء اللجنة لكونهم موظفين بسطاء غير قادرين على قراءة وفهم رسائل النور، يقول الأستاذ النورسي في ذلك:

(iiÍ) قانون القيافة واحدة من تلك القوانين التي سنتها جمعية الاتحاد والترقي، وكان ذلك القانون يتعلق بالزني الذي يجب أن يلتزم به جميع المواطنين في تركيا، وكان من ضمنها لبس القبعة الإفرنجية.

(iiÏ) لقد استجاب الله سبحانه لدعاء الأستاذ النورسي حيث مات ذلك الوالي منتحراً وذلك في سنة 1946ã.

(iiÉ) كان عدد الطلاب الذين صحبوا الأستاذ النورسي إلى سجن دنيزلي (126) طالباً.

(ولقد قلت لهم: إن هؤلاء الخبراء _الذين لا خبرة لهم على الإطلاق_ غير مؤهلين لتدقيق رسائل النور^(iīñ)، لذا فإنني أطالب بتأليف لجنة عليا في آنقرة تتألف من أهل العلم، وإذا لزم الأمر فليستقدم متخصصون وعلماء من أوروبا لتدقيق هذه الرسائل، فإذا وجدوا فيها أي عنصر يستوجب العقاب فإنني أرضى بذلك العقاب)^(iīō).

فاستجابت المحكمة لطلب الأستاذ النورسي وشكّلت لجنة أخرى من كبار العلماء في آنقرة، وبعد دراسة دقيقة لرسائل النور قدّمت اللجنة تقريرها حول رسائل النور، وجاء فيها أنهم لم يعثروا فيها على أي شيء يكون موجباً للتهمة.

بعد اطلاع محكمة الجزاء الكبرى في ديزلي على تقرير اللجنة المؤلّفة للنظر في رسائل النور قرّرت تبرئة طلاب النور وأحلي سبيلهم، إلا أنهم لم يسمحوا للأستاذ النورسي بمغادرة مدينة ديزلي إلى أن يحصلوا على ترخيص من آنقرة يسمح بذلك، لذا بقي الأستاذ النورسي نزيل فندق "شهر" في مدينة ديزلي مدّة شهرين، وبعد ذلك جاء الأمر من آنقرة بنفيه إلى قضاء أمير داغ، وكان ذلك في شهر آب من سنة 1944^(iīō).

الأستاذ سعيد النورسي في منفى أمير داغ:

بعد وصول الأستاذ النورسي إلى مدينة أمير داغ مخفوراً كلف رئيس الخفر أحد أفراد الشرطة باستتجار بيت للأستاذ النورسي شرط أن يكون أمام المخفر لكي يسهل مراقبته باستمرار، فاستأجر له ذلك الشرطي غرفة في الطابق العلوي لأحد الأبنية التي تقع أمام المخفر، ويبدو أن الأستاذ النورسي قد تضايق جداً من تلك المعاملة والمراقبة الشديدة، إذ يقول في ذلك:

(عندما كنت نزيل غرفة في "أمير داغ" تحت الإقامة الجبريّة وحيداً فريداً كانت عيون الترسّد تتعقّبني وتضايقني دائماً أتعدّب منها أشدّ العذاب، حتّى مللت الحياة نفسها، وتأسفت لخروحي من السجن، بل رغبت من كل قلبي أن أعود إلى سجن "ديزلي"، أو أدخل القبر حيث السجن أو القبر

(iīñ) يقال إن محكمة الجزاء الكبرى في ديزلي كانت قد أحالت رسائل النور إلى لجنة مكوّنة من مدرّسين في الثانوية، وكانوا ملحدين ولا يعرفون من الإسلام شيئاً.

(iīō) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص 328.

(iīō) يلاحظ هنا مدى قسوة ووحشية السلطات التركيّة آنذاك ولا يزالون، فالسلطات الحاكمة التي كانت تدّعي السير في ركاب الحضارة والمدنيّة، وتعمل على تحقيق الديمقراطية، وتأمين الحريّات العامّة، والقضاء على الفساد في مرافق الدولة، ورغم قرار المحكمة ببراءة الأستاذ النورسي عادوا إلى نفيه مرّة أخرى ولم يلقوا بالاً لشيخوخته ومرضه الذي ألمّ به.

أفضل من هذه الحياة... إن يوماً واحداً من هذه الحياة يضايقني أكثر من شهر كامل في سجن المقر (١١٥).

وهكذا بقي الأستاذ النورسي في منفاه في أمير داغ ما يقارب الأربع سنوات تعرّض خلالها إلى أنواع من المضايقات، بالإضافة إلى حادثة تسميم أخرى جعلته طريح الفراش مدّة أسبوعين إلاّ أن الله سبحانه قد نجّاه منها كما كان ينجّيه في المرّات السابقة.

الأستاذ النورسي في سجن أفيون:

عندما رأى الاتحاديون أن تأثير الأستاذ النورسي ورسائل النور يزداد ويقوى يوماً بعد يوم رغم تنقل الأستاذ النورسي من منفى إلى آخر، ومن سجن إلى سجن قرّروا وضع حدّ لذلك الخطر الداهم، فقاموا باعتقال الأستاذ النورسي من منفاه في "أمير داغ" مع خمسة عشر من طلابه من مدينة أمير داغ، بالإضافة إلى عدد آخر من طلابه في ولايات أخرى مختلفة وسيقوا جميعاً إلى محكمة الجزاء الكبرى في أفيون (١١٥) ووجهت إليهم التهمة التالية:

- ١ - تأليف جمعية سياسية سرّية.
- ٢ - نشر أفكار تعادي الحكم.
- ٣ - وصف مصطفى كمال أتاتورك بأنه دجال المسلمين.

بعد إجراء التحقيقات حول التهمة الموجهة إلى الأستاذ النورسي وطلّابه لم تعثر المحكمة على أية أدلّة تدينهم، ومع ذلك حكمت المحكمة بقناعة الحاكم الوجدانية _دون الاستناد إلى أية أدلّة_ على الأستاذ النورسي بالسجن مدّة عشرين شهراً، وعلى عالم آخر ثمانية أشهر، وعلى اثنين وعشرين طالباً آخر ستة أشهر، وأفرج عن البقية المتبقية من طلاب النور.

لقد عانى الأستاذ النورسي معاناة شديدة في سجن أفيون حيث أدخل لوحده في قاعة كبيرة تسع لعشرات الأشخاص ليزداد جوّ القاعة برودة، ودسّ له السمّ في طعامه ثلاثة مرّات، ولكنّ الله

(١١٥) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص 357.

(١١٥) مدينة تقع في الوسط الغربي من تركيا. (أنظر إلى موقع المدينة على الخريطة في ص 67).

سبحانه أنقذه في كل تلك المرّات أيضا (İİÖ)، وبعدهما قضى الأستاذ النورسي فترة حكمه في سجن أفيون أفرج عنه في 1949/9/20م، وبهذا تنتهي المرحلة الثالثة من حياة الأستاذ النورسي، وهي المرحلة التي سمّيناها مرحلة السجون والمنافي.

المرحلة الرابعة:

وتبدأ من سنة 1369هـ / 1949م وتنتهي في سنة 1380هـ / 1960م:

(İİÖ) لقد بلغ عدد مرّات تسميم الأستاذ النورسي أربعة عشر مرّة، ولا يمكن لإنسان _ حسب المقاييس الطبيّة والبشريّة _ أن ينجو منها لولا التدخل الإلهي.

نستطيع أن نطلق على هذه المرحلة من حياة الأستاذ النورسي تسمية مرحلة الهدوء والاستقرار النسبي، فبعدما قضى أكثر من ربع قرن من حياته في السجون والمعتقلات عاد الهدوء النسبي إلى حياته.

وفي هذه المرحلة طرأت تغييرات سياسية كبيرة على الساحة التركيّة، حيث سمح ولأول مرّة بتشكيل الأحزاب السياسية، وبذلك انتهت فترة حكم الحزب الواحد (İİİ) ، فبرز إلى الساحة مجموعة من الأحزاب الأخرى وكان من أبرزها الحزب الديمقراطي الذي أسسه جلال بايار وعدنان مندرس، و قد فاز هذا الحزب في الانتخابات البرلمانيّة التي جرت سنة 1950م بأغلبية ساحقة، ووضعت بذلك حدّاً لحكم حزب الشعب الجمهوري الذي حكم تركيا دون منافس أكثر من ربع قرن، هذا وقد قام الحزب الديمقراطي بعد تسلّمه الحكم بتخفيف وطأة الحكومة عن الإسلام (İİİ) فاكسبت بذلك ثقة طلابّ النور الذين وجدوا متنقّسا في ظل حكم الحزب الديمقراطي.

وفي زمن حكم الحزب الديمقراطي سمح للأستاذ النورسي طبع ونشر رسائل النور فانتهاز طلابّ النور تلك الفرصة حيث قاموا بطبع آلاف النسخ من رسائل النور بواسطة آلات الرونيو ومن ثمّ توزيعها، كما سمح للأستاذ النورسي بإلقاء دروسه بشكل علني وجماعي، هذا وقد قام الأستاذ النورسي بإرسال برفية تهنئة إلى رئيس الجمهوريّة التركيّة الجديد وهذه نصّها:

[برقيّة إلى رئيس الجمهوريّة]

جلال بايار

رئيس الجمهوريّة

نهنيكم وندعو الله تعالى أن يوفقكم لخدمة الإسلام والوطن والأمة.

(İİİ) لقد حكم الاتحاديون من خلال حزهم الذي كان يطلق عليه حزب الشعب الجمهوري ما يقارب الربع قرن ولم يسمحوا في تلك الفترة بتشكيل الأحزاب السياسية على الإطلاق.

(İİİ) لقد قام الحزب الديمقراطي باتخاذ عدّة قرارات إيجابية بعد توليها الحكم نذكر منها:

١ - السماح برفع الأذان باللغة العربية بعد حظر من قبل الاتحاديين دام عدّة سنوات.

٢ - السماح بتلاوة القرآن الكريم، وإذاعة البرامج الدينيّة في الراديو.

٣ - إعادة تدريس مادة الدين في المدارس.

٤ - غلق المعاهد التي كانت تدرس الإلحاد.

عن طلاب النور

سعيد النورسي

لنعد مرة أخرى إلى الحديث عن حياة الأستاذ النورسي، فبعد الإفراج عنه من سجن أفيون في أواخر سنة 1949م مكث لمدة شهرين في أحد البيوت هناك، ثم بعد ذلك سافر إلى أميرداغ ليقيم فيها سنتين تحت الإقامة الجبرية، وبعد انتهاء فترة الإقامة الجبرية قام الأستاذ النورسي بأول زيارة حرة منذ أكثر من ربع قرن، فقد سافر في 1951/11/29م إلى مدينة أسكي شهر وأقام مدة شهر ونصف في فندق "يلدز" والتقى هناك بعدة مجموعات من طلابه الذين اشتاقوا لرؤيته، وبعد ذلك انتقل إلى اسبارطة وأقام فيها أكثر من شهرين، وأثناء وجوده في اسبارطة قام بعض طلابه بطبع رسالة "مرشد الشباب" في استانبول مما تسبب في إقامة دعوى ضد الأستاذ النورسي بحجة مخالفة ما جاء في الرسالة للمادة (163) من الدستور التركي، تلك المادة التي تنص على منع أي نشاط يستهدف إقامة الدولة على أسس دينية، وقد استدعي الأستاذ النورسي إلى استانبول للمثول أمام المحكمة هناك، وبعد وصول الأستاذ النورسي إلى استانبول استقبل بحفاوة من قبل طلابه ومحبيه الذين لم يلتقوا به منذ سبعة وعشرين عاماً.

انعقدت المحاكمة في 1952/1/22م، وامتألت القاعة بطلاب النور وبعد توجيه لائحة الاتهام إليه قام الأستاذ النورسي بالدفاع عن نفسه وقد انتهز تلك الفرصة لكي يشرح مبادئ حركته وأهدافها، وبعد المداولة قررت المحكمة تبرئة الأستاذ النورسي من التهمة الموجهة إليه.

بعد تبرئته عاد الأستاذ النورسي في سنة 1953م إلى أميرداغ وفيها أجبر الأستاذ النورسي مرة أخرى على لبس القبعة إلا أنه امتنع عن ذلك فسيق مرة أخرى إلى المحاكمة في استانبول، ولكن المحكمة برأته هذه المرة أيضاً، فمكث في استانبول ما يقارب الثلاثة أشهر غادرها بعد ذلك عائداً إلى أميرداغ مرة أخرى، ومنها توجه إلى أسكي شهر ثم إلى اسبارطة ومنها توجه إلى مدينة "بارلا" مدينة الذكريات، فقد كان الأستاذ النورسي يحمل في نفسه حباً من نوع خاص لتلك المدينة، تلك المدينة التي منها انطلقت حركة النور في أول الأمر، هذا وقد ظل الأستاذ النورسي متنقلاً بين كل من اسبارطة، و بارلا، و أميرداغ إلى سنة 1957م حيث أجريت الانتخابات العامة وقد أدلى الأستاذ النورسي بصوته لصالح الحزب الديمقراطي وأمر طلابه أيضاً بذلك، وعندما سئل عن سبب إعطائه صوته للحزب الديمقراطي قال إنه أقل ضرراً من حزب الشعب الجمهوري.

الجمولة الأخيرة للأستاذ النورسي:

عندما أحسّ الأستاذ النورسي بدنو أجله قرّر القيام بجولة واسعة في أنحاء تركيا، وكأنه كان يريد بذلك أن يودّع طلابه المنتشرين في أنحاء تركيا، فبدأ جولته في 1959/12/19م حيث سافر إلى أنقرة، ومنها توجه إلى أميرداغ ثم إلى قونيا عاد بعدها إلى أنقرة مرّة أخرى، ثم ذهب إلى استانبول وبقي فيها يومين عاد بعدها إلى أنقرة مرّة ثالثة، ثم توجه إلى قونيا، وفي اليوم نفسه سافر إلى اسبارطة، ثم توجه مرّة أخرى إلى أنقرة، وكان الحكومة وجلت من تلك الزيارات والجولات المملّفة للنظر فأبلغته بضرورة الإقامة في أميرداغ فاستجاب الأستاذ النورسي لذلك الأمر إلا أنه طلب منهم السماح له بحريّة الانتقال بين أميرداغ واسبارطة.

وفي الأيام الأخيرة من حياته مرض الأستاذ النورسي مرضاً شديداً وكان أربعة من طلابه النجباء يلزامونه طوال تلك الفترة التي كان في اسبارطة (iii)، و عندما اشتد عليه المرض قال لطلابه سوف نذهب إلى "أورفة" (ii) "ديار بكر" إلا أن طلابه لم يستجيبوا لأمره لسوء حالته الصحيّة، ولكن وبعد إلحاح شديد من قبل الأستاذ النورسي اضطر طلابه الامتثال لأمره فقاموا في الصباح من يوم 1960/3/20م بالسفر إلى "أورفة" وفي الحادية عشرة ليلاً وصلوا إلى هناك، ونزلوا في فندق (آيك بالاي)، و ما أن علم أهالي "أورفة" بقدوم الأستاذ النورسي حتّى انهمروا إلى الفندق لزيارته، وعندما علمت الشرطة بوصول الأستاذ إلى "أورفة" قاموا بأمره بالعودة إلى اسبارطة إلا أن الأستاذ النورسي وخلافاً لعاداته امتنع عن تنفيذ أوامر الدولة وقرّر البقاء في "أورفة" وفي يوم الأربعاء 1960/3/23م و قبيل صلاة الفجر توفي الأستاذ النورسي رحمه الله رحمة واسعة.

(iii) أولئك الطلاب الأربعة هم: بيرام يوكسيل، و زير، وحسني، وطاهري.

(ii) مدينة تقع في جنوب شرق تركيا سافر إليها الأستاذ النورسي في الأيام الأخيرة من عمره حيث توفي هناك ودفن فيها قبل أن تقوم السلطات التركيّة بنش قبره وأخذ رفاتة إلى مكان مجهول. (أنظر إلى موقع المدينة على الخريطة في ص67).

الفصل الثاني

حركة النور

حركة النور، أو حركة رسائل النور هي الحركة التي أسسها الأستاذ سعيد النورسي في كردستان تركيا ومنها انطلقت إلى سائر أنحاء تركيا، أما عن سبب إطلاق الأستاذ سعيد النورسي تسمية النور على حركته، وعلى رسائله فقد أجاب هو بنفسه عن ذلك بقوله:

(إن كلمة النور قد جابحتني في كل مكان طول حياتي منها: قريتي اسمها نورس، اسم والدتي نورية^(١)، اسم أستاذي في الطريقة النقشبندية سيد نور محمد، وأحد أساتذتي في الطريقة القادرية نور الدين، وأحد أساتذتي في القرآن نوري، وأكثر من يلزمي من طلابي من يسمون باسم نور، وأكثر ما يوضح كني وينورها هو التمثلات النورية، وأكثر ما حلّ مشكلاتي في الحقائق الإلهية هو اسم (النور) من الأسماء الحسنى، ولشدة شوقي نحو القرآن وانحصار خدمتي فيه فإن إمامي الخاص هو سيدنا عثمان ذو النورين رضي الله عنه)^(١).

إذاً فحركة النور هي نسبة إلى كلمة (النور) وليست إلى النورسي مؤسس الحركة كما يتوهم البعض، وقد أشار الأستاذ النورسي إلى ذلك في الكثير من كتاباته موضحاً أنه لم يأت بشيء من عند نفسه، وغاية ما في الأمر أنه يروج لبضاعة القرآن الكريم ويحببها للناس، وبناء عليه فإن التسمية الصحيحة للمنتسب إلى حركة النور هي (نوري) نسبة إلى النور، وليست (نورسي) لأنه في هذه الحالة تكون النسبة إلى الأستاذ النورسي وهو ما كان يرفضه الأستاذ بشدة.

والآن لتتحدث عن حقيقة حركة النور، هل هي طريقة صوفيّة؟ أو حزب سياسي؟ أو جمعيّة خيرية؟ أم ماذا؟ لقد كتب الكثير عن هذه المسألة، وأدلى كل باحث بدلوه، وإذا ما وضعنا تلك الآراء جنباً إلى جنب، وقمنا بمقارنة بسيطة بينها يتبين لنا تفاوت كبير بينها، فيرى الدكتور أحمد السعيد أنها (جماعة إسلامية سنّية نقشبندية المشرب)^(٢)، ويقول جورج لنشوفسكي بأنها (طريقة صوفيّة... تعتنق فلسفة متطرفة في ميلها للإسلام)^(٣)، ويقول مصطفى الزين إنها (حركة عنصريّة انفصاليّة)^(٤)، وهناك الكثير من الآراء الأخرى حول حقيقة حركة النور، أو النورسية حسب تسمية البعض، وإذا ما أردنا معرفة حقيقة حركة النور يجب أن نعود أولاً لمؤسس الحركة نفسه لمعرفة ذلك، فالأستاذ النورسي عندما أسس حركته كان يدرك أن هناك تساؤلات عدة سوف تطرح حول حركة النور، لذا فقد أجاب هو بنفسه في الكثير من المناسبات عن حقيقة حركة النور، فقال مرّة في معرض اتهام محكمة "أفيون" له بتأسيس جمعية سياسية: (أجل نحن جماعة هدفنا وبرنامجنا إنقاذ

(١) سبق وأن قلت إن الصواب بالنسبة لاسم والده الأستاذ النورسي هو (نوري) بالإمالة، وهو اسم علم شائع ومعروف بين الكرد.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص70.

(٣) الدكتور أحمد السعيد، التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة، د.ط، القاهرة، د.ä. 830 jË.Ï jã.

(٤) جورج لنشو فسكي، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية، ترجمة جعفر الخياط، د.ط، بغداد، د.ä. 1964 jã. 2080.

(٥) مصطفى الزين، أتاتورك وخلفاؤه، د.ط، بيروت، د.ä. 1982 jã. 2910.

أنفسنا أولاً ثم إنقاذ أمتنا من الإعدام الأبدي، ومن السجن البرزخي الانفرادي المؤبد ووقاية مواطنينا من حياة الفوضى والسفاهة، ومحافظة أنفسنا بالحقائق القويّة الفولاذيّة الواردة في رسائل النور من الإلحاد الذي يروم القضاء على حياتنا في الدنيا والآخرة^(٩)، وفي موضع آخر يرد الأستاذ النورسي على الذين يدعون أن حركة النور هي طريقة صوفيّة بقوله: (إن رسائل النور ليست طريقة صوفيّة بل حقيقة، وهي نور مفاض من الآيات القرآنية، ولم تستق من علوم الشرق، ولا من فنون الغرب، بل هي معجزة معنوية للقرآن الكريم خاص لهذا الزمان)^(٩).

إذاً يمكننا وبناء على ما سبق أن نعرّف حركة النور بأنها: جماعة إسلاميّة إصلاحية أسسها الأستاذ سعيد النورسي في كردستان تركيا، تتلقى تعليماتها من نور القرآن الكريم، وهدفها إبراز مزايا القرآن الكريم، وإنقاذ البشر من الزيغ والضلال.

أما بالنسبة لتاريخ تأسيس حركة النور فلا يمكننا تحديد تاريخ دقيق له، وسبب ذلك حسب اعتقادي هو أن حركة النور -سيّما في بداية الأمر- لم تكن منظّمة، ومرتبّة بالشكل المطلوب، بل كان العمل فيها يسير بشكل شبه عفوي، ولكن مع ذلك يمكننا تحديد سنة 1899م كبداية لمرحلة جديدة من مراحل عمر الحركة، فالأستاذ النورسي رغم كونه كان من همكا قبيل هذا التاريخ في العمل الدعوي والإرشادي حيث كان يتجول بين المدن والقرى الكردية في كردستان تركيا بهدف تعليم الناس أمور دينهم، وتوعيتهم توعية شاملة إلا أن سنة 1899م كانت بداية الانعطاف في مسيرته الدعويّة والإصلاحية، ففي تلك السنة علم الأستاذ النورسي من الوالي المرحوم طاهر باشا أن هناك من الأعداء من يحيك المؤامرات ضد الإسلام والمسلمين، فقد سمع من الوالي أن وزير المستعمرات البريطاني وليام غلادستون (GLADSTONE) كان قد قال في إحدى خطباته "مادام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نحكمهم حكماً حقيقياً، فلنسع إلى نزعهم منهم"، فعندما سمع الأستاذ النورسي ذلك الكلام قال مقولته المشهورة: "لأبرهننّ للعالم بأن القرآن شمس معنويّة لا يخبو سناها، ولا يمكن إطفاء نورها"^(٩).

حركة النور أمام التحديات:

(٩) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص428.

(٩) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص202.

(٩) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص66.

لقد تعرضت حركة النور لمحاربة شرسة من قبل أعدائها العلمانيين سواء من جمعية الاتحاد والترقي، أو غيرهم، هذا وقد اتخذت تلك المحاربة أشكالاً عدة، ووسائل متنوعة، أشار الأستاذ النورسي إلى بعضها في رسائله، ومن تلك الوسائل:

1- محاولة تنفير الناس من الأستاذ النورسي بسبب كرديته: يقول الأستاذ النورسي في هذا الصدد: (إن أهل الضلالة الذين دأبهم النفاق والكيد ينصبون فخ الحيلة والخداع وذلك عندما يعجزون عن الوقوف إزاء ما نشرناه من حقائق الإيمان المستهلة من القرآن الكريم، ويحاولون بشق الطرق أن يسحبوا أصدقائي عني... والتهوين من شأني... ويؤشرون في الوقت الحاضر أكبر هجوم عليّ بالذات إذ يقولون إن سعيداً كرديّ فلم تحترمونه كثيراً وتتبعونه؟)^(٩).

2- تحريض بعض علماء السوء، وشيوخ الطرق الصوفية ضدها: فقد عانى الأستاذ النورسي وطلابه من هذه الوسيلة كثيراً فالأستاذ النورسي لم يكن يرغب في حدوث صراع بينه وبين العلماء والشيوخ لأنه كان يدرك مدى خطورة ذلك على الدعوة الإسلامية، ولكن مع ذلك فإن الطرف الآخر من أذعياء العلم والصلاح لم يكونوا ينفكّون عن محاربة طلاب النور وبتحريض من أرباب الحكم في تركيا، وعندما أحس الأستاذ النورسي أن الأعداء ينوون استخدام تلك الوسيلة ضده حذر طلابه منها، وأرشدهم إلى طريقة التعامل مع تلك الوسيلة وذلك بقوله: (ما دمنا نعمل من أجل حقيقة هي من أهم الحقائق وأجلها وأشدّها ثبوتاً ورسوخاً... فلا بدّ إذاً من أن نصمد بكمال المتانة والصبر تجاه جميع الولايات والمخن التي قد تنزل بنا، وأن نواجه بصدر رحب جميع مضايقات الأعداء، إذ من المحتمل جدّاً أن يحرك ضدنا مشايخ أو علماء متظاهرون بالتقوى، منخدعون بأنفسهم أو بتحريض غيرهم لهم... وتجاه موقف كهذا لا بدّ لنا من المحافظة على وحدتنا وتساندنا، وعدم تضييع الوقت معهم في الجدل والنقاش الفارغ)^(١٠).

3- تأليب بعض من سماهم الأستاذ النورسي بالمنافقين ضده: وقد أثرت تلك الوسيلة على الأستاذ النورسي وحركة النور كثيراً، يكفيها أنها تسببت في أن يمكث الأستاذ النورسي في السجون، والمنافي، وتحت الإقامة الجبريّة ما يقارب ربع قرن أو يزيد، ويتحدث الأستاذ النورسي عن تلك الوسيلة قائلاً: (لم يتمكن أعداء رسائل النور المتسترين أن يتحملوا تلك الفتوحات النورية فنّبها المسؤولين في الدولة ضدنا، وأثاروهم علينا، فأصبحت الحياة مرّة أخرى ثقيلة مضجرة... ولكن ما أن مرّت فترة وجيزة حتى حوّل المنافقون وهم الأعداء المتسترون_ نظر الحكومة إلى شخصي أنا،

(٩) بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالح، ط 1، تركيا _ استانبول، دار سوزلر للنشر، 1992jäl .541Ö

(١٠) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص372.

وتبّهوا أذهانها إلى حياتي السياسية السابقة، فأثاروا الأوهام والشكوك، وبثوا المخاوف من حولي في صفوف ودوائر العدل، والمعارف، والأمن، ووزارة الداخلية... حتى أن الحكومة قامت إثر ذلك بحملة توقيف وتضييق شديد علينا، وبمصادرة ما تمكنت من الحصول عليه من الرسائل، فتوقف نشاط طلاب النور وفعاليتهم^(١١).

4- بث روح التفرقة بين طلاب النور، وتثبيط همهم، وزرع الشكوك حول حركة النور ومنهجها، إلا أن الأستاذ النورسي تمكن بفضل الله سبحانه أن يحمي طلابه من مخاطر تلك الوسيلة أيضاً، فلم يستطع أعداؤه النيل من حركته، بل زاد ذلك طلاب النور إصراراً وتماسكاً بمنهج الحركة، يقول الأستاذ النورسي عن تلك الوسيلة: (إن أهم أساس في تلك الخطط الرهيبة: تثبيط إخواننا الطلاب الخواص الثابتين، وإلقاء الفتور في نفوسهم لدفعهم إلى التخلي عن رسائل النور، فاختلقوا أكاذيب، وحاكوا دسائس يحار منها الإنسان... وقد يلبسون لبوس الناصح الصديق، ويوصون الضعفاء: لا تتقربوا من سعيد فهو مراقب ومحاط بجواسيس الحكومة ليدفعوهم إلى التخلي عن رسائل النور، بل حتى يسلطون فتيات يافعات على الطلاب الشباب لإثارة هوساتهم النفسانية)^(١٢).

كانت تلك بعض الوسائل التي حوربت بها حركة النور إلا أنّها تمكنت من أن تصمد أمامها، وبالتالي خرجت من المعركة منتصرة، وأصلب عوداً، وأكثر متانة في تحمل المشاق، وهذا وقد حذر الأستاذ النورسي السلطات مراراً من معبّة محاربة طلاب ورسائل النور فقد قال في الشعاع الرابع عشر: (لا تبارزوا مع رسائل النور المستند إلى القرآن الكريم فإنها لا تغلب، وإلا سيكون أمر هذه البلاد مؤسفاً إذا ما حاول أحد طمس نورها... ولعلّ الزلازل العنيفة التي حدثت أثناء المباراة تثبت صدق حكم "سيكون أمر هذه البلاد مؤسفاً"^(١٣)).

(١١) بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص394.

(١٢) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص280.

(١٣) لقد جرت سنة الله أن تبتلي تركيا بالزلازل عادة كلما شنت حملة جديدة على الإسلام والمسلمين، ومن النماذج التي شهدتها بنفسها زلزال تركيا الشهير الذي وقع في شهر آب من عام 1999م، فقد كنت حينها في زيارة إلى مدينة استانبول حيث وقع زلزال عنيف ومدمر بقوة 6,8 وقد دام (45) ثانية تقريباً، وبلغ عدد القتلى (50) ألف قتيل حسب الإحصائيات الحكومية التي يقال بأنها تعدت إخفاء الإحصاء الحقيقي لعدد الضحايا، هذا عدا الجرحى الذين وصل عددهم إلى مئات الآلاف، بالإضافة إلى الخسائر المادية التي قدرت بملايين الدولارات، ولا أريد هنا الخوض في التفاصيل، وإنما أريد أن أؤكد على صحة ما ذهب إليه الأستاذ النورسي من أن تركيا تتعرض للزلازل كلما قامت بالإساءة إلى الإسلام، فقد تبين في اليوم التالي للحادثة أنه كانت هناك مؤامرة شرسة تحاك ضد الإسلام، حيث تجمع المئات من الجنرالات الأتراك مع مجموعة من الضباط الكبار من اليهود في قاعة فندق سياحي في مدينة "أد بازار" السياحية والتي تقع على ساحل البحر، وقد تجمعوا هناك لحبك مؤامرة كبرى ضد الإسلام، وفي تلك الليلة أقيمت حفلة كبيرة بتلك المناسبة، وقام أحد الجنرالات الأتراك بتمزيق نسخة من المصحف الشريف ورماه تحت أقدام إحدى الراقصات وقال ليأت

انتشار حركة النور:

قلت سابقاً إن الأستاذ سعيد النورسي أسس حركته في كردستان تركيا وذلك بحكم كرده، ووجوده فيها، ولكن ما لبثت الحركة حتى انتشرت وتوسعت حتى شملت كافة أنحاء تركيا تقريباً حيث انظم آلاف الشباب والشابات الأتراك إلى صفوف الحركة، هذا وقد كان انتشار حركة النور ورسائل النور يسيران جنباً إلى جنب لأنهما لا ينفكان عن بعضهما البعض، فأى منطقة وصلت إليها حركة النور كانت تصل إليها رسائل النور أيضاً في الوقت نفسه والعكس صحيح.

الجانب التنظيمي والأمني لدى حركة النور:

النورسي والعمل الجماعي:

لاشك أن العمل الإسلامي إذا ما نفذ بشكل جماعي سوف يكون مجدياً وذا ثمار أكثر بكثير منها إذا ما نفذ بشكل انفرادي وعشوائي، وقد أثبتت تجارب العمل الإسلامي صحة هذا القول، وإذا ما تأملنا في حركة ورسائل النور يتبين لنا مدى اهتمام الأستاذ النورسي بالعمل

ربّ أربكان لنصرة كتابه وبعد ذلك بقليل حدث ما حدث، أما ذلك الفندق الكبير الذي كان مؤلفاً من عدّة طوابق فقد حسف الله به الأرض حيث غار في مياه بحيرة وارتفع الماء فوق الطابق العلوي ثلاثين متراً، وصدق الله ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ النحل، 118.

(îÑ) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص410.

الجماعي، و(يبدو تأثيره بمنطق العصر الذي يعتمد العمل الجماعي الذي تنصهر فيه قوة الفرد مع قوة إخوانه بحيث يشكلون قوّة تزيد بالقطع عن قوة الفرد) (١٠١).

لقد كان الأستاذ النورسي يؤكد دوماً على العمل الجماعي، ويبرز مزاياه وفوائده، وكان يذم العمل الفردي ويبين سلبياته ومخاطره على العمل الإسلامي، يقول في إحدى رسائله: (إن هذا الزمان زمان الجماعة، وليس زمان الشخصية الفردية، وإظهار الفردية والأناية، فالشخص المعنوي الناشئ من الجماعة ينفذ حكمه، ويصمد تجاه الأعاصير، فلأجل الحصول على حوض عظيم ينبغي للفرد إلقاء شخصيته وأنايته التي هي كقطعة ثلج في ذلك الحوض وإذا ابتها فيه، وإلا ستذوب حتماً تلك القطعة من الثلج، وتذهب هباء، وتفوت الفرصة من الاستفادة من ذلك الحوض أيضاً) (١٠٢)، ويقول في موضع آخر: (إن الحياة نتيجة الوحدة والاتحاد، فإذا ذهب الاتحاد المندمج الممتزج بالحياة المعنوية تذهب أيضاً أدرج الرياح، فالآية الكريمة {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} (١٠٣) تشير إلى أنّ التساند والترابط إذا اختل تفقد الجماعة مذاقها، إنكم تعلمون أن ثلاث ألفات إذا كتبت منفردة متفرقة فقيمتها ثلاث، ولكن إذا اجتمعت بالتساند العددي فقيمتها مائة وأحد عشر) (١٠٤)، ما أروع هذا الكلام وما أبلغه في بيان أهمية العمل الجماعي، ويتحدث في رسالة أخرى عن أهمية العمل الجماعي وأنه يسيطر على حالات الانفلات التي قد تصدر من البعض فيقول: (إن شخصاً حتى لو كانت شجاعته حسنة فإنه بعد دخوله جماعة متساندة لا يستطيع أن يستعمل شجاعته تلك حفاظاً على راحة جماعته، صيانة لعدم زعزعتهم، فلا بدّ من العمل وفق الحديث: "سيروا سير أضعفكم" (١٠٥)).

(١٠١) الدكتور عبد المعطي محمد بيومي، كيف يعمل القرآن في هذا العصر في رؤية بدیع الزمان النورسي، بحث مقدم للمؤتمر العالمي الرابع نحو فهم القرآن في كليات رسائل النور المنعقد في استانبول بتركيا في الفترة 20-22 سبتمبر 1998، 17٥.

(١٠٢) بدیع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص313

(١٠٣) الأنفال، 46.

(١٠٤) بدیع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص248.

(١٠٥) قال عنه الإمام السخاوي: (لا أعرفه بهذا اللفظ ولكن معناه في قوله صلى الله عليه وسلم: (أقدر القوم بأضعفهم فإنّ فيهم الكبير والسقيم والبعيد وذا الحاجة) وهو عند الشافعي في سننه، والترمذي وقال حسن، وابن ماجه من حديث عثمان بن أبي العاصي وصححه ابن خزيمة والحاكم وقال إنه على شرط مسلم) الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٩02هـ) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، صححه وعلّق على حواشيه عبد الله محمد الصديق، ط بيروت_لبنان، دار الكتب العلميّة، 1399هـ_1979، 247٥.

(١٠٦) بدیع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص216.

كيفية الانضمام إلى حركة النور:

في اعتقادي إن الأستاذ النورسي كان يقسم طلاب النور إلى قسمين:

القسم الأول: وهم جميع المسلمين الذين اختاروا الإسلام منهجاً للحياة، ودأبوا على قراءة رسائل النور، وعملوا على نشرها بين الناس، حتى لو لم ينتظموا داخل صفوف طلاب النور، ولو كانوا في بلدان أخرى، يقول خسرو⁽ⁱ⁾: (أيما إنسان وصلت إليه رسائل النور المفاضة بالأنوار يرتبط بها ارتباطاً وثيقاً، لذا فهي جولة بين المشتاقين الذين هم أهل لها)⁽ⁱⁱ⁾.

القسم الثاني: وهم الذين جاءوا لينضموا فعليا إلى صفوف حركة النور، والتزموا بأوامر وتوجيهات الحركة، وهذا القسم كان يرتبط بحركة النور إما عن طريق المجيء إلى الأستاذ النورسي ومقابلته شخصياً، وإما أن يطلب الانتماء إلى حركة النور عن طريق إرسال رسالة إلى الأستاذ النورسي يطلب منه قبوله ضمن صفوف طلاب النور، وهنا أرى من المفيد إبراز نماذج من الطريقة الثانية أي طريقة الارتباط برسائل النور عن طريق إرسال الرسائل إلى الأستاذ النورسي:

النموذج الأول: لقد أخبرني السيد حمزة طاهر الشوشي (أن والده الشيخ طاهر الشوشي كان قد قرأ إحدى رسائل النور في كردستان العراق وذلك في سنة 1928م فأعجب بها أيما إعجاب مما حمله على البحث عن رسائل أخرى فتمكن من ذلك وقرأها جميعاً واستنسخها بخطه الرائع ونشرها بين طلبة العلم في كردستان العراق، وفي سنة 1947م أرسل رسالة إلى الأستاذ النورسي في تركيا قائلاً له إني فلان ابن فلان لقد قرأت بعض رسائلكم التي أعجبتني كثيراً لذا أرجو أن تعدني واحداً من طلاب النور، فردّ عليه الأستاذ النورسي قائلاً: "إني قد اعتبرتكم من طلاب النور قبل تسعة عشر عاماً" فتعجّب والدي من قول الأستاذ هذا وذكره لهذا التاريخ، وانشغل فكره مدّة من الزمن إلى أن تذكّر أنه كان قد قرأ أوّل رسالة من رسائل النور سنة 1928م أي قبل تسعة عشر عاماً من تاريخ كتابة تلك الرسالة التي أرسلها إلى الأستاذ النورسي، ولعلّ ذلك يكون كرامة من كرامات الأستاذ النورسي رحمه الله^(iE).

(i) خسرو هذا كان من أوائل طلاب النور الذين استنسخوا المئات من الرسائل ونشروها في أحلك الظروف، وقضى معظم سنوات عمره مع أستاذه في سجون أسكي شهر، ودنزي، وأفيون، وهو الذي كتب مصحفاً بتوجيه من الأستاذ النورسي لإظهار الإعجاز في التوافقات اللطيفة لاسم الجلالة في الصفحة الواحدة، وقد ولد (خسرو) في إسبارة سنة 1899م وتوفي في استانبول سنة 1977م رحمه الله رحمة واسعة (نقلاً عن الأستاذ إحسان قاسم الصالحي في ترجمته لكتاب اللغات ص74، الحاشية).

(ii) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص48، رسالة من خسرو إلى الأستاذ النورسي.

(iE) لقاء مع السيد حمزة طاهر الشوشي، العراق-دهوك، سنة 2000ã.

إهداء الكتاب

إلى طلائع النور من أهل العلم والعرفان

إلى الاخوان الأعراف الأحاب الألباء الذين يتأقون في
رياض سيرة رسولهم الأكرم وأنوار تاريخ حياة منقدهم
الأعظم الرؤف الرحيم ذي الخلق العظيم الهادي إلى
الصراط المستقيم بهديه وجميل سنته .
إلى الذين يستأنسون بالأطلاع على عظمة هذا النبي العربي
وما آتاه الله من الشيم والشمائل والخلق والفضل وذلك
بمشاهدة جمال خلقه وصورته وكامل نفسه وشيمته وسمودهاية و
حكيمته وعلو جاهه وحشمته ومعرفة أهل بيته وعترته وشيخه
وخصائصه وكالاته ومعجزاته وإرهاصاته وعجائب شأنه
وغايبه

الإهداء الذي كتبه الشيخ طاهر الشوشي في بداية كتابه رياض النور

النموذج الثاني: رسالة من إحدى الفتيات تدعى "مزينة"، وقد أدرج الأستاذ النورسي رسائلها ضمن الملاحق تحت عنوان: (رسالة مزينة من أخواتنا في الآخرة، وطالبات رسائل النور)؛ وجاء في رسالتها:

(أستاذي المحترم: إن عيوني الغارقة في آلام هذه الدنيا الفانية ارتبطت بكلماتكم المؤثرة، وبرسائلكم الشافية من كل قلبي وروحي، وكلما قرأتها أدركت كم هي مرشدة تلك الرسائل بحيث أعجز عن وصفها... لقد تسلّمنا من أختنا "ذكائي" (الكلمة السابعة عشرة) (المكتوب الثامن عشر والعشرين) (رسالة النوافذ) الساطعة بالأنوار وبدأنا بمطاعتها، هذا ولا يغادر أيدينا أستاذنا الحقيقي وهو القرآن العظيم.

مزينة (iñ).

أما تركيبة طلاب النور فكانت مكونة من شتى الشرائح والأعمار، فكان فيهم الطبيب، والمحامي، والمهندس، والتاجر، والضابط، وكان فيهم المتعلم، والأمي، كما كان فيهم الشيخ المسن، والرجل الكهل، والشاب اليافع، والطفل الصغير.

أما دور النساء في حركة النور فينبغي أن لا ننساه، فقد كان لهنّ دور بارز لا يقل عن دور الرجال، فعلى سبيل المثال أتت بعض النساء ذات يوم إلى الأستاذ النورسي وقلن له: (يا أستاذنا إننا قرّنا القيام بالأعمال اليومية لأزواجنا لعلهم يتفرغون كلياً لكتابة "رسائل النور" لنغنم ثواب المشاركة في الخدمة) (iñ).

ويقول الأستاذ النورسي عن دور النساء في حركة النور: (إن القسم الثاني من طلاب النور هم النساء اللاتي يشعرن بحاجتهن إلى رسائل النور في فطرتهن... فرسائل النور تكون لهنّ غذاء معنوياً لأن إحدى أسس رسائل النور "الشفقة" التي هي مظهر من مظاهر اسم الله "الرحيم"، وهي الخميرة والجوهر الخاص المغروز في فطرة النساء وميزتهن الأصليّة) (iñ)، وفي موضع آخر يمدح الأستاذ النورسي نساء قرية "ساو" (iñ) بقوله: (فلله الحمد ألف مرّة أن الأمهات المباركات في تلك

(iñ) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص78.

(iñ) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص246.

(iñ) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص246.

(iñ) ساو قرية قريبة من مدينة بارلا التي نفى الأستاذ النورسي إليها، ويذكر أن أهالي تلك القرية صغاراً وكباراً رجالاً ونساءً خدموا رسائل النور خدمة كبيرة.

القرية قد عرفنا رسائل النور، ويقدرها حق قدرها، فلقد أبكتني بكاء فرح وسرور التضحية التي بذلتها أولئك السيدات العزيزات أخواتي في الآخرة المخلصات في نشر رسائل النور (i).⁽ⁱ⁾

مراتب الطلاب في حركة النور:

من الأمور البديهية في كل تجمع أو حركة أو تنظيم وجود تفاوت بين أعضائه من حيث المرتبة التنظيمية، وغالباً ما يبنى هذا التفاوت على أساس القدم، والمستوى الثقافي والفكري، ومقدار الخدمات التي يقدمها ذلك الفرد للتنظيم الذي ينتمي إليه، وهذا التفاوت في المرتبة التنظيمية أمر لا بد منه وإلا فكيف يستطيع بعضهم تسييس وإدارة أمور الأفراد الآخرين؟

لذلك قام الأستاذ النورسي بتقسيم طلاب النور إلى مراتب ثلاث، كما حدّد شروط وواجبات طالب النور في كل مرحلة من تلك المراحل التنظيمية، فقد بين في إحدى رسائله أن الذي يأتي للانضمام إلى صفوف حركة النور (إما أنه صديق، أو أنه أخ، أو أنه طالب:

فخاصية الصديق وشروطه:

أن يكون مؤيداً تأييداً جاداً لعملائنا في نشر الأنوار القرآنية، وأن لا يميل إلى الباطل والبدع والضلالة قلباً، وأن يسعى أيضاً ليفيد نفسه (i).⁽ⁱ⁾

وخاصية الأخ وشروطه:

أن يكون ساعياً سعيّاً حقيقياً وجاداً لنشر الرسائل (ii)، فضلاً عن أدائه الصلوات الخمس، واجتنبه الكبائر السبع (ii).⁽ⁱⁱ⁾

(i) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص138.

(ii) يلاحظ هنا عدم التشديد في شروط وواجبات هذه المرتبة بالمقارنة مع شروط وواجبات المرتبتين الأخريين.

(iii) ويلاحظ هنا أن شرط الارتقاء إلى هذه المرتبة هو أن يكون ساعياً حقيقياً وجاداً بدلاً من أن يكون مؤيداً تأييداً جاداً بالنسبة للمرتبة الأولى أي مرتبة الصديق.

(iv) المقصود بالكبائر السبع ما ورد في الحديث النبوي الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اجتنبوا السبع الموبقات)، قالوا يا رسول الله وما هن؟ قال: (الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات). الحافظ أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (194_256هـ)، صحيح البخاري، بيروت_لبنان، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت، كتاب الوصايا_باب: إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً، ص584، حديث رقم: 2766.

وخاصية الطالب وشروطه:

أن يعدّ رسائل النور كأنها من تأليفه هو، وأنها تخصّه بالذات، فيدافع عنها كأنها ملكه، ويعتبر نشر تلك الأنوار والعمل لها أجلّ وظيفة لحياته^(D).

أما بالنسبة للامتيازات التي سوف يحصل عليها أفراد كل مرتبة من تلك المراتب الثلاث فقد بينها الأستاذ النورسي بقوله:

(الصديق يرتبط بشخصيتي الذاتية، والأخ يرتبط بشخصيتي العبدية أي كوني أؤدي مهمة العبودية لله سبحانه، أما الطالب فهو يرتبط بي من حيث كوني داعياً ودليلاً للقرآن الكريم ومرشداً إليه... فإن كان طالباً فهو حاضر معي صباح كل يوم باسمه وأحياناً بخياله^(D)).

وإن كان أحاً فهو حاضر معي في دعائي على دفعات باسمه وصورته فيشاركني في الثواب والدعاء، ثم يكون ضمن جميع الإخوان وأسلمه إلى الرحمة الإلهية، إذ عندما أقول في ذلك الدعاء: اخوتي وأخواتي فهو منهم، إن لم أكن أعرفه بالذات فالله أعلم به وأبصر.

وإن كان صديقاً فهو داخل ضمن دعائي باعتباره من الاخوة عامة إذا ما أذى الفرائض واجتنب الكبائر.

وعلى هؤلاء الطبقات الثلاث أن يجعلوني ضمن كسبهم الأخروي أيضاً^(D).

عدد أفراد طلاب النور في زمن الأستاذ النورسي:

رغم عدم اهتمام الأستاذ النورسي بالكمية لأنها ليست مقياساً دقيقاً لقياس قوّة وضعف أي تجمع، إلا أنه كان يشير على طلابه البارزين بكتابة أسماء طلاب النور لكي يكون على بينة من أمر الحركة، والدليل على أن أسماء طلاب النور كانت مكتوبة لدى الأستاذ النورسي في ذلك الوقت ما

(D) يلاحظ هنا أن الأستاذ النورسي قد شدّد في شرط الارتقاء إلى هذه المرتبة، فبدلاً من التأييد والسعي في المرتبتين الأولى والثانية يجب في المرتبة الثالثة أن يعدّ رسائل النور من تأليفه هو، وهذا أعلى مراتب العضوية في حركة النور.

(D) بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص442.

(D) أي أن الأستاذ النورسي يدخله ضمن دائرة من يدعو لهم بعد أن يستحضر اسمه وصورته معاً.

(D) بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص443.

ورد في كلامه ضمن الشعاع الثالث عشر: (تحياي إلى الاخوة جميعاً الذين يدورون دوماً في خيالي فرداً فرداً ممن لم أكتب أسمائهم، وأدعو لهم بالسلامة والأمان) (٥٠١).

هذا وقد بلغ عدد طلاب النور في النصف الأول من الأربعينيات من القرن العشرين (500,000) طالباً، والدليل على ذلك ما ورد في المحاورة التي جرت بين الأستاذ النورسي و الأستاذ علي أوزك (٥٠٢) وذلك عندما زار هذا الأخير مدينة استانبول، وقد ورد في كلام الأستاذ علي BGA (سيدي الأستاذ: يسأل الشيخ مصطفى صبري (٥٠٣) عن عدد طلابكم، فأجاب الأستاذ النورسي: لي خمسمائة ألف طالب وخادم للقرآن) (٥٠٤).

ودليلي على أن ذلك كان عدد طلاب النور في النصف الأول من الأربعينيات من القرن العشرين هو ما أشار إليه الأستاذ علي أوزك من أنه عاد بعد لقائه بالأستاذ النورسي إلى مصر وأنه التقى بالأستاذ مصطفى صبري وأنه كان طريح الفراش، ويعاني من ألم المرض بسبب شيخوخته، علماً أن وفاة هذا الأخير كان في سنة 1945م كما مرّ قبل قليل.

هذا وقد دعا الأستاذ النورسي طلاب النور إلى ضرورة الاجتماع دفعة واحدة وفي مكان واحد (٥٠٥)، ونبه على ضرورة ذلك بالنسبة لطلبة النور حيث قال: (ثمّ من الضرورة بمكان أن يكون لطلاب النور كل بضع سنين اجتماعاً يجتمعون فيه دفعة واحدة) (٥٠٦).

من خلال دراسة رسائل النور يتبين لنا بعض الأسماء اللامعة في سماء حركة النور حيث كان الأستاذ النورسي يعتمد عليهم بشكل خاص، ويستشيرهم في الأمور الهامة، ويأتي (خسرو) في مقدمتهم، وقد صدرت عدّة إشارات من قبل الأستاذ النورسي لصدارة (خسرو) ومكانته الخاصة في صفوف حركة النور منها قوله في الشعاع الرابع عشر: (ينبغي التساند الحقيقي، والترابط الصادق

(٥٠١) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص366.

(٥٠٢) علي أوزك تركي كان يدرس في جامعة الأزهر بالقاهرة، وقد شغل بعد تخرجه منصب عميد المعهد الإسلامي العالمي في استانبول.

(٥٠٣) الشيخ مصطفى صبري هو آخر من تولى منصب شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، هاجر من تركيا بعد سقوط الخلافة واستقرّ في مصر إلى أن توفي سنة 1945.

(٥٠٤) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص542.

(٥٠٥) هذا الذي أشار إليه الأستاذ النورسي يسمّى في عرف الأحزاب والجماعات بـ (المؤتمر العام) ويعد من الأمور الضرورية لأية جماعة حيث يجتمع أهل الرأي والخبرة في تلك الجماعة، ويقومون بتقييم عملهم في الفترة السابقة، ويحددون مواقع الخلل في سير العمل، و يبيّنون مواطن القوة والضعف لدى الجماعة، ويضعون استراتيجيتهم للسنوات المقبلة.

(٥٠٦) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص551.

الذي هو أقوى مرتكز ونقطة استناد لنا مع غض النظر عن أخطاء بعضنا البعض، وعدم الاستياء من خسرو الذي هو بطل النور، والممثل لشخصه المعنوي (Ñ) وفي موقعي أنا (Ñ).

ومن الأسماء اللامعة الأخرى في سماء حركة النور كل من خلوصي (ÑÑ) وصبري (ÑÑ) اللذان كانا موضع ثقة واهتمام الأستاذ النورسي الذي قال في حقهما:

(إنهما من طلابي الحقيقيين، ومن رفقائي الصادقين الجادين، يحملان ثلاث خصال من خصال طلاب النور العاملين في سبيل القرآن وهي: خاصية كل من الطالب، والأخ، والصديق بل هما قد فازا بقصب السبق في الاتصاف بتلك الصفات الثلاث) (ÑÑ).

وهناك أسماء أخرى ورد ذكرها على لسان الأستاذ النورسي حيث مدحهم كثيراً بسبب خدماتهم الجليلة التي قدموها لطلاب النور ورسائل النور أمثال: الحافظ علي (ÑÑ)، ومصطفى صنكر، وجيلان (ÑÑ)، وغيرهم.

(Ñ) ربما يقابل هذا المصطلح (مثل الشخص المعنوي) الناطق الرسمي باسم الجماعة الذي يتداوله البعض في هذه الأيام.

(ÑÑ) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص546.

(ÑÑ) السيد خلوصي يحيى كيل من السابقين الذين تتلمذوا على الأستاذ النورسي في "بارلا"، وكان حينئذ ضابطاً برتبة نقيب، وكان يبعث الأسئلة باستمرار إلى الأستاذ النورسي الذي كان يجيبه عليها، وقد جمع تلك الأجوبة بتوجيه من الأستاذ النورسي وأطلقت عليها تسمية (المكتوبات)، توفي سنة 1986م عن (91) سنة من العمر رحمه الله رحمة واسعة (نقلًا عن الأستاذ إحسان قاسم الصالحي في ترجمته لكتاب الملاحق ص13 الحاشية).

(ÑÑ) السيد صبري (1893_1954ã) عالم فاضل تولى الإمامة في جامع قرية (بارة) القريبة لمنفى الأستاذ النورسي في "بارلا" كان يستنسخ مباشرة ما تصل إليه من رسائل ومكاتيب ويرسلها خفية بواسطة طلاب نور أكفاء إلى الحافظ علي وإخوته النوريين فيستنسخونها ويوزعونها سرًا إلى المشتاقين إليها (نقلًا عن الأستاذ إحسان قاسم الصالحي في ترجمته لكتاب الملاحق ص 13 الحاشية).

(ÑÑ) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص13.

(ÑÑ) الحافظ علي هو من الأوائل الذين تتلمذوا على الأستاذ النورسي، وكان دؤوباً في الاستنساخ لما أنعم الله عليه من جودة الخط ومن علو الهمة، استشهد في سجن "دينزلي" سنة 1944م عن (46) سنة من العمر رحمه الله رحمة واسعة. نقلًا عن: إحسان قاسم الصالحي في ترجمته لكتاب الملاحق للأستاذ سعيد النورسي، ص55 الهامش.

(ÑÑ) كان واحداً من طلاب النور المقربين من الأستاذ النورسي، وقد خدم الأستاذ ورسائل النور خدمات جليلة لذلك أثنى عليه الأستاذ النورسي في العديد من المواضع في رسائل النور.

بعض شروط الانتماء إلى حركة النور:

لقد وضع الأستاذ النورسي مجموعة من الشروط التي يجب أن تتوفر في الشخص الذي يرغب في الانضمام إلى صفوف حركة النور ومن تلك الشروط:

1- الامتناع عن أخذ الأوامر والتوجيهات من أية جهة كانت من خارج دائرة حركة النور، وقد نصّ الأستاذ النورسي على ذلك بقوله: (إن طلاب النور لا يتحركون عن نور خارج دائرة رسائل النور، وما ينبغي لهم) (ÑÖ)، وهذا برأيي أمر ضروري جداً لأية حركة أو جماعة، فلكي تستطيع قيادة الحركة تحقيق أهدافها لا بدّ أن تمتلك قاعدة مطيعة وملتزمة بأوامرها، ولا بدّ لتلك القاعدة أن تسير وفق الخطة المرسومة لها من قبل قيادتها، وهذا لا يتحقق إلّا إذا اقتصر أفراد الجماعة على قيادتها في أخذ التوجيهات والأوامر، ونقصد هنا بالتوجيهات والأوامر تلك التي تخصّ شؤون الجماعة أو الحركة، والتي تؤثر سلباً وإيجاباً على مدى تحقيقها لأهدافها، أما التوجيهات والنصائح العامة التي تتعلّق بالإسلام بشكل عام فلا مانع من قبولها من الآخرين وإن كانوا من خارج إطار الجماعة.

2- لا يجوز لطالب النور أن يتخذ له مرشداً خارج إطار جماعة النور، يقول الأستاذ النورسي في ذلك: (إنّ ما في دائرة رسائل النور من مشرب الخلة والأخوة... هذا المشرب لا يدع حاجة إلى البحث عن المرشد الوالد في الخارج، بل يوجد له بدلاً من الوالد المرشد الواحد إخواناً كباراً كثيرين) (Ö).

3- لا يجوز لطالب النور أن يتخذ له شيخاً خارج دائرة النور، يقول الأستاذ النورسي في ذلك: (من لم يكن له شيخ بعد الدخول في الدائرة ليس له أن يتخذ شيخاً إلّا ضمن الدائرة) (Ö).

4- لا يجوز لطالب النور الانتماء إلى الطرق الصوفيّة، يقول الأستاذ النورسي في ذلك: **ä** ما في درس رسائل النور للحقائق من علم الحقيقة الذي يمنح فيض الولاية الكبرى النابعة من سرّ الوراثة النبويّة لا يدع حاجة إلى الانتماء إلى الطرق الصوفيّة) (Ö).

كانت تلك بعض الشروط والضوابط التي يجب الالتزام بها لمن أراد الانضمام إلى حركة النور، وإذا حدث أن انظم أحدهم إلى الحركة ثم خرج منها فرّماً لا يمكنه الرجوع إليها مرّة أخرى، يقول

(ÑÖ) بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص427.

(Ö) بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص426.

(Ö) بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص426.

(Ö) بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص428.

الأستاذ النورسي في ذلك: (إن دائرة رسائل النور دائرة واسعة جداً، وطلابها كثيرون جداً فلا تعقب الذين يهربون منها، ولا تهتم بهم، وربما لا تدخلهم ضمن دائرتها مرة أخرى لأن الإنسان يملك قلباً واحداً، والقلب الواحد لا يمكن أن يكون في داخل الدائرة وخارجها معاً).^(٤٢٨)

هذا وقد كان الأستاذ النورسي يبيّن مزايا حركة النور في الكثير من المناسبات، ويبين خدماتها الجليلة التي قدمتها للدعوة الإسلامية، وكان كثيراً ما يذمّ الذين يحاولون كسب طلاب النور إلى صفوفهم، فيقول في اللمعة الثامنة والعشرين: (إن الراغبين في إرشاد الآخرين ممن هم خارج دائرة النور عليهم أن لا ينشغلوا بطلاب النور... فالطلاب الذين هم في دائرة التقوى ليسوا بحاجة إلى الإرشاد، علماً أن في الخارج الكثير من تاركي الصلاة، فترك أولئك والانشغال بهؤلاء المتقين ليس من الإرشاد في شيء).^(٤٢٩)

ولقد حاول الكثير من شيوخ الطرق الصوفية كسب طلاب النور لصالحهم، وإدخالهم في طرقهم الصوفية إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك لقوة الارتباط الذي استطاع الأستاذ النورسي ربط طلابه به، وقد أشار الأستاذ النورسي في إحدى كتاباته إلى واحدة من تلك المحاولات فقال: (كان معنا في السجن^(٤٣٠) شيخ عظيم ومرشد مرموق ذو جاذبية من أولياء الطريقة النقشبندية -رحمهم الله- جالس ما يقارب من ستين من طلاب النور طوال أربعة أشهر، وحاوهم محاورات مغرية جلبهم إلى الطريقة إلا أنه لم يتمكن إلا على ضم واحد منهم إلى صفه وبصورة مؤقتة).^(٤٣١)

لقد كان الأستاذ النورسي يؤكد على أهمية الانضمام إلى صفوف حركة النور، ويبين مزاياها، ومن ذلك قوله: (إن للانتساب إلى رسائل النور أهمية عظيمة، وثنناً غالباً جداً، فالراشد الذي بلغ هذه التضحيات، وجاهد الإلحاد باسم العالم الإسلامي لا يترك هذا المسلك الذي هو أثن من الأماس، ولا يستطيع أن يدخل مسالك أخرى غيره).^(٤٣٢)

وأمام كل تلك الهجمات التي استهدفت تشييت شمل طلاب النور والتشكيك في استقامة نهم، وأمام المجادلات والمناقشات والمحاولات المستمرة التي بذلها شيوخ الطرق الصوفية لكسب بعض طلاب النور إلى صفوفهم، قام الأستاذ النورسي بالعمل على تقوية الصفوف الداخلية للحركة، وعمل على تمتين الروابط بين طلاب النور، وقد نجح في ذلك نجاحاً كبيراً حيث استطاع

(٤٢٨) بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، ص428.

(٤٢٩) بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، ص428.

(٤٣٠) يقصد سجن أسكي شهر.

(٤٣١) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص308.

(٤٣٢) بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، ص428.

الحفاظ على طلابه وتجنبيهم من التفرق والتشتت والانقسام، يقول الأستاذ النورسي في الشعاع الثالث عشر: (اعلموا يا اخوتي أن أهم أساس لقوتنا ونقطة استنادنا هي التساند، وإياكم والنظر إلى تقصيرات بعضكم البعض مما يولده الانفعال في الأعصاب من جراء هذه المصائب) (٣٥٤)، ويقول في مكان آخر: (الفضل والسبق هو أن لا يترك الطالب أخاه عندما يراه مبتلى بفساد، بل يزيد من اخوته معه، ويسعى لإصلاحه) (٣٥٥).

ولكن مع ذلك فقد اعترف الأستاذ النورسي بأن هناك بعض طلاب النور الذين تركوا الجماعة كل منهم لسبب معين بعضهم خوفاً من العقاب، والبعض الآخر طلباً للمغرم الديني، إلى غير ذلك من الأسباب.

الجانب الأمني لدى حركة النور:

إن الاهتمام بالجوانب الأمنية أمر في غاية الأهمية لكل حركة أو جماعة تعمل لهدف معين، فالذي يجمع حوله مجموعة من الأفراد ويؤسس حركة أو تنظيمًا معينًا لابد وأن تتجه الأنظار إلى حركته وجماعته، وربما تدخل تلك الجماعة في صراع مع غيرها من الحركات والتجمعات الأخرى التي تعمل في الساحة نفسها أو في ساحة أخرى، ولا بد أن تلتفت تلك الحركة أو الجماعة انتباه السلطة الحاكمة التي تنظر بعين الريبة والشك إلى جميع تحركاتها وخطواتها، ثم إن العمل الجماعي سواء كان باسم الحركة، أو الحزب، أو الجمعية معروض للاختراق من قبل الأعداء والمنافسين، كما أنه معروض لسرقة المعلومات، وبث الدعايات والإشاعات المضادة لها، ونشر الاتهامات الباطلة ضدها، ونصب المصائد السياسيّة لها، وغيرها من الأسلحة الفتاكة التي ربما تفتك بقيادة تلك الجماعة أو ذلك الحزب وقاعدتها معاً، وما أكثر الأحزاب والتنظيمات التي محيت من الوجود بسبب إهمالها في الجانب الأمني و المعلوماتي.

والدارس لحركة النور يدرك أنّ الأستاذ النورسي قد أولى اهتماماً كبيراً بالجانب الأمني والمعلوماتي للحركة، أما مسألة تسرّب بعض المعلومات، أو وقوع بعض الأوراق في يد الأعداء فهذا لا يدلّ على التسيّب الأمني لدى أية جماعة أو حركة، فأية جماعة أو تنظيم مهما بذلت من الاحتياطات الأمنية فلا بدّ من وقوع بعض الأوراق، أو تسرّب بعض المعلومات إلى الخصم، لنعد

(٣٥٤) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص364.

(٣٥٥) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص378.

إلى الحديث عن الجانب الأمني في حركة النور، فلقد كان الأستاذ النورسي يعطي لطلابه الكثير من التوجيهات الأمنية جنباً إلى جنب مع التوجيهات التربوية والأخلاقية والسلوكية، ففي رسالة له إلى كل من (خسرو) æ (محمد فيضي) æ (صبري) جاء فيها: (...والآن هناك إشعار رسمي موضوع بخطة رهيبة لإحداث جفوة بين أركان طلاب النور) (Ó).

و ذات مرّة شاهد الأستاذ النورسي مجموعة من طلابه وهم يتحدثون مع بعضهم البعض، ويبدو أنهم كانوا قد أهملوا الجانب الأمني في ذلك اللقاء فأرسل إليهم رسالة توجيهية وبأسلوب لطيف ينبههم فيها إلى أهمية الاحتياطات الأمنية، ومما جاء في رسالته تلك: (اخوتي الأعزاء الصديقين: محمد مصطفى، وإبراهيم، وجيلان) (Ó) لقد شاهدتكم أمس وأنتم الأربعة في جلسة أخوية لطيفة فسرتت بها كثيراً، وشكرت الله عليها، واستمعت إليها بفرح وسرور... ولكن شاهدت فجأة أن هناك في جهتيكم من يسترق السمع إليكم ودام الاستماع نصف ساعة من الزمان، فقلقت وقلت في قلبي ربما بينهم جاسوس يغيّر معاني الكلام فيجعل من الحبة قبة حيث كانوا يلقون السمع باهتمام، ولا يتلفت إليهم الاخوة المتكلمون لعدم اهتمامهم بالحذر، ولتعة الجلسة والمؤانسة فيها فكتبت إليكم جواباً بهذا الشأن، والحمد لله فقد علمت أن الكلام ما كان فيه ضرر ومع ذلك فالأخذ بالحذر ضروري في هذه الفترة الحرجة) (Ó).

ومن الاحتياطات الأمنية الأخرى لدى الأستاذ النورسي الامتناع عن ذكر بعض الأسماء في رسائله التي كان يبعث بها إلى طلابه وذلك حرصاً منه على عدم الكشف عن انتمائهم لحركة النور ربما لظروف خاصة بهم أو بالعمل الحركي داخل الجماعة، ومن تلك النماذج نذكر رسالة كان الأستاذ النورسي قد بعث بها إلى بعض طلابه وقد ورد فيها: (...إن رشدي ورأفت وسليمان æ...من لا أستطيع ذكر أسمائهم من اخوتي الأفاضل أرجو أن لا يمتعضوا من عدم محاورتهم محاورة خاصة بالرسالة، إننا مضطرون إلى اتخاذ الحيلة والحذر بنسبة عظمة خدماتنا وأهميتها، وبنسبة قوّة المعارضين لها ودسائسهم الشيطانية) (Ó).

(Ó) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص552.

(Ó) هنالك شيء أثار انتباهي عند قراءتي للرسائل التي كان الأستاذ النورسي قد بعث بها إلى طلابه في العديد من المناسبات ألا وهو الاكتفاء بذكر اسم الطالب فقط دون أي ذكر لاسم والده أو قرنته، أو عائلته، أو مهنته، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على الاهتمام الكبير الذي أولاه الأستاذ النورسي بالمسائل الأمنية، والاكتفاء بذكر الاسم فقط في الرسائل بين أفراد التنظيم الواحد أمر يغفل عنه الكثيرون رغم أهميته، فذكر اسم الشخص فقط يشكلّ صعوبة بالغة في التعرّف عليه في حالة وقوع تلك الرسالة في يد الخصم بخلاف ما إذا ذكر مع الاسم اسم والده أو مهنته أو غير ذلك.

(Ó) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص576.

(Ó) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص100.

ومن الاحتياطات الأمنية الأخرى لدى حركة النور عدم إعطاء رسائل النور أيّاً كان إلا بعد التحقق من أنه ليس من الجواسيس الذين كلّفوا بمراقبة ومتابعة تحركات طلاب النور، وعندما وقع أحد طلاب النور في خطأ من ذاك القبيل مما تسبب في إلقاء القبض على مجموعة منهم، ذكّرهم الأستاذ النورسي بنصيحته قائلاً: (لقد قلت يوماً وأنا على جبل قسطنطيني، بل صرخت مراراً يا إخواني: لا تلقوا اللحم أمام الحصان ولا العشب أمام الأسد، بمعنى لا تعطوا كل رسالة أيّاً كان حذراً من أن يتعرّضوا لنا بسوء) (٥٦).

أسس ومبادئ حركة النور:

لابدّ لكل حركة أو جماعة من أسس ومبادئ تستند عليها وتنطلق منها نحو تحقيق أهدافها، وتتوقف قوّة ومتانة كل حركة على قوّة ومتانة أسسها ومبادئها، وإذا ما درسنا حركة مثل حركة النور لتبيّن لنا بوضوح مدى قوتها ورسالتها وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على قوّة ورسالة الأسس التي قامت عليها تلك الحركة، وفي حديثنا عن أسس حركة النور سوف نقسّمها إلى قسمين: الأول: الأسس التي وضعها الأستاذ النورسي لطلاب النور، والقسم الثاني: الأسس التي قامت عليها حركة النور.

أولاً: أسس طالب النور:

لقد وضع الأستاذ النورسي مجموعة من الأسس التي لابدّ من توفرها لدى طالب النور لكي يستطيع العمل ضمن حركة طلاب النور، والتحقق من توفر تلك الأسس في طالب النور أمر ضروري لكي يستطيع إخوانه الاعتماد عليه، ولكي يتمكن هو من مواصلة السير في خطى الحركة ومن تلك الأسس:

1- الإخلاص:

وهو الأساس الأول في كل عمل يرجو صاحبه نيل الأجر والثواب من ورائه لذلك حثّ الله سبحانه وتعالى عباده عليه في كل عمل {وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ} (٥٠).

وكان الأستاذ النورسي يحثّ طلابه على الإخلاص ويحذّرهم من ضده وهو الرياء، فقد قال لأحدهم يوماً: (أخي العزيز الفطن: اللهاث وراء الشهرة التي هي رياء وعُجب ودخول التاريخ بفخر وبهاء، وهو عُجب ذو فتنة، وحب الظهور وكسب إعجاب الناس... كل ذلك مناف ومخالف للإخلاص الذي هو أساس من أسس مسلك النور وطريقه) (٥١).

2_ الثقة:

وهذا أيضاً أمر لا بدّ من توقّره لدى أي شخص يعمل مع أية جماعة، لأنه إذا لم يثق الفرد بقيادة الجماعة أو الحركة التي يعمل معها لا يستطيع مواصلة العمل معها وتقبّل قراراتها وتوجيهاتها.

3_ الاعتراف بقصوره:

هذا هو الأساس الثالث الذي يجب أن يتوقّر لدى طالب النور لأن الإنسان إذا لم يعترف بقصوره لا يمكنه الاعتراف بأنه بحاجة إلى غيره ليكمل بعضهم بعضاً سعيّاً لخدمة الإسلام والمسلمين، وفي هذا يقول الأستاذ النورسي: (إن أساساً من أسس رسائل النور هو: معرفة الشخص بقصوره في قرارة نفسه، والاندفاع إلى خدمة الإيمان بتفان لمرضاة الله وحده دون الالتفات إلى الآخرين) (٥٢).

(٥٠) البيّنة، 5.

(٥١) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص289.

(٥٢) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص272.

ثانياً: أسس حركة النور:

لقد وضع الأستاذ النورسي مجموعة من الأسس انطلق منها نحو العمل الإسلامي وتحقيق أهدافه، وقد قمت باستنباط بعض من تلك الأسس من خلال كتابات الأستاذ النورسي في رسائله لأن تلك الأسس ليست محددة ومحصورة بل هي مبثوثة في ثنايا كتابات الأستاذ النورسي فجمعت أهم تلك الأسس والتي منها:

1_ التمسك بالكتاب والسنة:

هذا الأساس هو الفيصل بين الحركات والجماعات الرشيدة والصادقة والمخلصة في عملها، وبين الحركات المشبوهة التي تعمل لتحقيق أهداف غير نبيلة، لذلك أكد الأستاذ النورسي _قولاً وعملاً_ تمسكه وتمسك طلاب النور بالكتاب والسنة تمسكاً متيناً، يقول الأستاذ النورسي في كتابه إشارات الإعجاز: (القرآن هو أسمى مرشد وأقوى أستاذ على الإطلاق... ومنذ ذلك اليوم أقبلت على القرآن، واعتصمت به، واستمدت منه، فـ "الكلمات" والأنوار (ﷻ) المستفادة من القرآن الكريم إذن ليست مسائل علمية فحسب وإنما مسائل قلبية وروحية وإيمانية (ﷻ).

ويقول الأستاذ النورسي عن التمسك بالسنة النبوية: (إن سنة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وحركاته هي أفضل نموذج للاقتداء، وأكمل مرشد للاتباع والسلوك، وأحكم دستور، وأعظم قانون يتخذه المسلم أساساً في تنظيم حياته، فالسعيد المحظوظ هو من له أوفر نصيب في هذا الاتباع للسنة الشريفة) (ﷻ).

2_ ترسيخ الإيمان بالله:

(ﷻ) يقصد بذلك رسائل النور.

1، إستانبول_ تركيا دار سوز لر للنشر،

(ﷻ) بديع الزمان سعيد النورسي، إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز، ط

1414هـ_1994ã 170.

(ﷻ) بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص95.

لقد أدرك الأستاذ النورسي منذ شبابه مدى خطورة ما يحيكه أعداء الإسلام للنيل من إيمان أبنائه، لذا سارع إلى العمل لإنقاذ الإيمان، وكثيراً ما كان يردد: (إن هذا الزمان ليس زمان الطريقة الصوفية بل زمان إنقاذ الإيمان) (٥١).

لقد أعطى الأستاذ النورسي الأولوية لإنقاذ الإيمان في وقت تكاتف الأعداء من الداخل والخارج على حدّ سواء لمحاربة الإسلام، ولاقتلاع الإيمان من قلوب الناس، وقد مرّ معنا في الفصل الأول ما قاله وزير المستعمرات البريطاني من أنهم لن يستطيعوا السيطرة على المسلمين ما دام هذا القرآن بأيديهم، أما أعداء الداخل فلم يكن حقدهم بأقل من حقد أعداء الخارج، فقد ورد في دائرة معارف "الحياة" التركية تحت كلمة (الله) الذي نشر في استانبول سنة 1932م: (إن الفكرة التي تريد الأديان الموجودة حالياً أن تبثها هي أن الله واحد، وأنه هو الذي خلق الكون، ولكن التقدم العلمي بدأ يوضّح لنا شيئاً فشيئاً أن هذه الفكرة باطلة، وأنه لا وجود لشيء اسمه (الله)، وقد انتشرت فكرة عدم الاعتقاد بالله بين أوساط المثقفين) (٥٢).

لقد وقف الأستاذ النورسي أمام ذلك السيل من التشويه والتشكيك في كل ما يتعلّق بالدين، ووفق في سعيه ذاك كل التوفيق حيث انتشرت رسائل النور_ التي بدّدت ظلام الإلحاد _ في تركيا كالنار في الهشيم، والتحق مئات الآلاف من الشباب الواعي بركب حركة طلاب النور.

3_ رفض أسس الثقافة والفكر الغربي:

كان للأستاذ سعيد النورسي موقف رافض للأسس الثقافية والفكرية الغربية، وكان يعتقد أن انتشار تلك الأسس في المجتمع التركي هو أحد الأمراض الخطيرة التي يجب على تركيا التخلص منها، ذلك لأن (الحضارة الغربية تركز على مبادئ الفلسفات الجاحدة التي أوجدت حالة من القلق

(٥١) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص263.

(٥٢) دائرة معارف (الحياة) التركية، تركيا_ استانبول، 1932m | j1 1320.

والفوضى الفكرية، والتشكيك والإلحاد في العالم الإسلامي مستغلة تخلف المسلمين من جهة،
وجهلهم بأمور دينهم من جهة أخرى (٥٤).

والأستاذ النورسي حينما يرفض أسس الفكر والثقافة الغربية لا يعني ذلك أنه كان يرفض
الاستفادة من التقدم التكنولوجي والتطور العلمي الذي حققه الغرب، حيث يقول في ذلك: (إن ما
أنجزته هذه المدنية الحاضرة من خوارق في ساحة العلم نعم ربانية تستدعي شكراً خالصاً من الإنسان
على ما أنعم عليه، وتقتضي منه كذلك استخداماً ملائماً لها لفائدة البشرية ومنفعتهم) (٥٥).

4 - التغيير:

لقد كرّس الأستاذ سعيد النورسي حياته كلها من أجل إحداث التغيير في المجتمع التركي
وإصلاحه (٥٦)، وقد استطاع أن يحقق من ذلك الشيء الكثير، هذا وقد اجتمعت عدّة عوامل
لنجاحه في عمله التغييرى ويأتي في مقدمة تلك العوامل إيمانه وقناعته التامة بضرورة مراعاة التدرج
وسلم الأولويات في التغيير والإصلاح، ويتحدث في إحدى كتاباته عن سبب عدم تأثره ببعض
الوعاظ ب (أنهم عند ترغيبهم بأمر ما وترهيبهم منه يسقطون قيمة ما هو أهم منه فيفقدون بذلك
المحافظة على الموازنة الدقيقة الموجودة في الشريعة، أي لا يميّزون بين المهم والأهم) (٥٧).

أهداف حركة النور:

لا بدّ لكلّ حركة أو تجمّع من أهداف تعمل على تحقيقها، إذ العمل والسعي دون تحديد
الهدف _ أو الأهداف _ يجعل تلك الحركة تدور في حلقة مفرغة، ولا يمكنها تقييم عملها، ولا معرفة
المرحلة التي وصلت إليها الحركة.

(٥٨) İ. İbrahim خليل أحمد، الحركة النورية في تركيا المعاصرة، بحث مقدم إلى المؤتمر الأول للدراسات التركية، جامعة الموصل_مركز
الدراسات التركية، 1989 ã 19Ö.

(٥٩) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص379.

(٦٠) لا أريد هنا التوسع في الكلام عن التغيير لأنني سوف أتوسّع فيه في الباب الثاني وذلك أثناء الحديث عن المشروع الإصلاحي
للأستاذ النورسي إن شاء الله.

(٦١) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ط1، تركيا_ استانبول، شركة النسل للطباعة، 1416هـ/ 1995 ã 472Ö.

لقد كان الأستاذ النورسي يدرك مدى أهمية تحديد الأهداف لكل حركة أو جماعة، لذلك يقول: (إن لم يكن لفكر الجماعة غاية وهدف مثالي، أو نسيت تلك الغاية، أو تنوسيت تحولت الأذهان إلى أنانيات الأفراد وحامت حولها) (٥).

وإذا ما تأملنا في حركة النور نجد أن الأستاذ النورسي قد حدّد لطلابه مجموعة من الأهداف وقام هو وطلابه بالعمل على تحقيقها، وقد وفقهم الله في ذلك حيث استطاعوا تحقيق تلك الأهداف بشكل مرضي، وفيما يلي ذكر لأهم تلك الأهداف:

أولاً: إنقاذ الإيمان:

لقد كان الأستاذ النورسي محققاً للحق في جعل إنقاذ الإيمان الهدف الأول والأساسي لحركته، فإذا ما تأملنا في حالة تركيا الإيمانية والعقدية في بداية القرن العشرين الميلادي لوقفنا على مؤامرة رهيبية كانت تحاك خيوطها للنيل من الإسلام، فقد تكاتفت اليهودية العالمية مع الحركة الماسونية ومباركة ومساعدة الدول الاستعمارية لسليخ تركيا من هويتها الإسلامية وجعلها دولة لا دينية، وهيموا لتنفيذ ذلك المخطط مجموعة من الأتراك أنفسهم من أدعياء الحرية والثقافة والتقدم متمثلين بجمعية "الاتحاد والترقي"، وقد مرّ معنا في الفصل الأول كيف بدءوا بتنفيذ مخططهم، ففي مؤتمر لوزان الذي عقد بين تركيا والحلفاء وضع رئيس الوفد الإنكليزي مجموعة من الشروط للاعتراف باستقلال تركيا، وكان الشرط الأول والأساسي هو: قطع كل صلة لتركيا بالإسلام، وبناء عليه قام مصطفى كمال أتاتورك بإلغاء كل من وزارة الشريعة والأوقاف، كما قام بملاحقة كل من يتحدّث عن الخلافة الإسلامية وأصدر ضدهم أحكاماً بالسجن والتعذيب وربما الإعدام، وأغلق أبواب المساجد والمدارس الشرعية، ومراكز تحفيظ القرآن الكريم، وعمل على منع الشعائر الإسلامية واستبدالها بعبادات أوروبية، كما منع الحجاب الإسلامي ولبس الطربوش واستبدلهما بالسفور والقبعة الإفرنجية إلى غير ذلك من وسائل محاربة الإسلام.

ولكن مع كل ذلك أبي الله إلا أن يتم نوره، فقد قيض الله سبحانه لتركيا الأستاذ سعيد النورسي الذي جعل إنقاذ الإيمان هدفه الأول والأساسي، والذي استطاع بتوفيق الله سبحانه إنقاذ تركيا من محاولة المسخ تلك، فاستطاع أن يشعل جذوة الإيمان في نفوس مئات الآلاف من الشباب

(٥) بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط2، القاهرة، دار سوزلر للنشر، 1412هـ-1992ج. 8510.

والشابات، والرجال والنساء والشيوخ، يقول الأستاذ النورسي في ذلك: (إن المهمة الأساسية لرسائل النور هي: تقوية الإيمان وإنقاذه، لذا نجد أنفسنا ملزمين بالخدمات الإيمانية دونما تمييز بين عدوّ وصديق ومن غير تحيز لأية جهة كانت) (٥٥)، هذا وقد اشتهر عن النورسي مقولته التي يقول فيها: (إن الزمان زمان إنقاذ الإيمان لا سلوك الطريقة الصوفية) (٥٦).

هذا وقد جعل الأستاذ النورسي مهمة إنقاذ الإيمان واحدة من أهم وظائف طلاب النور حيث يقول: (وظيفة كل طالب ليس هو إنقاذ إيمانه وحده، بل هو مكلف أيضاً بالحفاظ على إيمان غيره) (٥٧).

لقد كان الأستاذ النورسي يؤكد على إنقاذ الإيمان لأنه كان يدرك أن إنقاذ الإيمان هو أهم شيء في تلك الظروف، فالإيمان إذا أنقذ يكون من السهل إنقاذ الأمور الأخرى لأنها متعلقة بالإيمان، أما إذا فقد الإيمان والعياذ بالله فمن الصعب في تلك الحالة إنقاذ الأمور الأخرى لأن الأصل والجوهر غير موجودان، لذلك لما استطاع الأستاذ النورسي بتأييد الله إنقاذ الإيمان في تركيا استطاعت الأمة أن تعيد عافيتها بعد طول عناء، فالإسلام في تركيا لا يزال يتقوى يوماً بعد يوم، المظاهر الإسلامية تزدد في تركيا بمرور الأيام، ومساجدها مملآة بالمصلين، وعدد حفاظ وحافظات القرآن الكريم أصبح يتضاعف، وأصبح الكثير من الأتراك يعتزون بانتمائهم إلى الإسلام ولا يرضون به بديلاً كل ذلك كان ثمرة لعملية إنقاذ الإيمان التي تحققت على يد الأستاذ النورسي وطلاب النور.

ثانياً: خدمة القرآن الكريم:

لم يرتبط الأستاذ النورسي بشيء كارتباطه بالقرآن الكريم، فقد كان الأستاذ النورسي شديد الارتباط بالقرآن الكريم إلى درجة أنه سخر حياته كلها لخدمته لا سيما بعد اطلاعه على المؤامرة الخبيثة التي طرح وزير المستعمرات البريطاني فكرتها بقوله: "ما دام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نحكمهم حكماً حقيقياً فلنسعى إلى نزعهم منهم" فتعهد الأستاذ النورسي بأن يخدم القرآن الكريم

(٥٥) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص 466.

(٥٦) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص 22.

(٥٧) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص 202.

بإثبات حقائقه للناس أجمع حيث قال: (لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنويّة لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها) (٥٦).

هذا وقد كان الأستاذ النورسي يؤكد دوماً أنه ليس إلاّ دلالة (٥٧) لبضاعة القرآن حيث يقول: (إن الحقائق والمزايا الموجودة في الكلمات ليست من بنات أفكارني ولا تعود إليّ أبداً وإنما للقرآن وحده، فلقد ترشحت من زلال القرآن حتّى أن الكلمة العاشرة ما هي إلاّ قطرات ترشحت من مئات الآيات القرآنية الجليلة، وكذا الأمر في سائر الرسائل بصورة عامّة... لهذا كلّ أقول äÄ الرسائل ليست ملكي ولا مني بل هي ملك القرآن... ولو بلغ صوتي أرجاء العالم كافة لكنت أقول بكل ما أوتيت من قوّة (الكلمات) جميلة رائعة وإنما حقائق، وإنما ليست مني وإنما هي شعاعات التمتع من حقائق القرآن الكريم، فلم أجمل أنا حقائق القرآن، بل لم أتمكن من إظهار جمالها وإنما الحقائق الجميلة للقرآن هي التي جمّلت عباراتي ورفعت من شأنها، واستنادا إلى قاعدة: وما مدحت محمدا بمقالتي ولكن مدحت مقالتي بمحمد أقول: وما مدحت القرآن بكلماتي ولكن مدحت كلماتي بالقرآن) (٥٨).

لذلك فليس غريباً أن نرى الأستاذ النورسي ينطلق في أفكاره من القرآن الكريم، والذي يطالع في رسائل النور يقف بسهولة على حقيقة ثابتة وهي أن النورسي كان مشبعاً بروح القرآن الكريم لذا تراه يطرح حلولاً رائعة لمشاكل معقّدة من خلال القرآن الكريم، وتراه يخرج بأسرار عجيبة من آيات قرآنية كريمة لم يسبق وأن أشار إليها مفسّر قبله، ويتجلّى ذلك كلّ في سائر رسائل النور لا سيّما في كتابه الرائع "إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز" وهو كتاب في التفسير ألفه الأستاذ النورسي في جبهة القتال أثناء قيادته لفرق المتطوعين، يقول الأستاذ النورسي في ذلك: (لقد تمّ تأليف تفسير "إشارات الإعجاز" في السنة الأولى من الحرب العالمية الأولى على جبهة القتال بدون مصدر أو مرجع، وقد اقتضت ظروف الحرب الشاقّة وما يواكبها من حرمان أن يكتب هذا التفسير في غاية الإيجاز والاختصار لأسباب عديدة) (٥٩).

ثالثاً: الإصلاح والتغيير:

(٥٦) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص 66.

(٥٧) الدلال هو الذي يقوم بالترويج لبضاعة شخص ما بهدف بيعها مقابل أجره معيّنة.

(٥٨) بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص 476.

(٥٩) بديع الزمان سعيد النورسي، إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز، ص 17.

إذا كانت لكل حركة سمة بارزة فإن السمة البارزة لحركة النور هي الإصلاح، فقد أمضى الأستاذ النورسي حياته كلها ومعه طلابه في سبيل إصلاح ما هدمه الآخرون، وقد سلك في ذلك مسلك الأنبياء الذين كانوا يتعاملون مع المذنبين والعصاة بعطف وشفقة، ذلك لأن أولئك العصاة إنما تصدر عنهم تلك الأعمال والتصرفات الخاطئة لأنهم لا يعرفون الصراط المستقيم، وأنهم لا يعرفون مدى خطورة استمرارهم على تلك المعاصي، وقد مرّ معنا قبل قليل مقولة الأستاذ النورسي (... نجد أنفسنا ملزمين بالخدمات الإيمانية دونما تمييز بين عدو وصديق، ومن غير تحيز لأية جهة كانت).

وكان الأستاذ النورسي يؤمن بالتدرج في الإصلاح والتغيير لأن الفساد الذي كان قد عمّ في البلاد لم يكن حصيلة يوم وليلة، بل مرّت على الأمة مراحل ومراحل حتّى وصلت إلى ذلك المستوى من التردّي والابتعاد عن دينه وعقيدته وأخلاقه، لذلك كان الأستاذ النورسي يدرك أن إصلاح وتغيير ذلك الكم المتراكم من الأخطاء والفساد لا يمكن أن يتم بين عشية وضحاها، بل لابدّ من وضع برامج مكثّفة ودقيقة، ولا بدّ من تنفيذها من قبل أناس مخلصين متحلّين بصبر وتحمل شديدين على تحمل مشاقّ الطريق، فطريق الإصلاح والتغيير شاقّ وطويل وذو عقبات جمّة، والشيء الأهمّ الذي ينبغي أن لا يفوت أرباب الإصلاح والتغيير هو مسألة الوقت، فكم من المشكلات والسلبيات لا سبيل إلى حلّها سوى الانتظار بعض الوقت، لذا فالقاعدة المعروفة لدى دعاة الإصلاح هي: الوقت جزء _ بل جزء مهم _ من العلاج.

ويرى الأستاذ النورسي أن الكون كلّهُ بما فيه ومن فيه يسير وفق نظام دقيق لا يجيد عنه قيد أمثلة، لذلك ينبغي أن تكون خطوات التغيير منظّمة وتدرجيّة ومنسجمة مع ذلك النظام الدقيق، استمع إليه حيث يقول: (إنّ من يشق طريقاً في الحياة الاجتماعيّة ويؤسس حركة لا يستثمر مساعيه ولن يكون النجاح حليفه في أمور الخير والرقى ما لم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطريّة التي تحكم الكون، بل تكون جميع أعماله في سبيل التخريب والشّر).

وسائل حركة النور:

لا تقل أهمية الوسائل عن أهمية الأهداف التي تحددها أية حركة، فالأهداف العظام لا بد لها من وسائل مجدية لتحقيق التكافؤ بين الأهداف والوسائل، فالأهداف التي حددها الأستاذ النورسي والتي تطرقنا إليها قبل قليل لم يكن تحقيقها بالأمر الهين لذلك نجد الأستاذ النورسي قد استعان بالكثير من الوسائل لتحقيق تلك الأهداف، والشيء البارز بالنسبة لتلك الوسائل هو تنوعها، فالأستاذ النورسي لم يوفر أية وسيلة مشروعة وممكنة بل سخر كل تلك الوسائل لخدمة دعوته ونشر أفكاره الإصلاحية.

إن تنوع وتعدد الوسائل لدى أية جماعة أو حركة هو دليل على نضجها وشموليتها، ومن ناحية أخرى يؤدي ذلك إلى تسهيل عملية الاستيعاب الخارجي، وازدياد عدد أعضائها المنتمين إليها ذلك لأن الشخص الذي لا تقنعه وسيلة ما استخدمت معه وسيلة أخرى أكثر إقناعاً، والمجتمع أو الطبقة التي لم تنفع معها وسيلة معينة يلجأ معها إلى وسيلة أخرى أكثر تناسبا، فالناس بسبب تفاوت مستوياتهم الثقافية والعلمية والفكرية، وبسبب اختلاف ميولهم ورغباتهم واهتماماتهم لا بد من استخدام الوسيلة المناسبة مع كل صنف منهم، وهذا ما فعله الأستاذ النورسي بالضبط. وإليك فيما يأتي عرض لأهم الوسائل التي استخدمها الأستاذ سعيد النورسي لنشر دعوته:

أولاً: التوجيه والإرشاد بشكل مباشر:

لقد نالت هذه الوسيلة القسط الأوفر من اهتمام الأستاذ النورسي، فحياته كلها كانت عبارة عن نصائح وتوجيهات وإرشادات للناس من حوله، وقد منّ الله سبحانه وتعالى عليه بحلاوة لسانه، واتصافه بقوة البيان، وقوة التأثير على المقابل، فعلى سبيل المثال نذكر أنه عندما حاول اليهودي المعروف عمانوئيل قره صو اللقاء به بقصد التأثير عليه وكسب تأييده لصالح المحفل الماسوني في استانبول سرعان ما قاطع الأول منهما اللقاء وقال: (لقد كاد هذا الرجل أن يزجني في الإسلام بحديثه) (٥٧).

هذا وقد وجّه الأستاذ النورسي توجيهاته ونصائحه للناس كافة ولم يقتصر على شريحة دون أخرى بل شملهم جميعاً بتوجيهاته السديدة ونصائحه المفيدة، وإليك بعض النماذج من تلك الشرائح التي وجّه الأستاذ النورسي إليهم توجيهاته ونصائحه:

Ā_ الشباب: لقد ركّز الأستاذ النورسي في توجيهاته على شريحة الشباب لأنه كان يدرك مدى أهمية إصلاحهم ومحافظةهم من الانحراف، لذلك كان الشباب يشكّلون الغالبية العظمى من طلاب النور، ومن التوجيهات التي وجّهها الأستاذ النورسي لهم قوله: (إن الشباب الذي هو مدار الأذواق واللذائذ ذاهب نحو الزوال، وتارك مكانه للشيخوخة التي هي منشأ الأحزان، وإن الحياة الساطعة الباهرة لفي ارتحال، وتهيئاً الموت المظلم المخيف ليحلّ محلّها... فإن صرف عهد الشباب للعبادة، وبذل للخير والصلاح لكان دونه ثماره الباقية الدائمة، وعنده وسيلة الفوز بشباب دائم وخالد في حياة أبدية) (٥٥)، ويقول في مناسبة أخرى: (إن خير الشباب هم أولاء الذين لم يتمادوا كثيراً في الغفلة عن الله، بل يتذكرون الموت كتذكّر الشيوخ له فيجدون لإعمار آخرتهم متحرّرين من قيود أهواء الشباب ونزواته) (٥٦).

هذا وقد ألف الأستاذ النورسي رسالة بعنوان "مرشد الشباب" ضمنها الكثير من النصائح والتوجيهات والإرشادات القيّمة لهم.

Ē_ الشيوخ: رغم الاهتمام البالغ الذي أبداه الأستاذ النورسي بالشباب إلا أنه لم ينس الشيوخ حيث خصّهم بالكثير من التوجيهات والنصائح، وكان عدد الشيوخ في حركة النور لا بأس به، ومن النصائح والتوجيهات التي وجّهها لهم قوله: (... وهكذا أيها الشيوخ ويا أيها العجائز اعلموا أن ما في الشيخوخة من العجز والضعف ليس إلا وسيلتين لدرّ الرحمة الإلهية وجلب العناية الربانية، فإنني شاهد على هذه الحقيقة في كثير من حوادث حياتي... وما دام الإسلام يأمر بتوقير الشيوخ والرحمة بهم، والفطرة الإنسانيّة تقضي الاحترام والرحمة تجاه الشيوخ فلا بدّ لنا نحن الشيوخ - ألا نستبدل شيخوختنا هذه بمائة عهد من عهود الصبا ذلك لأن لنا فيها أذواقاً معنويّة دائمة جديدة بدلاً من الذوق المادي الناشئ من نزوة الشباب... نعم إنني أطمئنكم بأنه لو أعطيت عشر سنوات من عهد شباب "سعيد القديم" فلن أستبدلها بسنة واحدة من شيب "سعيد الجديد" فأنا راضٍ عن شيخوختي فارضوا عنها أنتم كذلك) (٥٧).

(٥٥) بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص356.

(٥٦) بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص364.

(٥٧) بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص361.

وقد أَلَّفَ الأستاذ النورسي رسالة باسم "رسالة الشيوخ" وافتتحها بقوله: (يا من بلغتم سن الكمال، أيها الاخوة الشيوخ الأعزاء ، ويا أيتها العجائز المحترمات إنني مثلكم شيخ كبير، سأكتب لكم بعض ما مرَّ عليّ من أحوال، وما وجدته بين حين وآخر من أبواب الأمل وبوارق الرجاء في عهد الشيخوخة لعلكم تشاركونني في أنوار السلوة المشعة من تلکم الرجایا والآمال) (٥).

جـ النساء: كان للنساء ولا يزال دور لا يستهان به في حركة النور، وقد مرَّ معنا قبل صفحات كيف أنّ النساء لعبن دورهنّ البارز في سبيل خدمة رسائل النور لذلك أخذت النساء حيناً كبيراً من اهتمامات الأستاذ النورسي مما دفعه إلى تأليف رسالة خاصّة بهنّ بعنوان "مرشد أخوات الآخرة"، وعنون للمعة الرابعة والعشرين من كتاب اللمعات بـ "رسالة الحجاب" وضمنها الكثير من النصائح والإرشادات التي وجهها لهنّ والتي منها: (أخواتي العزيزات: اعلمن قطعاً أن الأذواق والمتع الخارجة عن حدود الشرع فيها من الآلام والمتاعب أضعاف أضعاف لذائدها، وقد أثبتت رسائل النور هذه الحقيقة بمئات من الدلائل القويّة والحوادث القاطعة... واعلمن يقيناً أن اللذة الحقيقية في هذه الدنيا إنما هي في الإيمان وفي حدود الإيمان، وإن في كلّ عمل صالح لذّة معنوية) (٥).

ثانياً: نشر رسائل النور وقراءتها على الناس:

ما كان الأستاذ النورسي ينتهي من إملاء رسالة من رسائل النور على طلابه حتى تنتشر بين الناس انتشار النار في الهشيم، فرسائل النور كانت تنتشر بين الناس بشكل مذهل حيث كانت تنسخ آلاف النسخ بالخط اليدوي وتوزع بين كافة الشرائح والطبقات، وقد مرَّ معنا كيف تضافرت جهود طلاب وطالبات النور في كتابة ونشر رسائل النور، يقول الأستاذ النورسي في ذلك: (أجل إنّ رسائل النور هي أقوى وسيلة وأنجع دواء لهذه الأمة في هذا البلد في سبيل إعادة الأخوة الإسلاميّة

(٥) بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، ص342.

(٥) بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، ص313.

السابقة، والمحبة السابقة، وحسن الظن والتعاون المعنوي بين ثلاثمائة وخمسين مليون مسلم (٥)، وفي سبيل البحث عن وسائل هذا التعاون (٥).

هذا وقد أدت رسائل النور دوراً كبيراً في توعية الأمة وإيقاظها من سباتها الطويل، وتذكيرها بمهمتها الأساسية في هذا الوجود، وإحياء الحمية الدينية في نفوسهم، وبذلك أصبح وجود رسالة من رسائل النور في مكان ما بمثابة وجود الأستاذ النورسي نفسه هناك، وإذا كان الأستاذ النورسي قد مُنِعَ من اللقاء بالناس والتكلم معهم فقد أصبح له آلاف الألسنة التي تتكلم مع الناس بواسطة رسائل النور التي انتشرت انتشاراً واسعاً، يقول الأستاذ النورسي في اللمعة السادسة والعشرين: (.. ثم ساقونا إلى سجن "دنيزلي" وزجوني في ردهة كبيرة ذات عفونة ورطوبة شديدتين فوق ما فيهما من برودة شديدة فاعتزاني حزن وألم شديد... حتى أغاثني العناية الربانية فحولت ذلك السجن الرهيب إلى مدرسة نورية... وبدأت رسائل النور بالانتشار والتوسع حيث بدأ أبطال مدرسة الزهراء بكتابة تلك الرسائل بأقلامهم الأمامية... فكانت تلك النسخ سبباً للفتوحات في السجن وفي خارجه... وبينما كنا ننتظر التهديد والأوامر المشددة من الدوائر الرسمية التي أرسلت إليها رسائل الثمرة والدفاع (٥) كما أرسلت إلى دائرة العدل جميع الرسائل فإذا بتقاريرهم المسلية في منتهى اللين والرقّة... فأثبتت كلّ هذا إثباتاً قاطعاً أنّ حقائق رسائل النور بفضل العناية الإلهية وكرامتها قد غلبتهم وانتصرت عليهم حتى جعلتهم يقرءونها ويستترشدون بها، وحولت تلك الدوائر الرسمية الواسعة إلى ما يشبه المدارس النورية، وأنقذت كثيراً من الحيارى والمترددین وشدّت من إيمانهم (٥).

وعندما منع طلاب النور من إلقاء الدروس وقراءة رسائل النور على الناس في المساجد والمدارس أمرهم الأستاذ النورسي أن يحوّل كل منهم بيته إلى مدرسة نورية قائلاً لهم: (ليحوّل كل شخص بيته إلى مدرسة يتدارسون فيها [كذا] (٥) مع أطفاله وأهل بيته، وإن لم يكن له أحد وكان وحيداً فليتخذ مع بضع من أفراد جيرانه إحدى المساكن مدرسة نورية يتدارسون فيها رسائل النور أو يستمعون لها (٥) أو يستنسخونها (٥)).

(٥) يبلغ عددهم اليوم (1300) مليوناً تقريباً.

(٥) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص445.

(٥) هما اسمان لرسالتين من رسائل النور.

(٥) بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، ص404.

(٥) ولعلّ الصواب يتدارس فيها.

(٥) لا يزال طلاب النور يواظبون على تنفيذ هذا التوجيه الذي وجهه الأستاذ النورسي إليهم، وعندما كنت في تركيا كنت في بعض الأحيان أحضر في بعض تلك المجالس التي يجتمع فيها مجموعة من طلاب النور وغيرهم، ويقوم أحدهم بقراءة بعض الفقرات من إحدى رسائل النور ومن ثمّ يقوم بشرحها والتعليق عليها أحياناً، ويتم ذلك في البيوت لأن القيام بذلك في المساجد أو الأماكن

ثالثاً: إرسال الرسائل الشخصية:

لقد أثبت أسلوب إرسال الرسائل الشخصية فاعليتها قديماً وحديثاً، فكم من المشاكل والعقد التي لم يكن إلى حلّها سبيل حلّتها رسالة بليغة موجّهة إلى الطرف المعني بذلك، هذا وقد استخدم الأستاذ النورسي هذه الوسيلة في الكثير من المناسبات، واتسمت رسائله بالتأثير البليغ في الطرف المقابل، وعلى سبيل المثال سوف أورد هنا بعض النماذج من تلك الرسائل التي أرسلها الأستاذ النورسي إلى أشخاص معيّنين:

1_ رسالة كان قد بعثها جواباً على رسالة وصلت إليه من طبيب اشتاق إلى رسائل النور وأحبها وتأثر بها فأرسل إليه الأستاذ النورسي يقول: (مرحباً بك أيها الصديق الحميم، ويا عزيزي الطبيب السعيد الذي اهتدى إلى تشخيص مرضه، إن الصحة الروحية التي تبينها رسالتكم الخالصة لجديرة أن تهنأ وتبارك... إن الأطباء الغافلين عن الآخرة والمنغمسين في أحوال المادية هم في نظر الحقيقة أسقم الناس وأشدّهم مرضاً، ولكن إذا ما تمكن هؤلاء من تناول العلاج الإيماني من صيدلية القرآن المقدّسة وأخذوا جرعات من مضادات السموم فيها فإنهم يضمّدون جراحاتهم البشرية ويداوون مرضهم فضلاً عن أنهم يكونون السبب في مداواة جراح البشرية... (٥٥)).

2- رسالة أرسلها الأستاذ النورسي إلى السيد حلمي أورال وزير داخلية سابق في تركيا، وهذه بعض مقتطفات من تلك الرسالة:

(حضرة السيد حلمي أورال وزير الداخلية السابق وسكرتير حزب الشعب الجمهوري (İİİ))

حالياً:

... إن هذا الحزب الذي تقوم أنت بمهمة سكرتارته عليه مهمة أمام الشعب، إن الأمة التركية ومن معها من اخوة الدين الحاملين لراية الإسلام منذ ألف سنة جعلوا الأمة الإسلامية قاطبة

العامة سوف يعرضهم للملاحقة القانونية من قبل السلطات التركية التي ربما تتهمهم بتهم خطيرة ومن أبرزها العمل على هدم مبادئ العلمانية التي وضع مصطفى كمال أتاتورك أسسها .

(ÖÖ) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص381.

(ÖÖ) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص45.

(İİİ) حزب الشعب الجمهوري حزب أسسه مصطفى كمال أتاتورك سنة 1923م وظل هذا الحزب يحكم تركيا إلى سنة 1950ã

حيث فاز الحزب الديمقراطي بزعامة جلال بايار بأغلبية المقاعد البرلمانية وبناء عليه اختير جلال بايار رئيساً للجمهورية، وعدنان مندرس رئيساً للوزراء.

ممتنة لها ببطولتها وصانوا الوحدة الإسلامية، ونجوا البشرية بالقرآن العظيم وحقائق الإيمان من الكفر المطلق والضلال الرهيب.

فإن لم تتبنوا حالياً الحقائق القرآنية والإيمانية... بدل قيامكم خطأ في عهد سابق بالدعاية للمدنية الغربية وإضعاف الروح الدينية فإني أحذركم وأندركم قطعاً... ما دام الموت لا يُقتل وباب القبر لا يغلق وأنتم ستهرعون كأبي إنسان آخر إلى ذلك الموت الذي لا مناص منه إعدام أبدي لأهل الضلالة لا تبدله مائة ألف من الدعوات الوطنية وحب الدنيا والإنجازات السياسية إلا القرآن الكريم الذي يبدل ذلك الإعدام الأبدي إلى تذكرة تسريح لأهل الإيمان... فلأجل هذه الأسباب المذكورة فإن واجبكم الأساس هو تبني أفكاره هذه التي طرحتها لكم بجد واهتمام (III).

3- رسالة بليغة إلى مفتي آكريدر حثه الأستاذ النورسي فيها على حل إشكال حصل في تلك القرية نتيجة دفاع ذلك المفتي عن ابنه الذي تسلّم مسؤولية إدارية من قبل الدولة فانقلب عدواً لطلاب النور بعد أن كان صديقاً، وإليك بعض المقتطفات من تلك الرسالة:
(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

سأدير معكم محاورة لكونكم صديق قديم وزميل في العلم... في الوقت الذي ينبغي أن يكون شخصكم الكريم أكثر اهتماماً وأزيد تأييداً لعملنا للقرآن والإيمان، وأسبق الناس للذود عنه نراكم مع الأسف تنظرون إلينا نظرة باردة تنطوي على روح المنافس حتى اتخذتم منا موقف المنحاز المناوئ لأسباب مجهولة، بل سعيتم في تعيين ابنكم مديراً في هذه القرية ومن ثم إيجاد مؤازرين وأصدقاء له مما آل الأمر إلى حالة ترتعد فرائصي بدلاً منكم كلما فكّرت في ماهيتها وذلك لأنكم السبب والمسؤول عن الخطايا والآثام الناشئة في هذه الحالة وذلك وفق قاعدة "السبب كالفاعل"... ومن هنا فإن الوضع الناشئ وضع جد مهم يتعلّق بكلينا استناداً إلى علمكم ومقامكم الاجتماعي، ومنصبكم منصب الفتوى، ونفوذكم في هذه المناطق... ولكن جنابكم العالي لكونكم السبب في الأمر ونقطة الاستناد فإن النتائج الوخيمة التي تنشأ من ذلك الوضع تترتب عليكم إصلاحها قبل كل شيء وذلك لئلا تسجل في سجل أعمالكم الأخرى، أو تسعون في سحب ابنكم من هذه القرية.

سعيد النورسي (III).

(III) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص 304.

(III) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص 94.

هذا ولدنا الكثير من نماذج الرسائل الأخرى التي كان الأستاذ النورسي قد بعثها إلى الكثير من الأشخاص والأطراف إلا أننا اكتفينا بهذا القدر خشية الإطالة.

رابعاً: الخطب (١١٤):

كانت الخطب قديماً ولا تزال وسيلة مؤثرة على الناس، لذلك لجأ ويلجأ الكثير من الزعماء والقادة إليها بقصد التأثير على الجماهير وخاصة في الأوقات الحساسة، فالخطبة القويّة والمعدّة إعداداً جيّداً لها من التأثير ما ليست للكلمات الوعظية أو الندوات الثقافية والفكرية، أو المقالات والكتب وغيرها من الوسائل، لذلك لم يهمل الأستاذ النورسي هذه الوسيلة بل استفاد منها أيما استفادة، وسخرها لنشر دعوته وأفكاره الإصلاحية أيما تسخير.

والجدير بالذكر هو أن الأستاذ النورسي كان خطيباً بارعاً شهد بذلك كل الذين استمعوا إلى خطبه التي ألقاها في الكثير من المناسبات، وأشهر خطبة ألقاها كانت تلك التي ألقاها في الجامع الأموي بدمشق عام 1911م وقد حضرها ما يقارب العشرة آلاف شخص من ضمنهم ما يقارب المائة عالم من علماء الشام، وكذلك من خطبه المشهورة خطبته التي ألقاها في قاعة مجلس المبعوثان (البرلمان)، هذا وقد أوردت مقتطفات من كلتا الخطبتين في الفصل السابق.

ومن الخطب القويّة التي ألقاها الأستاذ النورسي خطابه بعنوان خطاب إلى الحرية، وقد ألقاها بمناسبة إعلان المشروطة (الدستور)، وإليك بعض المقتطفات من تلك الخطبة:

(إنك تنادين بصوت هادر ولكنّه رخيم يحمل بشارة سارة توقظين بها كردياً بدويّاً مثلي، نائماً تحت طبقات الغفلة، ولولاك لضللت أنا والأمة جميعاً في سجن السرّ والقيّد... إن صدى الحرية ينفخ نفخ إسرافيل فيبعث الحياة في مشاعرنا المدنية، وآماننا الخامدة، ورغباتنا القومية الرفيعة، وأخلاقنا الإسلامية الحميدة... وإياكم يا إخوان الوطن أن تقضوا عليها بالموت مرّة أخرى بالسفاهات والإهمال في الدين.

إن القانون الأساسي المؤسس على هذه الشريعة الغراء قد أصبح ملك الموت لقبض أرواح جميع الأفكار الفاسدة، والأخلاق الرذيلة، والدسائس الشيطانية، والتزلفات الدنيئة، فيا أخوة الوطن لا تعيدوا لتلك الرذائل الحياة بالإسرافات ومخالفة الشريعة، والملذات المحرمة... وبخلافه فإن تفسير

(١١٤) لا نقصد بالخطب هنا خطبة الجمعة فحسب بل نقصد به الخطبة عموماً.

الحرية والعمل بما على أنها التحرر من القيود والانغمار في السفاهات والملذات غير المشروعة، والبذخ والإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء اتباعاً لهوى النفس مماثل لمن يتحرر من أسر سلطان واحد ويدخل في استبداد حقراء سافلين كثيرين.

...وفي ضوئها سنأخذ من الأجانب كل ما يعين الرقي المدني من علوم وصناعات، أما العادات والأخلاق السيئة فهي ذنوب المدنية ومساوئها... ينبغي لنا الاقتداء باليابانيين في المدنية، لأنهم حافظوا على تقاليدهم القومية التي هي قوام بقائهم، وأخذوا بمحاسن المدنية من أوروبا، وحيث أن عاداتنا القومية ناشئة من الإسلام، وتزدهر به فالضرورة تقتضي الاعتصام بالإسلام... (١١٦).

ومن الخطب المشهورة للأستاذ النورسي خطابه الذي ألقاه لتهدئة الوضع وذلك أثناء المشادات الكلامية التي جرت بين أنصار جمعية الاتحاد المحمدي ومعارضيه في يوم الاحتفال بالمولد النبوي المقام في أيا صوفيا باستانبول حيث خطب الأستاذ النورسي في الحاضرين ودعاهم إلى المحافظة على الهدوء، وحثهم على احترام الرأي المخالف وأدب الخلاف والحوار، وبذلك تمكّن من السيطرة على الموقف، ونزع فتيل الصدامات بين الطرفين.

خامساً: كتابة المقالات:

لم يبق باب من أبواب الاتصال بالناس إلا وقد طرقه الأستاذ النورسي ومنها الصحافة، فالصحافة من الوسائل المهمة التي ينبغي على الدعاة والمصلحين أن لا يهملوها لأنها باب واسع، ومنفذ مهم للاتصال بالجمهور، لذلك فقد استفاد الأستاذ النورسي من تلك الوسيلة حيث كتب العديد من المقالات ونشرها في الصحف التي كانت تصدر آنذاك، ومن تلك الصحف صحيفة (كرد تعاون ترقّي) التي كانت جمعية (كرد تعاون وترقي) تصدرها، فقد كان الأستاذ النورسي من أبرز كتابها، ومن مقالاته المشهورة فيها:

١ - مقالة بعنوان (دور الدين في حياة الكرد).

٢ - مقالة أخرى بعنوان (أيها الكرد).

وكذلك كان الأستاذ النورسي يكتب المقالات لمجلة (VOLCAN) أي البركان والتي كانت تصدر عن جمعية الاتحاد المحمدي في مدينة استانبول. (أنظر إلى الصورة رقم (10) في ملحق الصور).

أسلوب النورسي وحركة النور في الدعوة والإرشاد:

إن اختيار الأسلوب المناسب لإيصال فكرة معينة إلى الآخرين أمر لا يفطن له الكثيرون، وكم من أفكار جيدة ونافعة لم تجد طريقها إلى القلوب بسبب عدم ملائمة الأسلوب الذي لجأ إليه صاحب أو ناقل الفكرة.

وإذا ما تأملنا في أسلوب الأستاذ النورسي وحركته لتبين لنا أنها كانت تتصف بما يلي:

أولاً: الوضوح والبيان (١١٥):

الذي يطالع في رسائل النور عموماً يجدها قد كتبت بأسلوب سهل وسلس، وكثيراً ما يحس القارئ وهو يطالع في رسائل النور أنه جالس في مجلس يناقش فيه بعض المسائل الاجتماعية والأخلاقية المتعلقة بالحياة اليومية حيث ينزل الأستاذ النورسي إلى مستوى رجل الشارع والفلاح والعامل فيكتب بأسلوبه البسيط جداً ولكنه مع ذلك يحافظ على الدقة والموضوعية، يقول الأستاذ النورسي في ذلك:

(... أما رسائل النور فهي تعلم الحقائق الإيمانية العميقة جداً بأسلوب يفهمه كل الناس في أقصر وقت) (١١٥).

ثانياً: التأثر الشديد بالقرآن الكريم:

(١١٥) هذا هو الطابع العام في أسلوب الأستاذ النورسي، ولكن مع ذلك يلجأ في بعض الأحيان إلى أساليب فلسفية معقدة في إثبات ما يريد إثباته.

(١١٥) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص 221.

لقد نذر الأستاذ النورسي نفسه وحياته لخدمة القرآن الكريم، لذلك كان مرتبطاً به ارتباطاً وثيقاً، يتحدث الأستاذ النورسي عن علاقة رسائل النور بالقرآن فيقول: (إن رسائل النور برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيم له، وهي لمعة براقعة من لمعات إعجازه المعنوي، ورشحة من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس، وحقيقة ملهمة من كنز علم الحقيقة، وترجمة معنوية نابعة من فيوضاته... إن رسائل النور ليست كالمؤلفات الأخرى فلا مصدر لها سوى القرآن، ولا أستاذ لها إلا القرآن، ولا ترجع إلا إلى القرآن... ولم يكن عند المؤلف أي كتاب آخر حين تأليفها فهي ملهمة مباشرة من فيض القرآن الكريم، وتنزل من سماء القرآن ومن نجوم آياته الكريمة) (١١٥).

ويقول في موضع آخر: (إن الرسائل ليست ملكي ولا متي بل هي ملك القرآن لذا أراي مضطراً إلى بيان أنها قد نالت رشحات من مزايا القرآن العظيم، نعم لا تبحث ما في عنقايد العنب اللذيذة من خصائص في سيقانها اليابسة فأنا تلك الساق اليابسة لتلك الأعناب اللذيذة) (١١٥).

ثالثاً: ضرب الأمثال:

لا شك أن أسلوب ضرب الأمثلة من الأساليب الشيقة والممتعة والمهمّة في الدعوة والإرشاد، فهذه الوسيلة تجعل المستمع أو القارئ يتذكّر ما سمعه أو قرأه كلّما تذكّر المثل الذي ضربه المتكلّم أو ورد في الكتاب، لذلك نرى القرآن الكريم كثيراً ما يلجأ إلى هذا الأسلوب، وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستخدم في أحاديثه أسلوب ضرب الأمثلة، لذلك وبما أن الأستاذ النورسي كان شديد التأثر بالقرآن الكريم كما مرّ قبل قليل لذا فنراه كثيراً ما يلجأ إلى هذا الأسلوب في كتاباته وخطبه وأحاديثه ومناقشاته، يقول الأستاذ النورسي في ذلك: (إن سبب إيراد التشبيه والتمثيل بصورة حكايات في هذه الرسائل هو تقريب المعاني إلى الأذهان) (١١٥)، وفيما يلي سوف أورد نموذجاً واحداً لضرب الأمثلة عند الأستاذ النورسي حيث يقول:

(جاءني فريق من طلاب الثانوية في قسطنطيني قائلين: "عرّفنا بخالقنا فإن مدرسينا لا يذكرن الله لنا"، فقلت لهم: إنّ كل علم من العلوم التي تقرؤونها يبحث عن الله دوماً ويعرّف بالخالق الكريم

(١١٥) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، 220.

(١١٦) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص 238.

(١١٧) بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص 47.

بلغته الخاصة فاصغوا إلى تلك العلوم دون المدرسين، فمثلاً لو كانت هناك صيدلية ضخمة في كل قنينة من قنانيها أدوية ومستحضرات حيوية وضعت فيها بموازين حساسة وبمقادير دقيقة فكما أنها ترينا أن وراءها صيدلياً حكيماً، وكيميائياً ماهراً كذلك صيدلية الكرة الأرضية التي تضم أكثر من أربعمئة ألف نوع من أنواع الأحياء نباتاً وحيواناً وكل واحد منها في الحقيقة بمثابة زجاجة مستحضرات كيميائية دقيقة... فهذه الصيدلية الكبرى تري حتى للعميان صيدليها الحكيم (iii) الجلال، وتعرف خالقها الكريم سبحانه بدرجة كمالها وانتظامها وعظمتها قياساً على تلك الصيدلية التي في السوق وفق ما مقاييس علم الطب الذي تقرؤونه (iii).

رابعاً: التنوع في الأساليب:

(iii) تنقسم الأسماء في حقّه تعالى إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الأسماء التي وردت في القرآن والسنة فمثل هذه الأسماء اتفق أهل السنة والجماعة على أنه يشرع إطلاقها في حقّه تعالى كما جاء في قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا} الأعراف، 180.

= القسم الثاني: الأسماء التي ورد النهي من الشارع عن إطلاقها على الله تعالى فهذه الأسماء لا يشرع إطلاقها على الله تعالى بالاتفاق، قال تعالى: {وَدُّرُوءَ الَّذِينَ يُلْجِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سِيَّئُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} الأعراف، 180.

القسم الثالث: أسماء لم يرد في الشرع إذن ولا منع من إطلاقها على الله سبحانه، فمثل هذه الأسماء اختلف العلماء في حكم إطلاقها عليه سبحانه فمنهم من قال: لا يشرع إطلاقها عليه سبحانه، واحتج أصحاب هذا الرأي بأنه (لا يجوز أن يسمى النبي صلى الله عليه وسلم بما ليس من أسمائه فالباري أولى). [العلامة الشيخ محمد السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، ط3، بيروت-لبنان، المكتب الإسلامي، 1411هـ-1991 [jā1250].

ويقول آخرون: هنالك فرق بين أسماء الله سبحانه والإخبار عنه؛ فأسماءه توقيفية، أما الإخبار عنه (فلا يلزم أن يكون توقيفياً إذا احتيج إليه مثل أن ينكر أحد أولية الله وأزليته، فيقول ليس بقدم أو أن ينكر وجود الله فيقول ليس موجود، أو مثل ذلك فإنه يجاب عنه بأن الله قديم وموجود). [الدكتور زين محمد شحاتة، أسماء الله الحسنى، ط 1، بيروت-لبنان، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، 1418هـ-1998 [jā120].

ويقول الإمام ابن القيم في هذه المسألة:

(ما يطلق عليه سبحانه وتعالى في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه في باب الإخبار لا يجب أن يكون توقيفياً كالقدم والشيء والموجود، والقائم بنفسه، فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه هل هي توقيفية أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به السمع). [محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، ج1، بيروت-لبنان، دار الكتاب العربي، ص162].

وبناء على ما سبق فالذي أراه هو أنّ من الأفضل عدم إطلاق تسمية الصيدلي الحكيم على الله سبحانه وتعالى، كما لا يجوز إطلاق تسمية مهندس الكون الأعظم في حقّه تعالى كما يسميه الماسوتيون، وأن مدح الله تعالى لا يكون بذلك إذ هناك العشرات من الأسماء الأخرى التي مدح الله تعالى بها نفسه ومدحه بما رسول الله صلى الله عليه وسلم، لذلك فمن الأولى أن نستخدم بدلاً عن ذلك اسم الشافي، وبديع السماوات والأرض، وغير ذلك من الأسماء الحسنى الثابتة في القرآن والسنة والله أعلم.

(iii) بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص175.

لا بدّ للدعاة والمصلحين من تنويع الأساليب التي يستخدمونها لأن الناس كما هو معلوم متنوعون ومتفاوتون من حيث العلم والثقافة ودرجة الفهم والميول والاهتمامات، فمن لا ينفذ معه هذا الأسلوب يلجأ معه إلى أسلوب آخر، يتحدث الأستاذ النورسي عن مسألة تنويع الأساليب فيقول: (إن مراتب الأسلوب متفاوتة جداً، بعضها أرق من النسيم إذا سرى في السحر، وبعضها أخفى من دسائس دهاة الحرب في هذا الزمان لا يشمّه إلاّ ذوو الدهاء) (١١١).

وبناء على ما تقدّم قسّم الأستاذ النورسي الأساليب إلى ثلاثة أقسام وهي:

- ١ - الأسلوب العالي.
- ٢ - الأسلوب المزيّن الباهر.
- ٣ - الأسلوب المجرد السلس.

ويبين الأستاذ النورسي طبيعة كل أسلوب وميدانه فيقول:

(إن كنت في بحث الإلهيات وتصوير الأصول فعليك بالأسلوب العالي ففيه الشدة والقوة والهيبة، بل عليك ألاّ تغادر هذا الأسلوب، وإن كنت في بحث الخطاب والإقناع فعليك بالأسلوب المزيّن ذي الحللي والحلل والترغيب والترهيب لا تدع هذا الأسلوب ما استطعت بشرط ألاّ يداخله التصنّع والتظاهر وما يثير العوام، وإن كنت في المعاملات والمحاورات وفي العلوم الآلية فعليك بالأسلوب المجرد وحده فهو الذي يحقق وفاء الموضوع واختصار البحث وسلامة القصد، ويجري على وفق السليقة حتّى أنه يبيّن جماله الذاتي بسلاسته) (١١٢).

حركة النور وموقفها تجاه أبرز القضايا والمسائل المعاصرة:

لقد برزت إلى الساحة في عصر الأستاذ النورسي عدّة قضايا ومسائل، وقد شغلت تلك القضايا أذهان الناس وجرى نقاش طويل حولها لذلك كان لا بدّ لحركة النور من اتخاذ مواقف واضحة منها، وفيما يأتي سوف أذكر أهم تلك القضايا وموقف حركة النور منها، وأهم تلك القضايا هي:

(١١١) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص101.

(١١٢) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص114.

- ١ - الوحدة الإسلامية.
- ٢ - الجهاد.
- ٣ - المشروطة.
- ٤ - القومية.
- ٥ - الحضارة الأوروبية.
- ٦ - السياسة.

أولاً: الوحدة الإسلامية:

في نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين اتجهت أنظار الدول الغربية نحو العالم الإسلامي بهدف السيطرة عليه، ونهب خيراته وموارده المعدنية الغنيّة، وقد وقفت الدولة العثمانية سداً منيعاً أمام أحلامهم تلك مدّة طويلة من الزمن، ولكنها ضعفت في السنوات الأخيرة من عمرها فلم يبق للعالم الإسلامي من ملاذ يحميه من كيد أعدائه، وفي ذلك الحين ارتفعت بعض الأصوات تنادي بضرورة قيام وحدة إسلامية للوقوف أمام مخططات الأعداء، وكان الشيخ جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده من أوائل من نادى بتلك الفكرة، ووجدت أفكار الأفغاني (بجلاً في مقر الخلافة على عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي كان أحوج إليها لمعالجة الأوضاع الداخلية، ومجابهة التهديدات الخارجية إذ تبوّى السلطان سياسة الجامعة الإسلامية لجمع المسلمين من حوله، ولمقاومة الحركة الدستورية والمعارضة، ولمقاومة الدول الاستعمارية) (١١٦).

هذا وقد تأثر الأستاذ النورسي بآراء كل من جمال الدين الأفغاني (١١٦) ومحمد عبده (١١٧). وأيدها ودعا إليها، يقول الأستاذ النورسي في ذلك (... وهكذا فأنا أحد أفراد هذا الاتحاد ومن

(١١٦) حسن عبد الرحمن بكير، بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت إلى كلية الدعوة الإسلامية في الجماهيرية الليبية سنة 1417هـ-1997م [292].

(١١٧) سبق وأن عرفت بالأستاذ جمال الدين الأفغاني راجع ص: 75

(١١٨) محمد عبده (1845-1905م): مفكّر ديني إصلاحى حاول البحث عن الإصلاح الاجتماعي من خلال الدين الإسلامي وبالاستناد إليه بعد تجديده حسب مقتضيات العصر الحديث وفكره العلمي.

الساعين لرفع رايته وإظهار اسمه... والحاصل: لقد بايعت السلطان سليم وقبلت فكره في الاتحاد الإسلامي... فأسلافي في هذه المسألة هم: الشيخ جمال الدين الأفغاني ومفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده (r).⁽¹⁾

النورسي وتأثره بفكر الأفغاني ومحمد عبده حول فكرة الجامعة الإسلامية:

لقد نوهت إلى تصريح الأستاذ النورسي بأنه قد تأثر بالسيد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده حول فكرة الجامعة الإسلامية وهنا من المناسب أن أشير إلى بعض تلك الجوانب والتي منها:

أولاً: مقاومة الاستعمار:

لقد كان مقاومة الاستعمار وطرده من بلاد المسلمين واحداً من المرتكزات التي ارتكز عليها السيد جمال الدين الأفغاني في سبيل تحقيق الجامعة الإسلامية كما مرّ معنا قبل قليل، وإذا ما تأملنا في تراث الأستاذ النورسي نرى أنه أيضاً قد بذل جهوداً لا يستهان بها في سبيل إخراج المستعمر من بلاد المسلمين، فعندما احتل الاستعمار البريطاني مساحة كبيرة من الأراضي التركية بما فيها مدينة استانبول ألف الأستاذ النورسي كتاباً تحت عنوان "الخطوات الست لمقاومة الإنكليز" ردّ فيه بشدّة على مزاعم و شبهات الإنكليز التي كان مفادها أنّ هزيمة الدولة العثمانية في الحرب قدر إلهي، وأنّ الإنكليز ليسوا سوى أدوات للإرادة الإلهية، وأنه ليس على المسلمين سوى التسليم المطلق للقدر الإلهي، هذا وقد أدى انتشار ذلك الكتاب إلى قيام حركة مسلحة لمقاومة الإنكليز، وقد أيدها

تلقي تعليمه في الجامع الأحمدي ثمّ في الجامع الأزهر حيث التقى بأستاذه جمال الدين الأفغاني فتأثر بدعوته الإصلاحية والتزم تعاليمها بعقله وفكره [بعد اشتراكه في الثورة مع أحمد عرابي نفي إلى بيروت ومنها غادر إلى باريس] لاحقاً بأستاذه الأفغاني هناك.

تعلم الفرنسية وشارك الأفغاني في إصدار مجلة "العروة الوثقى" وجمعيتها لكنه لم يلبث أن رجع إلى بيروت وكتب كتابه في فلسفة الدين "رسالة التوحيد" ومنها رجع إلى مصر بعد العفو عنه سنة 1887. أنظر: الموسوعة السياسية، مرجع سابق، ص 494.

(r) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص 446.

الأستاذ النورسي وشجّعها على الاستمرار في نضالها إلى أن تحقق هدفها وهو إخراج المستعمر من البلاد (ii).¹

ثانياً: معالجة أسباب التخلف:

ومن المرتكزات الأخرى التي ارتكز عليها السيّد الأفغاني معرفة أسباب تخلف المسلمين ومعالجتها، وقد أشار الأفغاني إلى بعض تلك الأسباب والتي منها: ابتعاد المسلمين عن دينهم، وتفترقهم وتباغضهم، و استبداد حكامهم، وكذلك الأستاذ النورسي حدّد في الخطبة الشاميّة أهم الأمراض التي يعاني منها المسلمون والتي أدّت إلى تخلفهم والتي منها: حبّ العداوة، والجهل بالروابط النورانيّة التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض، وسريان الاستبداد سريان الأمراض المعدية المتنوّعة (iii).² وبعدما شخّص الأستاذ النورسي أمراض الأُمّة قام بتحديد الدواء الناجع لها (iii).³

ثالثاً: الإصلاح من الرأس:

لقد كان السيّد جمال الدين الأفغاني يحاول أن يبدأ بالإصلاح من الحكّام حيث اتّصل بالعديد من الحكّام في الكثير من البلدان، وكذلك الأستاذ النورسي حاول في بداية الأمر أن يتّصل بالسلطان عبد الحميد الثاني وأركان الدولة العثمانيّة، وزعماء جمعيّة الاتحاد والترقيّ فيما بعد على أمل أن يصلحهم فيصلح المجتمع بأسره.

رابعاً: الاتحاد الإسلامي:

(ii) أنظر: أورهان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر، مصدر سابق، ص90.

(iii) أنظر: بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص491.

(iii) لمزيد من التفاصيل حول الموضوع راجع فصل: "النورسي وإصلاح المجتمع" من هذه الأطروحة.

لقد تحدّث الأستاذ النورسي في ثنايا رسائل النور كثيراً عن الاتحاد الإسلامي وشجّع الحكومات والشعوب على ذلك على حدّ سواء، وكذلك تحدّث عن مزاياها وأهميتها وثمارها في الدنيا والآخرة ومن ذلك قوله: (إنّ التوحيد الإلهي هو جهة الوحدة في الاتحاد المحمّدي (iiî) الذي هو حقيقة اتحاد الإسلام (الوحدة الإسلامية) (iii) ، أما يمينه وبيعته فهو الإيمان، ومقراته وأماكن تجمّعاته المساجد والمدارس الدينيّة والزوايا، ومنتسبوه جميع المؤمنين... عندما نقول "الاتحاد المحمّدي" الذي هو اتحاد الإسلام فالمراد هو الاتحاد الموجود الثابت بين جميع المؤمنين بالقوّة أو بالفعل، وليس المراد جماعة استانبول أو في الأناضول إذ إنّ قطرة من ماء تحمل صفة الماء، فلا أحد خارج هذا الاتحاد، ولا يخصص هذا العنوان بأحد، وتعريفه الحقيقي هو: إنّ أساس هذا الاتحاد يمتدّ من الشرق إلى الغرب، ومن الجنوب إلى الشمال، ومركزه الحرمان الشريفان) (iið).

خامساً: أسلوب التدرّج واللين لتحقيق الإصلاح:

أمّا تأثر الأستاذ النورسي بالشيخ محمد عبده فيكمّن في تأثره به في لجوئه إلى أسلوب التدرّج واللين لتحقيق الإصلاح، يقول الأستاذ النورسي: (مثلما محال لجسم الإنسان تجديد جميع ذراته دفعة واحدة وإنشاء ذرات جديدة بدلاً منها (iiñ) كذلك تتعذر على الدولة _ إن لم يكن محالاً _ تغيير جميع موظفيها دفعة واحدة وإقامة موظفين جدد بدلاً عنهم) (iiò).

وإذا ما تأملنا في أسلوب الأستاذ النورسي في إصلاح الآخرين لتبيّن لنا مدى تمسكه وتحليّيه بالحكمة واللين في التعامل مع الآخرين، نراه رغم ملاقاته معاناة شديدة من قبل أعدائه العلمانيين

(iiî) إنّ إطلاق تسمية الاتحاد المحمّدي إنّما كان ردّ فعل من قبل مؤسسيها على مؤسسي جمعية الاتحاد والترقي، تلك الجمعية التي اشتهرت بمحاربة الإسلام والرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وإلّا فالانتساب إلى الإسلام أولى وهو ما يرضي الله ورسوله. (iiï) يبدو أن الأستاذ النورسي يستخدم مصطلحاً الوحدة والاتحاد لمفهوم واحد، وهو ما يراه ويفعله الكثير من الكتاب والباحثين، ولكنّ الذي يبدو لي هو أنّ هنالك ثمة فرق بين المصطلحين؛ فالوحدة تكون بصهر جميع الأطراف في بوتقة واحدة وبالتالي تشكل كل تلك الأطراف كياناً موحداً غير قابل للتجزئة، بينما الاتحاد يكون باندماج أكثر من طرف أو كتلة دون أن تنصهر في بوتقة واحدة وبذلك يكونون معرضين للتفرّق مرّة أخرى بعكس الوحدة، وبناء عليه فالوحدة هي الأصل وهي الأولى والأفضل والله أعلم.

(iið) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص529.

(iiñ) ربّما يقصد الأستاذ النورسي بذلك تجديد الخلايا في جسم الإنسان لأنه كما هو معروف في علم الطب أن خلايا جسم الإنسان تتجدد باستمرار وذلك بتلف بعضها ونشوء بعضها الآخر، وهذه العملية مستمرة في جسم الإنسان.

(iiò) بديع الزمان سعيد النورسي، ديوان الحرب العربي، ص67.

وغيرهم يدعو لهم بالهداية والرشاد، لذلك استطاع أن يكسب ودّ الكثير ممن كانوا ينقمون عليه ويحملون الحقد تجاهه قبل ذلك.

والأستاذ النورسي رغم تأثره بالأفغاني ومحمد عبده وغيرها فيما يخص الوحدة الإسلامية كانت له أيضا آراؤه وطروحاته في ذلك الصدد، بل نستطيع القول أنه كان أكثر واقعية من غيره عندما طرح فكرة "الجمهوريات الإسلاميّة المتحدة" فالعالم الإسلامي كان مشتتاً إلى درجة كان من الصعب جداً جمعها في إطار وحدة إسلاميّة ضمن دولة واحدة لذلك طرح الأستاذ فكرة "الجمهوريات الإسلاميّة المتحدة" حيث تحتفظ كل دولة بكيانها المستقل ضمن إطار "الجمهوريات الإسلاميّة المتحدة".

إنّ الوحدة الإسلاميّة لا تأتي من فراغ، فهي لا تأتي بالكتابة المستفيضة عنها، ولا بالتحدّث عنها وعن أهميتها وحاجة المسلمين إليها، بل لا بدّ من العمل الدؤوب والجداد والمثمر من قبل المسلمين _ كلّ المسلمين _ لتحقيق ذلك.

فالوحدة الإسلاميّة يجب أن تسير وفق خطة مدروسة ومبرمجة، والشيء الأهم في هذا الصدد هو تحديد من يتبنّى مشروع الوحدة إذ من المتفق عليه أنّ كل قضية مهما كانت صغيرة وبسيطة إذا لم يكن هناك من يتبناها ويدافع عنها ويجعلها همه فإنّها ستضيع، فكيف بقضية الوحدة الإسلاميّة؟

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الصدد هو: من الذي سيتبنّى قضية الوحدة الإسلاميّة؟

قد يقول قائل إنّ الحكومات التي تحكم الدول العربيّة والإسلاميّة هي أولى من يحمل على عاتقها هذه القضية، إذاً لننظر هل من الممكن أن تقوم هذه الحكومات بتبنيّ هذه القضية؟ وهل هي مستعدّة للقيام بذلك؟

الذي يتأمل في حال الحكومات العربيّة والإسلاميّة يدرك أنّ أغلبها قد وصلت إلى الحكم بطرق غير مشروعة، وبغير رضى شعوبها، بل وصلت إلى الحكم عن طريق الانقلابات العسكرية وبطريق القوّة والبطش فأبنيّ لحكومات مثل تلك أن تكون مستعدّة للاندماج مع حكومات ودول أخرى ذلك الاندماج الذي لا شك سوف يحدّ من صلاحياتها ونفوذها، ثمّ إنّ هذه الحكومات غير مهياة نفسياً لتقبل الوحدة الإسلاميّة إلاّ اللهمّ إذا كانت الوحدة المنشودة تحت رعايتها وفي ظلّها، وإنني إذ أقول هذا الكلام لا أقوله من فراغ وإنما أقوله تبعاً لعدّة تجارب فاشلة وغير مجدية في هذا المجال، فالاتحاد المزعوم الذي أقيم بين أربع دول عربيّة إسلاميّة عام 1989م باسم مجلس التعاون العربي والتي كانت تضم كلاً من (جمهورية مصر العربيّة، والعراق، والأردن، واليمن) لم يعمر سوى

عدّة أشهر، ثمّ ما لبثت أن تحوّلت تلك الدول إلى اشدّ الدول عداوة فيما بينها، والوحدة التي أقيمت بين مصر وسوريا أين هي الآن؟ وحتى مجلس التعاون الخليجي الذي يضمّ دول الخليج الست ما الذي حقّقه حتى الآن؟

وقد يقول قائل لا بدّ من قيام الشعوب الإسلاميّة بتبني قضية الوحدة الإسلاميّة، أنا لا أنكر أنّ الشعوب الإسلاميّة عموماً ترغب في الوحدة والاندماج فيما بينها ولكنّ طاقتهم مشتتة، ولا يمتلكون خططاً وبرامج لتحقيق ذلك، لذا لا بدّ من وجود من يتحدّث باسمها ومن ثمّ تحريكها لصالح تحقيق الوحدة الإسلاميّة، وأنسب من يتحدّث باسم الشعوب الإسلامية حسب اعتقادي هم العلماء المخلصون، والمفكّرون الإسلاميون، وقادة وزعماء الحركات الإسلاميّة المعتدلة، فعلى جميع هؤلاء في كل بلد القيام بتوحيد جهودهم، وتحريك شعوبهم للضغط على حكوماتهم لتقبّل فكرة الوحدة الإسلاميّة ومن ثمّ القيام بالتمهيد لذلك ويكون بما يأتي:

أولاً: القيام بالتهيئة النفسيّة لأفراد الشعب لتقبّل فكرة الوحدة الإسلاميّة، ويمكن الاستعانة لتحقيق ذلك بكافة وسائل الإعلام المتاحة، والتركيز على ذكر مزايا الوحدة الإسلاميّة وثمارها الطيبة، وكذلك ذكر خطورة الوضع وأنّه سوف يسير من سيئ إلى أسوأ إن بقي المسلمون على ما هم عليه.

ثانياً: الاستعانة بالعلماء والخطباء والمفكّرين والمصلحين والدعاة وغيرهم للقيام بإقناع شعوبهم بضرورة تقبّل فكرة الوحدة الإسلاميّة التي سوف تقضي على كل أشكال الظلم والاضطهاد، وتحلّ كافة مشاكلنا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها من المشاكل التي ابتليت بها الشعوب الإسلاميّة على مدى عقود من الزمن.

ثالثاً: التوعية في المؤسسات التعليميّة، وذلك بقيام الهيئات التدريسيّة بتوعية الطلبة وفي كافة المراحل الدراسيّة بأهميّة الوحدة الإسلاميّة، فالطالب عندما يدخل المدرسة يدخلها بصفته متعلّماً يأخذ ما يلقي عليه من دروس وأفكار والتي سوف يتأثّر بها بعد ذلك طوال حياته.

رابعاً: قيام الشعوب الإسلامية بالضغط على حكوماتهم للعمل على إيجاد سوق إسلاميّة مشتركة، وهذه الخطوة مهمّة وضروريّة جدّاً، فالسياسة والاقتصاد وجهان لعملة واحدة، وإنّ العلاقات الاقتصادية هي التي باتت تربط دول العالم بعضها ببعض، فالدول الأوروبيّة تربطها علاقات اقتصادية متينة عن طريق السوق الأوروبيّة المشتركة، والخطوة الهامة التي خطوها في هذا المجال كانت في توحيد العملة في الدول الأوروبية، والعمل على رفع القيود الجمركيّة فيما بينها، فهذه

كلّها وسائل عمليّة لتحقيق الوحدة، لذلك ينبغي على الدول الإسلاميّة أن تتخذ قرارات شجاعة في هذا المجال كي تحقّق النتائج الطيّبة من وراء ذلك.

خامساً: العمل على تطوير وتفعيل دور المنظمات والهيئات والمؤتمرات الإسلاميّة الموجودة، فهذه المنظمات والهيئات إذا ما طوّرت ونالت المزيد من الرعاية والاهتمام من قبل المسلمين على مستوى الحكومات والشعوب فلا شكّ أنّها ستنتج ثماراً طيّبة في مجال الوحدة الإسلاميّة.

سادساً: العمل على إنشاء مجمع للبحوث الإسلاميّة، وتكون مهمّتها طبع وترجمة وتوزيع البحوث المهمّة التي تخدم قضية الوحدة الإسلاميّة، والفكر الإسلامي، والجوانب المشرقة من التاريخ الإسلامي، والقضايا التي تهمّ المسلمين في كل مكان.

ولا يفهم أنّ أحدنا عندما نتحدّث عن الوحدة الإسلاميّة نقصد بذلك أن يجتمع المسلمون من شتّى دولهم تحت ظلّ حكومة واحدة ورئيس أو خليفة واحد فهذا الأمر غير ممكن، بل الذي أقصده في هذا الصدد هو قيام اتحاد فدرالي بين الدول الإسلاميّة وهو ما أطلق عليه الأستاذ النورسي "الجمهوريات الإسلاميّة المتّحدة"، حيث تحتفظ كل دولة بحكومتها الفدرالية، وميزانياتها الماليّة، وأجهزتها القضائيّة، إلّا أنّها جميعاً تكون منضوية تحت لواء الحكومة المركزيّة التي تضم ممثلين عن كافّة الدول المتّحدة.

ثانياً: الجهاد:

للجهاد مفهوم واسع وشامل عند الأستاذ النورسي، فهو لا يحصره في القتال وحمل السلاح فحسب، بل يعتبر ذلك نوعاً من أنواع الجهاد، ولا يأتي هذا النوع في المرتبة الأولى بل لا بدّ من أن يسبقه أنواع أخرى من الجهاد مثل: جهاد الحجّة والبرهان، وجهاد الدعوة والإرشاد، لذلك عندما سئل ماذا ينتظر؟ ولماذا لا يجاهد بطلاّب الخمسائة ألف؟ كانت إجابته: (إن دعوتنا هي الإيمان، والجهاد يلي الإيمان، وإن زماننا هذا هو زمان خدمة الإيمان) (١١٥).

هذا وقد قسّم الأستاذ النورسي الجهاد إلى قسمين رئيسيين: الجهاد الداخلي، والجهاد الخارجي، الجهاد الداخلي يكون بالدعوة والإرشاد وإصلاح الأفكار، أما الجهاد الخارجي فيكون بالسلاح والقتال، يقول الأستاذ النورسي: (إن الجهاد في أي مجتمع مسلم إنّما هو جهاد معنوي

(١١٥) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتيّة، ص542.

يوصل إليه عن طريق تنوير الأفكار، وإصلاح القلوب والأرواح... فهناك بون شاسع بين الجهاد في الخارج والجهاد في الداخل (١١٥)، ويقول: **الجهاد المسلّح لا يحشد كلياً إلاّ ضد العدو الخارجي، فالصراع المسلّح داخل البلاد الإسلاميّة هو ما يصبو إليه العدو الخارجي إذا أن سفك دماء المسلمين فيما بينهم أمر يهملهم** (١١٥).

ما أحوجنا اليوم إلى الامتثال لمثل هذه التوجيهات السديدة في وقت ابتليت المجتمعات الإسلاميّة ببعض المجموعات المسلّحة التي تسفك الدماء باسم الجهاد دون أن تعي معنى الجهاد، فهي لا تميّز بين الجهاد والقتال، بل تحصر الجهاد في القتال فحسب بينما القتال في حقيقة الأمر قسم من أقسام الجهاد بمعناه الواسع الشامل.

ثمّ إن الجهاد بمعنى القتال لا ينبغي استخدامه ضدّ العصاة من المسلمين، بل ينبغي أن يستخدم معهم جهاد الدعوة والحجّة والبرهان، وجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام بإسداء النصيح والإرشاد لهم، لا ترويعهم وتنفيرهم من الإسلام باسم الجهاد!!

ومن أنواع الجهاد التي اهتم بها الأستاذ النورسي وحثّ عليها الجهاد العلمي حيث كان يرى أن الجهل هو واحد من ألدّ أعداء الأمة لذلك يجب علينا أن نجاهد ضدّه بالتعمق في العلم، ويقصد الأستاذ النورسي بالعلم سائر أنواعه لأنه يرى أن العلوم الطبيعيّة من طبّ وكيمياء وفيزياء وفلك إنما هي خادمة للقرآن والدعوة الإسلاميّة، فهناك الكثير ممن لا يقتنع بالآيات والأحاديث لإثبات الحقائق الإسلاميّة لذلك لا بدّ من اللّجوء إلى سلاح العصر الذي هو العلم والتكنولوجيا، وربط الحقائق العلميّة بما جاء به القرآن والسنة، لذلك كان الأستاذ النورسي يحاول دوماً أن يدرّس في المدارس كلاً من العلوم الشرعيّة والعلوم الطبيعيّة جنباً إلى جنب، فقد كان الأستاذ النورسي (يرى أن المدارس الحكوميّة الاعتياديّة تدرس القوانين العلميّة دون التأكيد على أنّها نواميس إلهيّة، وأن المدارس الدينيّة تدرس العلوم الدينيّة دون الإشارة إلى العلوم الحديثة لذلك فالإصلاح يبدأ من قيام المدارس الحكوميّة بتدريس الدين بجانب العلم لكي لا ينصرف الطلّاب إلى الشكّ والإلحاد، وقيام المدارس الدينيّة بتدريس العلوم الحديثة لكي لا ينحرف طلّابها إلى التعصب أو إلى ضيق الأفق) (١١٥).

ورغم اهتمام الأستاذ النورسي بالجهاد المعنوي وجهاد الدعوة والإرشاد والحجّة والبرهان، رغم ذلك كلّه لم يهمل الجهاد المسلّح، وقد مرّ معنا في الفصل الأول كيف قام بتشكيل فرق المتطوعين من طلّابه للجهاد ضدّ الروس مما أدى إلى استشهاد وجرح العديد منهم، أما هو فقد

(١١٥) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص214.

(١١٥) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص245.

(١١٥) أورخان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر، ص25.

جرح وأسر بعد ذلك وبقي في الأسر الروسي سنتين وأربعة أشهر تقريباً، إذاً لقد مارس الأستاذ النورسي الجهاد بشقّي أنواعه ولم يقتصر على مفهومه الضيق.

ثالثاً: المشروطيّة:

يقصد بالمشروطيّة الدستور الذي وضعه السلطان عبد الحميد الثاني، وقد أعلن عنه رسمياً في بداية تولّيه السلطنة العثمانيّة سنة 1876م وهو ما يعرف بالمشروطيّة الأولى، إلّا أنه سرعان ما عطلّ السلطان عبد الحميد الثاني العمل به وذلك حينما طالب بعض أعضاء البرلمان بتحديد صلاحيات السلطان، ولكن وبعد المؤامرة التي قام بها رجال الاتحاد والترقي ضدّ السلطان عبد الحميد الثاني وإرسالهم إنذاراً نهائيّاً له يأمرونه بضرورة الإعلان عن المشروطيّة مرّة أخرى بعد ذلك اضطرّ السلطان عبد الحميد الثاني للخضوع للأمر الواقع حيث أعلن عن المشروطيّة وهو ما يطلق عليه المشروطيّة الثانيّة وكان ذلك عام 1908.

لقد كان موقف الأستاذ النورسي من المشروطيّة هو التأييد لأنها تقف ضدّ الاستبداد، وعندما سئل عن معنى كل من الاستبداد والمشروطيّة (١٤١) أجاب:

(الاستبداد هو التحكم أي المعاملة الكيفيّة، أي الجبر باستناد القوّة، أي الرأي الواحد... وما هو إلّا أساس الظلم ماح الإنسانيّة [كذا] (١٤١)، وهو الذي دحرج الإنسان المكرّم إلى أسفل سافلين في السفالة، وهو الذي أوقع العالم الإسلامي في المذلّة... [١٤٢] المشروطيّة مجلّى وتفسير لآيتي: {وَشَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ} (١٤٣) {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} (١٤٤) فهي المشورة الشرعيّة فقوّة ذلك الوجود المنوّر هي الحق... وحياته هي العدالة... إن روح المشروطيّة أن تكون القوّة في

(١٤١) لقد سئل الأستاذ النورسي هذا السؤال أثناء تجواله بين العشائر الكرديّة في كردستان تركيا، وقد جمع الأستاذ النورسي تلك الأسئلة وطبعها ضمن رسالة سماها (رحمة العوام).

(١٤٢) ولعلّ الصواب ماحي الإنسانيّة.

(١٤٣) آل عمران، 159.

(١٤٤) الشورى، 38.

القانون، والأمر والنهي في يد الحق، والمرء خادماً... لأن المشروطة إن صارت صادقة كانت الحاكمية للملّة والحكومة لا تبقى رئيسة بل خادمة (١٤١٦).

لقد نادى رجال الاتحاد والترقي بالمشروطة، ودعوا السلطان إلى تطبيقها ولكن عندما استولوا على الحكم لم يطبقوه، بل فاقوا السلاطين في استبدادهم مما دفع بالأستاذ النورسي إلى أن يوجّه انتقاداته لهم بقوله: ((إن أصحاب الأفكار الفاسدة يريدون الاستبداد والمظالم تحت ستار الحرية... نعم إنني عارضت شعبة الاتحاد والترقي المستبدّة... وتسمت بالمشروطة بينما مثلت الاستبداد في الحقيقة... لقد كانت هذه الحكومة (١٤١٦) تخصم العقل أيام الاستبداد إلاّ أنها الآن تعادي الحياة بأكملها فإن كانت الحكومة بهذا الشكل والمنطق فليعش الجنون وليعش الموت ولتعش جهنّم مثوى للظالمين)) (١٤١٦).

لقد عانى الأستاذ سعيد النورسي رحمه الله تعالى معاناة كبيرة من الاستبداد في كلا العهدين العثماني والاتحادي _ أي الاتحاد والترقي _ لذلك فقد أمضى شطراً كبيراً من حياته، وصرف جهوداً كبيرة في محاربة الظلم والاستبداد، كما سعى سعيّاً حثيثاً في سبيل تطبيق المشروطة _ أي الحكم الدستوري _ لأنه كان يدرك أنّ ذلك سوف يحدّ إلى درجة كبيرة _ من ظلم الظالمين، واستبداد المستبدين.

لا أريد هنا التوسّع في الحديث عن الاستبداد وآثاره السيئة والخطيرة لأنه سوف يكون لنا عودة إلى هذا الموضوع بشيء من التفصيل وذلك في الفصل الثاني من الباب الثاني إن شاء الله تعالى.

رابعاً: القومية:

كان للدولة العثمانية صراع مرير وطويل مع الدول الغربية، وقد كانت الدولة العثمانية مسيطرة على الوضع إلى حدّ كبير حيث خاضت معارك عديدة مع الكثير من تلك الدول وكبدتها خسائر جسيمة مما جعلتها تقف عند حدّها، ولكن مع ذلك فقد استمرت تلك الدول في معاداتها

(١٤١٦) بديع الزمان سعيد النورسي، رجة العلماء، ص 124.

(١٤١٦) يقصد أيام حكم السلاطين.

(١٤١٦) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص 81.

للدولة العثمانية حيث كانت تتربصّ بها، وتحيك المؤامرات ضدها، وتستخدم في حربها مع الدولة العثمانية شتى أنواع الأسلحة المادية والمعنوية، هذا ومن الأسلحة الخبيثة التي استخدموها ضد الدولة العثمانية إثارة النعرات القومية، وإبراز مزايا كل قوم من أقوام الدولة العثمانية على الأقوام الأخرى فنشأت الدعوة إلى القومية الطورانية في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، ثم برزت الدعوة إلى كل من القومية العربية، والفرعونية، والفينيقية وغيرها من الدعوات القومية.

لقد اختلف الناس في زمن الأستاذ النورسي في أمر القومية؛ فمنهم من أيدها مطلقاً وقدسها تقديساً، وجعل قوميته في أعلى عليين ومن سواهم في أسفل سافلين، وفي الطرف الآخر كان هناك من يرفضها جملة وتفصيلاً، واتخذ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (دعوها فإنها منتنة) ^(١٤٥) شعاره في ذلك، أما الأستاذ النورسي فلم يكن مع هؤلاء ولا أولاء بل اتخذ موقفاً وسطاً بين الإفراط والتفريط حيث قسم القومية إلى قسمين اثنين: القومية السلبية، والقومية الإيجابية، ويقول في ذلك:

(القومية نفسها على قسمين: قسم منها سلبي مشؤوم مضرّ يترتب وينمو بابتلاع الآخرين، ويدوم بعداوة من سواه... إنّ شعوب أوربا لما دعوا إلى العنصرية وأوغلوا فيها في هذا العصر نجم العداة التاريخي المليء بالحوادث المريعة بين الفرنسيين والألمان... كل ذلك يبيّن نتائج القومية السلبية وأضرارها.

القومية الإيجابية نابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية وهي سبب للتعاون والتساند وتحقق قوة نافعة للمجتمع، وتكون وسيلة لإسناد أكثر للأخوة الإسلامية، هذا الفكر الإيجابي القومي ينبغي أن يكون خادماً للإسلام، وأن يكون قلعة حصينة وسوراً منيعاً حوله لا أن يحلّ محلّ الإسلام ولا بديلاً عنه) ^(١٤٦).

وباختصار شديد يقول الأستاذ النورسي: (نمو الشعور القومي في الشخص إما أن يكون إيجابياً أو سلبياً، فالإيجابي ينتعش بنمو الشفقة على بني الجنس التي تدفع إلى التعاون والتعارف، أما السلبي فهو الذي ينشأ من الحرص على العرق والجنس الذي يسبب التناكر والتعاند والإسلام يرفض هذا الأخير) ^(١٤٧).

^(١٤٥) الإمام أحمد بن حنبل، المسند، 3_338.

^(١٤٦) بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص414.

^(١٤٧) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص335.

وإذا ما رجعنا إلى مقولة الأستاذ النورسي التي أوردناها قبل قليل والتي يقسم فيها الشعور القومي إلى إيجابي وسلبي، نرى أنه لم يبتعد عن الإسلام قيد أملة، فقوله: (فالإيجابي ينتعش بنمو الشفقة على بني الجنس التي تدفع إلى التعاون والتعارف...) إنما هو مستنبط من توجيهات القرآن الكريم وهدى الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد حث الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على دعوة قومه وعشيرته الأقربين {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} (١٦٧)، ويقول الله سبحانه: {يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (١٦٧).

أما قوله: (أما السلبي فهو الذي ينشأ من الحرص على العرق والجنس الذي يسبب التناكر والتعاند والإسلام يرفض هذا الأخير) فقد تلقاه واستنبطه أيضاً من روح الإسلام وهديه، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى) (١٦٧)، وأبو هب رغم صلة القرى التي كانت تربطه بالرسول صلى الله عليه وسلم فقد أنزل الله سبحانه في حقه قوله: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيِّئَلِي نَارًا ذَاتَ هَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ} (١٦٧)، أما سلمان الفارسي فرغم فارسيته وعدم وجود أية صلة قرى بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم فقد قال الرسول في حقه: (سلمان من آل البيت) (١٦٧) لأنه آمن بالله ورسوله بينما كفر بهما أبو هب.

خامساً: الحضارة الأوروبية:

من المشاكل التي كان على الأستاذ النورسي معالجتها التأثير الشديد بالحضارة الأوروبية من قبل الشعب التركي وسائر الشعوب الإسلامية الأخرى التي كانت تقطن الدولة العثمانية، والجمهورية التركية فيما بعد، فقد انبهر الناس بالحضارة الأوروبية ومخترعاتها، وتقنياتها، وتقدمها العلمي وغير ذلك من الأمور التي كانوا يقارنون بينها وبين الواقع المتردي لدى الدولة العثمانية والجمهورية التركية،

(١٦٧) الشعراء، 214.

(١٦٧) الحجرات، 13.

(١٦٧) رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده.

(١٦٧) المسد، 5_1.

(١٦٧) أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، ج3، بیروت_لبنان، دار الكتاب العربي، ص598.

وقد أدى ذلك إلى نشوء اتجاه داخل تركيا يرى ضرورة السير نحو خطى الدول الأوروبية كي تتوصل إلى ذلك الرقي الحضاري الذي توصلت إليه الدول الأوروبية، ولكن للأسف الشديد قام المجتمع التركي بتقليد الأوربيين في المأكل والمشرب والملبس، وكذلك في الفكر والسياسة والإيديولوجيا فحسب، أما بالنسبة للتقدم العلمي والصناعات والتكنولوجيا فلم تفعل شيئاً يذكر لذلك انقلب ذلك التقليد والاتباع وبالأعلى عليهم بدلاً من تحقيق أحلامهم التي كانوا يحملون بها.

لقد اختلفت المواقف في زمن الأستاذ النورسي تجاه الحضارة الأوروبية بين الإفراط والتفريط، فمنهم من أيدها وقبلها بحذافيرها قائلاً بلسان حاله: إننا يجب أن نسير وفق خطى أوروبا ونذوق من حلوها ومرّها لكي نحقق النتائج نفسها التي حققوها، وفي الطرف المقابل كان هناك من العلماء وطلبة العلم الشرعي من يرفض الحضارة الأوروبية جملة وتفصيلاً ويرى أنها وبال كلاً لذلك يجب علينا الابتعاد عنها ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

أما الأستاذ النورسي فقد اتخذ كعادته موقفاً وسطاً حيث قسم الحضارة الأوروبية إلى قسمين:

الحضارة الأوروبية النافعة التي لا بأس من الاستفادة منها وتبنيها.

والحضارة الأوروبية الضارة وهي التي يجب الابتعاد عنها ولا يجوز تبنيها.

يقول الأستاذ النورسي في اللمعة السابعة عشرة من كتاب اللمعات: (ولئلاّ يساء الفهم لابدّ أن ننبه أن أوروبا اثنتان:

أحدها: هي أوروبا النافعة للبشرية بما استفاضت من النصرانية الحقّة وأدت خدمات حياة الإنسان الاجتماعيّة بما توصلت إليه من صناعات وعلوم تخدم العدل والإنصاف فلا أحاطب في هذه المحاوره هذا القسم من أوروبا، وإنما أحاطب أوروبا الثانية: تلك التي تعفنت بظلمات الفلسفة الطبيعيّة وفسدت بالمادية الجاسية، وحسبت سيئات الحضارة حسناً لها، وتوهمت مساوئها فضائل فسافت البشرية إلى السفاهة وأردتها الضلالة والتعاسة) (١٦٦).

إذاً فالأستاذ النورسي لا يرى بأساً من أن يستفيد المسلمون من التقدم العلمي والتكنولوجي والمخترعات التي اخترعها الأوربيون، بل يبحث المسلمون لكي يسلكوا مسلكهم في ذلك، بل والتفوق عليهم إن أمكن، أما التشبث بقشور الحضارة الأوروبية واتباعهم في الأمور السلبية والتي لا مصلحة فيها فيرفضها الأستاذ النورسي ويحذّر من التقرب منها.

(١٦٦) بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، ص 176.

لا بدّ لنا من أن نقف تجاه الحضارة الغربيّة وقفة إسلاميّة صحيحة وذلك بالتّخاذ موقف وسط منها بحيث لا نرفضها جملة وتفصيلاً كما يراه البعض، ولا نقبلها بحذافيرها كما يريد ويدعو إليه آخرون، بل يجب علينا تصنيف مفرداتها، والأخذ بالجوانب الإيجابيّة التي يمكن أن نخدمنا في أمورنا الحيّاتيّة من العلوم التطبيقية، والتجارب العلميّة، والتقنيات الحديثة، أما الجوانب السلبيةّ كالأخلاق السيّئة لديهم، والنظريّات الفكرية المنحرفة، والمسائل الثقافيّة _ حسب زعمهم _ فينبغي علينا تجنبّها لأنّ فيها خطورة كبيرة على مجتمعاتنا، يقول الدكتور أسعد السحمراني: (إنّه من الخطورة بمكان أن يتمّ تقمّص شخصيّة الغرب الثقافيّة في الواقع العربي والإسلامي، خاصّة بعد أن سادتها نظريّة الكم، وحكمت علاقاتها الاجتماعيّة والإنسانيّة وكلّ أعمالها الأرقام، إذ أصبحت عندهم هي وسيلة التقويم الوحيدة، ويوم يصبح الرقم معياراً أو مقياساً تقويميّاً يصادر حقّ الإنسان في جانبه الفكري والعقلي، يصادر نبوغه وابتكاره ليوضع له سقف رقمي يمنع عليه التحليق إلى أبعد من حدوده) (١٢٧).

إنّ التعامل مع الحضارة الغربيّة يجب أن تتسم بالحذر التام وأن تكون بشكل مخطّط ومدروس، وكذلك ينبغي علينا الابتعاد عن العشوائيّة في الاستفادة من الحضارة الغربيّة، وحذار من الظنّ أنّه يجب علينا الأخذ بالحضارة الغربيّة محلّوها ومرّها إذا أردنا أن نحقق تقدّماً حضاريّاً كالذي هم حقّقه، فالذين (اغتربوا فكريّاً ومسلكيّاً مواظبين على محاكاة الأجنبيّ كأنهم صبية صغار يقلّدون بألعابهم عظماء الأفلام وأبطالها، أو من هم أكبر منهم، كل هذه التوجهات ليست طريقاً للتحضّر، لأنّ الحضارة حركة شعب بأكمله استرشاداً بأفكار واضحة، ووصولاً إلى غايات محدّدة... [ثمّ] إنّ ما يصلح من فكر لأوروبّا لا يجدي في صنع التقدّم في مجتمعات أخرى) (١٢٨).

أمّا بالنسبة للدراسة في الجامعات الغربيّة فينبغي أن نكون حذرين في اختيار الطلبة المبتعثين إلى تلك الجامعات، وكذلك يجب الاقتصار على إرسال الطلبة إلى الدراسات العلميّة والتجريبيةّ البحتة دون الدراسات الإنسانيّة لأنّ فيها مجالاً واسعاً للتأثير على الطلبة من الناحية الفكريةّ وغرس مبادئ الفكر المادّي في عقولهم، وتشويه صورة الإسلام والفكر الإسلاميّ لديهم، يقول الأستاذ النورسي في ذلك: (فنحن لو أخذنا منهم _ بسوء حظنا وسوء اختيارنا _ بما يوافق الهوى والشهوات كالأطفال تاركين محاسنها التي تحتاج إلى بذل الجهد للحصول عليها نكون موضع سخريّة كالمخانيث (١٢٩) أو كالمترجّلات (١٣٠)... فينبغي لنا الاقتداء باليابانيين في المدنيّة، لأنهم حافظوا على

(١٢٧) الدكتور أسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكراً إسلامياً، ط2، بيروت_ لبنان، دار النفائس، 1406هـ_ 1986j 1270.

(١٢٨) الدكتور أسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكراً إسلامياً، ص162j 155.

(١٢٩) المخانيث هم أولئك الرجال الذين يتشبهون بالنساء سواء في الملبس، أو في الحركات والكلام وغير ذلك.

تقاليدهم القوميّة التي هي قوام بقائهم، وأخذوا بمحاسن المدنيّة من أوروبا، وحيث أنّ عاداتنا القوميّة ناشئة من الإسلام وتزدهر به فالضرورة تقتضي الاعتصام بالإسلام) (١٥٠).

سادساً: السياسة:

لقد اشتغل الأستاذ النورسي في السياسة منذ مطلع شبابه إلى نهاية ما يسميه الأستاذ النورسي بـ (مرحلة سعيد القديم)، وفي ذلك يقول عن نفسه: (لقد خاض سعيد القديم غمار السياسة ما يقارب العشر سنوات علّه يخدم الدين والعلم عن طريقها) (١٥١)، وورد عنه أنه ترك السياسة منذ بداية مرحلة "سعيد الجديد" أي في سنة 1926م عندما نفي إلى مدينة بارلا، فعندما سئل لماذا لا تهتم بمجريات السياسة؟ أجاب: (إن خدمة القرآن الكريم هي التي منعتني بشدّة عن عالم السياسة بل أنستني حتى التفكر فيها... ولذلك قلت: "أعوذ بالله من الشيطان والسياسة" لكي أحافظ على نور القرآن، واعتصمت بكلتا يديّ بذلك النور ملقياً مطرقة السياسة جانباً) (١٥٢).

هذا وللاستاذ النورسي الكثير من الأقوال الأخرى التي تشير إلى تركه للسياسة ولعنه إياها، وحثّه طلاب النور على الابتعاد عنها، ولكن هل ترك الأستاذ النورسي السياسة فعلاً وواقعاً؟ أم أنه ترك السياسة المكيفيلية المبنية على الكذب والنفاق والفجور.

إن الكثيرين ممن لم يقرأوا رسائل النور بدقّة وإمعان يدّعون أنّ الأستاذ النورسي قد ترك السياسة ولعنها وذمّها وأهلها وأنه لم يفرق في ذلك بين سياسة وأخرى ونوع دون آخر، وقد استدلوا على ذلك ببعض من أقوال الأستاذ النورسي التي تشير إلى ذلك، ولكن إذا ما قرأنا رسائل النور بدقّة وإمعان، ودرسنا مناقشاته في المحاكم ومناظراته مع الزعماء والقادة والمفكرين الذين عاصروه، ومقالاته في الجرائد والمجالات، وخطبه في المناسبات المختلفة لتبين لنا أنه لم يترك السياسة بل ظل يمارسها إلى أن فارق الدنيا، وفيما يلي سوف أستعرض بعض الأمثلة على ما أقول:

أولاً: ورد في نص الرسالة التي وجهها إلى السيد جلال بايار الذي انتخب رئيساً للجمهورية وذلك في سنة 1950م ومما جاء فيها:

(١٥٠) المترجمات هنّ النساء اللواتي يتشبهن بالرجال سواء في الملبس أو غير ذلك.

(١٥١) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص86.

(١٥٢) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص206.

(١٥٣) بديع الزمان سعيد النورسي، المکتوبات، ص59.

(... إن الذين يغيرون علينا ويعذبوننا في المحاكم قالوا "ربّما يستغل طلاب النور الدين في سبيل أغراض سياسيّة" ونحن قلنا ونقول لأولئك الظالمين في دفاعاتنا... إننا لا نجعل الدين أداة للسياسة فليس لنا غاية إلاّ رضاه تعالى ولن نجعل الدين أداة للسياسة ولا للسلطة ولا للدنيا برمتها... فنحن لا نجعل الدين أداة للسياسة بل نتخذ السياسة آلة للدين ومصالحه وفي وثام معه عندما نجد أنفسنا مضطرين اضطراراً قاطعاً إلى أن ننظر إلى السياسة تجاه الذين يجعلون السياسة المستبَدّة أداة للحاد... حاصل الكلام أننا سعيينا لأجل إسعاد هذه الأمة والبلاد بجعل السياسة أداة للدين (١٠٣).

إذا فالأستاذ النورسي وطلاب النور كانوا يستخرون السياسة لصالح الدين كما أكد عليه في رسالته إلى رئيس الجمهوريّة والتي يستنبط منها أن النورسي وطلابه لم يتركوا السياسة بشكل قطعي وإلاّ لورد في رسالته أنه هو وطلابه لا يتدخلون في الأمور السياسيّة إطلاقاً.

ثانياً: يقول الأستاذ النورسي في اللمعة السابعة عشرة منتقداً بعض سياسات الحكومة: **آء** كانت غايتكم من سوق المؤمنين قسراً إلى المدنية التي هي الدنيّة (١٠٤) تمهيداً لإدارة دفة النظام وسط الأمن في ربوع المملكة فاعلموا جيّداً أنكم على خطأ جسيم إذ ستفقدون الأمة إلى هاوية طريق فاسد... فلا يحصل الرقي والتقدم، ولا ينشر الأمن والنظام في ربوع البلاد بهذا الأسلوب، بل هم بحاجة إلى تنظيم مساعيهم، وبث الثقة فيما بينهم، وتسهيل وسائل التعاون فيما بينهم، ولا تتم هذه الأمور إلاّ باتباع الأوامر المقدّسة في الدين والثبات عليها (١٠٥).

فهل بعد هذا البيان بيان في إثبات أن الأستاذ النورسي كان يمارس العمل السياسي، وإلاّ فكيف نفسر انتقاداته الآنفة الذكر للنظام الحاكم، وكيف نفسّر عدم اكتفائه بالانتقاد فحسب بل تقديمه الخطوط العريضة لمشروعه الإصلاحية الذي يراه السبيل الأقوم لتحقيق الأمن والنظام والرقي والتقدم.

ثالثاً: انتقاده لسياسة الحكومة تجاهه بقوله:

(لقد حدثت في الفترة الأخيرة اعتداءات شنيعة كثيرة... وأخصّ بالذكر اعتداءهم عليّ تعدياً صارخاً... نفذ صبري في السكوت عليهم وهأنذا لا أحاطب هؤلاء السفلة الدينيين الذين حرموا من الضمير وليسوا أهلاً للخطاب بل أحاطب أولئك الرؤساء المتفرّعين في القيادة الذين

(١٠٣) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص 333.

(١٠٤) الدنيّة بدون ميم من الدناءة.

(١٠٥) بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص 188.

يلعبون بمقدرات الأمة حسب أهواء طغيانهم فأقول: يا أهل الإلحاد والبدعة إني أطالب بالإجابة عن ستة أسئلة:

السؤال الأول: إن لكل حكومة مهما كانت ولكل قوم بل حتى أولئك الذين يأكلون لحم البشر بل حتى رئيس أية عصابة شرسة منهجاً وأصولاً وديساتير يحكمون وفقها، فعلى أي أساس من دساتيركم وأصولكم تتعدون هذا التعدي الفاضح؟ أظهِروه لنا أم أنكم تحسبون أهواء عدد من الموظفين الحقراء قانوناً؟

السؤال الثاني: إن دستور حرية الضمير (حرية المعتقد الديني) مهيمن بصورة عامة في العالم قاطبة... فإلى أية قوة تستندون أنتم في جرأتكم هذه بخروجكم على هذا الدستور واستخفافكم به؟

السؤال الثالث: بأي قانون وبأية قاعدة تكلفون من هو شافعي المذهب مثلي اتباع فتوى تنافي صفاء المذهب الحنفي وسموه أفتى بها علماء السوء الذين باعوا ضمائرهم لمغرم دنيوي؟ (١٥٥)

السؤال الرابع: أي أصل من أصولكم هذا الذي تستندون إليه في تكليف أمثالي ممن هم من قوم آخرين: أن أقم الصلاة باللغة التركية بناء على فتوى محرفة مبتدعة باسم العنصرية التركية.

السؤال الخامس: إن أية حكومة كانت لها أن تطبق قوانينها على رعايتها ومن تعدهم من رعاياها، ولكنها لا تستطيع أن تجري قوانينها على من لا تعدهم من رعاياها لأن أولئك يقولون: لما لم تكن من رعاياكم فلستم حكومتنا كذلك.

السؤال السادس: أنتم ترون أن لنا خلافاً ومعارضة كلية معكم ومعاملتكم القاسية شاهدة على ذلك، فأنتم تضحون بدينكم وأخرتكم في سبيل دنياكم، ونحن بدورنا مستعدون على الدوام للتضحية بديننا في سبيل ديننا وفي سبيل آخرتنا وهذا هو سر المعارضة بيننا حسب ظنكم (١٥٥).

رابعاً: قبل وفاة الأستاذ النورسي بثلاث سنوات أي في سنة 1957م جرت في تركيا

انتخابات عامة، وقد شارك الأستاذ النورسي فيها وذلك من خلال إدلائه بصوته لصالح الحزب الديمقراطي، وقد حثّ طلابه أيضاً على الإدلاء بأصواتهم لصالح ذلك الحزب محاولة منه للحيلولة

(١٥٥) يتبع غالبية الأتراك مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، وقد أفتى بعض علماء السلطان في ذلك الوقت بجواز أداء الصلاة باللغة التركية إرضاء لرجال الاتحاد والترقي، أو ربما بناء على أوامر سرية صدرت منهم، وعليه أصدر الاتحاديون أوامرهم بوجوب أداء الصلاة باللغة التركية، فردّ عليهم الأستاذ النورسي باستدلالين:

الأول: إن تلك الفتوى ليست لها أية اعتبار لأنها صدرت محرّفة ومبتدعة وعنصرية عن بعض علماء السلطة.

الثاني: حتى لو افترضنا أن تلك الفتوى معتبرة فإنها لا تشمله لأنه كردي والكرد عموماً يتبعون مذهب الإمام الشافعي رحمه

الله.

(١٥٥) بديع الزمان سعيد النورسي، المکتوبات، 553 .

دون وصول منافسه من حزب الشعب الجمهوري (İÖP) إلى الحكم (İÖP)، ألا يدلّ مشاركته في تلك الانتخابات وعمله على فوز الحزب الديمقراطي في الانتخابات عملاً سياسياً؟
وعندما كنت في استانبول سألت الأستاذ عز الدين يلدرم (İÖJ): هل صحيح أن الأستاذ النورسي كان قد ترك السياسة في مرحلة سعيد الجديد؟ فأجاب:

(كان النورسي يجمع بين الدين والدنيا معاً، وكان يقول لا خير في الدنيا بلا دين، فرجل كهذا لا يمكنه الابتعاد عن السياسة، وفي فترة حكم العثمانيين كانت الدولة إسلامية لذلك دعا الأستاذ النورسي إلى التربية والأخلاق وما إلى ذلك، ولكن عندما انتهى حكم العثمانيين وأنشأت الدولة العلمانية في تركيا بدأ الأستاذ النورسي يعطي لطلابه أفكاراً إسلامية ولا إسلام بلا سياسة، وفي إحدى رسائله يقول: إنّ حزب الشعب هو امتداد للاتحاد والترقي، والحزب الديمقراطي هو امتداد لحزب الحرية والائتلاف، وطلاب النور امتداد للاتحاد المحمدي، ولكن للأسف الشديد إن أغلب طلاب النور في ذلك الحين لم يكونوا مستعدين أن يصبحوا حزباً سياسياً) (İÖJ). (أنظر إلى الصورة رقم (11) في ملحق الصور).

هذا وقد طرحت السؤال ذاته على البروفيسور أحمد آق كوندز (İÖJ) فأجاب قائلاً: (بديع الزمان قال: أعوذ بالله من الشيطان والسياسة ولكن قد بيّن هذا الدستور، وقد سئل عنه زمن الدولة العثمانية لماذا تعمل عمل السياسة الإسلامية؟ أجاب فقال: أعداء الإسلام يهاجمون علينا ينبغي أن تظهر حركة سياسية باسم الإسلام ولكن بشرط أن يكون محرك هذه الحركة حب الإسلام والقرآن لا

İÖP وهو الحزب الذي أسسه مصطفى كمال أتاتورك، ذلك الحزب الذي كان يعمل ليل نهار ضد حركة النور.

İÖP) لقد كان لطلبة النور دور كبير في فوز الحزب الديمقراطي في تلك الانتخابات عام 1957.

(İÖJ) الأستاذ عز الدين طاهر علي وهو كرديّ وكان مؤسساً ورئيساً لـ (وقف الزهراء) في استانبول، ويعدّ من كبار قيادات حركة النور في تركيا، كان له نشاط كبير في خدمة العلم والعلماء، وقد اقتبس اسم الوقف الذي كان يديره من اسم جامعة الزهراء التي كان الأستاذ النورسي يسعى لتأسيسها، التقيت به عدة مرات في استانبول وزرته في منزله الذي يقع في الجزء الآسيوي من استانبول حيث يعيش فيه مع مجموعة من طلاب النور لأنه لم يكن متزوجاً وذلك إقتداءً بالأستاذ النورسي ولكي يتفرّغ لخدمة رسائل النور، وقد أجريت معه عدّة مقابلات ووعديني بإبداء المزيد من المساعدة في رفدي بالمزيد من المعلومات عن طلاب النور وطبيعة عملهم إلا أن القدر لم يمهلهم فقد اختطف من قبل المخابرات التركية في شهر رمضان من عام 2000 وذلك أثناء عودته من صلاة التراويح في المسجد القريب من منزله، وبعد ذلك بشهرين تقريباً ألقوا بجثته في إحدى ضواحي مدينة استانبول، وكنت في ذلك الحين في زيارة إلى استانبول حيث شيع في موكب مهيب حضره الآلاف من طلاب النور وغيرهم فرحم الله الأستاذ عز الدين رحمة واسعة.

(İÖJ) لقاء مع عز الدين طاهر علي، استانبول - تركيا، السبت 1999/8/21م، الساعة الثامنة والنصف ليلاً.

(İÖJ) البروفيسور أحمد آق كوندز أستاذ للفقهِ وتاريخ النظام القانوني وعميد كلية الإدارة والاقتصاد في جامعة (بلجك)، ورئيس هيئة وقف الأبحاث العثمانية في استانبول، له أكثر من (32) مؤلفاً في الفقه الإسلامي وتطبيقاته في الدول الإسلامية، وله عدد من المؤلفات عن الدولة العثمانية، التقيت به مرتين في هيئة وقف الأبحاث العثمانية في استانبول.

المنفعة الشخصية، فسئلوا ثانياً: كيف ندرك ونميز بين حركة سياسية اسمها إسلامية ولكن غرضها المنفعة الشخصية، وبين حركة سياسية إسلامية غرضها إعلاء كلمة الله؟ فأجاب: إذا مدح أحد الفاسق من حزبه وذمّ المتدين من مخالفه من الحزب الآخر فغرضه الالتزام السياسي والمنفعة الشخصية، ولكن إذا مدح فرداً متديناً من الحزب المخالف وذمّ فاسقاً من حزبه فمقصده إعلاء كلمة الله (إِوَيْ). (أنظر إلى الصورة رقم (13ad 2) في ملحق الصور).

وهناك المئات من الشواهد الأخرى التي تبين بوضوح أن الأستاذ النورسي كان يمارس العمل السياسي، أما أقواله التي كان يذمّ فيها السياسة وأربابها فإنه يقصد بها السياسة التي يساير الناس فيها حكاهم سواء أكانوا على حق أم على باطل، السياسة المبنية على الكذب والنفاق والمدارات على حساب الثوابت الإسلامية، السياسة التي يهدف أربابها من ورائها المنافسة والنزاع على ارتقاء الكراسي والمناصب وكسب المنافع الدنيوية الزائلة.

حركة النور بعد وفاة الأستاذ سعيد النورسي:

إن الحركات والأحزاب والجمعيات بعد وفاة مؤسسها قسمان: فإن كانت الحركة أو الحزب من النوع الذي ارتبط بشخص مؤسسها ارتباطاً وثيقاً بحيث يحتكر المؤسس إصدار جميع القرارات الحاسمة وغير الحاسمة، المهمة وغير المهمة، ويجعل من نفسه المحور الذي يجب أن تدور حوله الحركة أو الحزب بأكمله وبالتالي تُعرف تلك الحركة أو ذلك الحزب بشخصه ويسجّل باسمه فهذا النوع من الحركات والأحزاب يؤول مصيرها بعد وفاة الشخص الأول فيها إما إلى الزوال، أو إلى ضعف شديد في أحسن الأحوال.

أما إن كان ارتباط الحركة بشخص ما ارتباطاً عادياً، وكان إصدار القرارات المهمة فيها بصورة جماعية، واعتمدت في سيرها على أسس ومبادئ ثابتة ومتمينة، ولها أهداف واضحة ومعينة، فمثل هذه الحركات والأحزاب غالباً ما تستمرّ في سيرها ونموها وانتشارها حتى بعد وفاة مؤسسها وقائدها، وفي اعتقادي إنّ حركة النور هي من هذا النوع، فاسمها لم يرتبط باسم مؤسسها (إِوَيْ).

(إِوَيْ) لقاء مع الدكتور أحمد آق كوندز، استانبول-تركيا، 2000.

(إِوَيْ) يطلق الكثير من الباحثين والدارسين تسمية (نورسي) على طلاب النور وهي تسمية خاطئة فالصحيح هو تسميتهم بـ (نورّي) نسبة إلى النور وليست (نورسي) لأنّها في تلك الحالة تكون نسبة إلى الأستاذ سعيد النورسي وهو ما كان يرفضه الأستاذ بشدّة كما مرّ معنا في بداية هذا الفصل.

وكان الأستاذ النورسي يستشير طلابه _وخاصة البارزين منهم_ في اتخاذ القرارات المهمة، وإضافة إلى ذلك فقد وضع الأستاذ النورسي مجموعة من الأسس المتينة لكي يسير عليها طلبة النور حتى بعد وفاته أيضاً.

لذلك فقد استمر طلاب النور في عملهم الدعوي والإصلاحي الذي كانوا عليه قبل وفاة الأستاذ النورسي رغم الظروف السياسية القاسية التي سادت الأجواء في ذلك الوقت حيث قام حزب الشعب الجمهوري بعملية انقلابية على الحكومة التي كان الحزب الديمقراطي يرأسها، وبعد نجاح الانقلاب بأشهر قليلة قاموا بارتكاب جريمة بشعة بحق الأستاذ النورسي حيث قاموا بنهب قبره ونقل رفاته إلى مكان مجهول، كما بدأوا حملة اعتقالات واسعة في صفوف حركة النور، وشددوا الخناق عليهم، وقدموهم للمحاكمة، ولكن رغم كل تلك الأجواء الساخنة والمشحونة استطاع طلاب النور الاستمرار في الدعوة ونشر رسائل النور، هذا وقد استفاد طلاب النور من الأجواء السياسية السائدة آنذاك حيث كانت في تركيا حالة من التعددية السياسية والحزبية مما كانت تدفع بتلك الأحزاب إلى مغازلة طلاب النور بفتح المجال أمامهم لمواصلة مسيرتهم وذلك بدافع كسب ودهم وبالتالي كسب أصواتهم في الانتخابات التي كانت تجري كل عدة سنوات، وهذه الحالة كانت بعكس الحالة التي كانت سائدة في تركيا أيام الأستاذ النورسي حيث كانت تركيا ترضخ تحت حكم الحزب الواحد الذي لم يكن يسمح لغيره من الحركات والتنظيمات بالقيام بأي عمل يخالف مبادئ العلمانية الكمالية.

لقد ازداد عدد طلاب النور بعد وفاة الأستاذ النورسي ازدياداً ملحوظاً وتوسعت نشاطاتهم توسعاً كبيراً، وسمح لهم بطبع رسائل النور في المطابع مما جعلهم يطبعون مئات الآلاف من الرسائل ويوزعونها في كافة أنحاء تركيا، كما قاموا بترجمة الكثير منها إلى اللغات العربية والإنكليزية والألمانية والأوردية والفرنسية والروسية وغيرها من اللغات، كما قاموا بفتح الآلاف من المدارس، ومراكز تحفيظ القرآن الكريم، ودور إيواء الطلبة.

رغم محاولة الأستاذ النورسي عدم ربط حركته بشخصه إلا أن وفاته أحدثت فراغاً كبيراً بين صفوف حركة النور، فبعد وفاته حدث اختلاف بين وجهات النظر لدى بعض قيادات الحركة (İÖΦ) وربما يكون العمل السياسي من أهم المسائل التي تعددت وجهات نظر طلاب النور حولها، ويعود

(İÖΦ) من الانتقادات التي وجهت إلى حركة النور أنها لم تلتف بعد وفاة الأستاذ النورسي حول شخصية قيادية وهذا برأي كان من أهم الأسباب التي أدت إلى حدوث انقسامات داخل صفوف الحركة، وربما يشترك الأستاذ النورسي أيضاً في ذلك الخطأ لأنه لم يجد شخصية معينة لكي تخلفه بعد وفاته، نعم لقد صدرت منه عدة إشارات إلى صدارة خسرو إلا أنها لم تكن كافية لالتفاف طلاب النور حوله بعد وفاة الأستاذ النورسي.

سبب ذلك إلى عدم وضوح الأستاذ النورسي نفسه في ذلك، فتراه في بعض أقواله يذمّ العمل السياسي بل يلعنه ويبين مساوئه وسلبياته، بينما تراه في بعض أقواله الأخرى يخوض غمار السياسة ويطرح آراء سياسية رائعة كما مرّ معنا قبل قليل، لذلك فقد اختلفت وجهات نظر طلاب النور حول العمل السياسي ولا يزال هذا الاختلاف قائماً إلى يومنا هذا، فالبعض منهم كان ولا يزال بعيداً كل البعد عن العمل السياسي، ويتجنبون حتى الحديث عنه، ويعتبرون السياسة بكل أشكالها وأنواعها شيطانياً يجب لعنه والابتعاد عنه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، بينما البعض الآخر لا يرى بأساً في الخوض في العمل السياسي، والمشاركة في الانتخابات بإدلاء أصواتهم فيها، إلا أنهم رغم ذلك لم يتوصّلوا إلى درجة الاقتناع بإنشاء حزب سياسي أو المشاركة في الانتخابات كطرف سياسي لذلك تتوزع أصواتهم قديماً وحديثاً بين الأحزاب المشاركة في الانتخابات التي تجرى في تركيا سواء الانتخابات البلدية أو البرلمانية، فالبعض منهم إلى الآن يؤيد حزب الطريق المستقيم لأنه امتداد للحزب الديمقراطي الذي أدلى الأستاذ النورسي بصوته لصالحه في انتخابات 1957 (İÖÖ)، والبعض الآخر منهم كان يؤيد حزب النظام الوطني (İÖÖ) ولا يزالون إلا أنهم كانوا قلّة، وعندما كنت في استانبول عام 1999م كنت أسأل بعض النوريين إن كانوا قد أدلوا بأصواتهم في الانتخابات الأخيرة لصالح حزب الفضيلة أم لا؟ فكانوا يجيبون لا بل إنهم أدلوا بأصواتهم لصالح أحزاب أخرى، وكان

(İÖÖ) لقد استفاد الرئيس سليمان ديمريل رئيس الجمهورية التركية السابق من أصوات طلاب النور كثيراً في جميع حملاته الانتخابية حيث كان رئيساً لحزب الطريق المستقيم الذي هو امتداد للحزب الديمقراطي الذي أيده الأستاذ النورسي في الانتخابات، لقد فات هؤلاء النوريين أن الأستاذ النورسي أدلى بصوته لصالح الحزب الديمقراطي في ذلك الوقت لأنه كان المنافس الوحيد لحزب الشعب الجمهوري (حزب مصطفى كمال أتاتورك) ولم يكن هناك ثمة حزب آخر ينافسه بخلاف الأمر بعد ذلك حيث وجدت أحزاب أخرى تنافسها مثل حزب الرفاه الإسلامي الذي استطاع أن يفوز في الانتخابات البرلمانية في عام 1995م رغم تحاذل أكثرية طلاب النور في نصرته في تلك الانتخابات وتفضيلهم لحزب الطريق المستقيم بزعامة تانصو تشيلر.

(İÖÖ) حزب النظام الوطني حزب ذو اتجاه إسلامي أسسه يونس عارف إمره عام 1970م بدعم من بعض صغار التجار والحرفيين، وبعد فترة وجيزة من تأسيسه توسع بصورة ملفتة للنظر مما أدى إلى حلّه من قبل المحكمة الدستورية في آذار 1971م، فقام البروفيسور نجم الدين أربكان بتأسيس حزب السلامة الوطني على أنقاض حزب النظام الوطني المنحل، والسيد أربكان من مواليد 1926م تخرج من الجامعة التكنولوجية كلية الهندسة قسم الميكانيك، وبعد تخرجه منها توجه إلى ألمانيا وحصل على شهادة الدكتوراه هناك عام 1954م وعمل عدّة سنوات في الهندسة الميكانيكية وتمكّن من القيام ببراءة اختراع وذلك بتطويره لمحركات دبابات (ليوبارد) الألمانية، وبعد ذلك عاد إلى تركيا حيث أصبح رئيساً لاتحاد الغرف الصناعية، ثم دخل في الحياة السياسية حيث أصبح نائباً في البرلمان التركي عن مدينة "قونيا"، وفي عام 1980م حلّت جميع الأحزاب السياسية من قبل قادة الانقلاب ومن ضمنها حزب السلامة الوطني، وفي سنة 1983م صدر قانون الأحزاب السياسية حيث وضع الدستور الجديد مجموعة من الشروط والضوابط لتشكيل الأحزاب السياسية، فتشكّلت العديد من الأحزاب السياسية ومن ضمنها حزب الرفاه الذي يعتبر امتداداً لحزب السلامة الوطني، وقد تمكّن هذا الحزب من الفوز في الانتخابات البرلمانية سنة 1995م وأصبح البروفيسور نجم الدين أربكان رئيساً للوزراء وبعد فترة أُجبر على الاستقالة وفي أعقاب ذلك حلّ حزب الرفاه فتأسس حزب الفضيلة الذي كان يتكون من الأعضاء السابقين في حزب الرفاه، ولا يزال هذا الحزب مستمراً في صراعه مع العلمانيين في تركيا.

لكل منهم مبرره على حدّ زعمه، فالبعض منهم كان يرى أن السياسة شيء خبيث لذلك لا يجوز لحزب كحزب الفضيلة أو حزب الرفاه قبل ذلك التقرب منها، وبناء عليه لا ينبغي لطلاب النور تشجيعهم على ممارسة الحياة السياسية بإدلائهم أصواتهم لصالحها!!

لقد تجتّى طلاب النور على أنفسهم وعلى الإسلام جناية كبيرة عندما تخاذلوا عن نصره حزب الرفاه، وحزب الفضيلة فيما بعد، فهذا الحزب على علاّته ورغم الملاحظات الكثيرة التي أخذها طلاب النور وغيرهم عليه إلاّ أنّه كان أولى بالتأييد من الأحزاب الأخرى العلمانيّة، تلك الأحزاب التي أذقت طلاب النور الأمرين رغم تأييدهم لها وإدلائهم بأصواتهم لصالحها في الانتخابات في كلّ مرّة، فحزب الرفاه أو حزب الفضيلة مهما بلغا من الانحراف عن الإسلام _على حدّ زعم بعض طلاب النور_ فإنّهم لم ولن يحاولوا يوماً تضيق الخناق على طلاب النور، ولن يقدموا على إغلاق مدارسهم وتكايامهم، ولن يقفوا حجرة عثرة في طريقهم، ولكن رغم ذلك نرى تخاذل العديد من طلاب النور عن نصرتهم في الانتخابات في كلّ مرّة مما أدّى إلى أن يدفعوا هم الضريبة قبل غيرهم.

أمّا بالنسبة للعوامل التي أدّت بطلاب النور إلى اتخاذ ذلك الموقف فأهمّها:

١ - لقد عانى الأستاذ النورسي وطلاب النور عموماً معاناة كبيرة على يد حزب الشعب الجمهوري (حزب مصطفى كمال أتاتورك) على مدى عقود من الزمن، لذلك فعندما برز إلى الساحة السياسيّة حزب آخر باسم الحزب الديمقراطي، وكان بإمكانه أن ينافس حزب الشعب الجمهوري العدو التقليدي لطلاب النور، رأى هؤلاء الأخيرون أنّ الفرصة أصبحت مواتية لإزاحة حزب الشعب الجمهوري عن السلطة وذلك عن طريق تأييدهم للحزب الديمقراطي في الانتخابات البرلمانيّة، وقد حقّقوا هدفهم حيث فاز الحزب الديمقراطي في انتخابات 1950م، وخفّف الخناق عن طلاب النور وأصبحوا يتمتّعون بمساحة لا بأس بها من الحرّيّة وممارسة النشاط الدعوي.

٢ - وبالنسبة لمسألة تأييد الكثير من طلاب النور في الوقت الحاضر لحزب الطريق المستقيم بزعامة تانصو تشيلّر فسببه هو أنّ حزب الطريق المستقيم هو امتداد للحزب الديمقراطي الذي كان الأستاذ النورسي يؤيّد ويدلي بصوته لصالحه ويحثّ طلابه أيضاً على ذلك، ولقد فات هؤلاء النوريين أنّ الأستاذ النورسي إنّما كان يؤيّد الحزب الديمقراطي لا لصالحه ونزاهته بل لأنّه كان المنافس الأقوى لحزب الشعب الجمهوري، وكان أهون الشرّين حسب اعتقاد الأستاذ النورسي، وكذلك عدم وجود حزب إسلامي في ذلك الحين، أما الآن فقد تغيّرت الظروف و الأحوال، حيث برز إلى الساحة حزب ذو اتجاه إسلامي قادر على منافسة الأحزاب العلمانيّة الأخرى، لذلك أرى

أنه آن الأوان لطلاب النور لإعادة النظر في مواقفهم تلك، وألاً ينظروا إلى الأمور بمنظار سنوات الخمسينيات من القرن العشرين.

٣ - وهناك سبب آخر لاتخاذ طلاب النور ذلك الموقف ألا وهو اعتقادهم أنّ

السياسة الحاضرة شيطان لذلك لا يجوز لحزب إسلامي مثل حزب الرفاه، أو حزب الفضيلة، ولا لشخص مثل الدكتور نجم الدين أربكان أو رجائي كوتان (إيڤ) أن يدنّسوا أنفسهم بهذا الشيء القدر، يقول الأستاذ مصطفى محمّد: (لا أستطيع أن أنسى حواراً أجرته مع أحد الاخوة النوريين المثقفين (وكان أستاذاً في الجامعة) وقد سألته: لماذا أعطوا أصواتهم في الانتخابات لحزب العدالة - وهو حزب علماني - ومنعوها عن حزب السلامة - وهو حزب إسلامي - فأجاب:

إنّ أربكان شخصيّة نظيفة وينبغي أن يبتعد عن السياسة، فلا يليق بالدعاة المسلمين أن يشغلوا أنفسهم بالسياسة فهي رجس من عمل الشيطان!! (إيڤ).

وبالإضافة إلى اختلاف طلاب النور في جواز المشاركة في العمل السياسي اختلفوا أيضاً في أسلوب العمل الدعوي، وترتيب سلم الأولويات في الدعوة لرسائل النور، ولكن مع ذلك فالذي يفرح القلب هو أن تلك الخلافات في الرأي، وتعدد الاتجاهات داخل صفوف طلاب النور لم يؤدي حتى الآن إلى التنافر والتناوب فيما بينهم، بل على العكس من ذلك فهم يرون أن بعضهم يكمل بعضاً، وأنهم جميعاً يخدمون رسائل النور كل بطريقته وحسب قناعاته في كفيّة العمل، ولكل مجموعة من تلك الجماهير مجلس يطلق عليه "مجلس مشاورة"، وقد حدّثني الأستاذ كنعان الدمرداش (إيڤ) عن طبيعة تلك المجالس بقوله: (يجتمع ذلك المجلس مرّة خلال كل شهر حيث يتباحثون خلالها أمور الحركة، وربما يصدر المجلس عدّة قرارات وتوصيات ويرسلون نسخاً منها إلى الجماهير الأخرى لكي يطلّعوها هم أيضاً عليها، وهم مخبرون في العمل بها أم لا) ويتابع الأستاذ كنعان الدمرداش حديثه فيقول: (إن التجمعات النوريّة عبارة عن تجمعات اختيارية ويعمل فيها كل فرد باندفاع ذاتي، ولا توجد أية قيود على أعضاء تلك التجمعات سوى أن يأتي خلال كل شهر أو ثلاثة أشهر إلى مقر ذلك التجمع لكي يكون متواصلاً معها بأخذه بعض التوجيهات والنصائح

(إيڤ) رئيس حزب الفضيلة ذو الاتجاه الإسلامي، وقد أصدرت السلطات التركيّة مؤخراً أوامره بحلّ هذا الحزب فقام أنصاره بتشكيل حزب آخر باسم حزب السعادة.

(إيڤ) مصطفى محمّد، الحركة الإسلاميّة الحديثة في تركيا، ص 149.

(إيڤ) تركي متخرّج من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في المدينة المنورة يعمل حالياً في إذاعة مورال (ومعناه القوّة المعنوية) حيث يقدّم برنامجاً حول تفسير القرآن الكريم، وهو عضو في مجلس المشاورة ل مجموعة (بني نسيل).

والإرشادات، ولا نعاتب من يأتي بعض المرّات ولا يأتي في بعضها الآخر لذلك فجماعة النور لا تشبه أية حركة في العالم الإسلامي (إِئِ).

وفيما يلي ذكر لأهم الاتجاهات العاملة داخل صفوف حركة النور:

أولاً: جماعة بني آسيا (YENI ASYA) أي آسيا الجديدة:

تمتلك هذه المجموعة جريدة يومية باسم بني آسيا (YENI ASYA) تصدر باللغة التركيّة، وهي بمثابة الناطق الرسمي باسمها، وهي جريدة واسعة الانتشار حيث تباع منها (3000) نسخة داخل تركيا، كما أنها توزع في كل من الولايات المتحدة الأمريكية، وألمانيا أيضاً، وتمتلك هذه الجماعة مجلّة باسم كوبرو (kopru) أي الجسر وهي مجلّة فصلية تهتم بالشؤون العلمية، وموجهة إلى الشباب، وأغلب قرائها من الأتراك، وتطبع منها (20,000) نسخة فصلياً.

وتتركز نشاطات هذه المجموعة في طباعة رسائل النور ونشرها بين الناس، وكذلك في فتح وإدارة عدد لا بأس به من المدارس التي تدرّس فيها رسائل النور بالإضافة إلى العلوم الشرعيّة وتعليم القرآن الكريم.

يتزعم السيد (محمد قوتلر) هذه المجموعة، وكانت في السابق تؤيد الحزب الديمقراطي ومن ثمّ حزب العدالة بزعامة سليمان ديمريل على اعتبار أنه امتداد للحزب الديمقراطي، وحالياً أصبح حزب الطريق المستقيم هو الذي يمثّل حزب العدالة، هذا وقد وجّه العديد من طلاب النور انتقادات شديدة لـ (محمد قوتلر) بسبب مبالغته في حشد التأييد لهذا الحزب، يقول السيد كنعان دمرداش: (لقد حدثت بعض المشاكل بين محمد قوتلر وبين طلاب النور بسبب مبالغة هذا الأخير في تأييده للحزب الديمقراطي، إلا أن هذا الأخير دافع عن موقفه بقوله: إذا كان الحزب الديمقراطي يقطع إصبعك فإن حزب الشعب الجمهوري سوف يقطع ذراعك"، وبعد مقتل عدنان مندرس زعيم الحزب الديمقراطي أسس سليمان ديمريل حزب العدالة فاستمر محمد قوتلر بإعطائه صوته له ولحزبه لأنه امتداد للحزب الديمقراطي، وبعد ذلك غالى في التقرب من ديمريل وأجرى معه العديد من اللقاءات فانزعج طلاب النور من ذلك كثيراً (إِئِ).

(إِئِ) لقاء مع الأستاذ كنعان الدمرداش، استانبول_ تركيا، الثلاثاء 2000/2/8م، الساعة 11,30 صباحاً.

(إِئِ) لقاء مع الأستاذ كنعان الدمرداش، استانبول_ تركيا، الثلاثاء 2000/2/8.

هذا ولم يكتف محمّد قوتلر بإدلاء صوته لصالح ذلك الحزب بل أيده في موقفه ولا يزال، وعلى سبيل المثال فإن مجلّته التي يصدرها باسم (كوبرو) مسخّرة للدفاع عن هذا الحزب وزعيمه ديمريل إلى درجة أصبحت وكأنها لسان حال حزب العدالة على حدّ تعبير الدكتور سهيل صابان الذي يقول في وصف تلك المجلّة: (كأنها لسان حال حزب العدالة لما يتّضح فيها من التشجيع على كل تصرفات هذا الحزب، ولما تحاوله من تبرير بعض مواقفه المناهية للدين، ولإظهارها زعيم هذا الحزب بمظهر مجدد الإسلام والدفاع المستميت عنه دون خجل أو حياء مع ما اشتهر عن هذا الحزب وزعيمه وكثير من أعضائه البارزين من الانتماء إلى الماسونيّة) (١٠٧).

هذا وقد اتهمت هذه المجموعة بقيامها بتحريف العديد من رسائل النور لتوافق أهوائها، ولتبرير الكثير من مواقفها التي لاقت معارضة شديدة من قبل العديد من طلاب النور.

ومن المآخذ التي يؤاخذ عليها طلاب النور عموماً، ومجموعة (آسيا الجديدة) خصوصاً نظرهم إلى الأستاذ النورسي بشيء من القداسة والعصمة، فقد عدّت هذه المجموعة الأستاذ (بديع عصره، ووحيد دهره، وأتّه لم ينشأ في هذا العصر أحد مثله، وأنّ العلاج الذي يصفه لأمراض العالم الإسلامي يعدّ علاجاً فعالاً لا مثيل له، ومما يترتّب على ذلك حسب اعتقادهم هجر جميع المؤلّفات والكتب سوى كتب الأستاذ) (١٠٨).

ومن الجدير بالذكر هنا هو أنّ هذه المجموعة تحمل عداءً قديماً للأحزاب الإسلاميّة، ففي الانتخابات البرلمانيّة التي جرت عام 1977م قامت هذه المجموعة بنشر الدعايات، وشنّ الحملات الإعلاميّة المضادّة لحزب السلامة الوطني بزعامة البروفيسور نجم الدين أربكان حيث سخّرت جريدتها (بني آسيا) لبثّ الدعايات ضد أربكان وحزبه، وفي الوقت ذاته كانت تدافع عن حزب العدالة وسياساته (١٠٩) (حين تفجّر الصراع على أشدّه بين حزب العدالة وحزب السلامة أعلنت هذه الجماعة أن حزب السلامة حزب منحرف، وأن الأصل أن ينتخب المسلم حزب العدالة، ليس هذا فقط بل إنّ جريدة بني آسيا تبنت حملة قذرة لثيمة ضد حزب السلامة... فلم تترك صفة يمكن أن تؤثر على الحزب إلاّ وألصقتها بقادته، ولنذكر هنا عناوين بعض المقالات التي هاجمت الحزب:

-الحزب يؤيّد اليسار والشيوعيين.

(١٠٧) سهيل صابان، المصدر السابق، ص427.

(١٠٨) المصدر نفسه، ص432.

(١٠٩) لم يتمكّن في تلك الانتخابات أي من الحزبين الرئيسين (حزب الشعب الجمهوري وحزب العدالة) من الحصول على أغلبيّة كافية في البرلمان، وبالتالي لم يتمكّن أي منهما تشكيل الحكومة بمفرده، وبعد أزمة وزارية استمرّت ثلاثة أشهر تقريباً تقرّر إشراك كل من حزب السلامة الوطني، وحزب الحركة مع حزب العدالة في ائتلاف وزاري لتشكيل الحكومة الجديدة.

-السلامة وحزب الشعب (اليساري) على اتفاق من الناحية الفكرية.

-حزب السلامة تطالب بالعفو عن اليساريين.

-حزب السلامة ماسوئي.

-حزب السلامة يقول نعم للخمر والربا والقمار.

-حزب السلامة يؤيد السوق الأوروبية المشتركة.

ليس هذا فقط بل لَققت هذه الجريدة الحاقدة صوراً تبيّن أربكان مع بعض الفتيات، وأكثر من ذلك لَققت صوراً أخرى تبيّن أربكان يشرب الخمر.

وهكذا عملت هذه الجماعة الإسلامية ذات التاريخ الجيد عملاً مشيناً كان له أكبر الأثر في ضرب حزب السلامة (١٥٥).

أما بالنسبة لسبب سلوك مجموعة (آسيا الجديدة) سيّما زعيمها محمد قوتلر لهذا المسلك _حسب اعتقادي_ فهو تمكّن الرئيس سليمان ديمريل من احتواء محمد قوتلر ومجموعته منذ وقت مبكر وذلك عندما قام الرئيس ديمريل (بتأدية الصلاة أمامهم، وصرّح بوجود منح الحرية للجماعات الإسلامية في داخل تركيا، وتحدّث عن سوء فهم العلمانية في تركيا، وأنها لا تعني عدااء الدين كما هو مفهوم العلمانية عند حزب الشعب الجمهوري فضلاً عن ظهوره بمظهر المدافع عن الشعب ضدّ السياسة الاقتصادية التي تتبعها حكومة أوزال، وقد أدّى هذا الموقف من ديمريل إلى محبة هذا القسم من طلاب النور (١٥٥).

هذا وقد أدّى ذلك إلى اغترار هذه المجموعة بالرئيس ديمريل والدفاع عنه وعن مواقفه، ونعته بأنّه أقرب إلى الإسلام من غيره، وأنّ حزبه هو الحزب المنقذ.

ونتيجة للسياسات الخاطئة التي سلكها (محمد قوتلر) فقد هجره الكثير من طلاب النور وانتقدوه على تصرّفاته تلك واتهموه بأنه يجعل من طلاب النور أذياً لحزب العدالة (حزب الطريق المستقيم فيما بعد)، وأداة بيده ويد رئيسه ديمريل، وقد بلغت شدة انتقاداتهم لقوتلر مبلغاً بحيث لم يفلح في إقناعهم بتوجهاته رغم ادعائه بأنّه سوف يهمل ديمريل في حال قيام هذا الأخير بتصرّفات خاطئة لأنّ طلاب النور كانوا يشاهدون في أرض الواقع خلاف ما كان يدّعيه قوتلر مما أدى إلى ضعف دوره، وتقلّص حجم وتأثير مجموعته.

(١٥٥) مصطفى محمد، المصدر السابق، ص219.

(١٥٥) الدكتور أحمد نوري النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، ص123.

ثانياً: جماعة فتح الله كولن (İÖF) (GULEN):

وهي أكبر التجمعات النورية على الإطلاق حيث يلتف حولها أكبر عدد من النوريين، و تستوعب حوالي 80% من طلاب النور (İÖF) ولها نشاط منقطع النظير في تركيا وخارجها، ولقد بدأ الأستاذ فتح الله كولن نشاطه في مدينة "أزمير" التركية ولكنه ما لبث أن انتشر في كافة المدن التركية تقريباً. (أنظر إلى الصورة رقم (14) في ملحق الصور).

لقد ركز الأستاذ فتح الله في توجيه خطابه الدعوي إلى الشباب وموظفي الدوائر الحكومية، لذلك فقد تمكن من استيعاب مئات الآلاف من طلاب وطالبات الجامعات والمعاهد التركية، والآلاف من الموظفين والعاملين في دوائر الدولة، وربما تختلف هذه المجموعة عن المجموعات النورية الأخرى بأن لها دروساً منتظمة حيث يكلف كل عضو من أعضاء المجموعة بالحضور في درسين في الأسبوع يتلقى خلالهما دروساً من رسائل النور، بالإضافة إلى دروس في العلوم الشرعية، ودروس فكرية وثقافية يلقيها عليه أحد الشيوخ أو الاخوة المتقدمين، أو يستمع ويشاهد بعض الأشرطة المسموعة والمرئية للأستاذ فتح الله كولن.

ومما يؤخذ على هذه المجموعة عدم تأييدها لحزب الرفاه في الانتخابات المتكررة، بل قيامها بالعمل على إضعاف دور حزب الرفاه وزعيمه نجم الدين أربكان، والانحياز إلى جانب المؤسسة العسكرية في حملتها ضد حزب الرفاه (İÖF)، فقد شعر فتح الله كولن (أنّ الإنجازات التي سعى إليها منذ أكثر من عقدين عرضة للتهديد والتراجع على صعيد المؤسسات الاقتصادية والإعلامية والتربوية، وقد بدأ كولن يتلمس آفاق التردّي في العلاقة بين الرفاه والسلطة منذ بدايتها، ومال في ذروة الأزمة بين الجيش والرفاه إلى جانب المؤسسة العسكرية،... وقيل إنّه أبلغ واشنطن أنّه لا يوجد

(İÖF) فتح الله كولن: من مواليد 1930م بمحافظة أرضروم، تلقى تعليمه الديني في شرق تركيا، تعرّف على الجماعة بعد أن انتهى من الدراسة، عمل إماماً وواعظاً في أحد مساجد أديرنة (EDIRNE) ثم انتقل إلى محافظات مختلفة، وتقاعد عن وظيفته سنة 1980م، غير متزوج، له مؤلف في المحادثة باللغة العربية وحوالي عشرين كتاباً باللغة التركية، وأكثر من ثلاثة آلاف شريط سمعي، وأربعمائة شريط مرئي في الوعظ والإرشاد، نقلاً عن: حسن عبد الرحمن بكير، المصدر السابق، ص212.

(İÖF) لقاء مع الأستاذ أورهان محمد علي، استانبول-تركيا، الأربعاء 2000/2/2م، الساعة: 11,30 صباحاً.

(İÖF) لقد تدزّع الأستاذ فتح الله كولن لتصرفه هذا بعدة مبررات منها: السياسات الخاطئة لحزب الرفاه وزعيمه نجم الدين أربكان وذلك بإطلاقه شعارات غير مسؤولة، وتهديدات سافرة ضدّ خصومه مما أدى إلى إثارة حفيظة المؤسسة العسكرية وبالتالي قيامها بغلق مدارس الأئمة والخطباء، ومدارس تحفيظ القرآن الكريم، وتضييق الخناق على العمل الإسلامي عموماً دون التفرقة بين الرفاه والجماعات الإسلامية الأخرى ومنها جماعة فتح الله كولن.

ضرر من قيام الجيش بانقلاب عسكري بل إنّه أيّد قرارات مجلس الأمن القومي في 28 شباط/فبراير 1997 (١٥٠٠).

ولقد استمرّ الأستاذ فتح الله كولن في انتقاداته لحزب الرفاه والتشكيك في مصداقيّته، وأنّ أربكان لم يف بوعوده التي تعهّد بها قبل فوزه في انتخابات 1995م، وصرّح باعتقاده (أنّ الرفاه ضعف كثيراً، وإنّه لن يحصد في أي انتخابات مقبلة أكثر من 15 في المائة من الأصوات، بل ربّما أقلّ من ذلك، وشكّك كولن في طبيعة الانتماء الإسلامي لقاعدة الرفاه حين يصف غالبية الأصوات التي تؤيّد الرفاه بأنّها أصوات مستاءة من عدم وجود حكومة قويّة تفي بوعودها في مجال السكن والهجرة، بمعنى أنّ هذه الأصوات مطلبيّة وليست انتمائيّة... والكلّ يعرف أنّه لم يتحقّق خلال تسعة أشهر (١٥٠٠) حتّى عشر الوعود (١٥٠٠).

ورغم الانتقادات التي يمكن أن توجّه إلى مجموعة فتح الله كولن وعدائها الشديد لحزب الرفاه وزعيمه أربكان، رغم ذلك أقول لا يستطيع أحد أن ينكر دور هذه المجموعة وزعيمها الأستاذ فتح الله كولن في نشر الوعي الإسلامي في تركيا وحتّى خارج تركيا أيضاً وخاصّة جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق، وكذلك خدماتها الجليلة في مجال التربيّة والتعليم، والاقتصاد والإعلام الإسلاميين، وذلك بتقدّم الدعم المادّي والمعنوي لمئات الآلاف من الطلبة وفي كافّة المراحل الدراسيّة المتوسّطة والإعداديّة والجامعيّة، وإصدار العشرات من الصحف والمجلّات المتنوّعة، وبتّ الإرسال الإذاعي والتلفازي، وتكوين العشرات من الشركات الاقتصاديّة والبنوك الإسلاميّة، وتوظيف كل تلك المجالات في صالح الدعوة الإسلامية ونشرها بين أفراد المجتمع.

وفيما يلي ذكر لأهم تلك النشاطات:

Ā - نشاطاتهم في المجال الإعلامي:

- ١ - إصدار صحيفة يوميّة باسم الزمان (zaman)، وتطبع هذه الجريدة في تركيا وألمانيا بمعدّل (400,000) نسخة يوميّاً.
- ٢ - مجلّة فصليّة باسم إيكولوجي (Ekoloji) وتهتم بشؤون البيئة والحفاظة عليها.
- ٣ - مجلّة أسبوعيّة باسم أكسيون (Aksiyon) وتهتم بالشؤون السياسيّة والاجتماعيّة.

(١٥٠٠) محمد نور الدين، المصدر السابق، ص138.

(١٥٠٠) هي المدّة التي حكم فيها حزب الرفاه.

(١٥٠٠) محمد نور الدين، المصدر السابق، ص188.

٤ - مجلة باسم بني أميد (yEni umiD) أي الأمل الجديد وهي مجلة فصلية تهتم بالشؤون العلمية.

٥ - مجلة شهرية باسم سيزنتي (sizinti) أي الترشح وهي مجلة علمية وأدبية (İÖN).

كما تمتلك الجماعة محطة تلفزيونية باسم (صمانبولو) وتبث خطب الأستاذ فتح الله كولن ذات التأثير الكبير على المجتمع التركي (ويقدر البعض عدد الذين يتابعون خطبه ويتأثرون بها بنحو أربعة ملايين (İÖÖ))، كما تمتلك الجماعة اثنتين من المحطات الإذاعية التي تبث برامج إسلامية وعلمية بالإضافة إلى خطب ودروس الأستاذ فتح الله كولن (İÖÖ)، وكذلك تمتلك عدداً من دور النشر والمطابع الخاصة بالجماعة.

Ē - نشاطاتهم في مجال التعليم:

١ - أنشأت سبع جامعات في قارة آسيا، كما قامت مؤخراً بإنشاء جامعة خاصة في تركيا.

٢ - قامت الجماعة بإنشاء المئات من المدارس الابتدائية والثانوية داخل تركيا وخارجها وخاصة في الجمهوريات التي انفصلت عن الاتحاد السوفيتي السابق.

٣ - خصصت الجماعة المئات من البنائات ذات الطوابق المتعددة للأقسام الداخلية للطلبة والتي تؤوي مئات الآلاف من الطلبة الذين لا يتمكنون مادياً من دفع تكاليف إيجار الشقق السكنية للطلبة.

٤ - كما تقوم الجماعة بإقامة العديد من المخيمات الكشفية في فصل الصيف لطلبة الجامعات والمعاهد، ويعدّون برامج مكثفة لتلك المخيمات والتي تشمل المحاضرات التوجيهية والعلمية وممارسة أنواع من الرياضة، وإجراء المسابقات العلمية فيها.

لقد تمكّنت الجماعة من خلال اهتمامها الكبير بالمدارس والجامعات وطلبة العلم من رفع المستوى العلمي لدى أفرادها، فقد (جهّزت تلك المدارس بأحدث الأجهزة والمختبرات العلمية التي يحتاج إليها الطلاب في تلك المراحل، مع توفير الجو العلمي اللازم للطلاب، إضافة إلى الجو

(İÖN) من الملاحظ لدى هذه المجموعة أنها تهتم اهتماماً كبيراً بالشؤون والمسائل العلمية، وبرأيي إن اهتمامهم هذا نابع من توجهات الأستاذ النورسي لربط العلم الحديث بالقرآن والإيمان وجعله خادماً لهما.

(İÖÖ) محمد نور الدين، تركيا الجمهورية الحاضرة، ط 1، بيروت، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، jãl1998 .1800

(İÖÖ) توجد في تركيا الكثير من المحطات الإذاعية الإسلامية التي تديرها جامعات إسلامية.

الإسلامي، مما كان من ثمراتها الياصرة تفوق طلابها على أقرانهم في المدارس الحكومية أو حتى المدارس الخاصة الشهيرة الأخرى، وحصولهم على أعلى الدرجات التي تؤهلهم للتخصّص في أرقى الأقسام العلمية بالجامعات التركية (İÖÜ).

والجدير بالذكر هو أن جماعة فتح الله كولن تمتلك إمكانيات ماديّة وماليّة هائلة وذلك بفضل مشاريعها الاستثمارية التي تدّر عليها أموالاً طائلة وإلا كيف تستطيع القيام بتقديم كل تلك الخدمات وباستمرار (İÖÜ).

ثالثاً: جماعة وقف الزهراء (ZEHRA VAKFI):

استمدت هذه الجماعة اسمها من اسم جامعة الزهراء التي طالما كان الأستاذ النورسي يعمل لتأسيسها، وقد قامت هذه الجماعة ببناء مدرسة كبيرة في مدينة "ağ" باسم الزهراء، ويدير الأستاذ عز الدين يلدرم هذه المجموعة، والذي يختلط بهم يرى أنهم أقرب الجماعات إلى تراث الأستاذ النورسي وفكره.

هذا وتحاول هذه المجموعة الاستفادة من التجارب الدعويّة التي سبقتها ويعدّ ذلك (كسراً لحاجز طالما استمرّ عقوداً في جماعات النور وما زال الطابع العام لأكثر جماعات هذه الحركة وهو التقيد بأراء الأستاذ بديع الزمان رحمه الله (İÖÜ).

كما تتميز هذه المجموعة بأنّها أكثر انفتاحاً على غيرها حيث تقوم بالتعامل مع العلماء والدعاة ورجال الفكر من الاتجاهات الأخرى، وتحاول أن تستفيد من تجاربهم، كما تهتمّ بالدراسات الإسلاميّة خارج نطاق رسائل النور، ويمكنك أن تناقشهم حول الكثير من المسائل التي طرحها الأستاذ النورسي حيث يقبلون النقد المهادف الذي يخدم القضية الإسلاميّة، لذلك يعتبرون أوسع أفقاً، وأرحب صدرًا من غيرهم من المجموعات النوريّة الأخرى.

لقد حدّثني الأستاذ عز الدين يلدرم قبل استشهاده بفترة عن وقف الزهراء (İÖÜ) وعمله فيها بقوله: (إنني أخدم رسائل النور منذ عام 1962م، وأنا الآن أدير وقف الزهراء للتربية والثقافة ولدينا

(İÖÜ) الدكتور سهيل صابان، المصدر السابق، ص428.

(İÖÜ) من هنا يتبيّن أنّ للمال أهمية كبرى لا يمكن الاستغناء عنه أثناء القيام بأي عمل جماعي للإسلام.

(İÖÜ) الدكتور سهيل صابان، المصدر السابق، ص429.

هيئة إدارية مكونة من خمسة أشخاص مع رئيس الوقف، بالإضافة إلى مجلس شوري مكون من خمسة عشر فرداً، أما اسم الوقف الذي أنشأناه فهو اسم تفاؤل ومستمد من تسمية جامعة الزهراء التي كان الأستاذ النورسي يعمل لإنشائها، وبخصوص نشاطاتنا الأخرى فقد أرسلنا آلاف الطلبة إلى الجامعات حيث تخرج الكثير منهم من كليات الهندسة والطب والقانون ولا يزال الكثير منهم على مقاعد الدراسة ونحن نقدّم لهم الدعم المادي اللازم ونهيئ لهم الأقسام الداخلية (١٥). (أنظر إلى الصورة رقم (15) في ملحق الصور).

أما عن أهداف الوقف فقد ورد في نظامها الداخلي أنّ من أهدافها:

أ- توفير سبل التعليم _بمختلف مراحلهِ_ للشباب المؤمن المتقيّد بالقيم الإسلامية، أصحاب الدرايات والهمم العالية ابتداءً من دور الحضانه وانتهاءً بالجامعة، وإعدادهم للدخول في كافة مراحل مؤسسات التعليم الرسميّة والأهليّة، ومنح المستمّرّين فيها منحاً دراسيّة، وتوفير المأكل والمسكن لهم، وفتح دورات (تعليم وتخفيض) القرآن الكريم، والتدريب المهني ومراكز التعليم، وإرسال الطلاب إلى خارج البلاد للتخصّص، وإقامة مخيمات تربويّة تعليميّة خلال فترة الصيف، وتوفير كل ذلك والقيام بما يلزم في هذا الصدد من أموال الوقف الموجود.

ب- إنشاء وتأسيس مؤسسات التعليم، ومسكن الطلاب، والمساجد والجموع، وقاعات المحاضرات، والمكتبات، والمختبرات العلميّة، ومراكز البحوث، وبناء بيوت لإيواء المساكين والفقراء.

ج- تنظيم محاضرات ولقاءات علميّة ومناظرات أو ما شابهها من الاجتماعات العلميّة والثقافيّة بشكل عام، وذلك في قاعات المحاضرات أو في الهواء الطلق.

د- مساعدة الأعضاء وذويهم في الزواج والولادة والحوادث والوفيات وإعطائهم قروضاً حسنة.

هـ- مساعدة المؤسسات الأخرى التي تسعى لتحقيق نفس أهداف الوقف (١٥).

وفي إطار الاهتمام بالعلم وطلبته تقوم الجماعة بإيفاد بعض الطلبة ممن يرغبون في إغناء وتوسيع ثروتهم العلميّة والمعرفيّة والفكريّة إلى بعض الدول العربيّة مثل (مصر والمملكة العربيّة السعوديّة وسوريّة) لكي يدرسوا هناك العلوم الشرعيّة بشكل أوسع، ولكي يتمكنوا من تعلّم اللغة

(١٥) الذي يريد القيام بعمل دعوي وجماعي في تركيا مضطر إلى أن يعمل خلف واجهة خيرية أو مركز خيري وما إلى ذلك.

(١٥) لقاء مع الأستاذ عز الدين يلدرم، استانبول_تركيا، السبت، 21/8/1999.

(١٥) النظام الداخلي لوقف الزهراء، ص1.

العربية بإتقان، بل والتخصّص فيها إن أمكن، وبالتالي العودة إلى تركيا للقيام بدورهم في تعليم اخوة لهم لغة القرآن الكريم، وتدريس العلوم الشرعية لهم.

وتقوم الجماعة بإصدار مجلّة باسم نو بهار أي (الربيع الجديد) باللغة الكرديّة، وهي مجلّة شهريّة تهتم بالموضوعات الفكرية والثقافية والأدبية، وينشر في كلّ عدد منها واحد أو أكثر من مقالات وكلمات الأستاذ النورسي حيث تترجم إلى اللغة الكرديّة، وقد صدر منها حتى الآن أكثر من ستين عدداً.

كما تقوم الجماعة بترجمة العديد من رسائل النور إلى اللغة الكرديّة وذلك لكي يتسنى لأبناء الكرد ممن لا يجيدون اللغة التركيّة والعربيّة الاطلاع على رسائل النور والاستفادة منها والاسترشاد بتوجيهاتها ونصائحها.

رابعاً: مجموعة يني نسيل (YENI NESIL) الجيل الجديد:

وتضم هذه المجموعة عدداً من طلاب الأستاذ النورسي أمثال: سعيد أزدمير، ومصطفى صونكر (İÖD)، وعبد الله يكين (İÖN)، وبايرام يوكسيل الذين رافقوه فترة من الزمن، ويمتاز هؤلاء بأنهم يعملون وفق النهج القلم الذي تلقّوه عن الأستاذ النورسي رحمه الله مباشرة، كما أنّهم يمتنعون عن تأييد أي حزب سياسي، بل يقضون جلّ أوقاتهم في قراءة رسائل النور، وتدريسها، وترجمتها إلى اللغات الأخرى لكي يستفيد منها أكبر عدد ممكن من المسلمين في العالم، ويضم (يني نسيل) عدداً من المؤسسات المهمّة منها:

١ - شركة نسيل لطبع ونشر رسائل النور، وهي التي قامت بطبع ونشر الترجمة العربية التي أنجزها مشكوراً الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، كما قامت وتقوم بنشر العديد من الدراسات حول الأستاذ سعيد النورسي وحركته.

(İÖD) ولد مصطفى صونكر في سنة 1929م و لازم الأستاذ النورسي إلى حين وفاته، هذا وللسيد صونكر مكانة كبيرة عند سائر الجماهير النورية ويعتبرونه بمثابة الأخ الأكبر للجميع، كما ويعدّ مرجعاً لجميع النوريين بسبب ملازمته للأستاذ النورسي إلى حين وفاته رحمه الله، والسيد مصطفى صونكر لا يزال على قيد الحياة وقد حاولت اللقاء به إلا أنه لم يكن في تركيا أثناء سفري إليها.

(İÖN) السيد عبد الله يكين أيضاً كان من طلاب الأستاذ النورسي الذين لازموه فترة من الزمن وهو الآن يقيم في ألمانيا وله نشاط طيب في نشر رسائل النور هناك.

٢ - مركز استانبول للثقافة والعلوم، ويديره الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، ويقوم المركز بتنظيم وإعداد مؤتمر عالمي حول الأستاذ النورسي وتراثه بين الحين والآخر، وقد استطاع المركز المذكور حتى الآن إقامة أربع مؤتمرات علمية في استانبول: الأول كان في سنة 1992م، والثاني كان في سنة 1993م، الثالث كان في سنة 1995، والرابع كان في سنة 2000م، هذا وقد دعيت للمشاركة في هذا المؤتمر الأخير الذي عقد في سنة 2000م إلا أنني لم أتمكن من السفر إلى تركيا بسبب بعض العراقيل الإدارية المتعلقة بأمور السفر.

3- مطبعة نسيل، وتقوم بطباعة معظم المجالات والجرائد والكتب الإسلامية ويديره السيد محمد برنجي.

كانت تلك أهم الجماعات النورية العاملة، وتوجد هناك مجاميع أخرى صغيرة ولكن ليس لها تأثير يذكر مثل: جماعة النساخ الذين يحرّمون طباعة رسائل النور بآلات الطباعة بل يعتمدون على سواعدهم في كتابة الرسائل حيث يقومون بكتابتها بالخط اليدوي ومن ثمّ يقومون بنشرها، وهناك بعض الأفراد القلائل الذين غلوا في الأستاذ النورسي كثيراً إلى درجة أنهم يدعون أن اسم الأستاذ النورسي قد ورد في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: {فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً} (١٥٥) وحثهم في ذلك أن الصاد والسين كلاهما من أحرف التصفير وكثيراً ما يقرأ الصاد سيناً وبالعكس أيضاً كما في قوله تعالى في سورة الفاتحة: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} (١٥٥) وبناء عليه فكلمة (صعيد) الواردة في الآية على حدّ زعمهم تعني الأستاذ سعيد النورسي، وبذلك يكون المعنى: فتوجّهوا إلى سعيد الطيب!!

حركة النور وتأثيرها في المحيط الكردي:

لقد انطلقت حركة النور في بداية الأمر من كردستان تركيا، وما لبثت حتّى وصلت إلى كافة المدن التركية، وانتشرت فيها، ولم تقتصر الحركة في انتشارها على المحيطين الكردي والتركي فحسب بل وصلت إلى الكثير من البلدان العربية والأجنبية الأخرى، إلا أننا نستطيع القول إن فاعلية وتأثير حركة النور في المحيط الكردي والتركي كان أقوى من غيرهما لعدّة أسباب؛ ربّما يكون من أهمها كردهة الأستاذ النورسي، وتواجهه بين الشعبين الكردي والتركي إلى آخر يوم من حياته.

(١٥٥) النساء، 43.

(١٥٥) الفاتحة، 6.

لقد تحدّثت في الفصول السابقة عن تأثير الأستاذ النورسي وحركة النور في المحيط التركي عموماً بما فيه الكفاية، لذا سوف أخصّص الحديث في الصفحات الآتية عن تأثير الأستاذ النورسي وحركة النور في المحيط الكردي، وسبب تطرّقي إلى الحديث عن هذه الناحية من حياة الأستاذ النورسي فلأنّه كان كردياً وقضى شطراً كبيراً من حياته في كردستان تركيا، وحتى عندما استقرّ في استانبول أيضاً كان يزور كردستان وكان يتجوّل بين عشائر الكرد بغية توجيههم وإرشادهم وتوعيتهم وتعليمهم أمور دينهم، وقبل البدء بالحديث عن هذا الجانب أرى من الأهمية بمكان أن أمهد لهذا الموضوع بمقدّمات ثلاث وهي:

المقدّمة الأولى:

إنّ هذا الجانب لم يأخذ حقه من البحث والدراسة والتتبّع من قبل الباحثين والأكاديميين، وحتى غير الأكاديميين، فلقد أهمل هذا الجانب من قبل الكثير من الكتاب والباحثين الكرد بسبب أفكارهم اليساريّة التي لا تتوافق مع الأفكار والطروحات الإسلاميّة التي كان الأستاذ النورسي يحملها، لذا اتهم الكثير منهم الأستاذ النورسي بأنه كان يحاول إذابة الروح القوميّة لدى شباب الكرد، لصالح الرابطة التركيّة الإسلاميّة، وأن موقفه كان سلبياً تجاه الحركات الكرديّة وغيرها من الاتهامات التي وجهوها إلى الأستاذ النورسي بقصد التقليل من شأنه.

أما الكتاب والباحثون العرب والأتراك فهم قسمان:

فالقوميّون والعلمانيّون منهم لم يكن يشكّل هذا الموضوع أيّة أهمية بالنسبة إليهم.

أما الإسلاميون منهم فقد أهملوا هم أيضاً هذا الجانب لأنه ربّما يكون مشوباً بالروح القوميّة، والتعصب العرقيّ الذي نهانا الإسلام عنه.

وبين هؤلاء وأولئك ضاع هذا الجانب المهم من حياة الأستاذ النورسي وحركة النور ولم يأخذ حقه من البحث والدراسة كما أخذ غيره من الجوانب الأخرى التي أشبعت بحثاً ودراسة وتتبعاً.

المقدّمة الثانية:

لقد كان تأثير الأستاذ النورسي وحركته في المحيط التركي أقوى منه بكثير في المحيط الكردي لعدّة أسباب منها:

١ - لم يمكث الأستاذ النورسي في كردستان تركيا بقدر مكوته في المناطق التركيّة، فقد ((نفي من كردستان تركيا إلى المناطق التركيّة، فطلابّ النور الأوائل معظمهم كانوا من الأترك إذ عاش النورسي بينهم من سنة 1925م إلى سنة 1960م، فالحيط كان تركياً أكثر منه كردياً)) (iÖÖ).

٢ - لقد كانت كردستان تركيا ولا تزال تعيش في ظروف استثنائية، وفي الكثير من الفترات كانت تفرض عليها الأحكام العرفية، وبطبيعة الحال فإن تلك الظروف لا تسمح بالقيام بالأنشطة الدعوية والفكرية، أما المناطق التركيّة فقد كانت هادئة نسبياً مقارنة بالمناطق الكردية.

٣ - لقد كان المجتمع التركي متعلماً ومتحضراً ومثقفاً لذلك لقيت رسائل النور، والطروحات الفكرية والإصلاحية التي جاء بها الأستاذ النورسي قبولاً ورواجاً، هذا بعكس المجتمع الكردي الذي كان يغلب عليه طابع الأمية والبداءة، لذلك كانت الأفكار التي يطرحها الأستاذ النورسي غريبة بالنسبة إليهم، ويكفي دليلاً على ذلك أن الأستاذ النورسي صرف جهوداً كبيرة بين العشائر الكردية حتى استطاع إفهامهم معنى المشروطة والاستبداد كما ورد في كتاب (رجنة الأكراد).

لذلك نستطيع القول أن أثر وفاعلية حركة النور كان أقوى بكثير في المحيط التركي مقارنة بالمحيط الكردي.

المقدمة الثالثة:

قبل التحدث عن تأثير الأستاذ النورسي وحركة النور في المحيط الكردي ينبغي أولاً التحدث عن تأثره هو بالمحيط الكردي الذي ولد ونشأ وترعرع فيه، فالإنسان ابن بيئته به يتأثر شاء أم أبي، لذلك نرى أن الأستاذ النورسي قد تأثر بالمحيط الكردي، وكان ذلك التأثير واضحاً وبيئاً عليه إلى آخر يوم من حياته، ومن مظاهر تأثره بالمحيط الكردي على سبيل المثال نذكر:

أولاً: لباسه الكردي:

(iÖÖ) لقاء مع الأستاذ فاروق رسول يحيى، العراق-السليمانية، في 2008/8/20 الساعة 11,30 قبل الظهر.

لقد كان الأستاذ النورسي يلبس الزيّ الكردي المعتاد باستمرار، والذي كان عبارة عن سروال واسع، وقميص من نفس قماش السروال، ويربط في خصره قطعة من القماش على شكل لفات عدّة، أما غطاء الرأس فقد كان عبارة عن كم يربط حوله غترة على شكل لفات أيضاً، هذا وقد ظلّ الأستاذ النورسي يرتدي اللباس الكرديّ إلى أن توفّي، ما عدا بعض المرات التي كان يلبس فيها زيّ العلماء الجبّة والعمامة.

هذا وقد أذى تمسك الأستاذ النورسي بارتداء الزيّ الكردي حتى عندما كان مقيماً في استانبول وأنقرة أيضاً إلى توجيه الأنظار إليه مما سبّب له الكثير من المتاعب، وفي ذلك يقول: (أ) أحوالي وأخلاقي مخالفة للناس كما هو الحال في ملابسي، فاتخذوا الأمر الواقع، والحقّ محلّ النظر وموضع الاعتبار (iÖÖ).

ثانياً: الاستشهاد بالأمثلة والحكم والأشعار الكرديّة في كلماته وكتاباتة:

لقد أمضى الأستاذ النورسي شطراً كبيراً من حياته في كردستان تركيا قبل أن ينتقل إلى استانبول، وفي تلك الفترة درس عند الكثير من علماء الكرد، وتنقل بين الكثير من المدارس المسجديّة التي كانت مبعثرة في مدن كردستان وقراها، وخلال تلك الفترة جمع الأستاذ النورسي _بالإضافة إلى العلوم الشرعيّة_ قسطاً كبيراً من الأدب الكردي من شعر ونثر، والحكم الكرديّة التي كان الناس عموماً وطلبة العلم خصوصاً يتناقضونها فيما بينهم وفي مجالسهم العلميّة، والذي يطالع رسائل النور يرى الكثير من تلك النماذج التي استخدمها الأستاذ النورسي لتقوية خطابه الدعوي والإصلاحي وجعله أكثر تأثيراً على الطرف المقابل، ومن تلك النماذج على سبيل المثال قوله: ((...ومن المقرّر أن المعنى ما صبّه اللفظ في صماحك، متنقداً في ذهنك، متشرباً منه وجدانك، متنبّئاً منه أفكارك... ومن أمثال الأكراد أن رجلاً اسمه "علو" (iÖÖ) كان يسرق العسل، فأشير عليه بأنه سيظهر سرقتك، فللتستّر جمع الزنابير في كوار فكان يسرق العسل ويدخل في الكوار ويقول هذا العسل ماصنعه زناييري بهندستها، ويقول لها محادثاً بلسانه: "فظ فظ زوه هنكفين زمن" يعني عليكم الدويّ والطينين؛ وميّ العسل)) (iií).

ومن النماذج الأخرى استشهاده بالشعر الكردي، فقد سئل يوماً: ((ما حقيقة الوقائع التي دبّت بين صفوف المسلمين في عهد سيدنا علي رضي الله عنه؟ وماذا نسّمى أولئك الذين ماتوا

(iÖÖ) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتيّة، ص70.
(iÖÖ) علو في اللغة الكرديّة تصغير لاسم عليّ.
(iii) بديع الزمان سعيد النورسي، رجحة العلماء، ص15.

وقتلوا فيها؟

الجواب: ... قد قال أحد أعلام علمائنا المحققين ويعدّ قوله حجة، شعراً باللغة الكردية:

ز شه رى صه حابان مه كه قال و قيل

لورا جه نه تى نه قاتل و هه م قه تيل

أي لا تخض فيما وقع بين الصحب الكرام؛ لأن القاتل والمقتول كليهما في الجنة⁽ⁱⁱ⁾.
وكثيراً ما كان يستخدم في حديثه وكتاباتهِ أسلوب ضرب الحِكم ومن تلك النماذج قوله:
(إن كل إنسان قد مرّ بلا شك بكثير من الوقائع المتكررة، فهو عندما يذكر اسم شخص ما إذا
بالباب يفتح ويدخل الشخص المذكور من غير أن يتوقَّعوا قدومه، حتّى قيل في الأمثال الكردية:

(نافى كورك بينه بالاندار لى وه رينه)

أي حالما تذكر الذئب هيبى الهراوة فالذئب قادم⁽ⁱⁱⁱ⁾.

يقول الأستاذ النورسي في مقدّمة كتابه رجته العوام الذي خصّصه لأسئلة الكرد البدويين
وأجوبتها: ((إني أتصوّر كردياً ثم أتكلّم عربياً أو تركياً فيقعّد في مطبعة الخيال مترجم عجمي فكما
قد لا يتفهّم ما يتكلّم القلب، قد لا يعرف لسان اللسان حتّى يأخذ من ذا ويعطي ليد ذا))^(iv).

ثالثاً: الإباء والشمم:

المعروف عن الشعب الكردي أنه شعب يتميّز بالإباء والشمم، ولا يقبل المهانة والدناءة على
نفسه ولو أدّى ذلك إلى التضحية بحياته، ومن الأمثال الكردية في هذا الصدد (الرجال خلقوا لكي
يقتلوا)، وإذا كان بعض الكرد قد سخّر إباءه وشجاعته للحمية القبليّة فإن الأستاذ سعيد النورسي
قد سخّرها للذود عن الإسلام والقرآن، وما البسالة والمواقف البطوليّة التي أبدّاها في الحروب التي
حاضها إلّا مظهر من تلك المظاهر، وقد مرّ معنا قوله في المحكّمة العسكريّة: ((لو أن لي ألف روح
لما تردّدت أن أجعلها فداء لحقيقة واحدة من حقائق الإسلام)).

وقال للطبيب الذي كُلف للنظر في حالته النفسية إن كان مجنوناً أم لا: ((إني ترعرعت في

(iii) بديع الزمان سعيد النورسي، المکتوبات، ص 66.
(ii) بديع الزمان سعيد النورسي، المکتوبات، ص 448.
(iv) بديع الزمان سعيد النورسي، آثار بديعية، تركيا استانبول، نشریات اتحاد يانجيليك، 1999 ã 5910.

جبال كردستان، فعليكم أن تزونا أحوالي التي لا تروق لكم بميزان كردستان لا بميزان استانبول الحضاري الأنيق، فلو وزنتم بميزانها فقد وضعتم إذاً سداً مانعاً أمامنا نحو منبع سعادتنا استانبول، ويلزمكم سوق معظم الأكراد إلى المستشفى، ذلك لأن الأخلاق المفضّلة في الأناضول ^(iiN) هي الجسارة، وعزّة النفس، والثبات في الدين، وانطباق اللسان على ما في القلب ^(iiO).

لقد عرف عن الشعب الكردي منذ القدم أنه شعب شجاع ومُتّصف بالبسالة والرجولة، لذلك كان لهم دور بارز في المعارك التي خاضوها سواء تلك التي كانت تحت إمرة القائد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، أو التي وقعت بعده، هذا وقد أدرك السلطان عبد الحميد الثاني هذه الحقيقة لذلك شكّل منهم جيشاً نظامياً سُمّاهم بالخيالة الحميدية، وكانت مهمّة ذلك الجيش الوقوف بوجه تحركات الأرمن الذين كانوا يحاولون _وبإيعاز من الدول الأوروبية_ تشكيل دولة أرمنية في المنطقة الكردية فتصدّى لهم الجيش الكردي وحال بينهم وبين أحلامهم في تشكيل دولتهم المرعومة.

لقد تأثر الأستاذ النورسي بالبيئة الكردية حيث كان هو الآخر رجلاً شجاعاً ومقداماً، وقد قام بتدريب ثلّة من طلبة النور على الفنون الحربية، واستخدام الأسلحة المتنوعة للاستعانة بهم في وقت الحاجة، وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى شارك فيها مع طلابه أولئك _رغم عدم اقتناعه بمشاركة الدولة العثمانية في الحرب_ فسطرّ أروع المواقف البطولية إلى أن جرح وأسر من قبل القوات الروسية.

تأثير حركة النور في المحيط الكردي:

لقد أثار الأستاذ النورسي وحركته حركة النور في المحيط الكردي أيما تأثير، فقد التحق الآلاف من شباب الكرد وشبابهم بحركة النور، وكان للأستاذ النورسي مكانة كبيرة عند الكرد عموماً حيث كانوا يستشيرونه في الأمور المهمة، ويحكّمونه في الكثير من نزاعاتهم، ويستفسرون منه ما يشكل في أذهانهم من أمور الدين والدنيا على حدّ سواء، ودخلت رسائل النور إلى أغلب المنازل فتلقاها الشعب الكردي بلهفة وشوق كبيرين، وهكذا ازداد تأثير الأستاذ النورسي على الشعب الكردي يوماً بعد يوم إلى أن أصبح رمزاً من رموزهم.

لقد تضافرت أسباب عدّة لتأثر الشعب الكردي بالأستاذ النورسي وحركته ذلك التأثير البالغ، ربّما يكون الأسلوب الرائع والممتع الذي كان الأستاذ النورسي يتحلّى به من أهمها، فقد كان

^(iiN) لقد مرّ معنا قبل الآن أن تركيا تنقسم إلى قسمين: الأناضول، وتراقيا، وتقع كردستان تركيا ضمن قسم الأناضول. ^(iiO) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص70.

حكيماً بكل ما تحمله الكلمة من معنى في معالجته للمشاكل والقضايا العالقة والأزمات، والمشاكل الاجتماعية، حيث كان لينا في المواقف التي تتطلب منه اللين، بينما كان شديداً وحازماً في المواقف التي كانت تتطلب منه الحزم والشدة، وكان بابه مفتوحاً ليل نهار لاستقبال الحائرين والتائهين الباحثين عن الحقيقة.

هذا ومن الأمور التي جعلت تأثير الأستاذ النورسي أكثر فاعلية في المحيط الكردي زهده، وعفته، وعزة نفسه، ففي الوقت الذي كان العلماء وطلبة العلم يقتاتون على ما يوجد به عليهم أهل القرى من طعام، ويلبسون ما يُتصدَّق عليهم من ثياب بالية، في ذلك الوقت قرّر الأستاذ النورسي أن لا يقبل المساعدة من أحد كائناً من كان وبذلك عظم في أعين الناس، وارتفعت مكانته عندهم أكثر فأكثر، يقول السيد فكرت أزدمير: ((...وفي زيارة أخرى عندما كان الأستاذ في فندق PĀ شهر "أخذت معي زوجاً من الجوارب من صنع مدينة "بدليس" هدية للأستاذ فقلت له: _أستاذي.. أرجو أن تقبلها مني هدية متواضعة فهي من مدينة "بدليس" فأخذها بيده ثم قال: _ لقد قبلت هديتك وأخذتها، ولكن البسها أنت بدلاً عني!! ((ĪĪŌ)) (ĪĪŌ).

هناك سبب آخر لتأثر الشعب الكردي بالأستاذ النورسي وحركته لا يمكن إغفاله ألا وهو أن الشعب الكردي منذ القدم وإلى الآن شغوف ومتلهف للإسلام والقرآن وكل ما هو إسلامي، كيف لا يكون كذلك وهو الذي كان قد دخل في الإسلام طواعية في الوقت الذي وقف الكثير من الشعوب والأقوام الأخرى في وجه الفتوحات الإسلامية، ودخلت مع الجيوش الإسلامية في حروب طاحنة.

هذا وقد اتخذ تأثير الأستاذ النورسي وحركة النور في المحيط الكردي أشكالاً وصوراً عدّة

منها:

(ĪĪŌ) لقد قطع الأستاذ سعيد النورسي على نفسه عهداً منذ طفولته بأن لا يقبل الهدايا والصدقات من أحد كائناً من كان، أما عن سبب ذلك فقد أجاب هو بنفسه عنه في سيرته الذاتية بقوله: ((على الرغم من أن سعيد القدم فقير الحال منذ أيام طفولته كما أن والده فقير الحال، فإن عدم قبوله الصدقات والهدايا من الآخرين، بل عدم استطاعته قبولها إلا بمقابل رغم حاجته الشديدة جداً... إنَّ حكمة هذا الأمر هي: عدم جعل رسائل النور_ التي هي خدمة سامية خالصة للإيمان والآخرة_ في آخر أيامي وسيلة لمغامر الدنيا، وعدم جعلها ذريعة لجرّ المنافع الشخصية".

رغم وجاهة المبرّر الذي تشبّث به الأستاذ النورسي في عدم قبوله للهدايا فإنني أرى أنه قد بالغ كثيراً في رفض الهدايا، وخالف في ذلك سنة من سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم، فقد ورد في صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنّها قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها)، فالهدايا التي لا شبهة فيها ينبغي أن لا تردّ، بل من الأفضل قبولها والإثابة عليها كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يفعل ويأمر به.

(ĪĪŌ) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص544.

أولاً: إصلاح المجتمع الكردي:

لقد بذل الأستاذ النورسي جهوداً جبّارة في سبيل إصلاح المجتمع الكردي الذي كان يعاني من ظلمات الجهل والتخلف وعندما استولت جمعية الاتحاد والترقي على مقاليد الحكم في تركيا كان الشعب الكردي يأمل أن تتحسن أحواله وينال قسطاً من الاهتمام من قبل الكماليين الذين كانوا يعدونهم بذلك قبل الوصول إلى الحكم، ولكن الذي حصل هو العكس تماماً حيث زاد الكماليون الطين بلة، حيث تنكروا لحقوق الشعب الكردي كما تنكروا لحقوق الشعوب الأخرى التي كانت تعيش في ظلّ الدولة التركيّة آنذاك، هذا وقد أشار الأستاذ النورسي في كلمة له إلى الأوضاع التي أصبحت في عهد الاتحاديين أسوأ بكثير مما كانت عليه أيام العثمانيين بقوله: ((إن أصحاب الأفكار الفاسدة يريدون الاستبداد والمظالم تحت ستار الحرية... نعم إنني عارضت شعبة الاتحاد والترقي المستبدّة... وتسمت بالمشروطيّة بينما مثلت الاستبداد في الحقيقة... لقد كانت هذه الحكومة (İİÖ) تخاصم العقل أيام الاستبداد إلاّ أنّها الآن تعادي الحياة بأكملها فإن كانت الحكومة بهذا الشكل والمنطق فليعش الجنون وليعش الموت ولتعش جهنّم مثوى للظالمين)) (İİÖ).

بعدما قضى الأستاذ النورسي عدّة سنوات من عمره في استانبول وأنقرة وغيرها من المدن، عاد مرّة أخرى إلى كردستان تركيا وذلك في سنة 1923م حيث قام بعدّة جولات بين العشائر الكرديّة بهدف إصلاح أوضاعهم الاجتماعيّة، والفكريّة، والعلميّة، وقد وفق في ذلك توفيقاً حسناً وحقّق نتائج طيّبة حيث التفتّ حوله العشائر الكرديّة، واسترشدت بأرائه وتوجيهاته السديدة، وهو بدوره قام بإرشادها، ووجّه لها النصائح المفيدة والقيّمة التي تفيدهم في دنياهم وأخراهم.

وفي تلك الفترة قام الأستاذ النورسي بالعديد من عمليات الصلح بين العشائر الكرديّة التي طالما كانت تعاني من النزاعات القبليّة والعشائريّة، لذا ((فما كان يطرق سمعه نزاع بين العشائر إلاّ ويتوجّه إليهم، ويرشدهم، حتّى أنه استطاع إجراء الصلح بين "شكر آغا" æ "مصطفى باشا" رئيس عشيرة ميران، بينما أخفقت الإدارة العثمانيّة في فض النزاع بينهما)) (İİ).

ربّما كان لجدية وحكمة ودهاء الأستاذ سعيد النورسي في محاولات الإصلاح التي كان يقوم

(İİÖ) يقصد أيام حكم السلاطين.

(İİÖ) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتيّة، ص81.

(İİ) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتيّة، ص62.

بها بين العشائر المتنازعة دوراً كبيراً في قبول تلك العشائر لوساطة الأستاذ والرضوخ لتوجيهاته ونصائحه في حين كانت المحاولات التي تقوم بها الإدارة العثمانية والكمالية غير جدية بالدرجة المطلوبة إن لم نقل إنها كانت مستفيدة من الكثير من تلك النزاعات حيث كانت تستغلها في بسط وتقوية نفوذها في المنطقة.

هذا وقد تطرق الأستاذ النورسي في كتابه (رجة الأكراد) إلى الكثير من تفاصيل جولته بين العشائر الكردية في كردستان تركيا بغرض إصلاحها وإرشادها، وبذل النصائح والتوجيهات لها، وكذلك تصحيح مفاهيمها الخاطئة، ومن ذلك قوله:

((الكبير الكبير معناه هو الذي استند إلى الحق، واستعمل العقل، واستخدم المحبة فتجذب إليه الملّة، ولأنه لا يخرج على رؤوسهم، بل يدخل تحت أكتافهم ويرفعهم، وينبّه أشواقهم إلى الله، ولأنه لا يخرج على الاتباع، فبإصابته كل فرد حصّة من الفخر يتزايد شوقه، وهو لأجل أن يرى الحق موقعه ليتمكّن فيه يرى ملته لضياء المعرفة، ويرسل زلال المحبة والعقل تحت تلك الأزهار في الأكمام حتى تنمو وتنكشف وتزاهر... هذا هو التماثل لـ "سيد القوم خادمهم"، فإن أردتم أن تنظروا إلى مجسم الشورى، فعليكم بهذا الرجل فإنه مرآتها)) (iii).

تأمل في العبارات التي استخدمها الأستاذ النورسي في مخاطبته لهذه الطبقة من الناس لترى كم كان الأستاذ النورسي حكيماً في اختيار أبسط العبارات والمعاني في مخاطبته إيّاهم، وتأمل في تركيزه على محاولة تصحيح مفهوم العظمة والمكانة الرفيعة، ومن هو الكبير، فبين لهم أنّ الكبير والقويّ ليس الذي يمتلك مالاً وفيراً وسلاحاً كثيراً ونفوذاً واسعاً، بل الكبير وذو المكانة العالية هو الذي يقف في جانب الحقّ بدلاً من اتباع الهوى، ويستخدم العقل بدلاً عن القوّة، وينشر المحبة بدلاً عن الكراهية، وبين لهم بعد ذلك أنّ كبير القوم إذا التزم بذلك التفّ حوله قومه وأطاعوه.

ومن الأعمال التي قام بها الأستاذ النورسي في تلك الفترة فتح بعض المدارس الصغيرة المتواضعة، والعمل على فتح المزيد منها، والطلب من الدولة التكلّف بتوفير مصاريفها، وإدارتها، وإعطائها الطابع الرسمي، ((فدعا إلى تأسيس جامعة على ضفاف بحيرة "Ağ" على غرار جامعة الأزهر في مصر (iii) تحت اسم جامعة الزهراء، ودعا إلى تدريس كلّ من العلوم الإسلامية جنباً إلى جنب العلوم الحديثة، والتدريس فيها بلغات ثلاث: اللغة العربية، واللغة التركية، واللغة الكردية، كما

(iii) بديع الزمان سعيد النورسي، رجّة العوام، ص 139.

(iii) لم يكن الأستاذ النورسي يقصد بذلك أنّ جامعة الزهراء التي كان يسعى لإنشائها في كردستان تركيا ستقوم بأداء الدور نفسه الذي تؤديه جامعة الأزهر في مصر فشتان ما بينهما، بل كان يقصد بذلك إنشاء جامعة تقتدي بجماعة الأزهر في نشر العلم والمعرفة والتراث والثقافة الإسلامية، وكذلك في الجمع بين دراسة العلوم الإسلامية جنباً إلى جنب مع العلوم التجريبية والتطبيقية حيث كان ذلك هدفاً من الأهداف التي طالما سعى الأستاذ النورسي لتحقيقها.

دعا إلى إنشاء ثلاث مدارس أخرى في أماكن متعدّدة لأطفال الكرد، وتكون الدراسة فيها باللغة الكردية^(١١٤).

لقد بذل الأستاذ النورسي كلّ ما في وسعه في سبيل إدخال دراسة العلوم الحديثة إلى المدارس الكردية التي كانت تدرّس العلوم الإسلامية فحسب، لأنه كان يدرك مدى أهمية تلك العلوم الحديثة لتطوير الشعوب لا سيّما الشعب الكردي الذي كان يعيش في ظلمات الجهل والتخلف، يتحدّث الأستاذ النورسي عن معاناته التي لقيها في ذلك السبيل فيقول:

((كنت أرى أن وضع الشعب الكردي بكرديستان في أسوأ ما يكون، وكنت أوّمن بأن حضارتنا نحن الكرد إنّما تأتي من طريق العلوم الحديثة، وكذلك كنت على يقين بأن هذه العلوم يجب أن تدخل كردستان عن طريق المدارس وبأيدي العلماء والحكماء حتّى ينشأ في الشعب الكردي أنس ولف [كذا]^(١١٥) لهذه العلوم، وذلك لأن زمان الشعب الكردي لا زال بأيدي العلماء.

لقد أتيت إلى "در سعادت" _ استانبول _ عندما كان الاستبداد في ذروته أخذاً معي الوثائق التي تتعلّق بوضع كردستان آملاً العثور على السعادة ومع أن جميع الأحكام الاستبدادية المنقسمة الآن كانت متمركزة في السلطان عبد الحميد آنذاك فإنه لم يستطع أن يجبرني على قبول الإحسانات والرتب التي كانت رشوة في الحقيقة، ودفعة مسكوت... رددت عليه كل اقتراحاته وضحيت بعقلي^(١١٦) ولكن ما مسست بسمعة قومي وما خضعت له.

وها أنا ذا منذ عام ونصف أعمل هنا لأجل نشر المعارف في كردستان كما هو معلوم لدى أهل استانبول... وإذا كنت ابن عامل، وما حاولت يوماً أن أتظاهر بغير هذه الظاهرة، وما سمحت للدنيا أن تدخل في قلبي مع ما كان تضاف عليّ منها، وتركت جبال كردستان الشاهقة التي لا زلت أهواها شوقاً وحبّاً لأجل مصالح قومي وقمت بهذه الأمور التي أدّت إلى إرسالي إلى مستشفى المجانين^(١١٧).

لقد كان الأستاذ النورسي يعتقد منذ وقت مبكر من حياته بضرورة الاهتمام بالعلوم الحديثة، وقد مرّ معنا في الفصل الأول كيف بدأ الأستاذ بنفسه حيث اطّلع على العلوم الحديثة في مدينة "آق" ودرسها بعمق وإمعان إلى درجة التأليف في بعض تلك العلوم، لقد كان الأستاذ النورسي يدرك بأنّه من الضروري جدّاً للمسلمين أن يتسلّحوا بسلاح العلم والتكنولوجيا لأنّه سيصبح سلاح العصر الذي ستحارب الدول به بعضها، وإذا كان الأستاذ النورسي يحاول أن يقنع المسؤولين

(١١٤) سليمان جفك، المصدر السابق، ص 21.

(١١٥) ولعلّ الصواب ألفة.

(١١٦) يقصد اتهامه بالجنون وتحويله إلى مستشفى المجانين للتثبيت من حالته النفسية والعقلية كما مرّ معنا في الفصل الأول.

(١١٧) بديع الزمان سعيد النورسي، ديوان الحرب العربي وسعيد الكردي، ص 26.

وأرباب الحكم في تركيا بضرورة الاهتمام بدراسة العلوم الحديثة ومواكبة التطور العلمي والتكنولوجي فإنه لم يشأ أن يحرم شعبه الكردي من تلك النصائح وتوجيههم نحو الاهتمام بالعلوم الحديثة، وإذا كان الأستاذ النورسي قد نصح الشعب التركي في استانبول والمدن الأخرى بضرورة الاهتمام بالعلوم الحديثة مع كونهم قد سمعوا بها ودرسوها قبل ذلك فإنه كان يتحتم عليه أن يركز بشكل أعمق وأدق في نصح الشعب الكردي الذي ربما لم يكن قد سمع بتلك العلوم بعد، ولعل في قول الأستاذ النورسي السابق ((حتى ينشأ في الشعب الكردي أنس وألفة لهذه العلوم)) إشارة إلى تلك الحقيقة.

ثانياً: توعية العشائر الكردية:

في جولاته التي قام بها بين العشائر الكردية في كردستان تركيا أخذ الأستاذ النورسي على عاتقه مهمة توعية العشائر الكردية التي كانت تعيش بمعزل عن الأحداث التي كانت تجري في الساحة، فبدأ بتوعيتهم، وشرح لهم الكثير من الألفاظ والمصطلحات الحديثة التي كثيراً ما كانوا يفهمونها فهماً قاصراً أو مغلوطاً، كما قام الأستاذ النورسي ببحثهم على القيام بالمطالبة بحقوقهم المشروعة التي طالما حرّموا منها، كما بيّن لهم ضرورة وأهمية الوحدة والتكاتف والتساند، والبعد عن الخلافات الداخلية، والنزاعات القبلية، والعمل على التطلّع نحو المستقبل، ومواكبة التطورات التي حدثت على كافة الأصعدة.

يتحدّث الأستاذ النورسي في مقدّمة كتابه (رجة العوام) عن محاولاته تلك قائلاً:

((واعلموا أيّ لما سافرت ثاني سنتي المشروطة، قافلاً من العصر الذي يمثله استانبول، منحدرًا إلى القرون الوسطى (iiö)، متحوّلاً بين عشائر الكرد، مرتحلاً من بساتين الربيع رحلة الصيف إلى الخريف، متنقلاً رحلة الشتاء في البلاد العربية.. اتخذت من الجبال والبيد مدرسة درست المشروطة لهم، فحينئذٍ تراءى لي من شبابهم أنهم تصوّروا المشروطة بصورة غريبة.. فلاجل تشخيص المرض ألقيت إليهم مفتاح الكلام، فقلت فاسألوا حتى يداويه جوابي...)) (iiö).

من خلال احتكاكه المستمر ببني جنسه استطاع الأستاذ النورسي تشخيص العلل التي يعاني منها الشعب الكردي، وفي مقالة له باللغة الكردية بعنوان: (أى كلى كردان) (iiö) í ã (أيها

(iiö) هنا يشبه الأستاذ النورسي وضع الكرد بالقرون الوسطى بسبب شدة الجهل والتخلف بينهم، ولشدة إهمالهم وحرمانهم من

الخدمات العاقبة من قبل الدولة والحكومات المتعاقبة.
(iiö) بديع الزمان سعيد النورسي، رجة العوام، ص 122.
(iiö) بديع الزمان سعيد النورسي، آثار بديعية، ص 851.

الكرد) التي نشرها في مجلّة (كرد تعاون وترقي) في : 22/ تشرين الثاني / 1908م تحدّث الأستاذ النورسي عن تلك العلل واحداً واحداً ومن ثمّ وصف لها الدواء الناجع وإليك فيما يأتي ترجمة مقاله تلك:

((أيها الكرد:))

اعلموا أنّ القوّة في الاتّفاق، والحياة في الاتّحاد، والسعادة في الأخوّة، تمسّكوا بالاتّحاد وليحبّ بعضكم بعضاً لكي تنجوا من المصائب، استمعوا جيّداً إلى ما سأقوله لكم:

هنالك جواهر ثلاث يجب علينا المحافظة عليها:

الأول هو: الإسلاميّة، ودماء الآلاف من الشهداء كان ثمناً لها.

الثاني هو: الإنسانيّة.

الثالث هو: المليّة.

بعد هذا أريد أن أخبركم بأن لنا أعداء ثلاثة يضرّوننا كثيراً:

الأول: الفقر، والدليل على ذلك الأربعين ألف حمّال كرديّ الذين يعملون في استانبول.

الثاني: الجهل والأميّة، والدليل على ذلك عدم تمكّن الواحد من الألف منّا قراءة رسالة

واحدة.

الثالث: العداوة والاختلاف، وهذه العداوة تضيع قوتنا، وتجعلنا نستحقّ القبر، والحكومة

بسبب عدم إنصافها تظلمنا.

إذا اتضح لكم ذلك اعلموا أن أماننا حلاً واحداً وهو حمل ثلاثة سيوف ألماسيّة للمحافظة

على الجواهر الثلاث، وللقضاء على أعدائنا الثلاثة:

السيف الأول هو: العدل والمعرفة والتعلّم.

السيف الثاني هو: الاتّفاق ومحبة بعضنا البعض.

السيف الثالث هو: أن نقوم بأعمالنا بأنفسنا، وعدم الاتكال على الآخرين في ذلك،

والتناصح فيما بيننا.

ووصيتي الأخيرة هي: التعلّم ثمّ التعلّم ثمّ التعلّم، والتكاتف ثمّ التكاتف، ثمّ التكاتف)).

من خلال تجواله بين العشائر الكرديّة في مدن وقرى كردستان تركيا تمكّن الأستاذ النورسي

أن يشخّص مكن الداء وموضع العلل عند الشعب الكرديّ ألا وهو الفرقة والعداوة، لقد أصيب

المسلمون عموماً بهذا الداء ولكن الشعب الكردي للأسف الشديد أصيب بهذا الداء بشكل أعمق وأكثر من الشعوب الإسلاميّة الأخرى، فالشعب الكردي قدّر له أن يعاني من هذه العلة منذ الأزمنة الغابرة وإلى يومنا هذا حيث لا يزال يعاني منها أشدّ المعاناة، وحصد منها ثماراً أشدّ مرارة من الحنظل!

لقد كان الأستاذ النورسي يدرك مدى خطورة استمرار إصابة الشعب الكردي بداء التفريق لذلك حثّهم وبإلحاح على تجاوز الخلافات الداخليّة والجزئيّة والتحليّ بروح الاتفاق والاتحاد والأخوة لأنّ سعادتهم تكمن في ذلك، وبذلك سوف ينجون من الكثير من المصائب التي حلّت بهم هذا ومن الأمراض التي شخّصها الأستاذ النورسي للشعب الكردي داء الفقر والجهل، فهذان المرضان وإن كانا قد أصابا الشعب التركي عموماً إلا أنّ نصيب الشعب الكردي كان أوفر من الشعوب الأخرى التي كانت تعيش في ظلّ الدولة التركيّة.

لو تأملنا في مقالة الأستاذ النورسي السابقة لرأينا أنّه لم يكتف بتشخيص الداء فحسب كما يفعل الكثيرون، بل قام بتحديد الدواء الناجع لتلك الأمراض والأسقام التي كان الشعب الكردي يعاني منها، وأرشدتهم إلى ضرورة التوجّه نحو التعلّم والتعليم وتشجيع ذلك ونشره بين أبناء المجتمع، كما حثّهم على أن يقوموا هم بأعمالهم وقضاء حوائجهم بأنفسهم وعدم الاتكال على الآخرين لأنّ صاحب الحاجة يكون أدرى بحاجته من غيره وأهل مكّة أدرى بشعابها كما يقولون. وفي ختام مقاله عاد الأستاذ النورسي رحمه الله تعالى فأكد على ضرورة التعلّم والتكاتف وتوحيد المساعي للخروج من الأزمة.

إذا ما تأملنا في تراث الأستاذ النورسي وكتاباته يتبيّن لنا أنّه قد صرف جهوداً كبيرة في سبيل إصلاح وتوعية شعبه الكرديّ، والأستاذ النورسي رغم عدم تفرّقه بين الكرد والترك وغيرهم من الأقوام في بذل النصائح والتوجيهات والإرشادات، إلاّ أنّه قد خصّ الشعب الكرديّ ببعض منها وركّز عليهم في بعض المناسبات والأوقات، ولا ضير في ذلك فقد خاطب الله سبحانه رسوله الكريم بقوله: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} (iii).

ثالثاً: مشاركته في الجمعيات الكردية:

لا أريد هنا التطرّق إلى الحديث عن الجمعيات الكرديّة التي انتمى إليها الأستاذ النورسي، فقد سبق الحديث عن ذلك في الفصل الأول من الباب الأول، بل الذي أريد الحديث عنه في هذا الصدد هو أن الأستاذ النورسي كما كان حريصاً على توعية العشائر الكرديّة وعوامّ الكرد كما مرّ معنا قبل قليل، كان حريصاً بنفس الدرجة إن لم نقل أكثر على المحافظة على مثقفي الكرد من الانحراف والضياع، لذلك فقد انتمى إلى عدد من الجمعيات الكرديّة ووجد مكانه بين صفوفها، وبالتالي عمل على توجيه أفرادها، والحفاظ على مسارها الصحيح، كما عمل على إبعادها عن الأفكار المعادية للإسلام والتي كانت منتشرة بين صفوف عدد من المثقفين الكرد وغيرهم آنذاك.

هذا وقد تمكّن الأستاذ النورسي من التأثير على الكثير من مثقفي الكرد الذين أعجبوا به أيما إعجاب، وبذلك استطاع أن يحتلّ مكانة مرموقة داخل الجمعيات الكرديّة التي انتمى إليها (iii) بالإضافة إلى مقالاته التي كان ينشرها في صحف ومجلاّت تلك الجمعيات والتي حظيت بقبول منقطع النظير بين كافّة شرائح المجتمع الكردي آنذاك.

حركة النور في الميزان:

إن من الأمور التي لا يكاد يختلف فيها مسلمان اثنان هي أنه لا أحد معصوم عن الخطأ سوى الأنبياء الذين تفضّل الله سبحانه عليهم بالعصمة، أما غيرهم من البشر فيمكن أن يقعوا في الأخطاء، بل لا بدّ لهم من ذلك، وحركة النور رغم قيامها بدور كبير في الدعوة إلى الله، وإيقاظ الناس من غفلتهم وتذكيرهم بمهمتهم الأساسيّة في هذه الحياة، وإعادتها للإسلام رونقه وبهائه، رغم ذلك كلّ لم تسلم من الوقوع في بعض الأخطاء التي لولاها لتمكنت الحركة من تقديم خدمات أكثر في مجال الدعوة والإصلاح، وفيما يلي ذكر لأهم تلك الانتقادات التي يمكن أن تؤخذ على الأستاذ سعيد النورسي وحركته حركة النور:

(iii) من الجمعيات الكرديّة التي انتمى إليها الأستاذ سعيد النورسي:

١ - جمعيّة التعاون والترقيّ الكردي (كرد تعاون وترقيّ جمعيتي).

٢ - جمعيّة نشر المعارف الكرديّة.

٣ - جمعيّة بعث كردستان.

والجدير بالذكر هو أنّ تلك الجمعيات لم يبق لها أي وجود اليوم بل حلّت جميعاً.

آ - الانتقادات الموجهة إلى الأستاذ النورسي:

لقد وجهت للأستاذ النورسي عدّة انتقادات وقد أجاب هو بنفسه عن بعضها وفيما يأتي ذكر لبعض تلك الانتقادات:

١ - تهاونه في أمر صحته:

لقد كان الأستاذ النورسي عرضة للأمراض دوماً وذلك بسبب إرهاقه الشديد جرّاء عمله الدعوي المتواصل، وكذلك تنقله من سجن إلى سجن، ومن منفى إلى آخر، وحرمانه من الراحة، ولا شك أن الأستاذ النورسي يكون مأجوراً على ذلك، ولكن الذي يؤخذ عليه هو تهاونه في أمر صحته وعدم إلقائه بالألنصائح الأطباء في بعض الأحيان، فقد ورد ما يدلّ على ذلك في قوله: (جاءني عدد من الأطباء من أركان طلابّ النور حينما اشتدّ وطأة المرض عليّ إلاّ أنني لم أفتح أولئك الصادقين المخلصين حول مرضي الشديد، ولم أتناول علاجاتهم، بل لم أشاورهم أصلاً في شؤون الأمراض التي ألمت بي رغم أن الآلام كانت تعصرني وأنا في أمس الحاجة إليهم... فلما رأوني لا أدير الحديث حول المرض قطعاً اعترأهم قلق واضطراب... قلت لهم... حقاً إن أضعف جانب عند الإنسان وأخطر مانع للعمل إنما هو المرض لأنه إذا اهتم المريض بمرضه كثيراً اشتدت أحاسيس الجسد عليه وسيطرت... فتسكت الروح والقلب عندئذٍ وتجعل الطبيب كأنه حاكم مستبدّ تلجئه إلى إطاعة توصياته وعلاجاته... ولقد حاول أعدائي المستترون استغلال هذا الجانب الضعيف عندي وما زالوا كذلك يحاولون) (iii).

إن تهاون الأستاذ هذا في أمر صحته مخالف لصريح أحاديث الرسول صلّى الله عليه وسلّم فقد ورد في الحديث: (تداووا فإن الله لم يضع داء إلاّ وضع له دواء غير داء الهرم) (iiD)، ثمّ إن شخصيّة مثل شخصيّة الأستاذ النورسي ليس ملكاً لنفسه حتّى يتهاون في أمر صحته بل هو ملك لسائر المسلمين لأنهم جميعاً كانوا ولا يزالون بحاجة إلى خدماته الإيمانيّة.

2- لقد وجه للأستاذ النورسي انتقاد آخر وهو تركه لسنتين مهمتين جدّاً وهما إطلاق اللحية والزواج، إلاّ أنه قد أجاب عن كلا الانتقادين قبل موته، فبالنسبة لمسألة عدم إطلاقه للحيته

(iii) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص310.

(iiD) الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، المسند، ج4 | 278Ö.

يقول: (إني أعرف أن حلقي للحيتي هو ترك للسنة ولكن إذا تركت لحيتي فسيقوم الجندرمة بحلقها وعندها سأموت من الغم لذلك فإنني أحلق لحيتي باستمرار)^(iiö).

أما بالنسبة لتركه سنة الزواج فعذره هو أنه لم يخلد إلى الراحة والاستقرار طوال حياته، فقد مكث أكثر من خمسة وعشرين سنة في السجون والمنافي وتحت الإقامة الجبرية، لذا فمثل هذا الشخص لا يمكنه التزوج وإذا تزوج فلا يستطيع أن يقوم بالحياة الزوجية على وجهها المطلوب، لذلك رأى الأستاذ أنه يجب عليه عدم التفكير في الزواج، ولكن الذي يؤخذ عليه هو تشجيعه لطلاب وطالبات النور على ترك الزواج، فبالرغم مما قاله في ملحق أمير داغ: (لم نقل لطلاب النور تخلوا عن الزواج دعوه للآخرين)^(iió) إلا أنه صدرت منه عدة إشارات تشير إلى أفضلية ترك الزواج بالنسبة لبعض طلاب وطالبات النور، فقد ورد في رسالة خاصة للأستاذ النورسي وجهها إلى طالبات النور اللاتي يرغبن البقاء عازبات ما نصّه: (لقد وضعت الحكمة الإلهية ميلاً وشوقاً في الإنسان لإدامة النسل ووضع أجره لأداء تلك الوظيفة الفطرية وهي اللذة، فالرجل ربما يتحمل مشاق ساعة لأجل تلك اللذة التي تدوم عشر دقائق _ إن كانت مشروعة _ بينما المرأة تحمل في بطنها الطفل حوالي عشرة أشهر مقابل تلك المتعة التي تدوم عشر دقائق فضلاً عما تتحمّله من مشقات طوال عشر سنوات من أجل طفلها، بمعنى أن تلك اللذة التي تدوم عشر دقائق تزيد أهمية ذلك الميل الفطري حيث تسوق إلى المصاعب الكثيرة والمتاعب المستمرة)^(iió).

الذي يتأمل في كلام الأستاذ النورسي هذا وكلامه بالمعنى نفسه في مناسبات أخرى يتبين له أنه يحاول إبراز الجانب السلبي من الزواج، وأنه يركّز على ذكر المشقات والصعاب التي يواجهها الزوجان مقابل عشر دقائق من اللذة على حدّ تعبيره، إلا أن الأمر ليس كذلك فالمرأة تشعر بسعادة بالغة فيما تحمله في بطنها، وتتلهف في رؤيته بعد وضعه، وسرعان ما تنسى آلام الحمل والوضع بعد أن تقر عينها برؤية وليدها، أما العشر سنوات التي تقضيها في تربية طفلها فهي من أسعد أيام حياتها رغم المشقات التي تلاقيها، وهذه فطرة أنعم الله بها على النساء وإلا لما استطعن أن يحرمن أنفسهن من النوم الهانئ، والراحة النفسية في سبيل راحة ورعاية أطفالهن!!

(iiñ) تطلق كلمة الجندرمة في تركيا على البوليس التركي.

(iiö) لقاء مع السيد نور الدين كيلاني أحد طلاب الأستاذ النورسي، تركيا استانبول، الأربعاء 2000/2/2.

(iió) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص402.

(iió) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص341.

وبناء على تلك الموازين التي تعامل بها الأستاذ النورسي مع قضية الزواج امتنع الكثير من طلاب النور عن الزواج ولا يزالون رغم حياة الاستقرار التي يعيشونها، وبذلك يلحقون الضرر بحركتهم حركة النور من الكثير من النواحي.

وإذا رجعنا إلى آراء الفقهاء حول هذه المسألة نجدهم قد فصلوا الكلام عن حكم الزواج، حيث يقولون بوجوبه في حق من استطاع القيام به وتاقت نفسه إليه وخشي على نفسه من الوقوع في الحرام إن لم يتزوج، أما من تاقت نفسه إلى الزواج ولكنه يأمن من نفسه من الوقوع في الحرام إن لم يتزوج _ كما هو الحال عند أغلب الاخوة النوريين _ فإن الزواج في حقه مستحب عند الفقهاء، وفي هذه الحالة يكون الزواج أولى من التفرغ للعبادة (iiö) ، فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم قوله: (تزوجوا فإنني مكاثر بكم الأمم) (iiiö).

لذلك أرى أنه يجب على الاخوة في حركة النور _ ممن يمتنعون عن الزواج _ مراجعة أنفسهم والنظر في هذه المسألة لأن الأمر جد خطير وهم إن بقوا على هذه الحالة واستمروا على الامتناع عن الزواج فإنّ رصيدهم من الدعاة والمصلحين سوف يتناقص يوماً بعد يوم، بينما إذا أقدموا على الزواج فإنّ كل واحد منهم سوف يخلف بعده مجموعة من الدعاة والمصلحين وبذلك سيخدمون دينهم وأمتهم.

3- مبالغته في استعداده للتضحية من أجل الآخرين:

التضحية خلق رفيع يعلي من شأن صاحبه، والدعاة والمصلحون هم أحوج الناس إلى التحلق به لكي يكونوا قدوة لغيرهم في ذلك المجال، والأستاذ النورسي واحد من أولئك القادة والمصلحين الذين ضحوا بالكثير من أجل إسعاد الناس في الدنيا والآخرة، ولكن الذي يؤخذ عليه هو مبالغته في الميل إلى التضحية إلى درجة ربما لا يكون مشروعاً ومن ذلك على سبيل المثال مخاطبته لبعض طلابه: (...إنه حتى نفسي الأمانة قد قبلت بأن أضحي لأجل حقيقة واحدة تمس العالم الإسلامي لا بحياتي الدنيوية وحدها بل إذا لزم الأمر بحياتي الأخروية وسعادتها أيضاً في سبيل إسعاد أهل الإيمان برسائل النور) (iiö) ، ويقول في موضع آخر: (إن طلاب النور يعرفون... أنني لم أسع من أجل مقام أو مرتبة لشخصي أو من أجل الحصول على مرتبة أو مقام أو شهرة معنوية أو أخروية،

(iiö) أنظر: السيد سابق، فقه السنة، ج2، 102، بيروت، دار الكتاب العربي، 1389 هـ _ 1969 jã15 وما بعدها.

(iiiö) رواه الإمام أبو داود، كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء.

(iiö) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص383.

بل سعت بكل ما أملك من قوة لتوفير خدمة إيمانية لأهل الإيمان وربما كنت مستعداً لا للتضحية بالمراتب الدنيوية الفانية وحدها بل إن لزم الأمر بالتضحية حتى بالمراتب الأخروية الباقية لحياتي في الآخرة... ويعلم أصدقائي المقربون بأني إن لزم الأمر أقبل ترك الجنة والدخول إلى جهنم من أجل أن أكون وسيلة لإنقاذ بعض المساكين من أهل الإيمان) (ID).

وربما يكون الأستاذ النورسي قد قال هذا الكلام متأثراً ببعض أقطاب الصوفيّة الذين بلغوا مبلغاً كبيراً في التضحية من أجل إسعاد الآخرين، والأستاذ النورسي بقوله هذا كان يريد أن يؤكد للناس من حوله أنه لا يريد منهم شيئاً، وأنه لا يبغى من وراء خدماته الإيمانية مالا، ولا منصباً، ولا جاهاً، بل هو مستعد أن يضحي بكل شيء في سبيل إسعادهم في الدنيا والآخرة ولو كلفه ذلك دخول جهنم بدلاً عنهم.

4- توجيهه لطلابه للاقتصار على رسائل النور فقط:

لا شك أن رسائل النور رسائل جامعة تحوي في طياتها الفكر الإسلامي، والعقيدة الإسلامية، والفقه والحديث والتفسير وكذلك الترغيب والترهيب إلى ما هنالك، ولكن توجيه الأستاذ النورسي لطلابه للاقتصار على رسائل النور فقط دون الرجوع إلى المصادر والمؤلفات الأخرى هو الذي يؤخذ عليه، والأستاذ النورسي في توجيهه هذا لم يفرّق بين العلماء والعوام، ولا بين المثقفين ومتوسّطي الثقافة، فقد ورد في إحدى رسائله تحت عنوان: "حول المؤلفات الأخرى": (إلى اخوتي "الخواص" (ID) من طلاب رسائل النور: إن رسائل النور تسدّ الحاجة التي تخصّ الحقائق الإسلامية فلا تدع حاجة إلى مراجعة مؤلفات أخرى... وعلى الرغم من أن أبحاث رسائل النور تدور حول حقائق متنوّعة فإنني لم أجد حاجة إلى مراجعة أي كتاب كان في أثناء تأليفها منذ عشرين سنة فلا شك أنكم لا تحتاجون كذلك إلى مؤلفات أخرى وتستغنون عنها أكثر مني بعشرين درجة، ثم إنني لما كنت قد اعتمدت عليكم وما زلت معتمداً فلا ألتفت إلى غيركم ولا أنشغل بسواكم فينبغي لكم أيضاً أن تتقوا برسائل النور وتطمئنوا بها بل هذا هو الأهم في هذا الوقت) (ID).

إن رسائل النور مهما بلغت من الشمول والدقة والإتقان والترتيب لا يمكن لطالب العلم الاقتصار عليها فقط، والأستاذ النورسي بتوجيهه هذا يهمل مئات الآلاف من الكتب والمصادر والمراجع الإسلامية التي لا يمكن الاستغناء عنها، كما أنه بهذا التوجيه يبقي على طلاب النور محدودي الثقافة والفهم، فهناك الكثير من المسائل والأحداث التي وقعت بعد وفاة الأستاذ النورسي

(ID) بدیع الزمان سعید النورسی، الشعاعات، ص 459.

(ID) إذا كان هذا توجيهه للخواص من طلاب النور فإن العوام يكونون أشمل بهذا التوجيه منهم.

(ID) بدیع الزمان سعید النورسی، الملاحق، ص 128.

فكيف يتعامل طلاب النور معها؟ وكيف ينظرون إليها؟ لذلك يجب عليهم إما أن يستفيدوا من المصادر والكتب والمؤلفات الأخرى أو الوقوف حائرين أمام تلك المسائل والأحداث المستجدة، هذا ولا يزال الكثير من طلاب النور ملتزمين بذلك التوجيه، وقد رأيت الكثير منهم لا يقرءون سوى القرآن الكريم ورسائل النور التي كتبت منذ أكثر من نصف قرن من الزمان.

ربما يمكننا أن نجد للأستاذ النورسي مبرراً لتوجيهه لطلابه على الاقتصار على رسائل النور فقط ألا وهو خوفه على طلابه من الوقوع في المناهات الفكرية، والاعتزاز بما كان يكتبه بعض المغرضين والمبتدعين، فقد راج في ذلك الوقت الدعوة إلى استخدام الحروف اللاتينية بدلاً عن الحروف العربية، وأداء الصلاة باللغة التركية بدلاً عن أداؤها باللغة العربية، وترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية وغيرها من الأفكار المغرضة، لذلك ربما يكون توجيه الأستاذ النورسي هذا نابعاً من تلك التخوفات، وحرصاً على المحافظة على طلابه من التأثر بتلك الأفكار الهدامة، لذلك فقد جاء في كتابه الملاحق قوله: (... ثم إنه لمباينة المسلك والمشرب في مؤلفات بعض المؤلفين الجدد في الوقت الحاضر ومسايرتها البدع، فإن إحدى مهمات رسائل النور هي الحفاظ على الحروف والخط القرآني فضلاً عن حفاظها على الحقائق الإيمانية تجاه الزندقة، ولقد اشترى أحد الخواص مؤلفات يستعملها بعض العلماء تحت ستار العلوم الدينية في إنزال الضربات القوية على الحروف والخط القرآني، اشتراه لهوى مجهول مع أنه يدرس الحروف القرآنية فشعرت دون علمي به امتعاضاً نحو أولئك الطلاب الخواص وأنا في الجبل ثم تبهتهم فانتبهوا بفضل الله نسأله تعالى نجّاهم نجاتاً تاماً) (iD)N.

٤ - الانتقادات الموجهة إلى حركة النور:

لقد وجهت جملة من الانتقادات إلى حركة النور عموماً منها:

١ - لم يستطع الأستاذ النورسي ولا طلابه البارزون تأسيس حركة منظمة بالمعنى الصحيح، ولم يضعوا لطلاب النور خطة حركية مرحلية يعملون وفقها، بل كان عملهم في غالب الأحيان عملاً عفويّاً بعيداً عن الدراسة والتخطيط، وقد أثر هذا الأمر في حركتهم تأثيراً بالغاً حيث لم يستطع طلاب النور المحافظة على وحدتهم بعد وفاة الأستاذ النورسي بل تشتتوا إلى مدارس ومجموعات واتجاهات لكل منها اجتهاداتها وتوجهاتها كما مرّ معنا قبل قليل، وقد أدى ذلك إلى تشتيت

أصواتهم في الانتخابات النيابية والبلدية بين الأحزاب العاملة في الساحة التركبية بدلاً من جمع كل تلك الأصوات التي كانت تقدر بالملايين، حيث كان بإمكانهم أن يجعلوها ورقة ضغط على الأحزاب الحاكمة لإصدار القرارات لصالح الإسلام، فتلك الملايين من الأصوات كان بإمكانها أن تكون الورقة الراجحة وكان بإمكانها التأثير على موازين القوى، ولكن للأسف الشديد لم يقدّم طلاب النور بذلك مما جعلهم يدفعون ثمن ذلك الخطأ قبل غيرهم حيث تعرّضوا إلى الكثير من النكبات على يد الأحزاب التي حكمت تركيا في فترات المتعاقبة، وما غلق المدارس الشرعية ومراكز تحفيظ القرآن الكريم في الآونة الأخيرة إلا واحدة من مظاهر دفع الضريبة التي دفعها ويدفعها النوريون نتيجة تلك الأخطاء.

٢ - هناك انتقاد آخر موجّه إلى الكثير من طلاب النور وهو انقطاعهم عن العالم الخارجي (İDÖ)، وعدم اكتراثهم بما يجري حولهم وكأنهم في كوكب آخر، ولا شك أن هذا التوجه قد أثر ويؤثر في هؤلاء النوريين، فالإنسان كما يقولون ابن بيته يتأثر بالأحداث التي تحدث في محيطه سواء شاء أم أبى، لذلك يجب عليه أن يكون مطلعاً على سير الأحداث لكي يكون على بينة من أمره، ولكي يتخذ القرارات المناسبة ويخطو الخطوات الملائمة لطبيعة المرحلة التي يمر بها. وربما يكون هذا التوجه لدى بعض طلاب النور متولّداً عن فهم خاطئ لبعض العبارات التي وردت في بعض رسائل النور وكذلك بعض تصرفات الأستاذ النورسي، ومن ذلك على سبيل المثال: قول الأستاذ النورسي في ملحق قسطنطيني: (لمناسبة مجيء فرقة من الجيش إلى هذه الجهات أمس قال لي أمين (İDÖ) إن صلة روسيا قد انقطعت عن القفقاس علماً أنني لم أكن أعرف استمرار الروس في الحرب، ولم أرغب في معرفته فقطعت عليه الكلام إلا أنّ قلبي أظهر اهتماماً بالموضوع) (İDÖ).

فالأستاذ النورسي قال هذا الكلام وهو في سمو روحيّ، وحالة من الارتقاء الإيماني بحيث لا يلقي بالأمر بما يحدث من حوله، ومع ذلك تأمل في قوله "إلا أنّ قلبي أظهر اهتماماً بالموضوع" فهو مع كونه في ذلك السموّ الروحيّ لم ينقطع تماماً عن سير الأحداث من حوله، ويقول الأستاذ النورسي في موضع آخر: (لما كان مسلكنا يستند إلى الإخلاص ومبني على الحقائق الإيمانية فإننا مضطرون إلى عدم التدخل في أمور الحياة الاجتماعية والحياة الدنيوية ما لم نضطر إليها، وعلينا التجرد والابتعاد عن تلك الحالات التي تؤدي إلى التنافس والتحيز والتنازع) (İDÖ)، فالأستاذ النورسي

(İDÖ) يقصد بالعالم الخارجي الذي هو خارج إطار رسائل النور.

(İDÖ) كان واحداً من طلاب النور الأوفياء الذين لازموا الأستاذ النورسي مدة طويلة.

(İDÖ) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص171.

(İDÖ) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص214.

وجّه هذا الكلام لطلبته الذين ربّما بالغوا في الاهتمام بالأمر الحياتية والدينية على حساب عملهم الدعوي والإصلاحي، ذلك الاهتمام الذي يؤدي على حدّ تعبير الأستاذ إلى التنافس والتجرّد والتنازع، لذلك أقول ربّما فهم أولئك النوريّون كلام الأستاذ النورسي فهماً خاطئاً فاجئوا إلى حياة العزلة والانطواء والانزواء بعيداً عن المجتمع والحياة الاجتماعية مما جعل المردود السليبي يعود إليهم وإلى مجتمعهم على حدّ سواء.

كانت تلك بعض الانتقادات التي وجهت إلى الأستاذ النورسي وحركته حركة النور، ولكن رغم كل تلك الانتقادات فلا بدّ من القول أن الأستاذ سعيد النورسي وطلّابه وحركتهم قد خدموا الإسلام خدمات جليلة، ولا يزالون يقدّمون الكثير حيث لا زالوا يديرون آلاف المدارس الشرعية ومراكز تحفيظ القرآن الكريم، كما يقومون بإرشاد الناس إلى الطريق المستقيم، وبذلك استطاعوا وبحقّ إنقاذ الإيمان في تركيا، ذلك الإيمان الذي طالما حاول أعداؤه اغتياله ومحوه عن الشعب التركي إلى الأبد ولكن {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمِّمٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} (١٥٨).

الباب الثاني

سعيد النورسي ومشروعه الإصلاحية

الفصل الأول: النورسي وإصلاح الذات.

الفصل الثاني: النورسي وإصلاح المجتمع.

الفصل الأول

النورسي وإصلاح الذات

تمهيد:

قبل التحدث عن المشروع الإصلاحى للأستاذ النورسى ينبغى الاطلاع على الواقع المزرى الذى كانت تشهده تركيا فى ذلك الحين ^(١)، فقد انتشرت بين الشعب التركى آنذاك حالة من الشعور بالنقص أمام الأوروبين حيث كانوا يقارنون بين ما توصلت إليه الدول الأوروبية من التكنولوجيا الحديثة، والأسلحة المتطورة، وحياة الرفاهية التى كانوا يتمتعون بها، وبين التخلف العلمى، والأسلحة التقليدية الرديئة، وضنك العيش الذى كان الأتراك يعانون منها، هذا وقد أدى ذلك بالتالى إلى نشوء انطباع سائد بين الأتراك مفاده أن لا بد من السير وراء الدول الأوروبية، وتقليدهم، والتشبه بهم فى كل شىء لكى يتوصلوا هم أيضاً إلى ما وصل إليه الأوروبون من التقدم والتكنولوجيا، إلا أنه وللأسف الشديد لم يقم الأتراك بتقليد الأوروبين فى تطوير المؤسسات العلمىة، والتقدم العلمى والتقنى بقدر تقليدهم لهم فى المأكلى والملبس والمشرب وغيرها من المجالات التى لم يجن الأتراك منها إلا الخراب والدمار.

وانطلاقاً من المبدأ الذى ساد بين الشعب التركى والذى مفاده "وجوب اتباع الأوروبين فى كل شىء"، بدا لغالبية المثقفين الأتراك أنه لا بد لتركيا من التحرر من هيمنة الدين وذلك اتباعاً لما قامت به الدول الأوروبية عندما بدأت تتحرر من قبضة الكنيسة، وبناء عليه تعالت الأصوات بضرورة ((التحرر من الدين لأنه القيد الذى يقيد حركة التقدم والعلم والحضارة بزعمهم، وعندما تيسر لبعضهم أن يمسكوا بزمام الحكم فى تركيا فإنهم بذلوا كل جهدهم فى إبعاد تركيا عن الإسلام ودفعها وراء الغرب فى كل شىء، فتوالت المحن وتتابع، وأصبح كل ابتعاد عن روح الإسلام، وكل انقياد لقيم الغرب "إنجازاً ثورياً" يهتف بها المتزلفون والمنافقون، ويصفق لها خدام الطبقة الحاكمة الجديدة، هذه باختصار ما كانت تعيشه تركيا آنذاك:

ضمور فى العقل والروح...

جهل متفشٍ بين معظم علماء الدين وفقهائه...

يأس وقنوط نتيجة مصائب الحروب وفواجعها وآلامها...

انبهار بالحضارة الغربية بكل قيمها دون أى فرز أو دراسة أو تحليل أو جرأة لنقدها...

(١) لقد تحدثت عن ذلك بما فيه الكفاية فى الفصل الأول وذلك أثناء عرض الحالة السياسىة والفكرىة والاجتماعىة فى عصر الأستاذ النورسى.

سلطة حاكمة ترى خلاص تركيا وتقدمها في إبعادها عن الإسلام))⁽ⁱ⁾.

هذا الواقع الذي كانت تشهده تركيا كان بحاجة إلى مصلح كبير يقوم بعملية الإصلاح، وكان الشعب التركي بأمس الحاجة إلى مصلح حكيم يداوي جروحه بأيدي حانية تكون البلسم الشافي لجروحه وآلامه، فقيض الله سبحانه الأستاذ سعيد النورسي لكي يتولى تلك المهمة مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)⁽ⁱⁱ⁾.

لقد بذل الأستاذ النورسي أقصى جهوده في سبيل إصلاح الأوضاع السائدة في تركيا، ورغم عدم تكافؤ القوة بين طاقات وجهود الأستاذ النورسي ودعاة الانسلاخ عن الإسلام، رغم ذلك استطاع الأستاذ النورسي وطلّاب النور تحقيق الشيء الكثير، ويكفيهم أنهم استطاعوا جعل الشعب التركي يحتفظ بهويته الإسلاميّة رغم المؤامرات الدوليّة الشرسة لقطع صلته بالإسلام، ويكفي الأستاذ النورسي وطلّاب النور أنّ غالبية الشعب التركي لازال حتى هذه اللحظة يعتزّ بدينه وتراثه الإسلاميّ الأصيل، يكفيهم أنّ تركيا لا زالت تحتضن آلاف المدارس الدينيّة والشرعيّة وحلقات ومدارس تحفيظ القرآن الكريم.

لقد تنقّل الأستاذ النورسي بين سائر المدن والقرى التركيّة بقصد توعية الناس بضرورة إصلاح الوضع السيئ المتفشّي داخل المجتمع التركي وكان يحذّره من عواقب التأخر في اتخاذ الخطوات اللازمة في سبيل الإصلاح حيث كان يقول: ((إن لم تعالج الآن هذه المشاكل المتداخلة بعضها في البعض الآخر، وإن لم تضمد هذه الجروح بأيدي متخصصة ماهرة فإن أمراضنا ستزمن وتستعصي على العلاج، لذا لا بدّ من تشخيص كل مشاكلنا العلميّة والاجتماعيّة والإداريّة، وتحليل كل عللنا الماديّة والمعنويّة لوصف العلاج الشافي لها، إذ لا بدّ من إيقاف هذه المشاكل وإنهاء هذه العلل التي تقوّض بنيتنا وتمهد بقاءنا وتمزّ قواعد وأسس وجودنا))⁽ⁱⁱⁱ⁾.

ركائز الخطة الإصلاحية للنورسي:

(i) أورهان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، ص133.

(ii) الإمام أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، ج 4، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، دار الجليل، بيروت-لبنان، 1412هـ- 106 Ö jã1992. وكذلك: الحافظ الطبراني، المعجم الأوسط، ج 7، تحقيق الدكتور محمود الطحان، ط 1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ص 272. ومحمد بن عبد الله بن الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، ج 1، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1405هـ- 82 Ö jã1985.

(iii) بديع الزمان سعيد النورسي، المثوي العربي النوري، ترجمة إحسان قاسم الصالح، ط 2، استانبول-تركيا، دار سوزلر للنشر، 1414هـ- 1994 Ö jã: È.

قبل أن نخوض في الحديث عن الإصلاح لدى الأستاذ النورسي أرى من المفيد الإشارة إلى بعض الركائز المهمة التي ارتكز عليها الأستاذ النورسي في خطته الإصلاحية والتي منها:

أولاً: الإصلاح الشامل:

من الخصائص العامة للإسلام أنه نظام شامل يتناول جميع مظاهر الحياة، فهو ينظم علاقة الفرد مع نفسه ومع أسرته ومجتمعه الذي يعيش فيه، ويحتوي الإسلام على شرائع وأنظمة تحدّد طبيعة العلاقة بين العبد وربّه من جهة وبين العبد والعباد الآخرين من جهة أخرى، كما أنّ للإسلام نظرتّه الخاصّة إلى الكون والحياة والإنسان، هذا وقد اختصّ الإسلام بهذه الخصوصيّة (النظام الشامل) لأنّه خاتمة الشرائع والأديان، فالرسول صلّى الله عليه وسلّم هو خاتم الأنبياء والمرسلين، ونزل عليه القرآن الكريم وهو خاتم الكتب المنزلة، وبعث عليه الصلاة والسلام بشريعة هي خاتمة الشرائع، وبناء عليه لا بدّ أن يحتوي الإسلام على نظامٍ شاملٍ يتناول مظاهر ومرافق الحياة كلّها كما أسلفنا، ((إنّ هذا الوصف للإسلام وصف حقيقيّ ثابت للإسلام لا يجوز تجريده منه إلّا بالافتراء عليه أو بسبب الجهل به، وشمول^(٩) الإسلام هذا لشؤون الحياة وسلوك الإنسان لا يقبل الاستثناء ولا التخصيص فهو شمول تامّ بكل معاني كلمة الشمول، وهذا بخلاف المبادئ والنظم البشريّة فإنّ الواحد منها له دائرته الخاصّة التي ينظّم شؤونها، ولا شأن له فيما عدا ذلك، وعلى هذا فلا يمكن للمسلم أن يقول إنّ هذا المجال لي أنظّم أموري كما أشياء بمعزل عن تنظيم الإسلام، لا يمكن أن يقول المسلم هذا لأنّ الإسلام يحكمه من يافوخه إلى أخمص قدميه، وللإسلام في كلّ ما يصدر الإنسان حكم خاصّ، كما له حكمه في كلّ ما يضعه في رأسه من أفكار، وفي قلبه من ميول، وعلى هذا لا يجوز للمسلم أبداً أن يسمح لغير نظام الإسلام أن ينظّم أي جانب من جوانب حياته لأنّه إن فعل ذلك دخل في نطاق معنى قول الله تعالى: {أَفْتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} (٩) (٩).

(٩) يرى بعض الدارسين أنّه لا يجوز استخدام مصطلح "الشمول" "æ" الشمولية" لأنّها من المصطلحات التي تستخدمها الماركسيّة ومثيلاًتها من الأنظمة الشمولية لذلك من الأفضل استخدام لفظة "الشامل" بدلاً عن "الشمولية".

(٩) البقرة، 85. (٩) الدكتور عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ط3، بيروت-لبنان، مؤسسة الرسالة، 1408هـ/1987م; 52Ö.

لقد تبين في الفصل الأول أنّ الفساد الذي عمّ تركيا كان فساداً شاملاً في جميع النواحي السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والخلقية، لهذا السبب وانطلاقاً من قناعته بأنّ الإسلام نظام شامل يتناول جميع مرافق الحياة قرّر الأستاذ النورسي القيام بإصلاح شامل لجميع مرافق الحياة، وفي سائر مؤسسات الدولة، فوجّه خطابه الإصلاحية إلى كافة طبقات وشرائح المجتمع من مثقفين، وأميين، وموظفين، وفلاحين، وطلبة جامعات، وسياسيين، وعسكريين وغيرهم، وكذلك شمل خطابه الإصلاحية الكبار والصغار، الرجال والنساء على حدّ سواء، يقول الأستاذ النورسي: ((إنّ رسائل النور لا تعمّر تخريبات جزئية، ولا ترمّم بيتاً صغيراً مهدّماً، بل تعمّر أيضاً تخريبات عمّة كليتة، وترمم قلعة عظيمة صخورها كالجبال، وتحتضن الإسلام وتحيط به، وهي لا تسعى لإصلاح قلب خاص ووجدان معيّن، بل تسعى أيضاً لمداواة القلب العام المحروح، وضماد الأفكار العمّة المكلومة بالوسائل المفسدة التي هيئت لها، وركمت منذ ألف سنة، وتنشط لمداواة الوجدان العام الذي توجه نحو الفساد... نعم إنّها تسعى لمداواة تلك الجروح الواسعة الغائرة بأدوية إعجاز القرآن والإيمان)).^(٩)

لو تأملنا في الكلام السابق للأستاذ النورسي لتبيّن لنا أنّه كان يتمتّع برؤية شاملة إلى جميع القضايا التي تهّم المسلم، حيث كانت تلك القضايا تشغل باله ليل نهار مما دفع به نحو الانطلاق لإيجاد الحلول المناسبة لها، فالأستاذ النورسي لم يقتصر في يوم من الأيام على إيجاد الحلول لمشاكل تركيا، ولم يقتصر على مشاكل تركيا فحسب، وإن كان يوليها اهتماماً كبيراً. بل كان يحاول أن يحمل هموم الأمة الإسلامية، لذلك تراه كثيراً ما يخاطب الأمة الإسلامية ككل لأهمّ معنيّون بكلامه، فقد ورد في المقدمة التي كتبها للخطبة الشامية التي طبعت سنة 1371هـ/1959م قوله: ((إنّ هذا الدرس ليس مجرد خطبة قديمة قد عفا عليها الزمن، بل هو درس اجتماعي إسلامي يحتفظ بكامل جدّته وطراوته وحقيقته طوال هذه الفترة، وكلّ الذي حدث هو أنّ عام 1327هـ قد أصبح عام 1371هـ، وأنّ الجامع الأموي قد حلّ محلّه جامع العالم الإسلامي الذي يضمّ ثلاث مائة وسبعين مليون نسمة)).^(١٠)

(٩) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص 118
(١٠) كان ذلك تعداد المسلمين آنذاك.
(١١) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص 281.

إنّ الإصلاح الذي كان الأستاذ النورسي يحاول القيام به لم يكن إصلاحاً جزئياً أو محدوداً، بل كان إصلاحاً شاملاً بكلّ ما تحمله الكلمة من معنى، وبناء عليه ((فقد سار في الخطوط العامّة المتوازنة في دعوته حيث إصلاح الفرد، وإصلاح البيت، وإصلاح المجتمع، وإظهار الحقائق بإزالة اللبس لدى طلابّ النور، وتفنيده شبه العلمانيين الملحدين، وشبه غير المسلمين، وكشف الحقيقة حول دعوته لدى المسؤولين وفي دفاعاته في المحاكم، وإظهار الحقائق حول الأفكار السائدة في تركيا على زمانه، وبذل مساعيه المضيئة لأجل عودة الخلافة الإسلاميّة.

وحشد طاقات طلابه لصالح الدعوة، واستعمل كلّ الوسائل الممكنة في التبليغ كلّ هذا بأسلوب متنوع خاطب به المؤمنين والملحدين والحائرين، ووجّه خطابه إلى العقل والقلب والوجدان، ولم يقصّر الدعوة على جانب معرفيٍّ معيّن، بل كانت شاملة لجميع العلوم والمعارف التي شملها الإسلام)) (i).

ثانياً: التدرج في الإصلاح والتغيير:

التدرج هو واحد من مميزات الشريعة الإسلاميّة التي جاء بها سيد المرسلين محمد صلّى الله عليه وسلم، فعندما بعث الرسول بالإسلام واجه مجتمعاً غارقاً في المعاصي والآثام، مجتمعاً مليئاً بالعادات والطبائع السيئة، والأنكى من ذلك هو أن تلك العادات السيئة كانت قد أصبحت بمثابة شريعة متبعة ونظام يسيرون عليه دون أن ينكر عليهم أحد أو ينهاهم عنه، وعندما أتى الإسلام لم ينههم عن جميع تلك المعاصي والذنوب دفعة واحدة بل تدرّج معهم إلى أن تمكّن من تنقية المجتمع من جميع تلك العادات والذنوب والمعاصي، وخير مثال على ذلك تحريم الخمر (ii).

(i) الدكتور فرج محمد الوصيف، بديع الزمان سعيد النورسي عصره ودعوته، ط 1، القاهرة، دار نور الإسلام للنشر والتوزيع، 1417هـ/1996م؛ 277.

(ii) من المعروف أن الخمر قد حرّم بثلاث مراحل ولم يحرم دفعة واحدة لأن العرب كانوا في الجاهليّة يسرفون في شرب الخمر، وكانوا متعلّقين به تعلّقاً شديداً لذا فقد كان تركه دفعة واحدة أمراً في غاية الصعوبة والمشقة عليهم، لذلك فقد حرّم بمراحل ثلاث؛ ففي المرحلة الأولى أنزل الله سبحانه وتعالى قوله في الآية 219 من سورة البقرة: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا} وبذلك امتنع الكثير من الصحابة عن شربه، وفي المرحلة الثانية أنزل الله قوله تعال في الآية 43 من سورة النساء: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ} وبذلك شدّد الخناق على شرب الخمر حيث قلّص الوقت المباح لشربه وبذلك امتنع الكثير من الصحابة الآخرين عن شربه ولكن بقي عدد آخر لا يزال يشربه رغم العقبات التي وضعت في طريق شربه، وهؤلاء أيضاً كانوا غير مرتاحين عندما كانوا يشربونه ولكنهم كانوا لا يزالون يستصعبون تركه، ويرى أن الكثيرين منهم كانوا يدعون الله تعالى أن يحرم شرب الخمر بصورة نهائية لكي يقلعوا عن تلك العادة السيئة، وعندما أنزل الله قوله في الآية 90 من سورة المائدة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ

لذلك وبما أن الأستاذ النورسي كان ينطلق من الإسلام في حركته الإصلاحية فإنه قد راعى التدرج في الإصلاح ((فالنظام والتدرج هو أساس الوجود كله، وأي خروج عليه يعني إدخال الفساد عليه، وهو خروج واضح على تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة،... وفي ضوء ذلك فإن النورسي يدعو إلى تغيير اجتماعي منظم يتمسك بقانون التطور الفطري التدريجي، ويجب أن يبدأ من القاعدة ويصعد إلى القمة لا العكس، لأن العكس سيؤدي إلى زعزعة الحياة الاجتماعية ويحصل منه شرّ مستطير وتخريب كبير)) (١٤).

هذا وقد أكد الأستاذ النورسي على ضرورة التدرج في الإصلاح في الكثير من رسائله ومن ذلك على سبيل المثال قوله: ((مثلما محال لجسم الإنسان تجديد جميع ذراته دفعة واحدة وإنشاء ذرات جديدة بدلاً منها (١٥) كذلك تتعذر على الدولة إن لم يكن محالاً تغيير جميع موظفيها دفعة واحدة وإقامة موظفين جدد بدلاً عنهم)) (١٦).

إنّ استشهاد الأستاذ النورسي بمثال عدم إمكانية تغيير جميع الموظفين في دولة ما دفعة واحدة مع أنّه ينطبق على الإصلاح الإداري إلاّ أنّه أراد بذلك أن يعطينا مثلاً واقعياً على عدم إمكان تحقيق الإصلاح والتغيير دفعة واحدة، وأنّ الإصلاح لا بدّ أن يكون بالتدرج، وإذا عدنا إلى المثال السابق الذي طرحه الأستاذ النورسي وربطنا بينه وبين مسألة التدرج في الإصلاح تكون النتيجة التي تجمع بين المسألتين حدوث الفوضى والشلل داخل المجتمع؛ فتغيير الدولة لجميع موظفيها دفعة واحدة وبقرار واحد سيؤدي إلى حدوث فوضى وتعطل في جميع مرافق الدولة، لذلك من المحال على الدولة أية دولة تمكّنها من القيام بذلك، وبناء عليه لا يمكن تحقيق الإصلاح أيضاً دفعة واحدة بل لا بدّ من التدرج والتأني والالتزام بتسلسل الخطوات حسب الأهمية والأولويات.

لذلك بدأ الأستاذ النورسي في مشروعه الإصلاحية بالأهم فالمهم، فبدأ بالإيمان لأنه الأساس الذي إذا وجد أمكن بناء غيره عليه، أما إذا لم يكن هناك ثمة أساس فعلى ماذا تبني الأشياء الأخرى؟ يقول الأستاذ النورسي في ذلك ((إنه ينبغي لهذا العصر من مجدد له شأنه ليقوم بتجديد الدين والإيمان، وتجديد الحياة الاجتماعية والشريعة، وتجديد الحقوق العامة والسياسة الإسلامية، ولكن أهم تلك الوظائف هو التجديد في مجال المحافظة على الحقائق الإيمانية فهي أجلّ

فَأَجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مَنتهُونَ}، فقالوا انتهينا انتهينا يا رب، وبذلك حرم شرب الخمر بصورة قطعية.

(١٤) الدكتور محسن عبد الحميد، النورسي الرائد الإسلامي الكبير، ص 61

(١٥) ربّما يقصد الأستاذ النورسي بذلك تجديد الخلايا في جسم الإنسان لأنه كما هو معروف في علم الطب أن خلايا جسم الإنسان تتجدد باستمرار وذلك بتلف بعضها ونشوء بعضها الآخر، وهذه العملية مستمرة في جسم الإنسان.

(١٦) بديع الزمان سعيد النورسي، ديوان الحرب العربي، ص 67.

وأعظم تلك الوظائف الثلاث، لذا تبقى دوائر "الشريعة" "الحياة الاجتماعية" "السياسية" في الدرجة الثانية والثالثة والرابعة بالنسبة لدائرة الإيمان ((١٠١)).

لقد كان الأستاذ النورسي يرى أنه يجب أن تنصب الجهود، وتشخذ الهمم، وتشمّر السواعد لإنقاذ الإيمان أولاً لأنه الأساس الذي تبنى عليه الأشياء الأخرى كما مرّ معنا قبل قليل، وإذا ما تأملنا في عصر الأستاذ النورسي ومدى خطورة المؤامرات التي كان يحكيها أعداء الإسلام هناك لسلخ المجتمع التركي عن دينه وعقيدته لتبيّن لنا أنّ الأستاذ النورسي كان محمّلاً كل الحق، ومصيباً كبد الصواب عندما ركّز في عمله على إنقاذ الإيمان في تركيا.

لقد كانت خطة الأستاذ النورسي هي القيام بغرس الإيمان في القلوب التي كانت خالية منها، وتقويته في القلوب التي كانت تحمل إيماناً ضعيفاً وذلك بالتركيز على حقائق الإيمان المبتوثة في هذا الكون الواسع ومن فيه وما فيه من إنسان وحيوان ونبات وجماد وأجرام سماوية.

إنّ الأستاذ النورسي بتوجهه هذا إنّما يؤكّد على ضرورة القيام بنشر الدعوة الإسلامية وإيقاظ الإيمان المخدّر في قلوب عامّة الناس، وغرس حبّ الله واستشعار عظمته والخوف منه في نفوسهم، وإبراز حقيقة الإسلام لهم وغير ذلك من المسائل الإيمانية وذلك قبل القيام بالدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، واستئناف الحياة الإسلامية، وصياغة المجتمع على أساس إسلامي، وإعادة الحكم الإسلامي.

أما ما يقوم به البعض ممن لم يقفوا على حقيقة الإسلام ولم يفهموه حقّ فهمه وذلك بالدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وتطبيق الحدود على المجرمين ومرتكبي المحرمات، وتصنيف الناس إلى مسلمين وكفرة ومنافقين في مجتمعات أقيمت بينها وبين فهم الإسلام عقبات جمّة، ولم يتم أحد بإقامة الحجّة عليهم بشكلها الصحيح، وصرفت همهم إلى الدنيا بملذّاتها ومغرياتها فهذا أمر في غاية الخطورة، ويتربّب عليه عواقب وخيمة، لذلك يجب على الدعاة والمصلحين القيام بغرس الإيمان في مجتمعاتهم، ونشر حقائق الإسلام فيها قبل القيام بأية خطوة أخرى.

ثالثاً: اتباع أسلوب الحكمة واللين:

الشرط الأساسي لنجاح أي مصلح اجتماعي أو دعوة إصلاحية الحكمة واتباع أسلوب اللين والتأني في إصلاح الآخرين، فالإنسان بطبعه ميّال إلى تقبّل الكلمة الطيبة، وفي الوقت نفسه تراه ينفر من الكلام الخشن نفورا شديداً، والإنسان العاصي إذا ما خوطب بأسلوب لين مشبع بالحكمة والموعظة الحسنة لا بدّ وأن يتأثر به ولو بعد حين، أما إذا استخدم معه أسلوب العنف والتهكم والسخرية فلا يستبعد أن يؤدي ذلك إلى إصراره على تلك المعصية وتمسكه بذلك الإثم.

وإذا ما تأملنا في أسلوب الأستاذ النورسي في إصلاح الآخرين لتبيّن لنا مدى تمسكه وتحلّيه بالحكمة واللين في التعامل مع الآخرين، فنراه رغم ملاقاته معاناة شديدة من قبل أعدائه العلمانيين وغيرهم يدعو لهم بالهداية والرشاد، لذلك استطاع أن يكسب ودّ الكثيرين ممن كانوا ينقمون عليه ويحملون الحقد تجاهه قبل ذلك، ومن الأمثلة على ذلك عندما سيق إلى منفاه في "قسطموني" أبقى موقوفاً هناك في السجن مدة ثلاثة أشهر عانى خلالها معاناة شديدة، إلاّ أنه استطاع بعد ذلك أن يؤثّر على أفراد الشرطة المسؤولين عن ذلك السجن مما دفع بهم إلى التخفيف عنه، بل وتوفير مستلزمات الراحة له، يقول الأستاذ النورسي في ذلك: ((فبينما كان اليأس يحيط بي من كل جانب إذا بالعبادة الإلهية تغيث شيخوختي إذ أصبح أفراد الشرطة المسؤولون في ذلك المخفر بمثابة أصدقاء أوفياء حتى كانوا يخرجونني متى شئت للاستحمام والتجوال في سياحة حول المدينة، وقاموا بخدمتي كأبي خادم خاص فضلاً عن أنهم لم يصروا عليّ بلبس القبعة مطلقاً)) (١٠١).

وكثيراً ما كان الأستاذ النورسي يحث طلابه على استخدام أسلوب الحكمة واللين في الإصلاح والدعوة إلى الله، وكان يضرب لهم أمثلة محسوسة في ذلك، فقد قال يوماً لمجموعة من طلابه:

((أخي ليس هناك إنسان لا يفتح الله قلبه للإسلام، فعلى الذين يعملون في خدمة الإسلام أن يكونوا ناهين واعين إذ الإنسان يشبه قصرًا ذا مائة باب، ولا بدّ أن هناك باباً تدخل منه إلى ذلك القصر ثم تفتح الأبواب كلّها... فالمؤمن بفراسته يمكنه أن يكتشف الباب المفتوح،... فإذا ما غذي الإنسان بموازين رسائل النور الملائمة لفطرته، ولم يستعجل الأمور، وأخذ بالإخلاص وتمسك به فسينشرح بإذن الله قلب الشخص المقابل للإسلام، أما إذا ما بنى الإنسان عمله على الاستعجال ومناقشة الأمور الجانبية، واتهام الشخص المقابل فهذا يعني أنه يتوجّه إلى الأبواب المسدودة فيتسبب في غلق الباب المفتوح كذلك)) (١٠٢).

(١٠١) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص 303.
(١٠٢) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص 539.

رابعاً: الإيجابية:

الإيجابية هي واحدة من مرتكزات المشروع الإصلاحية الذي جاء به الأستاذ النورسي، ومن النصائح التي كان الأستاذ النورسي يكررها لطلابه هو: التمسك بالعمل الإيجابي والحركة الإيجابية، والبعد عن العمل السلبي لأنه يضرّ بالعمل الدعوي والإصلاحية إما إضراراً، وفي الدرس الأخير الذي ألقاه على طلابه قبل وفاته بفترة قصيرة أكد لهم على ضرورة الإيجابية في التعامل مع الأحداث حيث قال: ((أخوتي الأعزاء إنّ وظيفة العمل الإيجابي البناء وليس السعي للعمل السلبي الهدام، والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضا الإلهي دون التدخل بما هو موكول أمره إلى الله، إننا مكلفون بالصبر والتحمل، والتقلد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة نواجهها وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي)) (١٠).

لقد نذر الأستاذ النورسي نفسه للقيام بإصلاح شامل في المجتمع الذي يعيش فيه، ومثل هذه المهمة لا بدّ أن تصاحبها الإيجابية في التعامل مع الأحداث لكي تثمر الجهود المبذولة للإصلاح المنشود، لذلك فإن الأستاذ النورسي ((قد واجهه بابتسامة مؤلمة لا غير كل ما لاقى من التعذيب والظلم، وكيد له من المكائد الشيطانية لأجل دفعه إلى القيام بحركة سلبية، وقد استكمل مسيرته السامية لأجل إنقاذ إيمان البشرية جمعاء، وحتى الذين ظلموه قابلهم بضبط النفس والأناة دون أن يتزعزع ويتصرف بعداء وشحناء)) (١١).

إن التزام الأستاذ النورسي بضبط النفس والأناة مقابل الظلم الذي وقع عليه كان جزءاً من منهجيته التي سار عليها في حياته وحثّ طلاب النور أيضاً على السير عليها، فالأستاذ النورسي كان يقارن بين المصالح والمفاسد التي ستنتج من وراء مواقفه تلك، وبما أن الأستاذ النورسي كان رجل دعوة وإصلاح لذا فضّل عدم الردّ على الظلم الذي وقع عليه حفاظاً على دعوته وطلابه من ضربات ربّما تكون قاصمة للظهر.

وبالرغم من أن التحلّي بالصبر وضبط النفس تجاه الظلم الواقع على الإنسان في بعض الأحيان له مبرراته ودواعيه ويؤدي إلى نتائج طيبة إلا أنّ ذلك ليس قاعدة مطّردة ودائمة، بل هناك حالات ومواقف ينبغي على المرء أن يتّخذ موقفاً تجاه الظلم، وأن لا يسكت عليه بل يجب أن يقابله بالردّ المناسب وهو ما فعله الأستاذ النورسي في العديد من المواقف الأخرى التي كانت

(١٠) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص469.

(١١) الدكتور علاء الدين باشار، العمل الإيجابي القاعدة الثابتة لعمر مديد، بحث مقدم للمؤتمر العالمي لبديع الزمان سعيد النورسي المنعقد في الفترة من 24-26/9/1995م في استانبول-تركيا، ص130.

تستدعي منه ذلك ومنها على سبيل المثال مواقفه تجاه ظلم الأرمن والروس والإنكليز، فقد استطاع هو وطلابه البواسل أن يوقفوا عصابات الأرمن عند حدّهم، تلك العصابات التي كانت تغير على القرى والمدن الآمنة وتروّع النساء والأطفال، بل وتقتلهم وتنهب ممتلكاتهم، وكانت روسيا تدعمهم وتمدّهم بالمال والسلاح وذلك قبيل اندلاع الحرب العالميّة الأولى، وعندما سئل الأستاذ النورسي عن سبب تحاشي عصابات الأرمن عن الاصطدام بالمتطوعين من طلابّ النور أجاب: ((إنّ فدائيي الأرمن الذين يقومون بهذه البطولات الخارقة إنّما يقومون بها في سبيل الحصول على حياة دنيويّة فانية، ولأجل كسب مصلحة قوميّة مؤقتة صغيرة، وللحفاظ على سلامتها، ونحن نجابه هؤلاء بالطلابّ الذين يسعون في سبيل الحصول على حياة باقية خالدة، ولأجل كسب مصالح إيجابيّة لأمة الإسلام السامية العظيمة، وقد أيقنوا بأنّ الأجل واحد لا يتغيّر)) (ii).

لقد كان في وسع الأستاذ النورسي أن ينتقم من أعدائه الذين أذاقوه هو وطلابه الأمرين على مدى سنين، حيث كان يمتلك من القوة ما يمكنه من ذلك فقد كان يتمتع بتأييد مئات الآلاف من طلبة النور من كافة الطبقات والشرائح والذين كانوا رهن إشارته وكان بجوزتهم ما يكفي من الأسلحة المتنوّعة بالإضافة إلى وجود أماكن حصينة جدّاً في قيعان الأودية وقمم الجبال المنيعّة إلاّ أنّه لم يُقدّم على ذلك حفاظاً منه على مشروعه الإصلاحي وسيره في مساره السليم وبذلك استطاع الحفاظ على صفاء المجتمع من الكدر ف ((الحياة الاجتماعيّة إن كدر ماؤها فإنّ إعادة السكون والاستقرار إليه تحتاج إلى مدّة طويلة من الزمن، وتتطلب همّة كبيرة وجهوداً مكثّفة... ولكي يتم نقش الحقائق القرآنية في القلوب والعقول فإنّ الهدوء الاجتماعي شيء ضروري ولازم، فإن تم تناول الأمور تحت تسلسل التهيج، استعمال القوة الجسدية، الانحياز، وليس تحت تسلسل العقل، المنطق، موازنة الأدلة، زادت التناقضات واكتسبت شدّة وارتفع النبض الاجتماعي... أما السد الذي يقطع السبيل أمام الفوضى الاجتماعيّة والفساد والانقلابات فهو التصرف بإيجابيّة)) (ii).

هنالك مسألة في غاية الأهميّة لا يمكن لدعاة الإصلاح إغفالها ألا وهي إيجاد جو من الهدوء

الاجتماعي، والاستقرار النفسي داخل المجتمع الذي يريدون تحقيق الإصلاح فيه، فالمشروع الإصلاحي _حسب اعتقادي_ مهما بلغ من القوّة من حيث الإعداد والصياغة، والدقة في العرض، والمرونة في التطبيق لا يمكنه أن يحقق النتائج المرضيّة ما لم يجد له أرضيّة مناسبة، وأجواء ملائمة، ونفسيّات مستقرّة ومهيّأة لقبولها، لذلك فقد كان الأستاذ النورسي يحاول دوماً أن يتصرّف

(ii) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتيّة، ص119.

(ii) شَرّ ذلك، منهج وطريقة رسائل النور وغايتها، بحث مقدم إلى مؤتمر: بديع الزمان سعيد النورسي في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامي المنعقد في استانبول_تركيا في الفترة من 27-29/9/1992 Õ 151.

بإيجابية تامة تجاه القضايا والأحداث، وكان يحث طلابه أيضاً على ذلك، وفي هذا يقول: (١٤٤) واجبنا هو التصرف بشكل إيجابي وليس بشكل سلبي، أي إبقاء الخدمة الإيمانية لتحقيق الرضا الإلهي... ونحن مكلفون بالصبر تجاه كل الظروف الصعبة والشكر والتصرف الإيجابي الذي يحافظ على الأمن وعلى الاستقرار)) (١٤٥).

إنّ الإنسان بطبعه وفطرته ميّال إلى حبّ الهدوء والأمن والاستقرار، لذلك فإنّ مثل هذه الأجواء تكون مناسبة جداً لطرح الأفكار الإصلاحية سيّما إذا استعرضت بشكل حضاري ودون إثارة هذا أو ذاك، أما الذين يريدون أن يطبقوا أفكارهم ونظرياتهم في التغيير تحت ظلال السيوف، وعلى أسنّة الحراب، وفي الأجواء المشحونة والمضطربة في عصر باتت ثقافة الحوار هي السائدة، ولغة التفاهم مقدّمة ومفضّلة على لغة السلاح فهيات هيات لهم من تحقيق ذلك لأنّ ذلك سيؤدّي _ كما أدّى قبل الآن _ إلى حدوث ردّ فعل عنيف تجاه الإسلام لكثير من أفراد المجتمع وربما التحلّي عنه ومعاداته بسبب التشويه الذي أصابه نتيجة ممارسات خاطئة، واجتهادات ارتجالية، وقرارات غير متّزنة وغير مدروسة.

هذا ومن المخاذير الخطيرة في هذا الصدد المصادمة مع المجتمع واتخاذه هدفاً، ووصفه بالجهل والانحراف والردّة وإطلاق أحكام الكفر والنفاق والفسق عليهم لأنّ ذلك سيؤدّي إلى توسعة الهوة بين المجتمع ودعاة الإصلاح، وستحدث حالة من العداء فيما بينهم، إذ كيف يقبل المرء النصح والإرشاد ممن يحكم عليه بالكفر والردّة أو حتّى الفسق!! لذلك كان الأستاذ النورسي يحاول دوماً أن يربط بين طلاب النور ورسائل النور من جهة وبين المجتمع والأمة من جهة أخرى، وكان يركّز على نقاط الاتفاق بينما كان يهمل نقاط الخلاف، يقول الأستاذ النورسي: ((لم تستعمل هذه الرسائل ضد الأمة وضدّ الوطن سابقاً ولن تستعمل ولا يمكن استعمالها أبداً في أي وقت من الأوقات)) (١٤٦).

النورسي وإصلاح الذات:

لقد ركّز الأستاذ النورسي على إصلاح الفرد لأنه الركيزة الأساسية للمجتمع حيث تتكون الأسرة من مجموعة من الأفراد، ويتكون المجتمع من مجموعة من الأسر، إذاً لا بدّ من إصلاح الفرد

(١٤٤) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق_ملحق أمير داغ، ص241.
(١٤٥) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق_ملحق أمير داغ، ص18.

أولاً ثم التفكير في إصلاح المجتمع، بمعنى أننا يجب أن نبدأ من القاعدة لكي نصل إلى القمة لأن هذا هو المسلك الصحيح لتحقيق الإصلاح المنشود، أما البدء من القمة للتوصل إلى إصلاح القاعدة فهو مسلك خاطئ ومحكوم عليه بالفشل، لأن إصلاح المجتمع بأكمله وبدفعة واحدة صعب للغاية إن لم يكن محالاً، أما إصلاح الفرد الواحد فهو أمر في غاية اليسر والسهولة، فإذا ما قام كلٌّ منّا بإصلاح فرد واحد لأصبح لدينا مجموعة من الأفراد الصالحين، وهكذا بالاستمرار على هذا النهج سوف يزداد عدد الأفراد الصالحين وبالمقابل سيقبل عدد الأفراد غير الصالحين إلى أن تتغير موازين القوى لصالح الطرف الصالح حيث سيصبح الأفراد غير الصالحين أقلية، والأقلية تتبع الأغلبية وبذلك نكون قد أصلحنا مجتمعنا من الفساد والانحلال والضلال.

هذا وقد حاول الأستاذ النورسي القيام بالإصلاح من الأعلى إلى الأدنى وذلك عندما سافر إلى استانبول حيث التقى بالكثير من الزعماء والقادة السياسيين والمفكرين، وألقى الكثير من الخطب، وكتب العديد من المقالات في الصحف والمجلات التي كانت تصدر آنذاك، إلا أنه عاد في نهاية المطاف واعترف أن خير وسيلة لتحقيق الإصلاح في أي مجتمع تبدأ بإصلاح الفرد وتربيته حيث قال بعد عودته من أنقرة إلى مدينة "Ä" سنة 1923: ((لو بقيت في هذه الجزيرة (١٠) عشر سنوات وقمت بتربية خمسين طالباً لاستطعت بهؤلاء الطلبة الخمسين نشر الإسلام في العالم أجمع)) (١٠).

لا شك أنّ في هذا الكلام مبالغة كبيرة إذا أخذناه على ظاهره، ولكن إذا تأملنا في الواقع الذي كان يعيشه الأستاذ النورسي عندما صدر منه هذا الكلام لتبين لنا أنه إنما قال ذلك بسبب القناعة التامة التي ترسّخت لديه والتي تؤكد على ضرورة البدء بإصلاح الفرد وتربيته وأن ذلك هو الطريقة الصحيحة والمثلى لنشر الأفكار الإصلاحية في المجتمعات.

ولقد أدرك لأستاذ النورسي أنه يجب عليه تكوين قاعدة صلبة ينطلق منها وبها نحو إصلاح المجتمع، وأنّ الجهود الفردية لا يمكن أن تثمر إذا لم توازرها جهود ومسعى آخرين، لقد توصل الأستاذ النورسي إلى ذلك بعدما قضى أكثر من خمس عشرة سنة من عمره في استانبول وأنقرة بين المحافل السياسية سعياً وراء تحقيق الإصلاح والتغيير داخل المجتمع التركي إلا أنه عاد بعد كل تلك الفترة إلى الاعتقاد والقناعة بأنه لا بدّ من قيام عمل منظم ووضع وإعداد خطط وبرامج مدروسة، وتوزيع المهام، وتوحيد المواقف، وتحديد الأهداف لتحقيق الإصلاح المنشود، ومحضري في هذا الصدد رأي مماثل كان الإمام محمد عبدة قد طرحه على أستاذه جمال الدين الأفغاني حيث يقول: ((إنّ السيّد جمال الدين كان صاحب اقتدار عجيب لو صرفه ووجهه للتعليم والتربية لأفاد الإسلام

(١٠) يقصد بذلك جزيرة (آق داماد) التي تقع في بحيرة وان في كردستان تركيا.
(١١) أورخان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، ص 107.

أكبر فائدة، وقد عرضت عليه حين كنّا في باريس أن نترك السياسة ونذهب إلى مكان بعيد عن مراقبة الحكومات ونعلّم ونرَبّي من نختار من التلاميذ على مشربنا فلا تمضي عشر سنين إلّا ويكون عندنا عدد من التلاميذ الذين يتبعوننا في ترك أوطانهم والسير في الأرض لنشر الإصلاح المطلوب فينتشر أحسن الانتشار، فقال إنّما أنت مثبّط *(i)*.

إذاً فالإصلاح يبدأ من الفرد ويمرّ من خلال الأسرة لكي يصل إلى المجتمع، وبناء عليه سوف أتكلّم في هذا الفصل عن إصلاح الفرد وإصلاح الأسرة، وأترك الكلام عن إصلاح المجتمع للفصل الثاني إن شاء الله تعالى.

النورسي وإصلاح الفرد:

سوف أقسم الحديث عن إصلاح الفرد عند الأستاذ النورسي إلى ثلاثة أقسام وكما يأتي:

أولاً: النورسي وإصلاح نفسه.

ثانياً: النورسي وإصلاح طلابه.

ثالثاً: النورسي وإصلاح الآخرين.

أولاً: النورسي وإصلاح نفسه:

لابدّ لمن يتصدّى لمهمّة الإصلاح والتغيير أن يصلح نفسه أولاً، لأنّه إن استطاع إصلاحها وتربيتها وتوجيهها الوجهة الصحيحة كان بإمكانه أن يصلح غيره أيضاً وإلّا فلا، فأصلاح الناس وإحداث التغيير في المجتمع مرتبط ارتباطاً وثيقاً بإصلاح النفس وتغييرها وهو ما أكّد عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } *(i)* فهذه الآية الكريمة تطرقت إلى ذكر السبب المباشر في عمليّة التغيير من الحالة السليبيّة إلى الحالة الإيجابيّة، أو من السوء إلى الحسن، وفي آية أخرى تطرّق إلى هذه القضية ولكن بشكل معكوس، أي التغيير من الحالة الإيجابيّة إلى الحالة السليبيّة، ومن الحسن إلى السوء فقال تعالى: { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً

(i) عباس محمود العقّاد، عبقرى الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبدة، بيروت_لبنان، دار الكتاب العربي، 1971jã1110.
 (i) الرعد، 11.

أَنعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَيَّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ { (١٥) } ، لقد بينت الآيتان كلتاها أنّ سبب التغيير في الحالتين مرتبط بتغيير النفس سلباً وإيجاباً ((وفي ذلك بيان لسنة من سنن الله إدراكها مهم لكل إنسان وخاصة لمن يشتغلون في التربية والتوجيه والسياسة والاجتماع... فبدون تغيير للنفس لا يطمع الإنسان بأحسن، وبدون تغيير لأنفس الأمة لا تطمع الأمة بأحسن، كما أنّ التغيير نحو الأسوأ لا بدّ أن يرافقه تغيير في الحال إلا إذا شاء الله أن يعفو)) (١٥).

ولقد أدرك الأستاذ النورسي هذه الحقيقة فقال يقصد نفسه: ((لا بدّ أن أبدأ بها أولاً لأن من عجز عن إصلاح نفسه فهو عن غيرها أعجز)) (١٥).

لقد اعتنى الأستاذ النورسي بتربية نفسه وترويضها على تحمل المشاق التي لا شك أنّها ستعترض طريقه وهو يقوم بإصلاح الآخرين لأنه كان يدرك أن سنة الله جرت على أن يتلى الدعاة والمصلحون بشتى أنواع المصاعب والآلام والعقبات، وأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم القدوة في ذلك كما ورد في الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلّم بعد ما سئل: يا رسول الله أي الناس أشدّ ابتلاءً؟ فقال: (الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يتلى العبد على حسب دينه فإن كان في دينه صلباً اشتدّ بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة) (١٥)، لذا قام الأستاذ النورسي بتربية نفسه حيث ((عالج أمراضها وخلّصها من أوهاق الحياة الماديّة ومن كل ما يחדش المروءة والعفة والفضيلة، وزهد في كل ما يقتتل الناس من أجله، وزهد في المال والجاه والمنصب (١٥)، وزهد بالشهرة والسمعة وكل ما

(١٥) الأنفال، 53. (١٥) سعيد حوّي، الأساس في التفسير، ج 20؛ 5، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ص 2746. (١٥) بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص 297.

(١٥) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ج 2، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، ص 1334..

(١٥) لم يرفض الأستاذ النورسي المال والمنصب إلاّ حينما كانا يأتياه بطرق غير مشروعة، أو عندما كان يدرك أن الهدف من دفعهما له هو صرفه عن الاستمرار على نهجه الإصلاحية التغييرية، فالمال والمنصب فتنتان قلما ينجو منها إنسان، فكم من زعماء وقادة وعلماء لم يتمكن أعداؤهم منهم عن طريق التهديد والوعيد والتعذيب والحبس والنفي، بينما تمكّنوا منهم عن طريق المال الوفير والمناصب الرفيعة.

لقد حاول أعداء الأستاذ النورسي أن يشتروه بأموالهم فلم يتمكنوا من ذلك لأنّه كان أعلى من كل ثمن، وحاولوا أن يسكتوه عن قول الحق ولو لم يؤيّد لهم فلم يفلحوا أيضاً، فعندما سافر إلى استانبول سنة 1907م وحاول مقابلة السلطان عبد الحميد الثاني وأثار مواضيع حساسة أرسل إليه السلطان وزير الأمن شفيق باشا وقد سجّل الأستاذ النورسي الحوار الذي جرى بينهما في سيرته الذاتية، ص 74 وهذا نصّه:

((وزير الأمن: السلطان يسلم عليك كما أمر بصرف مرتّب شهري لك بمبلغ ألف قرش وقال إنّه سيرتفع إلى ثلاثين ليرة. فقلت جواباً: أنا لست متسوّل مرتّب وإن بلغ ألف ليرة، فأنا لم آت إلى هنا إلاّ من أجل أمّتي وليس من أجل نفسي ثمّ إنّ ما تحاولون تقديمه لي ليس إلاّ إتاوة للسكوت!

...

شفيق باشا: إنّ اقتراحك بنشر المعارف والعلوم في كردستان هو الآن موضع دراسة في مجلس الوزراء.

يتهافت عليه أبناء الدنيا حتى غداً مثلاً حياً لما يدعو إليه، تطابقت عنده النظرية مع السلوك ولم تعد ثمة تفاضل بينهما كدأب أكثر الناس ومنهم الدعاة أو علماء الدين، أصلح نفسه قبل أن يدعو الآخرين فوقع في قلوب الناس، وقع كلامه وسلوكه وشخصيته المعنوية في قلوب الناس حتى صار مثلاً يحتذى، وقدوة تربي طلابها بأفعالها قبل أقوالها))^(D).

لقد حاول الأستاذ النورسي أن يعالج نفسه من جميع أمراضها التي تحول دون تأثير الناس به، فدخل مع نفسه في صراع طويل إلى أن تمكن من التغلب عليها فغدت نفسه نقيّة من كل ما يחדشها أو يجعلها غير صالحة لحمل الرسالة الإصلاحية التربوية التي نذر نفسه للقيام بها، كما طهر نفسه من شوائبها التي تعكّر صفوها، وبعد انتصار النورسي على نفسه تمكن من الانتصار على نفوس الآخرين بكل يسر وسهولة، فالقاعدة في هذا هي أن من انتصر على نفسه كان انتصاره على غيره أسهل، وهذا هو سرّ استطاعة الأستاذ النورسي التأثير على أنواع العصاة والمجرمين، وقد مرّ معنا في فصل سابق كيف ترك اليهودي المعروف "عمانويل قره صو" مجلس المناقشة مع الأستاذ النورسي قائلاً: ((لقد كاد هذا الرجل العجيب أن يزجني في الإسلام بحديثه)).

لقد كان الأستاذ النورسي يبين دوماً أنه أحوج ما يكون إلى ما يكتبه، فعلى سبيل المثال يقول في بداية كتابه الكلمات: ((أيها الأخ لقد سألتني بضع نصائح فهأنذا أسدي إليك بضع

بديع الزمان: إذن لماذا أجل بحث المعارف واستعجل في المرتب؟ وعلى أي أساس تمّ هذا؟ لماذا تفضلون المنافع الشخصية على المنافع العامة؟)).

هذا هو السبب حسب اعتقادي في رفض الأستاذ النورسي للمال، أما ما سوى ذلك فقد كان يقبله ويستفيد منه فعلى سبيل المثال كان يقبض راتباً جيداً عندما عين في دار الحكمة الإسلامية سنة 1918م، وكذلك عند رجوعه من الأسر الروسي كافأته وزارة الحربية بـ (150) ليرة ذهبية فاستلمها ولم يرفضها لأنه لم ير فيها أية شبهة وكان يستعين بتلك الأموال على نشر مشروعه الإصلاحي.

أما بالنسبة للمناصب فالأستاذ النورسي لم يرفضها هي الأخرى إلا إذا أدرك أنّ قبولها سوف يؤثر سلباً على مشروعه الإصلاحي وخدماته الإمامية، أو رأى أنّ قبوله يخلّ بالأدب تجاه الآخرين كما رفض منصب الواعظ العام في كردستان لأنّ الشيخ السنوسي كان يشغل ذلك المنصب فرأى الأستاذ أنّ قبوله لذلك المنصب وتنحية الشيخ السنوسي منه يخلّ بالأدب الذي يجب أن يتعامل به العلماء مع بعضهم.

أما المناصب التي لم تكن تحول بينه وبين الاستمرار على نهجه الإصلاحي التغييري فلم يرفضها بل كان يقبلها ويؤدي فيها دوراً فعالاً، ومن ذلك على سبيل المثال قبوله للدعوة التي وجهت إليه في سنة 1918م للعضوية في دار الحكمة الإسلامية التي كانت تعدّ أعلى هيئة علمية في الدولة العثمانية آنذاك، كما قبل منحه مرتبة علمية عالية في السنة ذاتها، وقبل أيضاً منصب قائد القوات الفدائية التي تشكّلت من المتطوعين الكرد الذين قدموا من كردستان تركيا للمشاركة في الحرب العالمية الأولى تحت إمرة الأستاذ النورسي رحمه الله.

(D) عبد الله الطنطاوي، منهج الإصلاح والتغيير عند النورسي، بحث قدّم في الحلقة الدراسية المنعقدة في عمان في 12 حزيران 1997.

حقائق ضمن ثماني حكايات قصيرة فاستمع إليها مع نفسي التي أراها أحوج ما تكون إلى النصيحة)) (D).

وفي ثنايا رسائل النور كثيراً ما يخاطب الأستاذ النورسي نفسه مسدياً لها الكثير من النصائح، ومزكياً لها من كل ما قد يشوبها، وكثيراً ما يخاطبها بألفاظ قاسية مثل: أيتها النفس الأمارة بالسوء، أيها السعيد العاجز الخائف، أيها السعيد الغافل، أيها السعيد المغرور المفتخر بما لم تفعل، أيها السعيد اسماً والشقي جسماً، لقد خاطب نفسه بكل تلك الألفاظ القاسية لكي يحجمها عن العجب بالنفس والمغرور بما قدم.

النورسي والتصوف:

لا شك أن الأستاذ سعيد النورسي كان رجلاً زاهداً وورعاً وتقياً، وأنه كان كثير الاهتمام بتزكية نفسه عن طريق الإخلاص والخشوع والتذلل لله والذكر الكثير، وكان يشبه المتصوفة في الكثير من المسائل الروحية والتعبدية إلا أنه لم يكن صاحب طريقة صوفية لأنه نفسه لم يكن صوفياً، ولم يقف به الحد في ذلك بل لم يكن مقتنعاً بمسلك المتصوفة لأنه كان يعتقد بعدم جدواها في ذلك الزمن للوقوف بوجه مخططات الأعداء وإبطال مفعولها، وكان ((يعتقد أن الطرق الصوفية في هذا العصر لا تستطيع الوقوف أمام الهجوم المشكك في الإسلام لأنها تعتمد على التجربة الذاتية ولا تعتمد في إدراك الحقائق على البراهين المنطقية، والحجج العقلية، والأدلة العلمية التي هي صفة هذا العصر وما يموج فيه من تيارات وفلسفات)) (D).

هناك مجموعة من الأسباب _ حسب اعتقادي _ جعلت الطرق الصوفية غير قادرة على الوقوف بوجه الهجمات المشككة والمعادية التي أتت من قبل أعداء الإسلام، فالطرق الصوفية بطبيعتها لها نظرة جزئية للإسلام تقتصر على الجانب الروحي وتزكية النفس وقراءة الأوراد، ولا تهتم كثيراً بالجانب الفكري والحضاري منه، وهذه الطبيعة هي التي دفعت بأغلب الحكومات والأنظمة

(D) بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص5.

(D) الدكتور محسن عبد الحميد، النورسي الرائد الإسلامي الكبير، ص67.

العلمانيّة إلى تأييد الطرق الصوفيّة وتقديم الدعم المادي والمعنوي لها، وإفساح المجال أمامها لممارسة نشاطاتها لأنّها لا تشكّل أي خطر عليهم وعلى أنظمتهم، بل ربّما تخدمها، وتساندها، وتدافع عنها وعن سياساتها، وتقف بوجه التيارات الإسلاميّة الإصلاحية وهو ما حدث في تركيا في زمن الأستاذ النورسي كما مرّ معنا قبل الآن.

وهناك سبب آخر جعلت الطرق الصوفيّة غير قادرة على الوقوف أمام تلك الهجمات المشكّكة في الإسلام وهو اعتمادها على الكشف والذوق والتجربة الذاتية في إثبات الحقائق الإيمانيّة في حين أنّ ذلك لا يجدي نفعاً مع الكثير من الناس إن لم نقل أغلبهم، حيث أنّ الناس باتوا يعتمدون على الأدلّة العلميّة والمنطقيّة والعقليّة في إثبات الحقائق المجرّدة فكيف بالحقائق الإيمانيّة! يقول الأستاذ سعيد النورسي في ذلك: ((...ولقد أوضح علماء الكلام الطريق العقلي والمبرهن لتلك المعرفة الإيمانيّة وذلك في ألوف من مجلدات مؤلفاتهم المستندة إلى العقل والمنطق، أما أهل الحقيقة^(D) والتصوّف فقد أوضحوا تلك المعرفة الإيمانيّة من جهة أخرى وبشكل آخر في مئات من كتبهم المستندة إلى الكشف والذوق))^(D).

إذاً فقد كان الأستاذ النورسي يرى أنّ الدعاة في هذا الزمن بحاجة إلى وسائل عصريّة، وأساليب حديثة في الدعوة إلى الله لأن الكثير من الناس ربّما لا يقتنعون بـ قال الله تعالى وقال الرسول صلّى الله عليه وسلّم، لذلك لا بدّ من إيراد الأدلّة والحجج والبراهين العقليّة والعلميّة والمنطقيّة على الحقائق الدينيّة والإيمانيّة، وبناء عليه عمل الأستاذ النورسي جاهداً لربط العلوم الإسلاميّة بالعلوم التطبيقية والتجريبية، ودعا إلى تدريس تلك العلوم الحديثة في المدارس الدينيّة لكي يتسلّح طلبة العلم الشرعي بسلاح العلم والإيمان، ويردّوا على شبهات الملاحدة والماديين التي كانت أوهى من بيت العنكبوت لو علم المؤمن كيف يردها عليها.

لذلك كان الأستاذ النورسي يدعو إلى عدم الانشغال بالتصوف والطرق الصوفيّة، بل لا بدّ من السعي الحثيث والجداد لإنقاذ الإيمان، ذلك الإيمان الذي كان مهدداً بالزوال في تركيا، وإذا زال الإيمان لا سمح الله_ فماذا نصنع بالتصوف والطرق الصوفيّة لذلك كان الأستاذ النورسي يقول:

(D) الحق والحقيقة من المصطلحات المتداولة عند المتصوّفة، والمراد من الحقّ (هو الذات والحقيقة اسم الصفات، ثمّ إنّهم إذا أطلقوا ذلك أرادوا به ذات الله تعالى وصفاته خاصّة، وذلك لأنّ المرید إذا ترك الدنّيا وتجاوز عن حدود النفس والهوى ودخل في عالم الإحسان يقولون دخل في عالم الحقيقة، ووصل إلى مقام الحقائق). نقلاً عن: محمّد علي التهانوي، موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقدّم وإشراف ومراجعة د. رفيق العجم، ج1، بيروت_بنان، 1996 jãl687O.

(D) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص278.

((فما دامت الحقيقة هكذا فإني أحوال أن لو كان الشيخ عبد القادر الكيلاني (D) ، والشاه النقشبند (Ñ) ، و الإمام الرباني (Ñ) ، وأمثالهم من أقطاب الإيمان رضوان الله عليهم أجمعين في عصرنا هذا لبدلوا كل ما في وسعهم لتقوية الحقائق الإيمانية والعقائد الإسلامية لأنها منشأ السعادة الأبدية، وأن أي تقصير فيهما يعني الشقاء الأبدي، نعم لا يمكن دخول الجنة من دون إيمان بينما يدخلها الكثيرون جداً دون تصوف، فالإنسان لا يمكن أن يعيش بدون خبز، بينما يمكنه العيش دون فاكهة، فالتصوف فاكهة، والحقائق الإسلامية خبز)) (Ñ).

لقد كان الأستاذ النورسي يؤكد دوماً على ضرورة تضافر وتكاتف الجهود والمساعي لإنقاذ الإيمان في تركيا، وسبب ذلك يعود إلى الحملات الشرسة التي كانت تشنّ للقضاء على الإيمان في نفوس الشعب التركي وسائر الشعوب المسلمة الأخرى التي كانت تعيش في تركيا، وفي خضمّ محاولاته لإنقاذ الإيمان والمحافظة عليه كان الأستاذ النورسي يرى مئات الآلاف من أرباب الطرق الصوفية قابعين في تكاياهم وخلواتهم كل واحد منهم مشغول بنفسه بمجاهدتها وتزكيتها وتطهيرها من الذنوب والمعاصي تاركاً مجتمعه عرضةً للهجمات المشكّكة في الإسلام والإيمان وحتى وجود الله سبحانه وتعالى.

لقد قام الأستاذ النورسي بمحاولات عدّة للاستفادة من طاقات أرباب الطرق الصوفية وتسخير جهودهم ومعارفهم واستثمارها لإنقاذ الإيمان في تركيا، وعندما رأى تحاذل أغلبهم في تلبية طلبه، وتشكيك الكثير منهم في التفاضل بين الانزواء في إحدى التكايا وبين الخروج للعمل على إنقاذ إيمان الآخرين عند ذلك خاطبهم الأستاذ النورسي بلهجة أخرى مفادها: لو كان الشيخ عبد

(D) الكيلاني (عبد القادر): هو ابن أبي صالح أبو محمد الجيلي، ولد بجيلان سنة (470هـ)، ودخل بغداد فسمع الحديث وتفقه على أبي سعيد المخرمي الحنبلي، وهو أحد الأقطاب المعروفين لدى أهل السنة والجماعة، ومجدد عظيم استقام على يديه كثير من المسلمين، وأسلم كثير من اليهود والنصارى، من مصنفاته: كتاب الغنية، وفتح الغيب، والفتح الرباني، توفي ببغداد سنة (561هـ). نقلاً عن الأستاذ إحسان قاسم الصالحي في ترجمته لكليات رسائل النور، ج2؛ 270.

(Ñ) النقشبند (شاه) هو محمد بماء الدين مؤسس الطريقة النقشبندية ولد في قرية قصر عارفان قرب بخارى، ودرس في سمرقند، تزوج في الثامنة عشرة من عمره انتسب إلى شيوخ كثيرين وعاد أخيراً إلى بخارى ولم يغادرها حتى وفاته، وأنشأ فيها طريقته ونشرها، توفي في 3 ربيع الأول (791هـ) عن (73) سنة من العمر، من مصنفاته: الأوراد البهائية، حياتنامه، تنبيه الغافلين. نقلاً عن الأستاذ إحسان قاسم الصالحي في ترجمته لكليات رسائل النور، ج2؛ 270.

(Ñ) الإمام الرباني: هو أحمد بن عبد الأحد السرهندي الفاروقي (971-1034هـ الملقب بـ "مجدد الألف الثاني" برع في علوم عصره، رفض المناصب التي عرضت عليه، وفقه المولى العزيز إلى صرف الدولة المغولية القوية من الإلحاد والبرهمية إلى احتضان الإسلام بما بثّ من نظام البيعة والأخوة والرشاد بين الناس، انتشرت طريقته النقشبندية في أرجاء العالم الإسلامي بوساطة العلامة خالد الشهرزوري المشهور بمولانا خالد (1192-1243هـ)، له مؤلفات عديدة أشهرها مكتوبات. نقلاً عن الأستاذ إحسان قاسم الصالحي في ترجمته لكليات رسائل النور، ج2؛ 270.

(Ñ) بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص27.

القادر الكيلاني، والشاه النقشبندي والإمام الرتاني وغيرهم من أقطاب التصوّف على قيد الحياة لأعطوا هم أيضاً الأولوية للعمل على إنقاذ الإيمان وتقويته لدى الآخرين، وإذا كان هذا شأن هؤلاء الأقطاب والأولياء فما بالكم أنتم الذين تدعون بأنكم تسيرون على نهجهم، فتعالوا نعمل سوياً على إنقاذ الإيمان ونشره في مجتمعاتنا.

لقد كان الأستاذ النورسي يخاطب أرباب الطرق الصوفية بمنتهى الحكمة والدهاء، لذا تراه يخاطبهم دون أن يجرح مشاعرهم أو يثير نقاط الخلاف بين حركة النور والطرق الصوفية، بل وصف التصوّف بأنه فاكهة ولكنه بيّن أيضاً أنّ هناك شيئاً أهمّ من الفاكهة ألا وهو الخبز الذي لا يمكن للإنسان الاستغناء عنه، لذلك نرى أنّه كان لكلام الأستاذ النورسي هذا وقع حسن وجميل في نفوس الكثير من أرباب الطرق الصوفية مما حدا بالكثير منهم إلى العمل ضمن حركة النور كما قام الكثير منهم بالكفّ عن معاداة طلاب النور وإن لم يعاونوهم ويضمّموا جهودهم إلى جهودهم.

هذا وقد لقي الأستاذ النورسي معاناة كبيرة من بعض المتصوفة وأصحاب الطرق الصوفية حيث أصبح الكثير منهم أداة بيد العلمانيين والملاحدة يجارون بها الأستاذ النورسي وحركة النور، يقول الأستاذ النورسي في ذلك: ((... ثم بدأ أعداؤنا المستترون يحرضون علينا بعضاً من المسؤولين وبعضاً ممن يعتدون بأنفسهم والمغرورين من العلماء والمشايخ الصوفية))^(ND).

ولقد حاول الكثير من أصحاب الطرق الصوفية كسب بعض طلاب النور إلى صفوفهم وإدخالهم ضمن طرقهم الصوفية ولكن الأستاذ النورسي وقف أمام تلك المحاولات بحزم وشدة وبذلك استطاع المحافظة على طلاب النور من التشتت والانخراط في الطرق الصوفية، وكان الأستاذ النورسي يرى أن مسلك حركة النور هو خير وسيلة للدفاع عن الإسلام وخدمة القرآن حيث يقول في ذلك: ((إنّ مما يثبت أن رسائل النور معجزة معنوية للقرآن الكريم في هذا العصر هو عدم انضمام مسلك رسائل النور كسائر المسالك والطرق الصوفية، بل انتصاره وإدخاله الكثيرين من أهل الفساد إلى حظيرة الإسلام والشهود على ذلك حوادث كثيرة جداً))^(ND).

لذلك وجّه الأستاذ النورسي الكثير من الدعوات والنداءات إلى أرباب الطرق الصوفية للانضمام إلى حركة النور والعمل معاً للدعوة إلى الله ومن تلك الدعوات قوله: ((... وما دامت الحقيقة هي هذه فينبغي للقريبين من دائرة رسائل النور من أرباب العلم وأهل الطريقة وأصحاب المشارب الصوفية الانضمام إلى تيار النور ليمدوه بما لديهم من رأسمال سابق، والسعي لتوسيع

دائرته، وحث طلابه وبث الشوق في نفوسهم، وإذابة الأنانيّة وإلقائها كقطعة ثلج في حوض الماء السلسبيل للجماعة ليغتم ذلك الحوض الكوثري كاملاً^(٥٦).

ولكن مع كل ما تقدّم فإنّ ذلك لا يعني أن الأستاذ النورسي كان يرفض التصوف والطرق الصوفيّة جملة وتفصيلاً، فهو في الكثير من المناسبات يبيّن تأثره بالتصوف المستقيم، ويبين فضل الطرق الصوفيّة في المحافظة على إيمان الكثير من الناس، لذلك فالتصوف الذي يرفضه الأستاذ النورسي هو التصوف السقيم، التصوف السليبي الذي ينحرف بصاحبه عن جادة الصواب وتجعله يؤمن بالعتائد الباطلة وبالخرافات والأساطير وأنواع الشعوذات، يتحدث الأستاذ النورسي عن كل من حسنات وسيئات التصوف والطرق الصوفيّة فيقول: ((لا ريب أن حسنات الطريقة الصوفيّة التي هي ضمن دائرة السنّة المطهّرة^(٥٧) لهي أرجح من سيئاتها، ولا أدلّ على ذلك من احتفاظ أهل الطريقة بإيمانهم أثناء هجوم أهل الضلالة حتّى أن منتسباً اعتيادياً مخلصاً من أهل الطريقة يحافظ على نفسه أكثر من أي مدّعٍ للعلم، إذ ينقذ إيمانه بما حصل عليه من الذوق الروحي في الطريقة، وبما يحمله من حب تجاه الأولياء... بقي أمر آخر هو أنه لا يمكن أن تدان "الطريقة" ولا يحكم عليها بسيئات مذاهب ومشارب أطلقت على نفسها ظلماً اسم "الطريقة" وربّما اتخذت لها صورة خارج دائرة التقوى بل خارج نطاق الإسلام... وقد كانت الطرق الصوفيّة وما زالت إحدى القلاع الثلاث التي تتحطم على جدرانها الصلدة هجمات النصارى بسياساتهم ومكايد الذين يسعون لإطفاء نور الإسلام... فيجب أن لا ننسى فضل أهل الطرق في المحافظة على مركز الخلافة الإسلاميّة "استانبول" طوال خمسمائة وخمسين سنة رغم هجمات عالم الكفر وصلبيية أوربا^(٥٨)).

هذا وقد تأثر الأستاذ النورسي بعدد من أقطاب التصوف أمثال الشيخ عبد القادر الكيلاني الذي يقول الأستاذ النورسي عن تأثره به: ((هوت صفعات عنيقة قبل ثلاثين سنة على رأس سعيد القديم الغافل ففكر في قضية أن "الموت حق" ووجد نفسه غارقاً في الأوحال، استنجد وبحث عن طريق وتحرّى عن منقذ يأخذ بيده رأى السبل أمامه مختلفة... حار في الأمر وأخذ كتاب (فتوح الغيب) للشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه وفتحه متفائلاً... وبدأت أقرأ ذلك الكتاب كأنه يخاطبني أنا بالذات... كان شديد اللهجة يحطّم غروري فأجرى عمليّات جراحیّة عميقة في

^(٥٦) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص151.

^(٥٧) في حديثه عن التصوف كثيراً ما يقيد الأستاذ النورسي التصوف بموافقته للسنّة النبويّة وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن الأستاذ النورسي كان يفصل بين التصوف الصحيح والتصوف الفاسد كما مرّ معنا قبل قليل.

^(٥٨) بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص574.

نفسى... واستفدت منه فوائد جلييلة، وأمضيت معه ساعات طويلة أصغى إلى أوراده الطيبة
ومناجاته الرقيقة^(٤٥٧).

وإذا كان الأستاذ النورسي يعترف بإسهامات التصوف والطرق الصوفية في المحافظة على
إيمان الكثير من الناس، وأنها خدمت الإسلام كثيراً فهذا لا يعني أنه كان ساكناً على انحرافات
وشطحات عدد من المتصوفة المنحرفين، فكما أنه لم يعمم في ذمّه للتصوف والطرق الصوفية،
فكذلك لم يعمم في مدحه لها أيضاً، هذا ومن الذين ردّ الأستاذ النورسي على شطحاتهم وانحرافاتهم
"ابن عربي" وغيره الذين قالوا بوحدة الوجود، فقد ورد في كلام الأستاذ النورسي في معرض الردّ على
عقيدة وحدة الوجود قوله: ((يعتبر الكثيرون "وحدة الوجود" من أرفع المقامات بينما لا نشاهد لها
أثراً عند الذين لهم الولاية الكبرى وهم الصحابة الكرام وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون، ولا عند
أئمة آل البيت وفي مقدمتهم الخمسة المعروفون بآل العباء^(٤٥٨)، ولا عند التابعين، فهل الذين أتوا من
بعد هؤلاء اكتشفوا طريقاً أسمى وأرفع من طريقهم؟! وهل سبقوهم في هذا المضمار؟! الجواب كلاً
وحاشى لله أن يكون الأمر كذلك فليس في مقدور أحد كائناً من كان أن يصل إلى مستوى أولئك
الأصفياء الذين كانوا أقرب النجوم اللامعة إلى شمس الرسالة... فالصراط المستقيم إنما هو صراطهم،
والمنهج القويم إنما هو منهجهم، أما وحدة الوجود فهي مشرب ونزعة وحال وهي مرتبة
ناقصة... نعم إن الصراط المستقيم هو طريق الصحابة والتابعين والأصفياء الذين يرون أن حقائق
الأشياء ثابتة وهي القاعدة الكلية لديهم، وهم الذين يعلمون أن الأدب اللائق بحق الله سبحانه
وتعالى هو قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ^(٤٥٩)... وأن علاقته بالموجودات علاقة الخالق
بالمخلوقات، فالموجودات ليست أوهاماً كما يدّعي أصحاب وحدة الوجود، بل هذه الأشياء
الظاهرة هي من آثار الله سبحانه وتعالى، إذاً فليس صحيحاً قولهم: "همه أست" أي لا موجود إلاّ

^(٤٥٧) بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، 457.

^(٤٥٨) آل العباء هم كل من: علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها، والحسن
والحسين رضي الله عنهما، ووائلة بن الأسقع رضي الله عنه، فعن شدّاد بن أبي عمّار قال: إني جالس عند وائلة بن الأسقع رضي الله
عنه إذ ذكروا عليّاً رضي الله عنه فشموه فلما قاموا قال: اجلس حتى أخبرك عن هذا الذي شتموه، إني عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذ جاء علي وفاطمة وحسن وحسين رضي الله عنهم، فألقى صلى الله عليه وسلم عليهم كساءً له ثم قال (اللهم هؤلاء أهل
بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) قلت: يا رسول الله وأنا؟ قال صلى الله عليه وسلم: (وأنت) قال: فوالله إنها لأوثق
عمل عندي). رواه الإمام أحمد في مسنده، ج6؛ 457.

^(٤٥٩) الشورى، 11.

هو، وإنما الصحيح: "همه أز أوست" (٥) أي لا موجود إلا منه، ذلك لأن الحادثات لا يمكن أن تكون القدم نفسه أي أزلية (٥).

لقد كان الأستاذ النورسي يراعي مشاعر الآخرين وربما يسايرهم في بعض المسائل الخلافية التي تتعدّد فيها الآراء ووجهات النظر، ولكن عندما يتعلّق الأمر بالمسائل العقديّة تراه بشكل آخر حيث يضع حدّاً فاصلاً بين الخطأ والصواب، والجائز والممنوع شرعاً، لذلك فقد كان الأستاذ النورسي واضحاً في موقفه تجاه عقيدة وحدة الوجود حيث رفضها رفضاً كلياً، وبيّن بطلانها شرعاً وعقلاً وواقعاً، وبيّن أنّ تلك العقيدة _وحدة الوجود_ لو كان فيها خيراً لاعتقد بها الصحابة والتابعون ومن بعدهم من أئمة الهدى، ولكنّه وكما بيّنه لنا أنّ هذه العقيدة الباطلة لم يكن لها أي أثر عند الصحابة ولا عند أئمة آل البيت، لذلك يتساءل النورسي: هل يعقل أن يكتشف أصحاب عقيدة وحدة الوجود طريقاً أسمى وأرفع من طريقة الصحابة وآل البيت والتابعين؟

لقد أشار الأستاذ النورسي رحمه الله تعالى في كلامه الآنف الذكر إلى خطأ جسيم وقع فيه أصحاب عقيدة وحدة الوجود ألا وهو اعتقادهم بأنّ جميع الموجودات سوى الله تعالى إنّما هي أوهام وخيال لا وجود لها في حقيقة الأمر، وهذا لا يعني أنّ الأستاذ النورسي حاشاه يشبّه بين وجود الله سبحانه ووجود تلك المخلوقات، بل يفرّق النورسي بينها فيقول: ((إنّ الصحابة والمجتهدين والأصفياء وأئمة أهل البيت عندما يشيرون إلى أنّ "حقائق الأشياء ثابتة" يقرّون بأنّ لأسماء الله تعالى تجليات حقيقيّة وأنّ لجميع الأشياء وجوداً عرضياً أسبغ الله عليها بالخلق والإيجاد، ومع أنّ هذا الوجود يعتبر وجوداً عرضياً وضعيفاً وظلاً غير دائم بالنسبة لوجود "واجب الوجود" (٥) إلاّ أنّه ليس وهماً وليس خيلاً فإنّ الله سبحانه وتعالى قد أسبغ على الأشياء صفة الوجود بتجلّي اسمه "الخالق" وهو يلسم هذا الوجود (٥)).

إنّ الخطأ الفاحش الذي وقع فيه أصحاب عقيدة وحدة الوجود هو انحرافهم في تحديد طبيعة العلاقة بين الخالق والمخلوقات، والموجد والموجودات، يقول أبو يزيد البسطامي عن نفسه: ((رفعي مرّة فأقامني بين يديه وقال لي: يا أبا يزيد إنّ خلقي يحبّون أن يروك، فقلت: زيني بوحدانيتك، وألبسني أنايتك، وارفعني إلى أحديتك، حتّى إذا رأني خلقتك قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك ولا

(٥) هاتان العبارتان هما من اللغة الفارسية.

(٥) بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص105.

(٥) واجب الوجود هو ذات الله تبارك وتعالى.

(٥) بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص107.

أكون أنا هنا))^(٥٥)، ويقول ابن عربي: ((ولما كان فرعون في منصب التحكّم صاحب الوقت، وأنّه الخليفة بالسيف، وإن جار في العرف الناموسي، لذلك قال: {أنا ربّكم} أي وإن كان الكلّ أرباباً بنسبة ما فأنا ربّكم الأعلى منهم بما أعطيته في الظاهر من التحكّم فيكم، ولما علمت السحرة صدقه في مقاله لم ينكروه، بل أقرّوا له بذلك فقالوا: {إنّما تقضي هذه} فالدولة لك فصحّ قوله: ((أنا ربّكم))^(٥٥).

إذا فأصحاب عقيدة وحدة الوجود لا يفرّقون بين الخالق والمخلوق، بل يرونهما شيئاً واحداً، لذلك ردّ الأستاذ النورسي عليهم بأنّه لا يصحّ الاعتقاد بأنّه لا موجود إلّا هو، بل الصواب هو: لا موجود إلّا منه، وأنّ علاقة الله سبحانه بخلقه هي علاقة الخالق بالمخلوق وعلاقة الرّب بالمربوب ((لذلك على كلّ شخص غرق في وحدة الوجود أو وحدة الشهود أن يعودوا من عالم الاستغراق والسكر إلى عالم الصحو والاعتدال الذي نعيش فيه ويتركوا حالة الوجد التي كانوا فيها وإلّا فإنّه من الممكن أن يبلغوا إلى إنكار الخالق ولهذا السبب فإنّ النورسي يغيّر عبارة وحدة الوجود "كلّ شيء هو" بشكل دقيق وعناية فائقة إلى "كلّ شيء منه"^(٥٥).

النورسي وتزكية النفس:

يرى الأستاذ النورسي أن هنالك طرقاً عدّة وسبلاً كثيرة موصلة إلى الله سبحانه وتعالى ولكن بعض تلك الطرق أقرب من بعضها الآخر، وبعضها شائك وذو عقبات بينما البعض الآخر سهل ولا يجد السالك فيها أية عقبة، وبناء عليه يرى الأستاذ النورسي أن أقرب وأسهل طريقة للوصول إلى الله سبحانه وتعالى هي طريقة القرآن الكريم لأن الله الذي خلق هذا الإنسان هو الذي أنزل القرآن الكريم على نبيّه محمد صلى الله عليه وسلّم ليلبّغه للناس أجمع، والطريق الذي استنبطه الأستاذ النورسي من القرآن الكريم للوصول إلى الله تعالى يتكون من أربع مراتب وهي:

(٥٥) عبد الرحمن عبد الخالق، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ط 2، الكويت، مكتبة ابن تيمية للطبع والنشر والتوزيع، 650 j.Ī.

(٥٥) المصدر نفسه، ص73.

(٥٥) بلال قوشبنار، آراء النورسي حول مذهب وحدة الوجود، بحث ألقى في المؤتمر العالمي الثالث لبدع الزمان سعيد النورسي المنعقد في الفترة من 24_26/9/1995م في استانبول، ص8.

1 - مرتبة العجز.

2 - مرتبة الفقر.

3 - مرتبة الشفقة.

4 - مرتبة التفكير (٥).

المرتبة الأولى: مرتبة العجز:

يقول الأستاذ النورسي عن هذه المرتبة: ((إن العجز كالعشق طريق موصل إلى الله، بل أقرب وأسلم إذ هو يوصل إلى المحبوبة بطريق العبودية (٥)، ويقول إنه استنبط هذه المرتبة من قوله تعالى: { فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ } (٥)؛ ((وهي عدم تركية النفس ذلك لأن الإنسان حسب جبلته وبمقتضى فطرته محب لنفسه بالذات، بل لا يجب إلا ذاته في المقدمة، ويضحي بكل شيء من أجل نفسه، ويمدح نفسه مدحاً لا يليق إلا بالمعبود وحده، وينزه شخصه ويرى ساحة نفسه، بل لا يقبل التقصير لنفسه أصلاً ويدافع عنها دفاعاً قوياً بما يشبه العبادة، حتى كأنه يصرف ما أودعه الله فيه من أجهزة لحمه سبحانه وتقديسه إلى نفسه فيصيه وصف الآية الكريمة: { من اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ } (٥) فيعجب بنفسه ويعتد بها.. فلا بد إذاً من تركيتها، فتزكيتها في هذه الخطوة وتطهيرها هي بعدم تركيتها)) (٥).

وذهب ابن القيم إلى أن العبد يجب عليه أن يعلم بأنه ((أعجز شيء عن حفظ نفسه وأضعفه، وأنه لا قوة له ولا قدرة ولا حول إلا برّه، فيشهد قلبه كريشة مُلقاة بأرض فلاة تُقلِّبها الرياح يميناً وشمالاً، ويشهد نفسه كراكب سفينة في البحر تهيج بها الرياح وتتلاعب بها الأمواج ترفعها تارة وتخفضها تارة أخرى.. لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ليس له من

(٥) بالرغم من أن الأستاذ النورسي كثيراً ما كان ينتقد الطرق الصوفية، ويبين خطأ مسلكهم وعدم جدواه في ذلك الزمن، بالرغم من ذلك فقد كان متأثراً بالتصوف وبالكثير من الأولياء والصالحين أمثال الشيخ عبد القادر الكيلاني، والشيخ أبو حامد الغزالي وغيرهما من أقطاب التصوف، هذا وقد برز ذلك التأثير في حياة الأستاذ النورسي وطريقته في تركية نفسه وتنقيتها من شوائب الذنوب والمعاصي، وكذلك برز التأثير في توجيهاته التي وجهها لطلاب النور، وخلاصة القول في هذه المسألة هو أن الأستاذ النورسي قد استفاد من الطرق الصوفية في تربية نفسه وتزكيتها وكذلك في تربية طلابه خصوصاً والناس عموماً، وأن انتقاداته لمسلك بعض أرباب التصوف لم يمنعه من الاستفادة من التصوف ذاته.

(٥) بدیع الزمان سعید النورسی، المکتوبات، ص 594.

(٥) النجم، 32.

(٥) الفرقان، 43.

(٥) بدیع الزمان سعید النورسی، المکتوبات، ص 595.

نفسه إلا الجهل والظلم وآثارهما ومقتضياتهما، فالهلاك أدنى إليه من شرك نعله كشاة ملقاة بين الذئب والسباع لا يردّها عنها إلا الراعي، فلو تخلّى عنها طرفة عين لتقاسمها أعضاءً.

وهكذا حال العبد ملقى بين الله وبين أعدائه من شياطين الإنس والجنّ، فإن حماه منهم وكفهم عنه لم يجدوا إليه سبيلاً، وإن تخلّى عنه ووكله إلى نفسه طرفة عين لم ينقسم عليهم، بل هو نصيب من ظفر به منهم.

وفي هذا المشهد يعرف نفسه حقاً، ويعرف ربّه، وهذا أجد التأويلات للكلام المشهور "من عرف نفسه عرف ربّه" (٥٩).

إنّ شعور العبد بعجزه أمام خالقه وبارئه سبحانه وتعالى هي مرتبة من مراتب العبوديّة التي لا تكتمل العبوديّة إلاّ بها، فالإنسان مهما أوتي من قوّة ومعرفة، ومهما كانت إمكانياته الماديّة والمعنويّة كبيرة وقويّة فإنه يبقى عاجزاً أمام قدرة ربّه تبارك وتعالى، فقوّة العبد لا تساوي شيئاً أمام قوّة ربّه، وكذلك علمه ومعرفته لا قيمة لهما أمام علم الله سبحانه، وإذا ما شعر العبد بعجزه أمام خالقه آمن بأنّه محتاج إلى جوده وكرمه وعطائه فيدفعه ذلك إلى التذلل لله سبحانه وتعالى والتقرّب إليه عسى أن يمنّ عليه بجوده وكرمه في الدنيا والآخرة.

المرتبة الثانية: مرتبة الفقر:

يقول الأستاذ النورسي عن هذه المرتبة: ((والفقر مثله يوصل إلى اسم الرحمن)) (٥٩)، ويقول إنه استنبطها من قوله تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ} (٥٩) حيث يقول: ((إن الإنسان ينسى نفسه ويغفل عنها فإذا ما فكّر في الموت صرفه إلى غيره، وإذا ما رأى الفناء والزوال دفعه إلى الآخرين وكأنه لا يعنيه بشيء إذ مقتضى النفس الأماره (٥٩) أنّها تذكر ذاتها في مقام

(٥٩) ابن القيم، مدارج السالكين، ص 459.

(٥٩) بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص 594.

(٥٩) الحشر، 19.

(٥٩) للنفس الإنسانيّة ثلاث مراتب، وقد ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في ثلاث آيات، وتلك المراتب هي كالآتي:

أولاً: النفس الأماره:

وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم على لسان يوسف في سورة يوسف: {إنّ النفس لأماره بالسوء}، هذا وقد عرّفت النفس الأماره بعدة تعريفات فعرفها الجرّحاني بأنّها: ((التي تميل إلى الطبيعة البدنيّة، وتأمّر باللذات والشهوات الحسيّة، وتجذب القلب إلى

أخذ الأجرة والحظوظ وتلتزم بها بشدّة، بينما تتناسى ذاتها في مقام الخدمة والعمل والتكليف، فتزكيتها وتطهيرها وتربيتها في هذه الخطوة هي: العمل بعكس هذه الحالة، أي نسيان النفس في الحظوظ والأجرة والتفكير فيها عند الخدمات والموت ﴿٥١﴾.

الجهة السفلية فهي مأوى الشرور ومنبع الأخلاق الذميمة)). الجرجاني، التعريفات، ص 133، وعرفها الغزالي بأنها: ((النفس التي أذعت وأطاعت دواعي الشيطان)). أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية ص152.

لقد خلق الله تعالى النفس الإنسانية وهبها القدرة على السمو والارتفاع نحو الدرجات العلا بحيث ترتفع إلى أعلى عليين وذلك عندما تتطهر من دنس الكفر والشرك والذنوب والمعاصي، وكذلك تستطيع أن تنزل إلى أدنى الدرجات بحيث تكون أسفل بكثير من مرتبة الحيوانات والدواب، هذا هو شأن النفس الأمارة بالسوء التي لا تنفك عن تزيين الشرور والذنوب والمعاصي لصاحبها، ولا غرابة في ذلك لأنّ الشيطان قد أصبح قرين هذه النفس فماذا يتوقّع من الشيطان أن يأمر به من أصبح له قريناً؟!

ثانياً: النفس اللوامة:

وهي التي ورد ذكرها في قوله تعالى من سورة القيامة: { لا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللّوَامَةِ }، وقد عرف الجرجاني هذه النفس بقوله: ((هي التي تنوّرت بنور القلب قدر ما تنبّهت به عن سنة الغفلة، كلما صدرت عنها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية أخذت تلوم نفسها وتتوب عنها))، ويعرفها الإمام ابن القيم رحمه الله بقوله: ((هي التي لامت نفسها في طاعة الله، واحتملت ملام اللاتمين في مرضاته، فلا تأخذها فيه لومة لائم، فهذه قد تخلّصت من لوم الله، وأما من رضيت بأعمالها ولم تلم نفسها ولم تتحمّل في الله ملام اللوام فهي التي يلومها الله عزّ وجلّ)).

= هذه هي طبيعة النفس التي تخشى الله سبحانه وتعالى فهي دائمة اللوم لصاحبها حيث تلومه وتؤيّه عند التقرب من الذنوب والمعاصي، بل ربّما تحمل هذه النفس من الشفافية بحيث تلوم صاحبها على مجرد تفكيره بالمعصية، وقد نقل الإمام القرطبي عن ابن عباس ومجاهد عند تفسير قوله: {ولا أقسم بالنفس اللوامة} ((إنّ هذه النفس هي نفس المؤمن الذي لا تراه إلا يلوم نفسه يقول: ما أردت بكذا؟ فلا تراه إلا وهو يعاتب نفسه)). القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج19؛ 920.

ثالثاً: النفس المطمئنة:

وهي التي ورد ذكرها في القرآن الكريم عند قوله تعالى في سورة الفجر: {يا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ارجعي إلى ربّك راضيةً مرضيةً فادخلي في عبادي وادخلي جنّتي}، وقد عرفها الجرجاني بقوله: ((هي التي تمّ تنوّرها بنور القلب حتّى الخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلّقت بالأخلاق الحميدة)).

هذه المرتبة هي أعلى المراتب التي يمكن للنفس الإنسانية أن تبلغها، فالنفس إذا اطمأنت لا تطمع بعدها إلى شيء لأنّ من عادة وطبيعة هذه النفس أنّها دائمة القلق والاضطراب مما قد يصيبها ومما هو مخبوء لها في قدر الله، فطمأنينة النفس هي بيت القصيد والمبتغى الذي تسعى إليه نفوس العباد، ويصف سيد قطب رحمه الله هذه النفس عند تفسيره لقوله تعالى: {يا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ إلى ربّها، المطمئنة إلى طريقها، المطمئنة إلى قدر الله بها، المطمئنة في السراء والضراء، وفي البسط والقبض، وفي المنع والعطاء، المطمئنة فلا ترتاب، والمطمئنة فلا تنحرف، والمطمئنة فلا تتلجج في الطريق، والمطمئنة فلا ترتاح في يوم المحول الرعب)). سيّد قطب، في ظلال القرآن، ج15؛ 39070.

وإذا ما تأملنا في القرآن الكريم لتبيّن لنا أنّ ذكر الله تبارك وتعالى هو من أهم الأسباب التي تبلغ بالنفس إلى مرتبة الطمأنينة كما ورد في قوله تعالى في سورة الرعد: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}. ﴿٥١﴾ بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص595.

يقول الإمام الغزالي عن الفقر: ((إنَّ كلَّ موجود سوى الله تعالى فهو فقير لأنه محتاج إلى دوام الوجود في ثاني الحال، ودوام وجوده مستفاد من فضل الله تعالى وجوده؛ فإن كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفاد له من غيره فهو الغني المطلق، ولا يتصوّر أن يكون مثل هذا الموجود إلاّ واحداً فليس في الوجود إلاّ غني واحد، وكلّ من عداه فإنهم محتاجون إليه ليمدّوا وجودهم بالدوام وإلى هذا الحصر الإشارة بقوله تعالى: {والله الغنيّ وأنتم الفقراء} (١٠٩) هذا معنى الفقر مطلقاً)) (١٠٩).

هذا ويمكن القول إن الأستاذ النورسي كان قد جسّد بحقّ هذه المرتبة في نفسه في حياته كلّها، وكان يردد دوماً: نحن ملزمون بتقديم الخدمات دوماً ودون التفرقة بين إنسان وآخر، بالإضافة إلى ذلك كان الأستاذ النورسي إنساناً متزهداً غير طامع في متاع الدنيا، وما كان يصله منها كان يوزعه على طلابه الفقراء، ويصرفها لنشر رسائل النور وغيرها من القنوات الخدمية ذات النفع العام.

إذا رجعنا إلى كتابات العارفين أمثال الإمام الغزالي وغيره نجد أنّها مزجت بين الزهد والفقر لأنّهما قرينان لذلك فحيثما ذكر أحدهما ذكر الآخر أيضاً، ومن ذلك على سبيل المثال قول الإمام الغزالي عن الدنيا: ((قد استقصينا ما يتعلّق بوصفها وذمّ الحبّ لها في كتاب ذمّ الدنيا من ربع المهلكات ونحن الآن نذكر فضل البغض لها والزهد فيها فإنّه رأس المنجيات، فلا مطمع في النجاة إلاّ بالانقطاع عن الدنيا، والبعد منها لكنّ مقاطعتها إمّا أن تكون بانزوائها عن العبد ويسمّى ذلك فقراً، وإمّا بانزواء العبد عنها ويسمّى ذلك زهداً، ولكلّ منهما درجة في نيل العادات وحظ في الإعانة على الفوز والنجاة)) (١١٠).

هذا ويقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في بيان حقيقة الزهد: ((اعلم أنّ الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين... والزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولاً إلى الآخرة، أو عن غير الله تعالى عدولاً إلى الله تعالى وهي الدرجة العليا)) (١١١).

المرتبة الثالثة: مرتبة الشفقة:

(١١٢) محمد، 38.

(١١٣) الإمام أبو حامد محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط 1، 4، بيروت_ لبنان، دار الأرقم،

1419 هـ- 1998 jã 258.

(١١٤) المصدر نفسه، ص 257.

(١١٥) المصدر نفسه، ص 288.

ويقول الأستاذ النورسي عنها: ((وكذلك الشفقة كالعشق موصل إلى الله إلا أنه أنفذ منه في السير وأوسع منه مدى، إذ هو يوصل إلى اسم الله "الرحيم") (٥٧٠).

وهذه المرتبة مستنبطة من قوله تعالى: {وَمَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ} (٥٧١)، يقول الأستاذ النورسي: ((إن ما تقتضيه النفس دائماً أنها تنسب الخير إلى ذاتها مما يسوقها هذا إلى الفخر والعجب، فعلى المرء في هذه الخطوة أن لا يرى من نفسه إلا القصور والنقص والعجز والفقر، وأن يرى كل محاسنه وكمالاته إحساناً من فطره الجليل (٥٧٢) فتزكية النفس... هي أن تعلم بأن كمالها في عدم كمالها، وقدرتها في عجزها، وغناها في فقرها) (٥٧٣).

المرتبة الرابعة: مرتبة التفكير:

(٥٧٤) بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص 594. النساء، 79.

(٥٧٥) لقد تحدّث علماء العقائد عن مسألة الخير والشرّ ضمن مسألة الإرادة حيث قسّموا الإرادة عند الله تعالى إلى قسمين: أولاً: إرادة كونية قدرية، ومن هذا القبيل قوله تعالى: {فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام}، وقوله: {ولكن الله يفعل ما يريد}.

ثانياً: إرادة دينية أمرية شرعية، ومن هذا القبيل قوله تعالى: {يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر}، وكذلك قوله: {يريد الله أن يتوب عليكم ويُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا}، ومن هذه الإرادة _الدينية_ الأمرية _ قول الناس: هذا يفعل ما لا يريد الله أي ما لا يحبّه ولا يرضاه، فالله سبحانه وإن كان هو خالق الشرّ فإنّه لا يريد لعباده، بل خلقه لكي يختبر عباده من يفعله ومن يتعد عنه، ومن ذلك خلق إبليس، فإبليس كما هو معلوم مصدر كلّ فساد وضلال، وهو سبب شقاء الكثير من الناس، وهو الذي عصى ربه وتمرد عليه ولم ينقذ أمره بالسجود لآدم عليه السلام، ولكن رغم ذلك فقد خلقه الله سبحانه، هذا وقد رصد العلماء عدّة حكم من خلق إبليس منها:

أ إظهار قدرة الله تعالى على خلق المتضادات والمتقابلات كخلق إبليس وهو أحيث الذوات وشرّها في مقابل ذات جبريل التي هي من أشرف الذوات وأطهرها وأزكاها وهي مادة كلّ خير.

ب ظهور أسمائه القهرية كالقهار المنتقم، وظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وتجاوزته عنّ يشاء من عباده.

ج حصول العبودية المتنوعة التي لو لا خلق إبليس لما حصلت وكان الحاصل بعضها لا كلّها، ومن ذلك عبودية الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، واتخاذ إبليس عدوّاً.

إذاً فالله سبحانه هو الذي قدر الخير والشرّ وأمر عباده بالخير ونهاهم عن الشرّ، وبين مصير كلا الفريقين الذين يتبعون ويفعلون الخير والذين يفعلون الشرّ، أما قوله تعالى: {ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك}، فهذا المعنى هو الذي قصده الأستاذ النورسي بقوله الآنف الذكر: ((على المرء أن يرى من نفسه القصور والنقص والعجز والفقر)).

(٥٧٦) بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص 596.

ويقول عنها: ((والتفكير أيضاً كالعشق إلا أنه أغنى منه، وأسطع نوراً، وأرحب سبيلاً إذ هو يوصل السالك إلى اسم الله "الحكيم" (٥٩)، وهذه المرتبة مستنبطة من قوله تعالى: {كُلَّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} (٦٠)، يقول الأستاذ النورسي عن هذه المرتبة: (إن النفس تتوهم نفسها حرّة مستقلّة بذاتها... وتضمّر عصياناً حياً معبودها الحق، فيأدرك الحقيقة الآتية ينجو الإنسان من ذلك وهي: كل شيء بحد ذاته وبمعناه الاسمي زائل مفقود حادث معدوم... فتزكيتها في هذه الخطوة هي معرفة أن عدمها في وجودها ووجودها في عدمها) (٦١).

يشير الأستاذ النورسي في كلامه السابق إلى طبيعة النفس الإنسانيّة وتعرّضها لداء الغرور في بعض الأحيان وتخطّي حدودها التي حددها لها ربّها تبارك وتعالى ومن تلك الأمراض التي تصيب النفس الإنسانيّة توهمها بأنها حرّة ومستقلّة بذاتها كما قال الأستاذ النورسي، وهذا المرض يؤدّي بصاحبه إلى عصيان أوامر ربّه جلّ وعلا لذلك يجب معالجة النفس من هذا المرض الخطير، وذلك العلاج كما يراه الأستاذ النورسي يتمثل في إدراك الإنسان بأنّ كلّ شيء في هذا الكون سوى الله تعالى سوف يزول، فكلّ حادث لا بدّ وأن تأتي عليه النهاية، وبما أنّ كلّ موجود سوى الله تعالى حادث إذ أنّ كلّ الموجودات سواه سوف تعدم {ويبقى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} (٦٢) ومن ثمّ يتحدّث الأستاذ النورسي عن تزكية هذه النفس حيث يكون بتلقينها حقيقة أنّ وجودها في هذه الحياة الدنيا محكوم عليه بالإعدام لأنّه لم يكتب لأحد الخلد كما ورد في قوله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ} (٦٣) أمّا عندما يعدم وجود هذا الإنسان على هذه الأرض ومن هذه الحياة الدنيا فإنّ الوجود الحقيقي سوف يبدأ في الحياة الأخرويّة، لذلك يجب على هذا الإنسان أن يجهد ويتعب ويعمل لأخراه.

هذا وقد أولى العلماء العارفون أهمية كبيرة لمنزلة التفكير، وأنّه لا بدّ للإنسان أن يفكر في نفسه وفي الكون من حوله وكذلك في آيات القرآن الكريم لأنّ ذلك _لاشكّ_ سوف يعمّق إيمانه بالله ويقوّيه، وكذلك يطهّر نفسه من الذنوب والآثام والمعاصي، ويدفعه إلى بذل المزيد من الجهد لإرضاء الله سبحانه وتعالى، والعمل وفق ما أمر به ربّه تبارك وتعالى.

لقد حدّد الإمام ابن قيم الجوزيّة المجالات التي ينبغي على المرء التفكير فيها بما يأتي:

(1_ التفكير في آياته المنزلة وتدبرها وفهم مراده سبحانه منها.

(٥٩) بديع الزمان سعيد النورسي، المکتوبات، ص 594.

(٦٠) القصص، 88.

(٦١) بديع الزمان سعيد النورسي، المکتوبات، ص 596.

(٦٢) الرحمن، 27.

(٦٣) الأنبياء، 34.

2- التفكير في آياته المشهودة والاعتبار بها والاستدلال بها على أسمائه وصفاته وحكمته سبحانه.

3- التفكير في نعمه وإحسانه على خلقه، والتفكير في ذلك مع الذكر بصبغ القلب بالمعرفة والمحبة صبغة تامة.

4- التفكير في عيوب النفس وآفاقها وفي عيوب العمل.

5- التفكير في واجب الوقت ووظيفته وجمع المهم كله عليه)) (٥).

هذا وقد أحسن الأستاذ النورسي وهو يتحدث عن العجز والفقر والتذلل أنه ربما يفهم البعض من خلال ذلك أن المقصود هو إظهار كل ذلك للناس، بالتظاهر بمظهر الفقير العاجز المعدم لذلك قال: ((ولا يذهبن بكم سوء الفهم إلى الخطأ، فالمقصود بالعجز والفقر والتقصير إنما هو إظهار ذلك كله أمام الله سبحانه وليس إظهاره أمام الناس)) (٥).

ثانياً: النورسي وإصلاح طلابه:

لقد كانت عملية إصلاح الأستاذ النورسي لنفسه تسير جنباً إلى جنب مع إصلاحه لطلابيه، فقد كان الأستاذ يحاول دوماً إعداد طلاب النور إعداداً إيمانياً كي يقوموا هم أيضاً بدورهم في تحقيق الإصلاح داخل المجتمع الذي يعيشون فيه، هذا وقد تمكن الأستاذ النورسي أن يلفت حوله مجموعة من الطلبة النجباء الذين كان كل واحد منهم نسخة عن أستاذه في قدرته على تربية وتوجيه وإصلاح الآخرين، وكان كل واحد منهم يشكل مدرسة إيمانية في محيطه الذي يعيش فيه، فقد كان أحدهم يسخر ويصرف كل طاقاته في سبيل نشر حقائق الإيمان والقرآن بين الناس ولا يخاف في الله لومة لائم.

لقد كان الأستاذ النورسي يشيد دوماً بمواقف طلابه ويبين أنهم أهل للاعتماد عليهم عند الشدائد، وأن كل واحد منهم يمثل أستاذه في المكان الذي يعيش فيه، وكان يقول: ((إن رسائل النور وطلابها الغيارى سيؤدون مهماتي بدلاً عني فلم يعد هناك حاجة إليّ، ومن المعلوم أن كل جزء

(٥) الإمام شمس الدين محمد بن قسيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ط 1، العراق بغداد، مطبعة منير، 1403هـ/1983ء 187.

(٥) بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص594.

من الأجزاء الجامعة لرسائل النور، وكل طالب من طلابها الثابتين يدرس ويرشد أفضل مني
وَأْتَمُّ ((٥٥)) .

أسلوب الأستاذ النورسي في إصلاح وتربية طلابه:

لم يكن للأستاذ النورسي أسلوب ونمط واحد في تربية طلابه، بل كانت له أساليب وأنماط متعددة في ذلك، إنَّ تنوع الأساليب في التربية والإصلاح أمر ضروري للدعاة والمصلحين لأنه من غير الممكن ولا من المعقول السير على نمط واحد في التربية والإصلاح لأن الناس جميعاً ليسوا على درجة واحدة من الفهم والإدراك، بالإضافة إلى أنهم قد يتفاوتون بالنسبة لوسائل التأثر، فهناك من يُلجأ معه إلى وسائل وأساليب مباشرة، بينما تكون الوسائل غير المباشرة أجدى مع غيره، والذي يكفيه التنبيه على خطئه لا يُلجأ معه إلى أسلوب العتاب والنهير، إذ لا بدّ من تعدد الوسائل والأساليب لمن أراد القيام بإصلاح الآخرين، وفيما يأتي عرض لأهم الأساليب والوسائل التي استخدمها الأستاذ النورسي في إصلاح وتربية طلابه:

أولاً: التأكيد على الإخلاص والتجرد لله:

لا شك أن للإخلاص والتجرد لله سبحانه وتعالى أهمية كبرى في كل عمل يقوم به المرء المسلم، فالإخلاص يعظم من شأن العمل القليل حتى يجعله كالجبل الكبير أو أكبر منه، بينما الرياء وطلب السمعة يقلل من شأن العمل الكبير حتى يصبح لاشيء، بل ربما يكتب لصاحبه الذنوب والآثام بدلاً من الأجر والثواب، لذلك حثنا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على الإخلاص في جميع

((٥٥)) ربما أراد الأستاذ سعيد النورسي بهذا الكلام أن يعلي من شأن طلابه ويبين مراتبهم العالية وأنهم وصلوا إلى درجة كبيرة من الفهم والعلم والمعرفة بحيث يمكن لكل واحد منهم أن يقوم مقام الأستاذ النورسي في الدعوة والإرشاد، وليس المراد من هذا الكلام أن طلاب الأستاذ النورسي يدرسون ويرشدون أفضل منه حقيقة، بل هو من باب المبالغة في المدح والثناء والتركية، وهذا أمر وارد في الكثير من الأحيان ومن ذلك على سبيل المثال عندما يسأل شخص ما عن شخص آخر كيف تراه؟ فإذا أراد = الشخص الأول أن يبلغ في مدح وتركية ذلك الشخص فيقول: إنه أفضل مني بكثير، فما بالك بتركية أستاذ لطلابك الذين رباهم وصرف سنين طويلاً من عمره في تربيتهم وتوجيههم وتعليمهم!!

((٥٥)) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص575.

أعمالنا الصالحة فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنْفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ } (٥).

لذلك اهتم الأستاذ النورسي بتحقيق الإخلاص والتجرد لله سبحانه وتعالى في جميع أعماله التي كان يقصد التقرب بها إلى الله تعالى، وعندما بعث إليه أحد طلبة النور رسالة يقول له فيها: ((لو كنت في مصر أو أمريكا لكنت تذكر في التاريخ بإعجاب و فخر)) أجابه الأستاذ النورسي بقوله: ((أخي العزيز الفطن: نحن نهرب هروباً من احترام الناس إيانا... فاللهات وراء الشهرة التي هي رياء عجيب، ودخول التاريخ بفخر وبهاء وهو عجب ذو فتنة، وحب الظهور وكسب إعجاب الناس كل ذلك مناف ومخالف للإخلاص الذي هو أساس مسلك النور وطريقه)) (٥).

وبهذا يكون الأستاذ النورسي قد لُقّن طالبه هذا وطلّابه الآخرين درساً عملياً في الإخلاص والتجرد لله، وكتب ذات مرّة لبعض طلابه تحت عنوان (٥): ((ادفن مزاياك تحت تراب الخفاء لتنمو)) (٥)، فقال:

((يا ذا المزايا ويا صاحب الخاصية: لا تظلم بالتعيين والتشخيص فلو بقيت تحت ستار الخفاء منحت إخوانك بركة وإحساناً، إذ من الممكن ظهورك في كل أخ لك وأن يكون هو أنت بالذات وبهذا تجلب الأنظار والاحترام إلى كل أخ، بينما تلقي الظل هنا بالتجني والتشخيص بعد أن كنت شمساً هناك فتسقط شأن إخوانك وتقلل من احترامهم، فلن كان هذا هو أمر المزايا الصحيحة وصاحبها الصادق وأنت تراه فكيف بكسب الشهرة والتشخيص بالتصنع الكاذب والرياء؟!)) (٥).

يؤكد الأستاذ النورسي في كلامه السابق على أهمية الإخلاص وضرورته لا سيما لمن نذر نفسه للقيام بعملية الإرشاد والدعوة وتحقيق الإصلاح والتغيير داخل مجتمعه، ويخاطب كل طالب من طلاب النور أنه إذا أخلص في عمله وأبقاه تحت ستار الخفاء فلربما يجعله الله تعالى سبباً لمنح بركة إخلاصه لإخوانه أيضاً سيما إذا كان هذا المرء في مقام القدوة حيث يقوم الذين هم دونه

(٥) البيّنة، 5.

(٥) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص 289.

(٥) ربّما يكون الأستاذ النورسي قد رأى بوادر الرياء وحب الشهرة عند بعض طلابه فكتب إليهم ذلك التذكير.

(٥) تأمل في هذه العبارة البليغة وهذا التشبيه الرائع، حيث شبه الأستاذ النورسي مزايا الإنسان بالحبات أو البذور التي تدفن تحت التراب لكي تنمو وتتكاثر، فصاحب الزرع الذي يدفن حبات القمح مثلاً تحت التراب لا يقول إنني قد خسرت هذه الحبات لأنه يدرك أن كل واحدة منها سوف تنبت العشرات من الحبات الأخرى، وهكذا هو شأن صاحب الإخلاص أيضاً فعندما يخفي مزاياه فإن تلك المزايا ستنتب الكثير من المزايا الأخرى له وإخوانه إن شاء الله تعالى.

(٥) بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص 866.

بالاقتداء به في التمسك بالإخلاص والابتعاد عن الرياء وبذلك يكسبهم قيمة كبيرة عند الله وكذلك عند العباد، وبعد ذلك يذكّرنا الأستاذ النورسي بمسألة هامة وهي أنه إذا كان هذا هو شأن وضرر التظاهر بالمزايا والأعمال الصالحة التي يؤديها شخص ما حقيقة فما بالك بأضرار وخطورة تظاهر إنسان ما وتصنّعه بأنه يعمل كذا وكذا من الأعمال الصالحة كذباً ورياءً؟! فلا شك أن ذلك يشكّل ضرراً أكبر وخطورة أشدّ على ذلك الإنسان.

ثانياً التساند والتماسك:

إذا تأملنا في حركة النور لتبيّن لنا أنّ الأستاذ سعيد النورسي كان يعمل على وتيرتين اثنتين، الأولى كانت عبارة عن عمل منظّم ووفق خطة مدروسة وذات أهداف مرحليّة، وقد مرّ معنا في الفصل الخاصّ بحركة النور كيف حدّد الأستاذ النورسي مجموعة من الشروط التي يجب أن تتوفّر فيمن يرغب بالانضمام إلى حركة النور، وكذلك مرّ معنا تأكيداً على وجوب العمل الجماعي المنظّم.

أما الوتيرة الثانية فقد كانت عبارة عن تحريك تيّار عام غير منظّم، وكان الأستاذ النورسي يهدف من وراء ذلك إيجاد جمهور واسع وعريض يمثّل كافة طبقات المجتمع، ويكون مؤيداً لحركة النور، كما كان يهدف إلى إيصال الكلمة الطيبة، والنصيحة النافعة، والتوجيه السديد إلى أكبر قدر ممكن من أفراد المجتمع دون إلزامهم بالانخراط في صفوف حركة النور.

إنّ حركة النور شأنها شأن سائر الحركات الإصلاحية تعرّضت للكثير من المؤامرات والمكائد من قبل أعدائها المتربّصين بها، لذلك كان الأستاذ النورسي يعمل دوماً على المحافظة على الصف الداخلي للحركة، فأية حركة أو جماعة إذا تماسكت وتكاتفت داخلياً تكون قادرة على الوقوف في وجه العدو الخارجي، بعكس ما إذا كانت مهزوزة وغير متماسكة داخلياً فإنها في تلك الحالة لا تقدر على الصمود أمام أي خطر خارجي مهما كان ضعيفاً وهزيباً، لذلك كان الأستاذ النورسي يعمل على تمتين الصف الداخلي كلّما رأى بادرة من بوادر الجفاء والبرود بين طلاب النور، ففي يوم من الأيام بلغه أن اثنين من طلاب النور البارزين قد تشاجرا فقال: ((أخوتي الأعزاء الصديقين: إنّ أنجع علاج في هذه الدنيا ولا سيّما في هذا الزمان وبخاصّة للمبتلين بالمصائب ولطلاب النور الذين انتابهم ضجر شديد وبأس قائم هو: تسليّة أحدهم الآخر، وإدخال السرور في قلبه، وإمداد قوته المعنويّة، وضماد جراحات الضيق والحزن والسأم، وتلطيف قلبه المغموم كآخ حقيقي مضحّ، إذ

الأخوة الحقة والأخوة التي تربطكم لا تتحمل التحيز والإغاضة، إنني أقسم لكم أنه منذ ثمانية أيام يتألم قلبي من عذاب شديد من جزاء حادثة تافهة سببت دلالاً ظاهرياً بين ركنين من أركان النور وإحزان أحدهما الآخر بدلاً من السلوان، فاستصرخت روحي وقلبي وعقلي معاً وبكت قائلة: أوّاه أوّاه الغوث الغوث يا أرحم الراحمين احفظنا وأجرنا من شياطين الجنّ والإنس، واملأ قلوب إخواننا بالوفاء التام والمحبة الخالصة والأخوة الصادقة، والشفقة الكاملة)) (٥٤٥)، وفي إحدى المرات عندما علم أنّ بعض طلاب النور قد تشاجروا وجفا بعضهم بعضاً أرسل إليهم رسالة جاء فيها: ((أصلحوا فوراً الجفاء الموجود فيما بينكم، حذار حذار من هذا... لأن انحرافاً ولو طفيفاً جداً يلحق بدائرة النور ضرراً أيما ضرراً)) (٥٤٦)، وعندما أُبلغ بأنّ شجاراً ما وقع بين واحد من طلاب النور وبين عدد من طلاب النور الآخرين أرسل إليهم راجياً إصلاح ذلك الجفاء والمصالحة مع بعضهم البعض فقال: ((قد وضعتُ في الوقت الحاضر خطة رهيبة لضربنا وتشتيت رسائل النور وزعزعة الروابط بين طلابها، وذلك بإلقاء الجفاء بين الطلاب وإحداث السامة فيما بينهم، وإيجاد الفرقة من حيث اختلاف المشرب والفكر...))

أخي العزيز السيد رأفت:

بجرمة القرآن العظيم، وبحق ارتباطكم القرآنيّ، وبشرف خدماتكم العظيمة في مسلك النور طوال عشرين سنة... ارفعوا ما بينكم من هجر وسخط، فهو رهيب رغم كونه شيئاً جزئياً إلاّ أنه أليم فجميع بالنسبة لأوضاعنا الحالية الدقيقة، فهو عون عظيم للمنافقين المستترين الذين يسعون لإبادتنا وإفنائنا، تخلّوا يا اخوتي عن استياء بعضكم عن بعض، الشبيه بإلقاء الشرارة في البارود، واحملوا الآخرين على التحليّ عنها، إذ بخلاف ذلك هناك احتمال قويّ أن يلحق الضرر بنا وبالخدمة القرآنيّة والإيمانيّة بالأرطال بسبب حق جزئيّ شخصي لا يعادل درهماً.

وإني أطمئنكم مقسماً بالله أنه إذا أهانني أحدكم أشد إهانة وأشنع تحقير، وحطّ من كرامة شخصيتي كلياً، ولم يتخلّ في الوقت نفسه عن الخدمة القرآنيّة والإيمانية و النوريّة، فإني أصفح عنه وأتنازل له عن حقّي، وأصلحه وأسعى لعدم الاستياء منه.

فما دام تعلمون أن أعدائنا يستغلّون جفاء جزئياً فيما بين الاخوة تصالحوا فوراً، وتخلّوا عن التدلل الذي لا معنى له، بل فيه ضرر بليغ وإلّا سيكون ضرراً جسيماً لخدمتنا الإيمانيّة.

(٥٤٥) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص 545.
(٥٤٦) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص 55.

ولما كانت العناية الإلهية قد وهبت لنا الكثيرين بدل الضائعين المفارقين لنا فستسعدنا وتمدنا
بإذن الله)) (٥٦).

إذاً فالأستاذ النورسي لم يكن يعطي أي مجال لحدوث أي تنافر أو شقاق أو جفاء بين
طلاب النور حيث كان يعالجه بأقصى سرعة، وقد وُفق في ذلك كل التوفيق حيث استطاع المحافظة
على الصفاء والنقاء والأخوة بين طلاب النور ولم تجد محاولات ومكائد أعدائه للنيل من وحدة
ومتانة الصف الداخلي الذي كان يتمتع به طلاب النور.

هذا وقد اعتمدت حركة النور على مجموعة من القواعد التي من شأنها أن تساعد على
الحفاظ على التساند والتماسك داخل الجماعة ومن تلك القواعد:

١ - الامتناع عن أخذ الأوامر والتوجيهات من أية جهة كانت من خارج دائرة حركة
النور، وقد نصّ الأستاذ النورسي على ذلك بقوله: ((إن طلاب النور لا يتحرون عن نور خارج دائرة
رسائل النور، وما ينبغي لهم)) (٥٧).

2- لا يجوز لطالب النور أن يتخذ له مرشداً خارج إطار جماعة النور، يقول الأستاذ
النورسي في ذلك: ((إن ما في دائرة رسائل النور من مشرب الخلة والأخوة... هذا المشرب لا يدع
حاجة إلى البحث عن المرشد الوالد في الخارج، بل يوجد له بدلاً من الوالد المرشد الواحد إخواناً
كباراً كثيرين)) (٥٨).

3- لا يجوز لطالب النور أن يتخذ له شيخاً خارج دائرة النور، يقول الأستاذ النورسي في
ذلك: ((من لم يكن له شيخ بعد الدخول في الدائرة ليس له أن يتخذ شيخاً إلا ضمن
الدائرة)) (٥٩).

4- لا يجوز لطالب النور الانتماء إلى الطرق الصوفية، حيث يقول الأستاذ النورسي في
ذلك: ((إن ما في درس رسائل النور للحقائق من علم الحقيقة الذي يمنح فيض الولاية الكبرى
النابعة من سرّ الوراثة النبوية لا يدع حاجة إلى الانتماء إلى الطرق الصوفية)) (٦٠).

5- التحلي بروح المسامحة والتجاوز عن تقصيرات بعضهم البعض، يقول الأستاذ النورسي
في ذلك: ((اعلموا يا اخوتي أن أهم أساس لقوتنا ونقطة استنادنا هي التساند، وإياكم النظر إلى
تقصيرات بعضهم البعض مما يولده الانفعال في الأعصاب من جراء هذه المصائب)) (٦١).

(٥٦) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص 560.
(٥٧) بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، ص 427.
(٥٨) بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، ص 426.
(٥٩) بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، ص 426.
(٦٠) بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، ص 428.
(٦١) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص 364.

لقد استطاع الأستاذ النورسي في حياته أن يحافظ على التساند والتماسك داخل صفوف حركة النور، إلا أنّ الحركة بعد وفاته قد تشتتت وتفرقت إلى مجاميع ومدارس كلّ حسب اجتهادها وقناعاتها ورؤيتها للأولويات التي ينبغي التركيز عليها والاهتمام بها شأنها في ذلك شأن أغلب الجماعات والحركات الإسلاميّة وغير الإسلاميّة، ولكن مع ذلك يمكننا القول إنّ طلاب النور بعد وفاة الأستاذ النورسي رحمه الله وإن كانوا قد تفرقوا إلى مجاميع ومدارسٍ إلا أنّ روح التعاون والتفاهم ما زال حياً بينهم، لذلك يمكننا القول إنّ اختلافهم هو من قبيل اختلاف التنوع لا اختلاف التضادّ، وأنّ بعضها تكمل البعض الآخر.

وإذا كانت مجاميع طلاب النور متفاهمين ومتعاونين فيما بينهم فهذا لا يعني عدم وجود النقد أيضاً فيما بينهم لأنّ النقد الذاتي من الأمور المهمّة والضروريّة، لذا فإنّ مجاميع طلاب النور لو سلكت إحداها مسلكاً خاطئاً، أو تصرّفت بعكس ما هو مطلوب ومفروض عليها فعندئذٍ تتعرّض للنقد من قبل المجاميع الأخرى بهدف تقويم مسارها وتوجيهها نحو المسار الصحيح.

ثالثاً: البعد عن النقد والجدل العقيم:

النقد نقدان، فهناك نقد يقصد منه البناء وهذا النوع لم يمنع الأستاذ النورسي طلابه منه، أما النقد الهدام حيث يكون النقد لأجل النقد فهو الذي نهى الأستاذ طلاب النور منه لأنّه كان يدرك مدى خطورته على الجماعة، لأنّ هذا النوع من النقد يكون نابعاً من الكره والحقد تجاه الشخص المنتقد لذا تراه يؤدي إلى الهدم والفساد وبث روح الفرقة والكراهية بين أفراد الجماعة، وكذلك يحقّق أغراض الأطراف المعادية الذين يحاولون بذور الشقاق والاختلاف والعداء فيما بين أفراد الجماعة، هذا وقد أشار الأستاذ النورسي إلى واحدة منها بقوله: ((هناك إشعار رسميّ موضوع بخطّة رهيبة لإحداث جفوة بين أركان طلاب النور، ولما كنتم مستعدين للتضحية بحياتكم لأجل الآخرين وبمقتضى وفائكم الخالص وترايطكم الوثيق برسائل النور فلا شكّ بل ويحتّم عليكم أن تضحّوا بمشاعركم الجزئية العابرة التي لا أهمية لها في سبيل الآخرين إذ بخلاف ذلك ستلحق بنا بلا شكّ أضرار جسيمة كما أن هناك احتمال الافتراق عن دائرة النور))^(٥٥).

وقال مرّة لبعض طلابه: ((حذار حذار... لا تفسحوا المجال لانتقاد بعضكم البعض الآخر فيستغلّ أهل الضلالة اختلاف مشاربكم وعروقكم الضعيفة وحاجاتكم المعاشية))^(٥٦).

(٥٥) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص 552.
(٥٦) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص 212.

إذا كان للنقد الهدام ضرره الكبير على الجماعة وسير عملها فلا شك أنّ للنقد البناء فوائد كبرى للجماعة، فالنقد للفكرة جزء من الفكرة، والنقد للمشروع جزء من المشروع، بل جزء مهمّ منه، لذلك لا بدّ من قبول النقد الهادف البناء داخل الجماعة للحفاظ على مسارها الصحيح وتجنّبها من المزالق والانحرافات.

هذا وقد كان الأستاذ النورسي يحثّ طلاب النور على أن يوجّهوا نقدهم إلى خارج صفوف النور بدلاً من توجيهه لبعضهم البعض فقال لهم مرّة: ((حذار حذار من فتح باب النقد فيما بينكم، إنّ ما يستحق النقد خارج الصّف كثير بل كثير جداً.. فعليكم النظر إلى مزايا إخوانكم على هذا النمط، فليكن كل منكم ناشراً لفضائل الآخرين)) (iii).

وهكذا بهذا الأسلوب تمكّن الأستاذ النورسي من توظيف الطاقات النقدية لدى طلبة النور لنقد الأمور والعادات السلبية داخل المجتمع بدلاً من أن يوجّه كلّ منهم نقده لصاحبه فيؤدّي إلى تحقيق أغراض الأعداء التي أشار إليها الأستاذ النورسي قبل قليل.

رابعاً: أسلوب الاستشارة:

لقد عمل الأستاذ النورسي على إصلاح وتربية طلابه بشقّي الأساليب والوسائل المحدية والنافعة، وأسلوب الاستشارة هو واحد من الأساليب الناجحة التي استفاد منها الأستاذ النورسي في تربية طلابه، فبالإضافة إلى ما تحقّقه الاستشارة من إغناء للموضوع بالآراء المتعددة والاطلاع على الجوانب المختلفة للموضوع، يحقّق الاستشارة فوائد وإيجابيات أخرى منها شعور الشخص المستشار بأهميّة دوره ومكانته داخل صفوف الجماعة، وأنّه أيضاً له اعتباره في اتخاذ القرار، وبالتالي استسلامه له لأنه كان مشاركاً في صنعه وأن رأيه قد شكّل جزءاً من ذلك القرار، هذا ولنا في رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أسوة حسنة في هذا الصدد حيث كان دائم الاستشارة للصحابة رضوان الله عليهم مما أدى إلى التفاهم حوله وارتباطهم به ارتباطاً وثيقاً.

إنّ للشورى أهميّة كبيرة في الإسلام لذلك غدّ عنصراً من العناصر الرئيسة التي يقوم عليها الحكم الإسلامي والدولة لإسلامية، وإذا كنّا متفقين على أهميّة الالتزام بالشورى في الحكم فهذا لا يعني إهماله في الجوانب الأخرى، فالشورى أمر ضروري في جميع مجالات الحياة لأخرى بدءاً بالأسرة الصغيرة ومروراً بالدوائر الرسمية في الدولة ومقرّات العمل في الشركات، وانتهاءً بتسييس وإدارة شؤون

الدولة ، لذلك فقد أشار القرآن الكريم في سورة البقرة إلى ضرورة التشاور بين الزوجين في كيفية إدارة شؤون الأسرة فقال: {والوالداتُ يُرْضِعْنَ أولادَهُنَّ حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلفُ نفس إلا وُسْعَهَا ولا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا ولا مَوْلودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وعلى الوارثِ مِثْلَ ذَلِكَ فإن أرادَا فصلاً عَنْ تَرَضٍ مِنْهَا وَتَشَاوَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وإن أردتم أن تُسْتَرْضِعُوا أولادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (١١١) ، وورد في القرآن الكريم الإشارة إلى وجود الاستشارة بين الملوك والحكام السابقين، منها استشارة ملكة سبأ لأرباب الرأي والمشورة في قومها حيث قالت: {يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون } (١١٢) ، وكذلك أشار إلى وجودها حتى عند فرعون وملأه: {قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون قالوا أزرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكُلِّ ساحر عليم } (١١٣) .

فإذا كانت الاستشارة موجودة عند فرعون والملوك والحكام الآخرين، وإذا كانت الاستشارة واجبة في أمور الأسرة والمسائل الاجتماعية فوجوبها في الحكم الإسلامي يكون بطريق الأولى، لذلك أوجب الله سبحانه على أولياء أمور المسلمين أن يستشيروا أهل الحل والعقد عند اتخاذ القرارات وتسيير أمور المسلمين فقال: {فبما رحمة من الله لنت لهم } (١١٤) ، وبين في آية أخرى أن الاستشارة صفة من صفات المؤمنين فقال: {والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون } (١١٥) ، يقول الدكتور أحمد شوقي الفنجري بعدما ساق آيتي الشورى السابقتين: ((ومن هذه الآيات نلاحظ الآتي:

١ - إن الإسلام هو الدين السماوي الوحيد الذي جاء الأمر بالشورى كواحد من تعاليمه ومبادئه.

٢ - إن الشورى في الإسلام جاءت مرتبطة بالعبادة وقرنت بالصلاة فقال تعالى: {وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم } (١١٦) .

٣ - إن تخصيص سورة في القرآن تسمى سورة الشورى هو نوع من التأكيد المقصود من الله تعالى لإظهار أهمية هذا المبدأ وخطره في حياة وكيان الأمة الإسلامية ((١١٧) .

(١١١) البقرة، 233.

(١١٢) النمل، 32.

(١١٣) الأعراف، 109-112.

(١١٤) آل عمران، 159.

(١١٥) الشورى، 38.

(١١٦) الشورى، 38.

(١١٧) الدكتور أحمد شوقي الفنجري، كيف نحكم بالإسلام في دولة عصريّة، القاهرة، الهيئة المصريّة للكتاب، 1990 j 1950.

أما بالنسبة للشورى في السنّة فقد وردت عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم الكثير من الأحاديث والمواقف التي جسّد فيها الشورى في حياته العمليّة وفي إدارته لأُمور الدولة الإسلاميّة، فقد كان يستشير الصحابة في الكثير من الأمور التي لم ينزل عليه فيها وحي من الله تعالى، وكثيراً ما كان يعدل عن رأيه ويعمل برأي أحد الصحابة منها عدوله عن رأيه في النزول في المكان الذي أراد أن يحطّ فيه المسلمون رحالهم يوم بدر لأنّ الصحابيّ الجليل (الحبّاب بن المنذر) أشار عليه بأنّ المكان غير مناسب من الناحية العسكريّة.

ومن أحاديثه صلّى الله عليه وسلّم في موضوع الاستشارة قوله: (إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه) (١١٠)، وقوله: (المستشار مؤتمن) (١١١)، ويقول أبو هريرة: (ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم) (١١٢).

ومّا تقدّم يتبيّن لنا أنّ الشورى كانت ولا تزال ((أصلاً في إدارة الشؤون الجماعيّة، وكان تحري الحقّ أو الموافقة في المصلحة من ألزم الواجبات على صاحب الأمر وقد درج على ذلك أصحاب الرسول بعده، فكان أبو بكر يستشير الصحابة فيما يعرض له من شؤون الجماعة وكان يأخذ برأي غيره متى بدت آيات الحقّ فيه، وكان عمر يجمع كبار الصحابة في عهده وكان يمنعهم من الخروج من المدينة لمكان حاجته إلى استشارتهم)) (١١٣).

لقد خاطب الأستاذ النورسي طلابه يوماً قائلاً لهم:

((أنتم يا اخوتي طلابي من جهة، وزملائي في الدرس من جهة أخرى، ومساعدتي وأصحاب الشورى من جهة أخرى.

اخوتي الأعزّاء:

إنّ أستاذكم ليس معصوماً من الخطأ بل من الخطأ الاعتقاد أنّه لا يخطئ... اعلموا يا اخوتي أنني أسرّ إن نهتموني بكل صراحة لأي خطأ ترونه عندي، بل أقول ليرض الله عنكم إذا قلتموه لي بشدّة إذ لا ينظر إلى أمور أخرى بجانب الحق)) (١١٤).

إنّ الأستاذ النورسي بتوجيهه هذا قد فتح المجال أمام طلاب النور لكي يبدوا آراءهم حول المسائل المستحدّة وكيفية مواجهتها والتعاطي معها، وقد كان يؤكّد لهم دوماً مادام أنّه أيضاً بشر مثلهم فهو أيضاً معرض للأخطاء لأنّه ليس معصوماً، ولعلّ تركيز الأستاذ النورسي على نفي

(١١٠) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه، في كتاب الأدب، باب المستشار مؤتمن.
(١١١) رواه الإمام أبو داود، في سننه، كتاب الأدب، باب المشورة.
(١١٢) رواه الإمام الترمذي في سننه، في كتاب الجهاد باب ما جاء في المشورة.
(١١٣) الإسلام عقيدة وشريعة، الإمام الأكبر محمود شلتوت، بيروت-لبنان، دار الشروق، د. 4400 ÷.
(١١٤) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتيّة، ص 249.

العصمة عن نفسه، وإمكان وقوعه في الأخطاء لعل ذلك يكون نابغاً من تخوّفاته أن يظنّ بعض طلابّ النور أو بعض محبّيه _ سواء في حياته أو بعد وفاته _ بأنّه لا يمكن أن يصدر منه أي خطأ وأنّه معصوم من ذلك كما فعل كثير من الجهلة مع بعض الأولياء والعلماء والصالحين.

والأستاذ النورسي رغم أنه كان له رأيه الخاص تجاه ما يستجدّ من أمور إلا أنه كان يترك اتخاذ القرار النهائي للجماعة، فعلى سبيل المثال عندما عرضت عليه السلطات المحليّة مبلغاً بقدر اثنان ونصف "بانكنوت" (İİD) لمعيشته اليوميّة مع منزل مؤثث لم يعطهم رأيه النهائي وإنما استشار طلابّه بقوله:

((إنّ دستور حياتي الذي نفّذته طوال ستين سنة يقتضي رفض هذا... وقد طرق سمعي أنني إذا رفضت الأمر فسوف يستاء إذن أولئك الذين يسعون لصالحنا ولاسيما لإعاشتي، بينما المعارضون يقولون: إنّ معيشة هذا الشخص إذا ترد من مكان آخر... وهناك جهة أخرى وهي أنّ الإخلاص الحقيقي الصافي الذي تتمتع به رسائل النور سيّتهمني بعدم الإخلاص ولأجل هذا الأمر... أحيل الموضوع إلى مشاورتكم)) (İİÑ).

وبهذا يكون الأستاذ النورسي قد ربّى طلابّه على ضرورة استشارة كل أخٍ اخوته قبل أن يتخذ قراره النهائي سيّما إذا كان الأمر متعلّقاً بالجماعة ويؤثّر على سير العمل سلباً أو إيجاباً، كما أنه بذلك نبّههم إلى أمر هام وهو: إذا كان هذا هو شأن الأستاذ مع طلابّه وعدم اتخاذه لقراراته إلاّ بعد استشارتهم فإذا كان الأمر هكذا فيجب عليهم بطريق الأولى أن لا يقدموا على أي أمر إلاّ بعد استشارة أستاذهم أو غيره من أركان طلابّ النور.

خامساً: تشجيع الطلاب المتميّزين والثناء عليهم:

رغم كون قيام الأستاذ النورسي بمعاملة طلابّه كوسيلة من وسائله التربويّة إلا أنه كان يقرنه بأسلوب آخر وهو التشجيع وإطلاق عبارات الثناء على الطلاب المتميّزين الذين كانوا يؤدّون الخدمات الجليلة لحركة النور، فالإقتصار على العتاب والنقد فقط يجعل الشخص المقابل يستاء ويتذمّر، لذلك لا بدّ من اللجوء إلى أسلوب التشجيع والمدح والثناء، وتوجيه كلمات الشكر أيضاً، وهو ما فعله الأستاذ النورسي حيث كان كثيراً ما يوجّه كلمات الشكر والثناء لبعض طلابّ النور في

(İİD) كان اسماً للعملة التركيّة ولا يزال متداولاً في بعض المناطق التركيّة، وبنكينوت (bankinot) تعني النقود الورقيّة، أنظر:

إبراهيم الداوقي وآخرون، المعجم التركي العربي، بغداد، شركة التاميس للطباعة والنشر، 1981 jã173Ö.

(İİÑ) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص237.

الكثير من المناسبات ومن ذلك على سبيل المثال: كلمة الشكر التي وجهها إلى طلابه الذين اجتازوا الامتحان في سجن "أسكي شهر" æ "دنزلي" والتي جاء فيها:

((اخوتي الأعزاء الصديقين:))

إنّ الذين اجتازوا الامتحان الشديد في هاتين المدرستين اليوسفيّتي (îîò) القديمة والجديدة ولم يتزعزعوا، ولم يدعوا درسهم الإيماني، ولم يتخلّوا عن صفة الطالب مهما كانت الظروف، ولم تنل من معنوياتهم هذه الكثرة الهائلة من الهجمات... إنّ هؤلاء يرحّب بهم الملائكة والروحانيون، كما سيرحّب بهم أهل الحقيقة والجيل المقبل، فأنا مقتنع بهذا، ولكن الضيق المادّي شديد لوجود المرضى والفقراء والمساكين فيما بينكم، فتجاه هذا الأمر ليكن كلّ منكم مسلّياً لكلّ من أولئك، وقدوة حسنة في الصبر والأخلاق، وأخاً شقيقاً عليه في التساند واللطف، ومخاطباً ذكياً ومجيباً عن أسئلته أثناء الدرس الإيماني، ومرآة صافية لانعكاس السجايا الفاضلة وعندئذٍ تجدون المضايقات قد وّلت واضمحلتّ السأم وتلاشى الضجر، نعم هكذا أتصور الأمر وأتسلّى به يا اخوتي يا من أحبهم أكثر (من روعي) (îîò).

إنّ التشجيع الذي يتلقاه المرء جرّاء قيامه بعمل إيجابي هو واحد من الحوافز المهمّة التي تدفعه نحو الاندفاع والاستمرار على ذلك العمل سيّما إذا كان ذلك التشجيع صادراً من شخص ذو مكانة رفيعة ومرموقة، والتشجيع فنّ ربّما لا يجيده كل إنسان لأنّ للتشجيع أساليب عديدة، وكل صنف من الناس يجب أن يستخدم معه الأسلوب المناسب في التشجيع، وإذا تأملنا في العبارات التشجيعيّة التي خاطب بها الأستاذ النورسي طلابّ النور لتبيّن لنا كم كان الأستاذ النورسي رحمه الله دقيقاً وحكيماً في استخدامه للعبارات التشجيعيّة، فوصفه لسجن "أسكي شهر" æ "دنزلي" بالمدرستين اليوسفيّتين فيه إشارة إلى تشبيه طلابّ النور الذين نجحوا في كلا الامتحانين وبين سيّدنا يوسف عليه السلام الذي نجح في مدرسة السجن، فكما أنّه _أي يوسف عليه السلام_ لم يصدر منه وهو في السجن أيّ موقف من مواقف الضعف، فإنّ طلابّ النور أيضاً واجهوا أيّام السجن بمواقف صلبة وقويّة كقوّة الإيمان الذي كانوا يحملونه في قلوبهم، ووجه الشبه الآخر بين يوسف عليه السلام وطلابّ النور هو أنّ كلا من يوسف وطلابّ النور قد حوّلوا السجن إلى مدرسة لتعليم المساجين الآخرين أمور دينهم ولم ينقطعوا عن الدعوة إلى الله تعالى وإرشاد النّاس حتّى وهم في السجن.

أما بالنسبة لكيفية مواجهة الضيق المادّي وانتشار الفقر والمرض بين طلاب النور في السجن الذي كانوا فيه فقد شجّعهم الأستاذ النورسي على الصبر والتحمّل، وأن يساند بعضهم بعضاً، وأرشدهم إلى ملاء ذلك الفراغ بالشفقة والروح الأخويّة، وأنهم إن فعلوا ذلك فسوف تتلاشى تلك الصعاب والمشقّات وتخفّف عن كاهلهم.

وفي نهاية خطابه أكّد لهم على أنّه يحبّهم حبّاً شديداً إلى درجة أنّه يحبّهم أكثر من روحه، فروح الإنسان هي أغلى عنده من كلّ شيء، فإذا أحبّ شخصاً ما أكثر من روحه فإنّ ذلك الحبّ يكون في منتهى درجات المحبّة.

ثالثاً: النورسي وإصلاح الآخرين:

لقد رفع الأستاذ النورسي شعار الإصلاح منذ الأيام الأولى من حياته الدعويّة، وكان حريصاً كل الحرص على إصلاح الآخرين دون أيّة تفرقة بين هذا وذاك، وكان يقول لطلابه دوماً: ((نجد أنفسنا ملزمين بالخدمات الإيمانيّة دونما تمييز بين عدوّ وصديق، ومن غير تحيّر لأية جهة كانت)) (١١٥).

لقد كان الأستاذ النورسي يبيّن لطلابه أنّ كلّ إنسان مهما بلغ من قساوة القلب وارتكابه للذنوب والآثام وابتعاده عن الله سبحانه وتعالى فإنّه قابل للإصلاح والتغيير، وبذلك كان يرفع من معنوياتهم، ويشدّ عزائمهم، ويدفعهم إلى بذل المزيد من الجهود في سبيل إصلاح الآخرين، هذا وقد ضرب الأستاذ النورسي لهم مثلاً توضيحياً بيّن لهم فيه كيف أنّ الإنسان _ أي إنسان _ قابل للإصلاح فقال: ((أخي ليس هناك إنسان لا يفتح الله قلبه للإسلام، فعلى الذين يعملون في خدمة الإسلام أن يكونوا ناهمين واعين إذ الإنسان يشبه قصرًا ذا مائة باب، ولا بدّ أن هناك باباً يدخل منه إلى ذلك القصر ثمّ تفتح الأبواب كلّها، بيد أن منافقي آسيا وناطقة أوروبا منذ ألف سنة يعملون بالمكر والدسائس حتّى أعموا عيون أبناء هذا الوطن وحجروا على عقولهم فصدّوا تسعة وتسعين باباً أمام الإسلام إلّا باب الفطرة فهو مفتوح دائماً)) (١١٥).

(١١٥) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص466.

(١١٥) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتيّة، ص539.

وبناء على ما تقدّم كان الأستاذ النورسي وطلّابه لا يدعون فرصة تفوت من أيديهم حيث كانوا يحاولون إصلاح الآخرين بشقّي الوسائل (iiö)، وكان أحدهم يلقي كلمته ولا يبالي سواء قبل الشخص المقابل كلامه أو رفضه، والجدير بالذكر أن الأستاذ النورسي وطلّابه لم يتخلّوا عن مهمّة إصلاح الآخرين حتّى في أحلك الظروف، فعلى سبيل المثال حوّل الأستاذ النورسي وطلّابه السجون إلى مدارس إصلاحية حيث استطاعوا أن يصلحوا فيها أعتى أنواع المجرمين والعصاة، وبدخول مجموعة من طلابّ النور سجنًا ما كان ذلك السجن يتحوّل إلى مسجد ومدرسة نورية تلقى فيها العشرات من الدروس الإيمانية والإصلاحية وفي ذلك يقول الأستاذ النورسي: ((ما دام دخول السجن هو لأجل التربية فإن كانوا يحبّون الأمة حقًا فليسمحوا بلقاء المسجونين مع طلابّ النور كي يحصلوا في شهر واحد بل في يوم واحد على التربية المرجوة حصولها في أكثر من سنة، وليصبح أولئك المسجونون أفراداً نافعين للبلاد والعباد وينقذوا مستقبلهم وآخرتهم)) (iii).

النورسي وإصلاح الأسرة:

الأسرة هي النواة الأولى للمجتمع، أو هو المجتمع بصورته المصغّرة، لذلك ركّز أعداء الإسلام هجومهم عليها وحاولوا هدم أركانها وفكّ رباطها الوثيق لكي يسهل عليهم التغيير بأفرادها واحداً واحداً وجرّهم نحو الفساد جرّاً، فالأسرة هي بمثابة الحصن الحصين للفرد حيث يحمي بداخله من الضياع والانحلال فإذا ما تقدّم ذلك الحصن أصبح الفرد عرضة للهجمات الشرسة التي يشنّها أعداء العمّة والطهر والنقاء للنيل منها وجعل أفراد الأسرة سلعةً رخيصةً يتاجرون بها بأبخس الأثمان. وبعدها تمكّنت ما تسمّى بالحضارة الغربية الماديّة من كسر طوق الأسرة في أوروبا ونبذ فكرة الأسرة من أذهان الناس هناك حاولت تطبيق التجربة ذاتها في العالم الإسلامي، إلّا أن علماء الإسلام ومفكره ودعاته المصلحين تصدّوا لتلك الأفكار البالية الرخيصة بالمرصاد، وكان الأستاذ النورسي واحداً من أبرز الدعاة والمصلحين الذين وقفوا بوجه تلك الحملات الشنيعة للنيل من صرح الأسرة.

(iiö) كانت رسائل النور على قسمين: قسم منها كانت تحتوي على بعض المسائل والتوجيهات الخاصّة بطلّابّ النور _سيّما المقربين من الأستاذ النورسي_ فمثل تلك الرسائل لم يكن نشرها أمراً مسموحاً به، أما القسم الثاني فكانت تحتوي على نصائح وتوجيهات عامّة لذا كانت تستنسخ وتنتشر بين الناس، وهذا القسم كان مسموحاً لكلّ إنسان أن يطلع عليه ويقراه.

(iii) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، 349.

لقد عرّف الأستاذ النورسي الحياة الأسرية تعريفاً لطيفاً بقوله: ((إنّ الحياة الأسرية هي قلعة الإنسان الحصينة ولا سيّما المسلم، فهي كجنته المصعّرة وديناه الصغيرة)) (iii).

ولقد تحدّث الأستاذ النورسي عن الحياة الزوجية والعلاقة بين الزوجين من أنّها لا بدّ أن تكون مبنية على التعاون على الخير والتناصح فيما بينهما، كما حدّر من مغبّة إعانة واحد من الزوجين للآخر على ارتكاب الذنوب والمعاصي فقال: ((إنّ السعيد هو ذلك الزوج الذي يقلّد زوجته الصالحة فيكون صالحاً مثلها لئلاّ يفقد رفيقته في حياة أبدية خالدة.

وكم هي سعيدة تلك الزوجة التي ترى زوجها متديناً فتمسّك بأهداب الدين لئلاّ تفقد رفيقها الأبدي فتفوز بسعادة آخرتها ضمن سعادة دنياها.

وكم هو شقيّ ذلك الزوج الذي يتبع زوجته التي ارتمت في أحضان السفاهة فيشاركها ولا يسعى لإنقاذها.

وما أشقاها تلك الزوجة التي تنظر إلى فجور زوجها وفسقه وتقلّده بصورة أخرى.

والويل ثمّ الويل لدينك الزوجين اللذين يعين كلّ منهما الآخر في دفعه إلى النار، أي يغري كل منهما الآخر للانغماس في زخارف المدنيّة (iii) ((ii)).

ولقد اهتمّ الأستاذ النورسي بتقوية أركان الأسرة وجعلها محضناً تربوياً يتربّى فيها الأولاد تربية إسلامية رصينة لئلاّ يتأثروا بالعادات والأفكار الهدّامة التي يحاول أعداء الإسلام نشرها بين أولاد المسلمين، يقول الأستاذ النورسي ناصحاً طلابه:

((اجعلوا بيوتكم مدرسة نورية مصعّرة، وموضع تلقّي العلم والعرفان، كي يتربّى الأولاد الذين هم ثمار تطبيق هذه السنّة على الإيمان فيكونون لكم شفعاء يوم القيامة، وأبناء بررة في هذه الدنيا، وعندها تتقرّر هذه السنّة الشريفة فيكم حقّاً، وبخلافه لو تربّى الأولاد تربية أوروبية وحدها كما حدث خلال ثلاثين سنة خلت فإنّ أولئك الأولاد يكونون غير نافعين لكم في الدنيا من جهة

(iii) بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص310.

(ii) يقصد الأستاذ النورسي بالمدنيّة هنا المدنيّة الزائفة التي تخالف شرائع الإسلام وتتناقض معها، فالأستاذ النورسي يقسم المدنيّة إلى قسمين: المدنيّة الحقّة وهي التي وصفها الأستاذ النورسي بقوله: ((إنّ نقطة استنادها الحق بدلاً من القوّة، والحق من شأنه العدالة والتوازن، وهدفها الفضيلة بدلاً من المنفعة، والفضيلة من شأنها المودّة والتجاذب... ودستورها في الحياة التعاون بدلاً من الجدل والصراع، والتعاون من شأنه الاتحاد والتساند، وتضع الهدى بدلاً من الهوى، والهدى من شأنه رفع الإنسان إلى مراقي الكمالات)).

بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص607.

أما ما سوى هذه فهي المدنيّة الزائفة وهي التي يسمّيها الأستاذ النورسي المدنيّة بدون الميم أي الدنيّة لأنها تدني من كرامة الإنسان بدلاً من رفعها وإعلاء شأنها.

(ii) بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص311.

ومدّعين عليكم يوم القيامة إذ يقولون لكم: "لِمَ لَمْ تَنقُذُوا إِيمَانَنَا؟" فتندمون وتخزنون من قولهم هذا يوم لا ينفع الندم، وما هذا إلا مخالفة لحكمة السنّة النبويّة الشريفة^(iiN).

ولقد ركّز الأستاذ النورسي في حديثه عن الأسرة على أهم ركن من أركانها ألا وهو الأم حيث بيّن أهميتها ودورها الفعّال في تربية وتنشئة الأولاد، كما حدّره من الإهمال في حقّ الأولاد والتقصير في تربيتهم، وشدّد على ضرورة تربيتهم على الخلق الحسن والصفات الحميدة وحياة الطهر والعفة والنقاء الروحي، يقول الأستاذ النورسي: ((نعم إنّ أول أستاذ الإنسان وأكثر من يؤثّر فيه تعليمياً إنما هو والدته، سأبين بهذه المناسبة هذا المعنى الذي أتحمسه دائماً إحساساً قاطعاً في شخصي وهو:

أقسم بالله أن أرسخ درس أخذته وكأنه يتجدد عليّ إنما هو تلقينات والدتي رحمها الله ودروسها المعنويّة، حتّى استقرت في أعماق فطرتي وأصبحت كالبدور في جسدي في غضون عمري الذي يناهز الثمانين رغم أنني قد أخذت دروساً من ثمانين ألف شخص بل أرى يقيناً أن سائر الدروس إنما تبني على تلك البدور.

بمعنى أنني أشاهد درس والدتي رحمها الله وتلقيناتها لفطرتي وروحي وأنا في السنة الأولى من عمري بذور أساس ضمن الحقائق العظيمة التي أراها الآن وأنا في الثمانين من عمري^(iiO).

لا شكّ في أنّ الدور الأول والأساسي في تربية وتنشئة الطفل يقع على عاتق الأم، لذلك لا بدّ من الاهتمام بها اهتماماً كبيراً، والعمل على إعدادها إعداداً جيّداً لكي تتمكّن من تربية أطفالها تربية سليمة، فالأمّ إذا صلحت صلح المجتمع بأسره، وإذا فسدت فسدت المجتمع كلّ، وصدق الشاعر إذ يقول:

الأم مدرسة إن أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

هنالك ثلاث جوانب ينبغي التركيز عليها في إعداد الأم المريّة، وهي الجانب العلمي، والجانب النفسي، والجانب الاجتماعي.

أولاً: الإعداد العلمي:

^(iiN) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص403.
^(iiO) بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص308.

للعلم في الإسلام مكانة كبيرة وأهمية بالغة، لذلك حثّ الإسلام المسلمين رجالاً ونساءً على السعي في طلب العلم، ولم يفرّق بين العلم الشرعي والعلوم الأخرى بل حثّ المسلمين على تعلّم كافة العلوم والمعارف لأنّ الإنسان لا يستغني عنها، بل هو بحاجة إليها لتسيير شؤونه الدنيوية، ومتطلّباته الحياتية، وإذا ما تأملنا في نصوص القرآن والسنة التي تأمرنا بالتعلّم وتعليمه لتبيّن لنا أنّ تلك النصوص لم تفرّق بين الرجال والنساء، بل هي أوامر وتوجيهات عامّة تشمل الذكور والإناث، ومن تلك الآيات قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} (iiO) وقوله: {يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} (iiO)، وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنّة) (iiO).

لذلك يجب على المرأة أن تتعلّم من العلوم ما يساعدها على تربية أطفالها تربية رصينة، فعليها أن تتعلّم قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة ترتيلاً وتجويداً وضبطاً، وعليها أن تقرأ على أقلّ تقدير كتاباً في التفسير، بالإضافة إلى قراءة مجموعة من أحاديث الرسول صلّى الله عليه وسلّم ومن شتى الأبواب والموضوعات سيّما الترغيب والترهيب، والحلال والحرام، كما يجب عليها أن تتعلّم أصول العقيدة الإسلامية الصحيحة، وعليها أيضاً أن تتعلّم المسائل المهمّة من الفقه الإسلامي كالطهارة والصلاة والصوم وما إلى ذلك، كما يجب عليها أن تدرس السيرة النبوية ففيها الكثير من الدروس والعبر التي تستفيد منها في تربية أطفالها، وعليها أن تتعلّم أصول الأخلاق الإسلامية وتقرأ عنها كثيراً لكي تميّز بين الأخلاق الحميدة التي أمرنا الإسلام بها وبين الأخلاق الفاسدة التي نهانا عنها، وبالإضافة إلى ذلك كلّ من الضروري لها أن تتسلّح بالثقافة العامّة والثقافة الإسلامية بوجه خاصّ لأنّ ذلك سيساعدها على تربية أطفالها وتوجيههم الوجهة الصحيحة.

ثانياً: الإعداد النفسي:

إنّ الإعداد النفسي هو أمر ضروري جدّاً للإنسان رجلاً كان أو امرأة قبل القيام بأية مهمّة لأنّ الإنسان إذا لم يكن مستعدّاً نفسياً للقيام بالمهمّة الملقاة على عاتقه لا يمكنه القيام بها، وإذا قام بها فإنّه لا يحقّق النتائج المرجوة من وراء تلك المهمّة.

(iiO) الرحمن، 4-1.
(iiO) المجادلة، 11.
(iiO) رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، ج5؛ 1960.

لذلك يجب إعداد المرأة إعداداً نفسياً لكي تكون مهياًة لتحمل أعباء التربية والتنشئة الصحيحة لأطفالها، ولا بد لها من التحلي بالصبر والتحمل في ذلك لأن مهمة التربية مهمة شاقّة وحساسة، وهي أمانة كبيرة في عنق الأم أكثر منها في عنق الأب ذلك لأنّ الطفل يكون مرتبطاً بأمّه منذ ولادته إلى مرحلة التمييز وربما بعد تلك المرحلة أيضاً، لذلك ترى الطفل متأثراً بوالدته سلباً وإيجاباً.

وهناك دواعٍ أخرى للتأكيد على إعداد المرأة المسلمة إعداداً نفسياً، فهناك أمور خاصّة بالنساء ((من حيث اختصاصهنّ بالحمل والولادة والحيض والنفاس مما يجعلهنّ يتركن الصلاة لمُدّة الحيض والنفاس، ويؤخّرن الصوم والطواف بالبيت في هذه المدّة، كما أنّهنّ يتعرّضن لعدّة الطلاق أو الوفاة، كما يتعرّضن لفرض الحجاب، وكلّ هذه الأحوال مما يزيد من تحمّل مسؤوليّة خاصّة في تبليغ ما يتعلّق بالأحكام الشرعيّة لمثل هذه الأحوال حيث أنّهنّ قد يكتنّ أقدر من الرجال على تبليغها وبيانها لبنات جنسهنّ، ومن هذه الحيثيّة فلا بدّ من التهيؤ النفسي لهذه الظروف)) (iiö).

هذا وقد كان الأستاذ النورسي كثيراً ما يتفقّد الأحوال الأسرية لطلاب النور، ويسألهم عن حياتهم الأسريّة إن كانت تسير بشكل طبيعي ومرضي أم لا، وإذا ما علم أنّ واحداً من طلبة النور لديه مشكلة أسريّة فإنّه كان يعمل كل ما في وسعه لكي يحلّ تلك المشكلة بالطرق الملائمة.

ثالثاً: الإعداد الاجتماعي:

إنّ إعداد المرأة إعداداً اجتماعياً لا يقلّ أهميته عن إعدادها إعداداً علمياً ونفسياً إن لم يكن أكثر منهما أهميّة، فالإنسان كما يقولون اجتماعي بالطبع ولا يمكنه الاستغناء عن الآخرين فهو شريك لهم في حياتهم اليوميّة، يتأثّر بهم ويؤثّر فيهم على حدّ سواء ((ومن هنا تظهر أهمية الإعداد الاجتماعي للمرأة المسلمة الداعية، حيث أنّ المطلوب منها بعد أن تتأثّر بقيم دينها وتعاليمه من خلال مجتمعتها أن تعطي لهذا المجتمع ثمرة جهودها وتحصيلها، سواء كانت أمّاً أو معلّمة أو مربيّة أو في أي مجال من مجالات حياتها بوجه عام أو كانت داعية بوجه خاص)) (iðá).

إنّ دور الأم في تنشئة أولادها لا يقتصر على مرحلة الطفولة فحسب، بل يجب عليها أن تستمرّ في ذلك في كافّة مراحل عمر الطفل، هذا ويعرّف الدكتور حامد زهران التنشئة الاجتماعيّة ((بأنها عمليّة تعلّم وتعليم وتربية، وتقوم على التفاعل الاجتماعي، وتهدف إلى إكساب الفرد

(iiö) الدكتور أحمد بن محمد أبا بطين، المرأة المسلمة المعاصرة إعدادها ومسؤوليتها في الدّعوة، ط 1، الرياض، دار عالم الكتب، 1411هـ/1991jã.197ö.
(iðá) الدكتور أحمد بن محمد أبا بطين، المصدر السابق، ص222.

ـ طفلاً فمراهقاً فراشداً فشيخاً ـ سلوكاً ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعي معها وتكسبه الطابع الاجتماعي، وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية وهي عملية تشكيل السلوك الاجتماعي للفرد وهي عملية إدخال ثقافة المجتمع في بناء الشخصية ((ID)).

إذاً يجب على الأم أن تقوم برعاية أطفالها وتربيتهم منذ صغرهم، وأن تبدأ بتعليمهم التلطف بلفظ الجلالة وكلمة الشهادة، ثم تبدأ بتعليمهم قصار السور القرآنية، وكيفية التوضؤ وبعض الأدعية والأذكار، وإذا تعلموا القراءة والكتابة تبدأ بتعليمهم تلاوة القرآن الكريم ـ سواء قامت هي بتعليمهم بنفسها أو كلفت من يتولى القيام بذلك ـ كما عليها أن تعلمهم بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك بعض الأمور والمسائل الفقهية ومعرفة الحلال والحرام، ولا بد لها من أن تروي لهم بعض الجوانب المهمة من السيرة النبوية وسير الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين وبالتالي استخلاص الدروس والعبر المستفادة من تلك القصص، كما يجب عليها أن تعلمهم أمهات الفضائل والأخلاق الحسنة من صدق وإخلاص ووفاء وحب وتضحية وإيثار وما إلى ذلك، وأن تنهاهم عن الأخلاق السيئة من كذب وخيانة ورياء وبخل وأنانية وما إلى ذلك من الأخلاق السيئة والردائل البغيضة.

الفصل الثاني

النورسي وإصلاح المجتمع

لقد عاش الأستاذ النورسي حياة مليئة بالمعاناة والآلام والصعاب في سبيل إصلاح المجتمع الذي يعيش فيه، وكان يخطط مع طلابه ليل نهار لوضع أفضل الوسائل وأنسب السبل لإصلاح الأوضاع المتردية والمزرية التي يعيشها ذلك المجتمع، ولم يفكر الأستاذ يوماً من الأيام أن يهرب من مجتمعه كما يفعل الكثيرون ممن لا يثقون بأنفسهم وقدراتهم على التصدي للسلوكيات الخاطئة داخل المجتمع، بل ظلّ في مجتمعه ليداوي جراحاته، ويصلح ما تهدّم منه، ويزرع بذور الخير والصالح التي آتت أكلها والأستاذ النورسي لازال على قيد الحياة، ((وكان مع هذه الأمة على الدوام، ولم يدعها وحيدة في تلك الأيام العصيبة لحظة واحدة، وفي كل مكان وطئته قدماه كان يهتف بملء فيه: إن لم تعالج الآن هذه المشاكل المتداخلة بعضها في البعض الآخر، وإن لم تضمّد هذه الجروح بأيّد متخصصّة ماهرة فإن أمراضنا ستزمن وتستعصي على العلاج، لذا لا بدّ من تشخيص كل مشاكلنا العلميّة والاجتماعيّة والإداريّة، وتحليل كل عللنا الماديّة والمعنويّة لوصف العلاج الشافي لها، إذ لا بدّ من إيقاف هذه المشاكل وإنهاء هذه العلل التي تقوّض بنيتنا وتهدّد بقاءنا وتهمّز قواعد وأسس وجودنا))^(١).

لقد تمّ الحديث سابقاً عن ركائز الخطة الإصلاحية عند الأستاذ النورسي، وقد أشّرت فيها إلى واحدة من أهم تلك الركائز ألا وهي الإصلاح بشكل عام، إذ أنّه ما دام الفساد قد عمّ البلاد، وشمل كافة مرافق ومجالات الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والتعليمية، وغيرها من المجالات، لذلك كان يجب على الأستاذ النورسي أن يضع خطة إصلاحية شاملة ومتكاملة تشمل كلّ الجوانب التي تعرّضت للفساد والهدم والانحيار، وفيما يأتي ذكر لأهم تلك المجالات التي كرّس الأستاذ النورسي جهوده لإصلاحها:

أولاً: إصلاح المجتمع:

إن كانت الأسرة هي المنزل الصغير للإنسان فإنّ المجتمع هو بمثابة منزله الكبير الذي لا يستغني عنه هو الآخر، فحياة الإنسان في منزله الصغير _ الأسرة _ مهما كانت هائلة وهادئة ومستقرّة ومبنيّة على أسس سليمة فإنه لا يستغني عن منزله الكبير _ المجتمع _ فالإنسان لا يمكنه مجالاً من الأحوال أن ينغلق على نفسه وأسرته، ويقطع كل الصلة بينه وبين مجتمعه الذي يعيش فيه، فالإنسان ابن بيئته يتأثر بها بغض النظر عن تلك البيئة إن كانت صالحة أم طالحة، لذلك يجب على

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، المقدمة بقلم الأستاذ فتح الله كولن.

دعاة الإصلاح أن يصرفوا جهوداً كبيرة لإصلاح المجتمع ككل لتسود الفضيلة والوثام بين كافة أفرادها، ولتضمحل الرذيلة والشقاق والنفاق والكذب والغش وكافة الأمراض الاجتماعية الأخرى.

لقد سلك الأستاذ النورسي في إصلاح المجتمع مسلك الأطباء في معالجتهم للمرضى، فكما يقوم الطبيب في بداية الأمر بتشخيص المرض فإذا اكتشفه تمكّن من اختيار الوصفة الطبية المناسبة لذلك المرض بكل يسر وسهولة، كذلك قام الأستاذ النورسي في بداية الأمر بتشخيص علة المجتمع فحددها بست علل، وبعد تشخيصها حدّد لكل علة من تلك العلل الدواء المناسب، هذا وقد كان الأستاذ النورسي بارعاً جداً في تشخيصه للعلل وتحديد العلاج الناجع لها، فقد تحدّث عن العلل بصورة موجزة ومختصرة جداً، بينما فضّل الحديث عن العلاج وطرقها ومسالكها شأنه في ذلك شأن الطبيب الماهر الحاذق الذي لا يروّع مريضه بجديته الطويل العريض عن أمراضه وعلله، وإنما يخبره بأنّه يحمل المرض الفلاني والفلاني وحسب، أما عندما يأتي إلى العلاج فيحدّثه عنها بالتفصيل، وأن عليه أن يفعل كذا وكذا، وأن يمتنع عن الطعام الفلاني والفلاني، وعليه استخدام الدواء الفلاني لمدة كذا يوماً وهكذا إلى أن يتيقّن أن مريضه قد علم بما يجب عليه وما يمتنع.

هذا وقد أشار الأستاذ النورسي إلى أخطر تلك العلل في الخطبة الشامية التي ألقاها في الجامع الأموي بدمشق سنة 1911م بقوله:

((لقد تعلّمت الدروس في مدرسة الحياة الاجتماعية البشرية وعلمت في هذا الزمان والمكان أن هناك ستة أمراض جعلتنا نقف على أعتاب القرون الوسطى في الوقت الذي طار فيه الأجنبي _ وخاصة الأوروبيين⁽ⁱ⁾ _ نحو المستقبل.

وتلك الأمراض هي:

أولاً: حياة اليأس الذي يجد فينا أسبابه وبعثه.

ثانياً: موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية.

ثالثاً: حبّ العداوة.

رابعاً: الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

خامساً: سريان الاستبداد سريان الأمراض المعدية المتنوعة.

سادساً: حصر الهمة في المنفعة الشخصية^(E).

(i) كذا ولعلّ الصواب الأوروبيون.

(E) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص491.

بعدهما حدّد الأستاذ النورسي الأمراض الرئيسية التي تعاني منها مجتمعاتنا شرع في تحديد الدواء الناجع لها، وفيما يأتي عرض لتلك العلل مع ذكر الأدوية والحلول التي طرحها الأستاذ النورسي:

أولاً: حياة اليأس:

لا شكّ أن اليأس داء خطير على الإنسان كفرد، فما بالك إذا سرى هذا الداء في المجتمع بأسره، لا شكّ أنه سوف يؤثّر عليه تأثيراً بالغاً حيث يشلّ كافة أعضائه عن الحركة الإيجابية، ويجعله يستسلم لأبسط المشاكل التي تواجهه لأنه غير مقتنع أصلاً بجدوى المحاولة للخلاص من تلك الأوضاع المتردّية، وبالتالي يصبح ذلك المجتمع كالمريض الذي آيس من كافة الأدوية فاستسلم للموت الذي ربّما يزوره في آية لحظة، ((واليأس بعد ذلك هو الواقع الداخلي الذي يجسّد انخزام المسلم أمام قيمه ومثله وتضاوله أمام التيارات واستسلامه الهادئ للرياح، وفقدان الثقة بنفسه وقضيّته، فلم يعد يؤمن أنّ له قضيّة يكافح في سبيلها، وقيماً يعمل لتكريزها، وهنا ينكمش ويتوارى عن الأنظار نتيجة فقدان هذا العنصر الرئيس (الثقة. القوّة) والأنكى من ذلك أنّ التفكير السطحي لا يقف عند هذا الحدّ بل يتعدّاه حتّى يعتبر التفكير في العمل على إعادة الإسلام إلى الحياة تفكيراً خيالياً))^(N).

يقول الأستاذ النورسي عن ضرر اليأس وخطورته على المجتمع: ((هذا اليأس هو الذي قتل فينا الخصال الحميدة، وصرف أنظارنا عن النفع العام وحصرها في المنافع الشخصية... وهذا اليأس هو الذي أمت فينا الروح المعنويّة التي بها استطاع المسلمون أن يسيطروا سلطانهم على مشارق الأرض ومغارها بقوّة ضئيلة، ولكن ما أن ماتت تلك القوّة المعنوية الخارقة باليأس حتّى تمكّن الأجانِب الظلمة _ منذ أربعة قرون_ أن يتحكّموا في ثلاثمائة مليون مسلم ويكبّلوها بالأغلال.

بل قد أصبح الواحد بسبب هذا اليأس يتّخذ من قصور الآخرين وعدم مبالاتهم ذريعة للتملّص من المسؤوليّة، ويخلد إلى الكسل قائلاً "مالي وللناس فكلّ الناس خائرون مثلي فيتخلّى عن الشهامة الإيمانيّة ويترك العمل الجاد للإسلام))^(O).

لقد نهانا الإسلام عن خلق اليأس نهياً شديداً لما له من تأثير كبير على نفسيّة صاحبه، لذلك

(N) نوري طعمة، المشكلة الاجتماعية المعاصرة، ط2، بيروت_لبنان، الدار الإسلاميّة للطباعة والنشر والتوزيع، 1400هـ-1980م

((إذا عرضنا هذه الظاهرة على أحد معايير السلوك السويّ وهو (الإحساس بالجدارة) أمكننا أن ندرك بأنّ اليأس لا يتحسّس بجدارة ذاته وبكفائيتها في ممارسة النشاط إذ ينسج حول ذاته نظرة سلبية غير قابلة على تحطّي الحواجز التي تواجهها في الحياة))^(٩)، لذلك فقد عدّ القرآن الكريم اليأس صفة من صفات الكافرين الخارجين عن أمر الله سبحانه فقد ورد في القرآن الكريم على لسان يعقوب عليه السلام: {وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} ^(١٠) ويقول الله تعالى في آية أخرى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَمْسُوا مِنْ الْآخِرَةِ كَمَا يَمْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ} ^(١١)، لذلك يجب على المسلم أن يكون واثقاً من رحمة الله سبحانه، وعليه أن لا يتباطأ في العمل على هداية الآخرين، وأن لا يتخذ من أخطاء غيره مبرراً للتقاعس عن العمل، بل عليه أن يستمرّ في العطاء والعمل للإسلام، وملاً الفراغ الذي تركه الآخرون إن أمكن، ويجب عليه أن يعلم ويتذكّر دوماً بأنّ الذي عليه هو التبليغ والدعوة وإلقاء البذرة الطيبة، أما الهداية والصالح فهو أمر عائد إلى الله سبحانه {يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} ^(١٢).

ويرى الأستاذ النورسي أنّ غرس الأمل هو خير علاج لداء اليأس حيث قال: ((الأمل \bar{A} \bar{I} شدة الاعتماد على الرحمة الإلهية والثقة بها.

نعم إنّه بناء على ما تعلّمته من دروس الحياة يسرّني أن أزفّ إليكم البشري يا معشر المسلمين بأنه قد أزفّ بزوغ أمارات الفجر الصادق ودنا شروق شمس سعادة عالم الإسلام الدنيويّة وبخاصّة سعادة العثمانيين، ولاسيما سعادة العرب ^(١٣) الذين يتوقّف تقدّم العالم الإسلامي ورقّيه على تيقظهم وانتباههم فإنني أعلن بقوة وجزم بحيث أسمع الدنيا كلها وأنف اليأس والقنوط راغم: إنّ المستقبل سيكون للإسلام، وللإسلام وحده، وإنّ الحكم لن يكون إلّا لحقائق القرآن والإيمان، لذا فعلينا الرضا بالقدر الإلهي وبما قسمه الله لنا؛ إذ لنا مستقبل زاهر، وللأجانب ماضٍ مشوّش مختلط) ^(١٤).

(٩) محمود البستاني، دراسات في علم النفس الإسلامي، ط2، بيروت_لبنان، دار البلاغة، 1411هـ/1991jäl380.

(١٠) يوسف، 87.

(١١) الممتحنة 18.

(١٢) البقرة، 142.

(١٣) رغم التفاؤل الكبير الذي كان الأستاذ النورسي يحمله من أن سعادة العثمانيين والعرب قادمة إلّا أنّ نبوءته هذه لم تتحقق حتّى الآن، فالعثمانيون قد غربت شمسهم، وبقيت أخبارهم في الكتب التاريخية فقط، أما العرب فلا يزالون يزدادون تشتتاً، وضعفاً، وحيرة يوماً بعد يوم، وكل يوم يمرّ عليهم يكون أسوأ من الذي قبله، ومع ذلك فلا يرون أي ضوء في نهاية النفق الذي يسرون فيه فالله المستعان.

(١٤) \bar{I} \bar{I} بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص492.

بعدما بيّن الأستاذ النورسي أنّ اليأس هو واحد من أخطر الأمراض التي أصابت المسلمين شرع في بيان العلاج الناجع لهذا المرض ألا وهو غرس الأمل في نفوس المسلمين، وإذا ما تأملنا في رسائل النور نجد أنّ الأستاذ النورسي كان يحمل أملاً كبيراً في إصلاح المجتمع وشفائه من الأمراض التي أصابته، كما كان يعمل دوماً على غرس ذلك الأمل الذي يحمله في نفوس الناس عموماً، وطلابّ النور خصوصاً، وما بشارته لنا بأنه سيكون لنا مستقبل زاهر إلاّ واحدة من تلك الآمال التي كان يحاول غرسها في نفوس المسلمين.

هذا وقد أشار الأستاذ النورسي إلى بعض المبشّرات التي تؤيّد صدق توقّعاته بأنّه سيكون للمسلمين مستقبل زاهر، ومن تلك المبشّرات قوله: ((إنّ المستقبل الذي لا حكم فيه إلاّ للعقل والعلم سوف يسوده حكم القرآن الذي تستند أحكامه إلى العقل والمنطق والبرهان، وها قد أخذت الحجب التي كانت تكسف شمس الإسلام تنزاح وتنقشع، وأخذت تلك الموانع بالانكماش والانسحاب... لقد حالت ثمانية موانع دون استيلاء حقائق الإسلام على الزمان الماضي استيلاء تاماً وهي:

المانع الأول والثاني والثالث:

جهل الأجانب.

وتأخّرهم عن عصرهم (أي بعدهم عن الحضارة).

وتعصّبهم لدينهم.

فهذه الموانع الثلاثة بدأت تزول بفضل التقدّم العلمي ومحاسن المدنيّة.

المانع الرابع والخامس:

تحكّم القسّيسين وسيطرة الزعماء الروحانيين على أفكار الناس وأذهانهم.

وتقليد الأجانب لأولئك القسّيسين تقليداً أعمى.

فهذان المانعان أيضاً يأخذان بالزوال بعد انتشار حرّيّة الفكر وميل النوع البشري إلى البحث

عن الحقائق.

المانع السادس والسابع:

تفشّي روح الاستبداد فينا.

وانتشار الأخلاق الذميمة النابعة من مخافة الشريعة ومخالفتها.

فإنّ زوال قوّة استبداد الفرد الآن يشير إلى زوال استبداد الجماعة والمنظمات الرهيبة بعد ثلاثين سنة أو أربعين سنة، ثمّ إنّ فوران الحميّة الإسلاميّة والوقوف على النتائج الوخيمة للأخلاق الذميمة كفيلان برفع هذين المانعين بل هما على وشك أن يرفعا، وسيزولان زوالاً تاماً.

المانع الثامن:

□ توهم وجود نوع من التناقض بين مسائل العلم الحديث والمعنى الظاهري لحقائق الإسلام.

إنّ هناك مؤلّفات قيّمة لعلماء الإسلام في هذا المجال، وكلّ الأمارات تدلّ على أنّ هذا المانع

الثامن سيضمحلّ تماماً.

وإذا لم يحدث ذلك الآن فإنّه بعد ثلاثين أو أربعين عاماً سوف يتجهّز العلم والمعرفة الحقيقيّة

ومحاسن المدنيّة بوسائل وأعدّة متكاملة فتتغلّب هذه القوى الثلاث على الموانع الثمانيّة المذكورة... وسوف تقضي عليها قضاء تاماً بعد نصف قرن إن شاء الله⁽ⁱⁱ⁾.

لقد ارتكز الأستاذ النورسي في قناعته بأنّه سيكون للمسلمين مستقبل زاهر على عدّة

مرتكزات منها: ما يحمله الإسلام من خصائص تؤهّله لكي يكون جديراً بالاتباع والاستسلام له،

فهو دين العلم والعقل والبرهان، حيث يعتمد الإسلام على المنهج الإقناعي في أوامره ونواهيه، ومن

المرتكزات الأخرى التي ارتكز عليها الأستاذ النورسي في قناعته تلك انقشاع السحب التي كانت

تحول بين الناس وبين الفهم الصحيح للإسلام.

لذلك فعندما نقول إنّ المستقبل للإسلام لا نقوله من فراغ بل هناك عدّة مبشّرات من السنّة

النبويّة تشير إلى ذلك بوضوح وجلاء منها ما رواه ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله

عليه وسلّم: (إنّ الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإنّ أمّتي سيبلغ ملكها ما زوي لي

منها)^(iE)، وكذلك ورد عنه صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: (ليبلغنّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار

ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلاّ أدخله الله هذا الدين بعزّ عزيز أو بذلّ ذليل عزّاً يعزّ الله به

الإسلام وذلاًّ يذلّ به الكفر)^(iN).

إنّ المتأمل في أحوال العالم _سواء العالم العربي أو الإسلامي وحتّى الغربي أيضاً_ منذ بداية

النصف الثاني من القرن العشرين يرى بوضوح بروز حالة من الوعي الإسلامي، وعودة رشيدة إلى

الإسلام، وهذه الظاهرة هي التي جعلت بعض المفكرين يقولون إنّ القرن الواحد والعشرين سيكون

(iE) بديع الزمان سعيّد النورسي، الملاحق، ص495.

(iN) رواه الإمام أبو داود في سننه، كتاب الفتن، الباب الأوّل.

(iN) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج4؛ 1030.

قرن الإسلام، فقد اتّسم ((النصف الأخير من القرن العشرين برجوع خاشع قانت إلى الله، رجوع النفوس الظامئة لريّ هذا الدين، أوبة الدّين يعسوا من كلّ أنظمة الأرض، فالإنسان أصبح آيساً من كلّ التجارب البشريّة، لقد فشلت الرأسماليّة بديمقراطيّتها وانهارت الليبراليّة بفروعها، كفر الإنسان بكلّ ما قدّمه الفلاسفة الغربيّون، لم تستطع الطبيعة أن تملأ الفراغ الذي خلّفه دين الكنيسة بعد أن نابذته العناد والعداء ولم يفلح ماركس في حلّ لغز هذا الإنسان ولم يسدّ جوعته لمعرفة سرّه وطبّاته وأعماقه.

إنّ الحنين إلى الله منغرز في أعماق الفطرة البشريّة لن تمحوه أدوات إرهاب ولا وسائل إغراء، إنّ اللجوء إلى الخالق صبغة الله التي صبغ الناس عليها وفطرته التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله)) (١٥٠).

إنّ المستقبل الزاهر للإسلام الذي يراه الأستاذ النورسي نابع من حاجة الناس _ كلّ الناس _ للإسلام وإلى تعاليمه وشرائعه، وهذه الحقيقة هي التي دفعت الشهيد سيّد قطب إلى القول: ((من طبيعة المنهج الذي يرسمه هذا الدّين؛ ومن حاجة البشريّة إلى هذا المنهج نستمدّ نحن يقيننا الذي لا يتزعزع في أنّ المستقبل لهذا الدّين، وأنّ له دوراً في هذه الأرض هو مدعوّ لأدائه _ أراد أعداؤه أم لم يريدوا _ وأن دوره هذا المرتقب لا تملك عقيدة أخرى _ كما لا يملك منهج آخر _ أن يؤدّيه، وأنّ البشريّة بجملتها لا تملك كذلك أن تستغني طويلاً عنه)) (١٥١).

ثانياً: موت الصدق في حياتنا الاجتماعيّة والسياسيّة:

إنّ الكذب واحد من أخطر الأمراض التي يصاب بها المجتمع، والكذب هو أصل الرذائل لأنّه يؤدّي إلى حدوث الخلل في المجتمع وتصدّع بنيانه، وإذا عُرف إنسان ما بالكذب فسرعان ما يسقط في أعين النّاس حيث لا يصدّقه أحد في أقواله وأعماله، لذلك فقد حدّثنا الله ورسوله من هذا الخلق المذموم، وتوعّد الله الكاذبين بعذاب أليم فقال: { وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ } (١٥٢) وقال في آية أخرى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ } (١٥٣)، وورد عنه صلى

(١٥٠) الدكتور عبد الله عزام، الإسلام ومستقبل البشريّة، ط4، الزرقاء _ الأردن، مكتبة المنار، 1407هـ-1987م | 670.

(١٥١) سيّد قطب، المستقبل لهذا الدّين، بيروت _ لبنان، دار الشروق، د. 1140.

(١٥٢) النحل، 116.

الله عليه وسلّم في ذمّ الكذب قوله: ((إياكم والكذب فإنّ الكذب يهدي إلى الفجور وإنّ الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتّى يكتب عند الله كذاباً))^(IÖ).

وإذا كان الإسلام قد حدّرتنا من الكذب ونهانا عنه بشدّة فإنّه قد أمرنا بمقابل ذلك بالصدق في الحديث، وفي التعامل مع الآخرين، وإذا كان الكذب عاملاً من عوامل هدم المجتمع فإنّ الصدق يبني المجتمع ويجعله متماسكاً، وينمي روح الثقة بين أفرادها، لذلك عُدّ الصدق أساساً من أسس المجتمع الفاضل، وإذا ما انتشر هذا الخلق في مجتمع من المجتمعات فلسوف تستقرّ أركانه، ويعمّ الخير والمحبة فيه، هذا وقد أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز المسلمين بالصدق في القول والعمل منها قوله: {يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله وكونوا مع الصادقين} ^(II)، وقال في آية أخرى عن ثمار الصدق يوم القامة {قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم} ^(II)، وقال الرسول صلّى الله عليه وسلّم: ((عليكم بالصدق فإنّ الصدق يهدي إلى البرّ وإنّ البرّ يهدي إلى الجنّة وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتّى يكتب عند الله صديقاً))^(II).

لذلك نرى الأستاذ النورسي وقد أكّد في رسائله على أهمية الصدق للمجتمع، وكذلك بيّن أضرار ومخاطر انتشار الكذب في المجتمع فقال:

((لقد علمتني زبدة تتبعاتي وتحقيقاتي في الحياة بتمخّض الحياة الاجتماعيّة أن: "الصدق" هو أساس الإسلام، وواسطة العقد في سجاياه الرفيعة، ومزاج مشاعره العلويّة، فعلينا إذاً أن نحبي الصدق الذي هو حجر الزاوية في حياتنا الاجتماعيّة في نفوسنا ونداوي به أمراضنا المعنويّة. أجل إنّ الصدق هو عقد الحياة في حياة الإسلام الاجتماعيّة، أما الرياء فهو نوع من الكذب الفعلي، وأما المداهنة والتصنع فهو كذب دنيء مردّول، أما النفاق فهو كذب ضارّ جدّاً، والكذب نفسه إنما هو افتراء على قدر الصانع الجليل))^(IÖ).

ثالثاً: حب العداوة:

(IÖ) غافر، 28.

(IÖ) رواه الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب البرّ - باب تحريم الكذب، ص159.

(II) التوبة، 119.

(II) الأنعام، 119.

(II) رواه الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب البرّ - باب تحريم الكذب، ص159.

(IÖ) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص506.

وهذا أيضاً من الأمراض الخطيرة التي طالما عانت المجتمعات الإسلامية منها معاناة كبيرة قديماً وحديثاً، ففي الكثير من فترات التاريخ التي مرّت على المسلمين كان المسلمون بدلاً من أن يتكاتفوا ويتناصروا ويتماسكوا أمام مخططات الأعداء كان بعضهم يعادي بعضاً، ويخطط بعضهم للنيل من الآخر والوقعة به، وربما دفعت عداوة بعضهم البعض إلى الميل للأعداء، والوقوع في شباكهم ونصرتهم أو الاستعانة بهم على إخوانهم وبني جلدتهم.

هذا وقد أكد الأستاذ النورسي على ضرورة أن تسود المحبة والوثام بين المسلمين بدلاً من العداوة والخصام فقال:

((إنّ صفة المحبة التي هي ضمان الحياة الاجتماعية البشرية والتي تدفع إلى تحقيق السعادة هي أليق للمحبة، وإن صفة العداوة والبغضاء التي هي عامل تدمير الحياة الاجتماعية وهدمها هي أقبح صفة وأضرها وأجدر أن تتجنّب وتُنْفَر منها... إنّ غرور الإنسان وحبّه لنفسه قد يقودانه أحياناً إلى عداة إخوانه المؤمنين ظلماً ومن دون شعور منه فيظن المرء نفسه محقاً مع أن مثل هذه العداوة تعدّ استخفافاً بالوشائج والأسباب التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض _ كالإيمان والإسلام والإنسانية _ وخطأ من شأنها))^(iñ).

أسباب تفرّق المسلمين:

إنّ داء الفرقة الذي يعاني منه المسلمون اليوم أكثر من أي وقت مضى ليس وليد اليوم، بل هو نتيجة لتضافر عدّة أسباب أدّت إلى إصابة الأمة بهذا الداء القاتل والأليم، وبسبب عدم مداواة هذا الجرح تفاقم الداء واستشرى في جسم الأمة وأدّت إلى مضاعفات خطيرة لعلّ من أخطرها عدم تمكّن المسلمين عموماً والعرب على وجه الخصوص من الوقوف بوجه السياسات القمعية التي يمارسها يهود تجاه الفلسطينيين العزل.

إنّ التفرّق والشقاق، بل العداوة والصراع القائم بين المسلمين اليوم هو جناية كبرى بحقّ هذا الدين الذي طالما أكّد على وجوب التكاتف والتوحد والتماسك والبعد عن التفرّق والتدابير، وبسبب ارتكاب المسلمين لتلك الجناية (التفرّق) فقد فرض عليهم دفع الضريبة، وسيستمرّون في دفعها إلى

(iñ) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص509.

أن يقلعوا عن التفرّق وأسبابه والسبل المؤدّية إليه، ويعودوا اخوة متحابّين في الله ومتعاونين فيما بينهم على البرّ والتقوى.

لقد اجتمعت عدّة أسباب أدّت إلى حدوث التفرّق بين المسلمين ولعلّ من أبرزها ما يأتي:

أولاً: الجهل:

فالجهل داء خطير ويؤدّي إلى حدوث العديد من المشاكل والسلبيّات داخل المجتمع الإسلامي، لذلك نرى أنّ الله تبارك وتعالى قد نهانا عنه أشدّ النهي، وذمّ الجهل والجاهلين ذمّاً شديداً ومن ذلك ما جاء على لسان سيّدنا موسى عليه السلام: {أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} (١٠١) وقال تعالى مخاطباً رسوله الكريم: {وَلَوْ شَاءَ اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ} (١٠٢)، وفي آية ثالثة خاطب الله تعالى رسوله نوحاً عليه السّلام: {فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} (١٠٣).

إنّ انتشار الجهل وفقدان الوعي من المصائب الخطيرة والأليمة التي ابتليت بها الأمة الإسلاميّة، وما هذا التفرّق والشقاق الموجود بينهم إلّا واحدة من تداعيات انتشار الجهل وفقدان الوعي، يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي: ((إنّ أخوف ما يخاف على أمة ويعرضها لكلّ خطر ويجعلها فريسة للمنافقين ولعبة للعابثين هو فقدان الوعي في هذه الأمة، وافتتاحها بكلّ دعوة واندفاعها إلى كلّ موجة وخضوعها لكلّ تسلّط وسكونها على كلّ فظيعة وتحملها لكلّ ضيم، وأن لا تعقل الأمور، ولا تضعها في مواضعها ولا تميّز بين الصديق والعدوّ وبين الناصح والغاشّ، وأن تلدغ من جحر مرّة بعد مرّة ولا تنصحها الحوادث، ولا تروّعها التجارب)) (١٠٤).

ثانياً: ابتعاد المسلمين عن دينهم:

(١٠١) البقرة، 67.

(١٠٢) الأنعام، 35.

(١٠٣) هود، 46.

(١٠٤) أبو الحسن الندوي، ماذا خسّر العالم بخطايا المسلمين، القاهرة، الدار السلفيّة لنشر العلم، 1410هـ/1989م، 413.

إنّ ابتعاد الملمين عن دينهم هو واحد من أهمّ الأسباب التي أدّت إلى تفرّق المسلمين وتنازعاتهم، فالمسلمون بابتعادهم عن دينهم قد ابتعدوا عمّا يأمرهم به دينهم، ولعلّ من أهمّ ما يأمرنا به ديننا هو التماسك والوحدة والابتعاد عن التفرّق والانقسام، فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} (١٠)، فالآية الكريمة تأمرنا بإطاعة الله تعالى وإطاعة رسوله صلّى الله عليه وسلّم، كما تنهانا عن التنازع الذي يؤدّي إلى التفرّق والانقسام وفقدان القوّة والهبة التي تكمن في التماسك ووحدة الصّف، وإذا تأملنا في الآية الكريمة لوجدناها قد ذكرت الأمر بإطاعة الله ورسوله مقابل التنازع والتفرّق، ولعلّ في ذلك إشارة إلى أنّ الأمة إذا تنازعت وتفرّقت تكون بذلك قد عصت الله ورسوله بينما هي مأمورة بإطاعتها، هذا وقد ختمت الآية الكريمة بنصيحة مهمّة ألا وهي ضرورة تحلّي المسلمين بالصبر على أخطاء بعضهم لأنّ الصبر عليها وتحمل أخطاء المخطئين أفضل وأخفّ بكثير من حدوث التفرّق والنزاع داخل الصّف الإسلامي، وفي آية أخرى ينهانا الله تعالى عن التفرّق أشدّ النهي فيقول: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} (١١) ففي الآية ((نداء ربّانيّ جليل ماضٍ مع الزمن {أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} قضيتان رئيستان: {أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ} هذه هي القضية الأولى وهي مسؤوليّة المؤمنين أنفسهم التي سيحاسبون على مدى الوفاء بها، وهي قاعدة عهد المؤمن مع ربّه وخالقه الله، والقضية الثانية: {وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} وهي أيضاً مسؤوليّة المؤمنين وسيحاسبون عليها بين يدي الله في الآخرة، ويجنون مرارة التفرّق في الحياة الدنيا، ومرارة الدلّة والهوان كذلك)) (١٢).

ثالثاً: الاستعمار والغزو الفكري والثقافي لبلاد المسلمين:

من أسباب تفرّق المسلمين ورّبما من أهمّها الغزو الاستعماري لبلاد المسلمين، فالمسلمون كانوا قبل ذلك أمة واحدة في ظلّ الخلافة العثمانيّة (١٣) مرتبطين برابطة الإيمان والعقيدة، ومتآخين باخوّة الإسلام الذي لم يفرّق ولم يفضّل بين عربيّ وأعجميّ ولا بين أبيض ولا أسود إلاّ بالتقوى

(١٠) الأنفال، 46.

(١١) الشورى، 13.

(١٢) الدكتور عدنان علي رضا النحوي، بناء الأمة المسلمة الواحدة، ط1، الرياض، دار الحوي للنشر والتوزيع، 1417هـ/1997jäl

2270.

(١٣) إنّ الخلافة العثمانيّة رغم علاقتها كانت رمزاً لوحدة المسلمين وتماسكهم في ظلّها.

كما صرّح به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجاءت الدول الاستعمارية وقسمت بلاد المسلمين فيما بينها، وقامت بنشر الفساد والانحلال الخلقي في تلك البلدان.

إنّ الدول الاستعمارية كانت متيقّنة من أنّها ستخرج من بلاد المسلمين يوماً ما لذلك قاموا بالإضافة إلى غزو البلاد عسكرياً بغزوها فكرياً وثقافياً لأنّهم إذا خرجوا أو أخرجوا من تلك البلاد فإنّ الغزو الفكري سوف يبقى ويقوم بدوره، يقول الشيخ محمد محمود الصوّاف: ((أخذ المستعمرون يبذلون كلّ الجهود لإشاعة الفساد في المجتمع الإسلامي العظيم وزرع الشكوك في العقول الإسلامية، وقتل الطموح في نفوس المسلمين، وبثّ الفرقة والشقاق في الصفّ الإسلامي))^(P).

وإذا نظرنا إلى واقع الأمة في عصر الأستاذ سعيد النورسي نرى إنّ الخلافة العثمانية رغم علاقتها وسلبياتها والانتقادات التي يمكن أن توجه إليها رغم ذلك كلّها فقد كانت رمزاً لوحدة المسلمين وتماسكهم وترابطهم في ظلّها حيث كان المسلمون على اختلاف ألوانهم وألسنتهم ومشاربهم يرتبطون ببعضهم برباط الخلافة العثمانية، ولكن وبعد زوال الخلافة العثمانية انفرط عقد الأمة وانقسمت الشعوب الإسلامية إلى دويلات وكيانات متصارعة ومتنافسة فيما بينها، يقول الأستاذ عبد الله الطنطاوي: ((لن نستطيع معرفة مدى الظلام الذي خيم على تركيا بعد ما يسمّى بالانقلاب العثماني، وسقوط السلطان عبد الحميد الثاني، وسيطرة الاتحاد والترقي، والقوميين الطورانيين الذين وصلوا بدولة الخلافة إلى حضيض التمزّق والتشرذم والتخلّف السياسي والعسكري والاقتصادي والفكري والخواء الروحي إلّا إذا كنّا على اطلاع دقيق على حالة الفوضى التي عمّت البلاد التركية))^(D).

كان ذلك واقع الأمة في عصر الأستاذ النورسي، هذا وقد ذكر الأستاذ النورسي سبيل الخلاص من هذا الداء الوييل وذلك بالقيام بما يأتي:

أولاً: نبذ الخلافات والعودة إلى التماسك والبعد عن التفرّق:

يقول الأستاذ النورسي في ذلك: ((إنّ أشدّ القبائل تأخراً يدركون معنى الخطر الداهم عليهم فتراهم يبذلون الخلافات الداخلية، وينسون العداوات الجانبية عند إغارة العدو الخارجي عليهم))^(E) تقدّر تلك القبائل المتأخّرة مصلحتها الاجتماعية حق قدرها فما للذين يتولون خدمة الإسلام

^(P) محمد محمود الصوّاف، المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، القاهرة، دار الاعتصام، 1979 jãl 990 وما بعدها.

^(D) عبد الله الطنطاوي، المصدر السابق، ص 117.

ويدعون إليه لا ينسون عداوتهم الجزئية الطفيفة فيمهدون بها سبيل إغارة الأعداء الذين لا يحصرهم العد عليهم؟! فلقد تراصف الأعداء حولهم وأطبقوا عليهم من كل مكان، إن هذا الوضع تدهور مخيف، وانحطاط مفرج، وخيانة بحق الإسلام والمسلمين^(٥١).

لقد كان الأستاذ النورسي يحاول باستمرار جمع المسلمين تحت مظلة الإسلام، وكان يحثهم على نبد خلافاتهم جانباً والتفرغ والاستعداد لمواجهة الأخطار الخارجية التي تهدد كيانهم ككل، لقد أشار الأستاذ النورسي إلى أنه إذا كان شأن القبائل بل أشد القبائل تخلفاً تناسي الخلافات الداخلية أمام الأخطار الخارجية، فما بال من يدعون العلم والثقافة لا ينسون خلافاتهم الجزئية والفرعية، ألا يكونون هم أجدر بأن يستجمعوا قواهم وطاقاتهم المادية والمعنوية لمواجهة الأعداء الذين لا ينفكون عن التخطيط وحبك المؤامرات للنيل منهم وتفريق شملهم، وفي ختام كلامه أكد الأستاذ النورسي على أن التشبث بالخلافات الداخلية والجزئية وتناسي الأخطار الخارجية إنما هو خيانة في حق الإسلام والمسلمين.

ثانياً: عودة المسلمين إلى دينهم رمز الوحدة والقوة:

يقول الأستاذ النورسي: ((اعلموا أن التاريخ الذي يسجل الوقائع الحقيقية أصدق شاهد على حقيقة الأحداث؛ فما هو التاريخ يرينا أن القائد الياباني الذي هزم الروس يدي بالشهادة الآتية في صدد عظمة الإسلام وحقائيقه: "إنه بنسبة قوة الحقائق الإسلامية وبنسبة التزام المسلمين تلك الحقائق يزدادون رقياً وتقدماً، هكذا يرينا التاريخ، ويرينا أيضاً أنه بقدر ضعف تمسكهم بتلك الحقائق يصابون بالتوحش والتخلف والاضمحلال والوقوع في ألوان من الهرج والمرج والاضطرابات ويُغلبون على أمرهم^(٥٢))).

ويقول الأستاذ النورسي أيضاً: ((نحن الشرقيين لا نشبه الغربيين، إذ المهيمن على قلوبنا الشعور الديني؛ فإن بعث الأنبياء في الشرق يشير به القدر الإلهي إلى أن الشعور الديني وحده هو الذي يستنهض الشرق ويسوقه إلى التقدم والرقى... إن الحمية الدينية هي أقوى وأمتن حبل نوراني نازل من العرش الأعظم فهي العروة الوثقى لا انفصام لها، وهي القلعة الحصينة التي لا تهدم^(٥٣))).

(٥١) بدیع الزمان سعید النورسی، المکتوبات، ص 349.

(٥٢) بدیع الزمان سعید النورسی، صیقل الإسلام، ص 493.

(٥٣) بدیع الزمان سعید النورسی، سیرة ذاتیة، ص 117.

لقد كان الأستاذ النورسي يحاول دوماً أن يبيّن أنّ للدين هيمنة كبيرة على نفوس الشعوب الشرقية عموماً، ويستدلّ على ذلك بظهور الأنبياء في البلاد الشرقية، ولقد كان الأستاذ النورسي يبحث المسلمين على العودة إلى دينهم والتمسك به لأنّ ذلك هو السبيل الأقوم الذي يساعدهم في الوقوف بوجه محاولات تفريقهم وتشثيتهم.

لقد قام الأستاذ النورسي في كلامه السابق بتذكير المسلمين بالحقائق التاريخية التي أثبتت على مرّ الزمان أنّ المسلمين يسودون وينعمون بحياة هانئة سعيدة كلّما تمسكوا بدينهم وطبقوه في حياتهم الخاصة والعامة، وحكّموه في جميع شؤونهم، وبالعكس ذلك فإنّهم _أي المسلمون_ كلّما ابتعدوا عن دينهم وتنكروا له وتوجّهوا ذات اليمين وذات الشمال كلّما ازدادوا شقاءً وتعاسة وابتلوا بشتّى البلايا والمحن، وصدق سيّدنا الفاروق عمر بن الخطّاب حين قال: "كنا قوماً أذلاءً فأعزّنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزّة بغيره أذلّنا الله".

ثالثاً: التحرّر من هيمنة الدول الاستعماريّة:

يقول الأستاذ النورسي: ((يا أبناء هذا الوطن لا تحاولوا تقليد الإفرنج، وهل بعد كلّ ما رأيتم من ظلم أوروبا الشنيع وعداوتهم اللدودة تتبعوهم في سفاهتهم، وتسيرون في ركاب أفكارهم الباطلة؟ وتلتحقون بصفوفهم، وتنضمّون تحت لوائهم بلا شعور؟ فأنتم بهذا تحكمون على أنفسكم وعلى إخوانكم بالإعدام الأبدي.. كونوا راشدين فطنين، إنكم كلّما اتبعتموهم في سفاهتهم وضالّاتهم ازددتم كذباً وافتراءً في دعوى الحميّة والتضحية، لأنّ هذا الاتباع استخفاف بأمّتكم واستهزاء بملّتكم))^(D).

بالرغم من كون الأستاذ النورسي لا يرى بأساً من الاستفادة من المخترعات والتقنيات والعلوم والفنون التي توصلت إليها الدول الأوروبيّة، بالرغم من ذلك فقد كان شديد التحذير للمسلمين من تقليد الغرب في كلّ صغيرة وكبيرة، وكان يبيّن لهم أنّه لا يحلّ للمسلم التخلّق بأخلاق الأوروبيين التي تنافي دينه وقيمه النبيلة، هذا وقد أشار الأستاذ النورسي في كلامه السابق إلى الولايات التي لحقت بالمسلمين على أيدي الدول الغربيّة والاستعماريّة، وكان يبحث المسلمين على أن يتذكروا ذلك جيّداً لئلاّ ينخدعوا بهم ويتبعوهم في أخلاقهم وعاداتهم المنافية للإسلام، هذا وقد وصف الأستاذ النورسي اتباع الدول الغربيّة في كلّ شيء بأنّه قبول بالإعدام الأبدي، وفي ختام

(D) بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص184.

كلامه حثّ المسلمين كي يكونوا فطنين واعين، وأن يتعدوا عن سفاهات وضلالات الأعداء إن كانوا صادقين في انتمائهم للإسلام.

إنّ الدول العربيّة والإسلاميّة بالرغم من تحرّرها من هيمنة الدول الاستعماريّة عسكريّاً، إلّا أنّها لا زالت ترضخ تحت هيمنتها الفكرية والثقافية، وتتبعها في الكثير من أمورها دون التفرقة بين خيرها وشرّها، وحسنها وقبيحها، ولا شكّ بأنّ في ذلك ضرراً فادحاً وخطراً كبيراً على الأمة ومستقبلها، فالهيمنة الفكرية والثقافية ليست بأقلّ خطراً على الأمة من الهيمنة العسكريّة إن لم نقل إنّ خطورتها تفوق خطورة الهيمنة العسكريّة لكثير لأنّ الأمة بلا شكّ _ كانت ولا تزال _ تعي خطورة الهيمنة العسكريّة للدول الاستعماريّة ولكنّ القليلون هم الذين يدركون خطورة وضرر الهيمنة الفكرية والثقافية، بل يرى البعض أنّ تقدّمنا ورقينا مرهون باتباع الدول الغربيّة في كلّ شيء في حلوها ومرّها وخيرها وشرّها كما مرّ معنا في الفصل التمهيدي.

لذلك ينبغي على الأمة الإسلاميّة أن تتدارك الوضع، فالأمر جد خطير، وعلى الدعاة والمفكرين والعلماء القيام بتوعية شعوبهم بضرورة الانعتاق والتحرّر من التبعية الفكرية والهيمنة الثقافية للدول الغربيّة للخروج من الأزمة التي تعاني منها الأمة الإسلاميّة.

رابعاً: الجهل بالروابط النورانيّة^(D) التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض:

لقد كان الأستاذ النورسي يعمل ليل نهار على ربط المسلمين بعضهم ببعض لذا كان يحاول أن يتواصل معهم سيّما العلماء والمفكرين منهم في شتى البلدان لتبادل الآراء والخبرات في مجال الإصلاح والدعوة والإرشاد، ومن الخطوات التي خطاها الأستاذ النورسي رحمه الله قيامه بإرسال مجموعة من رسائل النور إلى مكّة المكرّمة مع بعض الحجّاج من طلاب النور لكي يهدوها إلى حجّاج آخرين قدموا من مصر ودمشق وحلب وبلاد الباكستان والهند وغيرها من البلدان الإسلاميّة، وبذلك استطاع إيصال أفكاره الإصلاحية إلى تلك البلدان أيضاً، وكان للأستاذ النورسي بعض المراسلات مع بعض قيادات العمل الإسلامي في البلدان الأخرى، وفيما يأتي نصّ فقرّة من رسالة جوابيّة كان الأستاذ النورسي قد بعث بها إلى بعض قيادات الإخوان المسلمين في مدينة حلب السوريّة ومما جاء فيها:

((بالنسبة للتهنئة التي كتبها إليّ من حلب أحد أعضاء الإخوان المسلمين فإنّنا نهنئه بالمقابل

(D) لقد بيّن الأستاذ النورسي غرضه من الروابط النورانيّة بقوله: "إنّ أسباب المحبة هي الإيمان والإسلام والإنسانيّة وأمثالها من السلاسل النورانيّة المتينة والحصون المعنويّة المنيعّة". أنظر: بدیع الزمان سعید النورسي، صیقل الإسلام، ص510.

ونحنى الإخوان المسلمين من صميم قلوبنا وأرواحنا ونقول لهم: بارك الله فيكم ألف مرّة، إنّ طلابّ النور الذين هم بمثابة الاتحاد المحمّدي السابق يمثلون الاتحاد الإسلامي في الأناضول، أمّا في البلاد العربيّة فالإخوان المسلمون هم الذين يمثلون الاتحاد الإسلامي... إنّ طلابّ النور والإخوان المسلمين من بين صنوف عديدة يشكّلان صقّين مترافقين ومتوافقين ضمن حزب القرآن وضمن دائرة الاتحاد الإسلامي المقدّسة، وقد سعدنا باهتمامهم الجدّي برسائل النور وبعزمهم على ترجمة بعضها إلى اللغة العربيّة... وأرجو منهم أن يقوموا برعاية طلابّ النور ورسائل النور هناك)) (Ñ).

وعندما زار مفتي الديار المصريّة الشيخ محمّد نجيت استانبول سنة 1908م التقى به الأستاذ النورسي وتبادل معه بعض المواضيع التي كانت تمّم المسلمين في ذلك الوقت مثل الحضارة الأوروبيّة، ووضع الدولة العثمانيّة، وبعض الأحداث الساخنة التي كانت تشغل بال المسلمين في تلك الأيام، هذا وقد أعجب المفتي بالأستاذ النورسي وآرائه النيّرة، وطروحاته الفكريّة الرائعة.

وزاره وزير المعارف الباكستاني مرّة وقد تحدّث الأستاذ النورسي عن ذلك اللقاء فقال: ((أتاني وزير المعارف الباكستاني لأخذ قسم من رسائل النور وقال سأسعى لنشر هذه الرسائل النوريّة بين تسعين مليوناً من المسلمين، وعلى الرغم من الدعايات المغرضة التي يشيعها المنافقون حولنا فإنّ الأنوار تنتشر في أماكن بعيدة كأوروبّا وآسيا بل أعلن في ألمانيا عن مجموعة "ذو الفقار" (Ñ) بعد ظهورها مباشرة.

وما سفر الأستاذ النورسي إلى دمشق وبيروت إلّا واحدة من تلك المحاولات التي كان يقوم بها الأستاذ النورسي للتواصل مع العلماء والمفكرين والمصلحين العرب لتبادل الخبرات في مجال الدعوة والإصلاح، هذا وقد حاول الأستاذ النورسي أن يسافر إلى كلّ من بغداد والقاهرة إلّا أنّه لم يتمكّن من تحقيق ذلك بسبب الظروف الصعبة التي كانت حركة النور تمرّ بها آنذاك.

لقد قام الأستاذ سعيد النورسي بكلّ ذلك في سبيل ربط المسلمين بعضهم ببعض لذا كان يردد دوماً: إنّ الذي يجمعنا هو أكبر بكثير من الذي يفرّقنا؛ فإلّنا واحد، ونبينا واحد، وقرآننا واحد، وديننا واحد، وقبلتنا واحدة، و... لذلك كان يرى ضرورة أن يتماسك المسلمون ويتّحدوا مع بعضهم البعض حيث يقول:

((بفضل هذه الرابطة المقدسة التي تشدّ الأمة الإسلاميّة بعضها ببعض يصبح المسلمون كافة كعشيرة واحدة، فترتبط طوائف الإسلام كما يرتبط أفراد العشيرة الواحدة ويمدّ بعضهم بعضاً معنوياً

(Ñ) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص337.

(Ñ) هو اسم لمجموعة من رسائل النور.

وإذا اقتضى الأمر فمادياً، وكان الطوائف الإسلامية تنتظم جميعها كحلقات سلسلة نورانية... وهنا أنبّه ببالغ الأسى والأسف إلى أن قسماً من الأجانب كما سلبوا أموالنا الثمينة، وأوطاننا بثمان بحس دراهم معدودة مزوّرة، كذلك فقد سلبوا منّا قسماً من أخلاقنا الرفيعة وسجايانا الحميدة والتي بها يترابط مجتمعا، وجعلوا تلك الخصال الحميدة محوراً لقيهم وتقدمهم، ودفَعوا إلينا نظير ذلك ردائل طباعهم وسفاهة أخلاقهم)) (Ñ).^(Ñ)

خامساً: سريان الاستبداد سريان الأمراض المعدية المتنوعة:

كان الأستاذ النورسي يعتبر الاستبداد واحداً من ألد أعدائه (Ñ)، لذا عمل طوال حياته جاهداً الوقوف بوجهه، وبيّن سيئاته وأضراره على الأمة الإسلامية، وكان من جملة اعتراضاته على السلطان عبد الحميد الثاني استبداده في إدارته لشؤون الدولة، لذلك عندما أعلنت المشروطة (Ñ) الثانية مدحها وبيّن محاسنها، كما ذم الاستبداد وبين مساوئها.

لاشكّ أنّ الاستبداد داء خطير وكثيراً ما يصيب المجتمع فتؤثر فيه تأثيراً بالغاً، حيث تقتل فيه مكامن القوّة والتقدّم والرفي، يقول عبد الرحمن الكواكبي في وصف الاستبداد: ((وخلاصة القول أنّ الاستبداد داء أشدّ وطأة من الوباء، أكثر هولاً من الحريق، أعظم تخريباً من السيل، أذلّ للنفوس من السؤال، داء إذا نزل بقوم سمعت أرواحهم هاتف السماء ينادي القضاء القضاء، والأرض تناجي ربّها بكشف البلاء، كيف لا تقشعرّ الجلود من الاستبداد وعهده عهد أشقى الناس فيه العقلاء والأغنياء، وأسعدهم بحيّاه الجهلاء والفقراء، بل أسعدهم أولئك الذين يتعجلهم الموت فيحسداهم الأحياء)) (Ñ).

ويصف الدكتور أسعد السحمراني الاستبداد بأنّه: ((عدو الحق، ونقيض الحرية، ولا يمكن مقاومته إلاّ بالإعداد فلا يفلّ الحديد إلاّ الحديد، فالظالم لا يخاف إلاّ الأدوات نفسها التي يستخدمها في ممارسة الظلم، وإلاّ فإنّه سيتمادى في غيّه ويتمتّى لو أنّ كل الناس يتحوّلون إلى غنم

(Ñ) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص 511.

(Ñ) لقد عانى الأستاذ النورسي معاناة كبيرة من الحكم الاستبدادي سواء في زمن العثمانيين أو في زمن سلطة الاتحاد والترقي أو الذين جاءوا بعدهم، وكان الأستاذ النورسي يرى أنهم جميعاً كانوا مستبدين وإن تغيرت الأسماء والصيغ والأساليب، لذلك قال في المحكمة العسكرية سنة 1909: ((لقد كانت هذه الحكومة تخاصم العقل أيام الاستبداد [يقصد بذلك أيام حكم السلطان عبد الحميد الثاني] إلاّ أنّها الآن تعادي الحياة بأكملها، فإن كانت الحكومة بهذا الشكل والمنطق فليعيش الجنون وليعيش الموت، ولتعيش جهنم مثوى للظالمين)).

(Ñ) المشروطة أي الدستور، وقد سبق أن تحدثنا عنها في الفصل الأول من الباب الأول فليراجع. (Ñ) عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، 1350هـ-1931م; 66.

وتطيعه، وتدّر له الرزق، فإنّه من مصلحة المستبد أن يغفل الناس عن حقوقهم، فيتحكّم في شؤونهم حسب هواه، وتكون قاعدة أحكامه ما تطلبه مصلحته، دون الالتزام بشريعة فيها مصلحة الجماعة^(١).

فما دام هذا هو شأن الاستبداد فلا غرابة في أن يحاربه ويقف في وجهه جميع رجالات الإصلاح _ قديماً وحديثاً _ أمثال: السيّد جمال الدين الأفغاني، ومحمّد عبده، وعبد الرحمن الكواكبي، ومحمّد بشير الإبراهيمي، وسعيد النورسي، وغيرهم من المفكرين وزعماء الإصلاح، وإنّنا عندما نتحدّث عن الاستبداد ومخاطره لا نعني بذلك استبداد الحاكم فقط _ وإن كان المراد عند الإطلاق استبداد الحاكم أو الاستبداد السياسي _ بل نعني به الاستبداد بكلّ أشكاله وصوره، نعني به كلّ استبداد يصدر عن كل صاحب سلطة بغضّ النظر عن نوعيّة السلطة _ سلطة سياسيّة، أو سلطة دينيّة، أو اجتماعيّة _ فنعني به كلّ استبداد بدءاً من استبداد ربّ الأسرة، ومروراً باستبداد الموظف البسيط، وانتهاءً باستبداد رئيس الدولة، فالاستبداد هو الاستبداد بغضّ النظر عن المستبدّ ونوعيّة استبداده ومنصبه ومكانته الاجتماعيّة.

حول مفهوم الاستبداد:

قبل الخوض في الحديث عن مظاهر الاستبداد وسبل مواجهته ينبغي علينا القيام بتحديد مفهوم الاستبداد في اللغة وكذلك في اصطلاح العلماء.

ففي اللغة العربيّة ورد: ((استبدّ به: انفراد به، واستبدّ الأمر بفلان: غلبه فلم يقدر على ضبطه))^(٢).

أما في الاصطلاح فقد عرّف الاستبداد بتعاريف عديدة تكاد تجمع كلّها على أنه التلاعب بمقدّرات الشعوب المستعبدة، ومعاملتهم معاملة كفيّة حسب أهواء وأذواق الحاكم وأعدائه، فقد عرّفه الكواكبي بأنّه: ((صفة للحكومة المطلقة العنان التي تتصرّف في شؤون الرعيّة كما تشاء بلا

^(١) الدكتور أسعد السحمراني، الاستبداد والاستعمار وطرق مواجهتها عند الكواكبي والإبراهيمي، ط 1، بيروت-لبنان، دار

النفايس، 1404هـ-1984jã 680.

^(٢) أنظر: إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ط 2، بيروت-لبنان، دار الأمواج، 1410هـ/1990jã 420. وكذلك انظر:

محمد محي الدين عبد الحميد، المختار من صحاح اللّغة، ط 1، طهران، 1343هـ، ص32.

خشية حساب وعقاب محققين)) (ÑÑ)، وعرفه الأستاذ النورسي بأنه: ((التحكّم أي المعاملة الكيفية الاعتبارية، أي الجبر باستناد القوة، أي الرأي الواحد، أي المساعد لتطرق سوء الاستعمالات، أي المفتوحة أبوابه لتداخل المفاسد)) (ÑÑ).

الاستبداد والحكم:

بالرغم من أنّ الاستبداد إذا أُطلق فإنّ الذهن يميل إلى الاستبداد السياسي عموماً والاستبداد في الحكم خصوصاً، إلاّ أنّه لا يقتصر على ذلك فحسب، بل له مظاهر عديدة وأشكال متنوّعة، وصيغ مختلفة وهي وإن كانت أقلّ خطورة من الاستبداد في الحكم إلاّ أنّ لها أيضاً آثارها السيئة على المجتمعات البشرية قديماً وحديثاً، وبما أنّ الاستبداد في الحكم هو الذي عانى وتعاني منه الشعوب المقهورة المغلوبة على أمرها، وهو الذي قارعه رواد الإصلاح وركّزوا على محاربتة لأنّه أم سائر أنواع الاستبداد الأخرى، لذلك سوف أقصر هنا في حديثي عن هذا النوع من الاستبداد دون غيره من الأنواع الأخرى.

إنّ الاستبداد في الحكم هو أشدّ أنواع الاستبداد خطراً على المجتمعات، حيث يتحكّم فرد واحد أو مجموعة من الأفراد في مقدرات شعب بأكمله، ويسوسونهم بأهوائهم ونوازعهم الشخصية دون أن يعيروا أي اهتمام لرغباتهم وميولهم، فالقانون هو ما يرتضونه لهم، والحسن هو ما كان موافقاً لهواهم، والقيح هو ما لا يعجبهم.

إنّ الاستبداد في الحكم هو الذي عانى منه الناس سيّما أرباب الإصلاح قديماً وحديثاً، لذلك نراهم قد ركّزوا في كتاباتهم وخطبهم على هذا النوع من الاستبداد وبيّنوا أضراره ومخاطره على الشعوب المستضعفة، يقول الكواكي: ((إنّ صفة الاستبداد كما تشمل حكومة الحاكم الفرد المطلق الذي تولّى الحكم بالغلبة أو الوراثة تشمل أيضاً الحاكم الفرد المقيّد الوارث أو المنتخب متى كان غير محاسب، وكذلك تشمل حكومة الجمع ولو منتخباً لأنّ الاشتراك في الرأي لا يدفع الاستبداد وإتّما قد يعدله نوعاً وقد يكون أحكم وأضّرّ من استبداد الفرد... وخلاصة ما تقدّم أنّ الحكومة من أي نوع كانت لا تخرج عن وصف الاستبداد ما لم تكن تحت المراقبة الشديدة والمحاسبة التي لا تسامح فيها كما جرى في صدر الإسلام...))

(ÑÑ) عبد الرحمن الكواكي، طبائع الاستبداد، ص7.

(ÑÑ) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص75.

المستبدّ إنسان والإنسان أكثر ما يألف الغنم والكلاب، فالمستبدّ يودّ أن تكون رعيته كالغنم ذرّاً وطاعة، والكلاب تذلاًّ وتملقاً، وعلى الرعيّة أن تكون كالخيل إن خدمت خدمت وإن ضربت شربت، بل عليها أن تعرف مقامها هل خلقت خادمة للمستبدّ أم هي جاءت به لخدمها (٥٠) فاستخدمها...))، ويقول الأستاذ النورسي: ((إنّ لكلّ زمان حكماً، ولكلّ وقت حكماً يحركّ مآكينة الهيئة الاجتماعيّة... فاعلموا أنّ الحاكم المعنوي في الاستبداد كان هو القوّة ليس إلّا... فمن كان سيفه قاطعاً، وقلبه قاسياً ترقّى... إن كان كبيركم استند إلى القوّة الماديّة، واستعبد واستخدم الخلق، وربط الناس بتضييق الخوف والجبر، واستنزل الناس من الإنسانيّة إلى الحيوانيّة، فإن ظهر خيراً [كذا] (٥١) اغتصبه وأراه من نفسه، وإن وقع شرّ علّقه بعنق الملة... فرئيسهم ورأسهم بدلاً عن أن يدخل تحت أكتافهم لينهضهم يركب على أغوارهم حتّى يترأس وحده، ويأكل من لحمهم حتّى يتورّم ويصير حجاً لا يريهم الضياء لاستعداداتهم التي كالأزهار في الآكام، بل هو وحده ينمو وينبسط وينكشف ويتألّأ، فإن أردتم أن تنظروا إلى الاستبداد المحسّم فعليكم بهذا الرجل)) (٥٢).

إذاً فالحاكم المستبدّ كما يراه كلّ من الكواكبي و النورسي هو الذي يستند في تسيير حكمه على القوّة والبطش وإذلال الرعيّة، وإنزالهم إلى مرتبة الحيوانات، فهو يعيش على لحومهم، ويعلو من خلال الوقوف على أكتافهم، ولعلّ القاسم المشترك بين كلّ من الكواكبي و النورسي هو أنّ كليهما قد اكتوى بنار الاستبداد التركي (حيث كلّ حاكم يتصرّف على هواه، لا تعنيه مصالح الآخرين، بل يتصرّف حتّى في الشؤون المشتركة وفق ميله وهواه؛ فالاستبداد هو استخدام السلطة المطلقة، ولا يمكن التخفيف من غلواء أيّة حكومة ومراقبتها وضبط تصرّفاتهما إلّا بممارسة الرقابة والمحاسبة عليها) (٥٣).

سبل مواجهة الاستبداد:

بعدما تبينّ لنا خطر الاستبداد لا بدّ لنا من الحديث عن سبل مواجهته، فالمستبدّ إذا لم يردعه رادع فسوف يستمرّ في استبداده، بل وسيوسّعه ويثبته وعندها تصعب مقاومته والوقوف في وجهه، وفيما يأتي عرض لأهم تلك السبل والوسائل:

(٥١) عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد، ص 8.

(٥٢) ولعلّ الصواب خيرٌ.

(٥٣) بديع الزمان سعيد النورسي، رجّة العوام، ص 136.

(٥٤) الدكتور أسعد السحمراني، الاستبداد والاستعمار وطرق مواجهتها عند الكواكبي والإبراهيمي، ص 67.

أولاً: الدعوة إلى الحرية ونشرها بين الناس:

إذا كان الاستبداد بأنواعه يشكل خطراً كبيراً على المجتمعات البشرية كافة فلا شك أن الحرية تشكل عنصراً أساسياً في مواجهة الاستبداد والظلم، ولها أهمية كبيرة بالنسبة للإنسان سواء على مستوى الفرد أو الجماعة، فالإنسان بطبعه وفطرته التي فطره الله عليها محب للحرية والاعتناق من القيود التي تفرض عليه وتحّد من حركته سواء كانت تلك القيود قيوداً مادية أو معنوية، ولقد جاء الإسلام كي يحرّر الإنسان من أسر العبودية للبشر والحجر، لكي يحرّره من القهر والظلم والاضطهاد الذي طالما عانى منه الإنسان على يد طواغيت البشر ((فالحرية في الإسلام هي التحرر من قيود الوثنية واستعباد الإنسان للإنسان، وهي مضادة للعبودية في مختلف صورها، عبودية الأوثان، وعبودية رقّ الإنسان، والعبودية لأي كائن كان، وهي ليست للفرد وحده، ولكنها حرية الفرد، وحرية الجماعة، الحرية المنضبطة القائمة على الحق والواجب في آن واحد)).^(١)

وإذا كان الناس في زماننا هذا يعانون من منع حرية الرأي فإنّ الإسلام قد تكفل للناس بهذه الحرية وجعلها واحدة من حقوقهم المشروعة التي لا يجوز التعدي عليها أو سلبها منهم، ف ((حرية الرأي بمعنى المطالبة بالحق، والشكوى من الظلم، أو تنبيه الحاكم إلى أخطائه وتقويمه إذا أخطأ... وإبداء الرأي في أي شأن من شؤون الدولة والحياة المدنية إلى غير ذلك من الأمور التي تسمّى في عصرنا هذا بالحرية السياسية فإنّ الإسلام لا يكتفي بالسماح بممارستها بل إنّه يأمر بها ويقادسها ويعتبرها فريضة على كل مسلم، ونوعاً من أنواع الجهاد والعبادة)).^(٢)

وما دام الحديث يدور حول الحرية فهناك مسألة مهمّة في هذا الصدد وهي أنّه يجب أن يُعلم أنّنا عندما ندعو إلى الحرية وضرورة أن يتمتّع المجتمع بها فإنّ ذلك لا يعني إفساح المجال أمام الإباحية وكسر القيود وتدني القيم العليا للمجتمع، وقيام كل من هبّ ودبّ بكل ما يجلو له وما يمليه عليه مزاجه وهواه، بل يجب أن تكون الحرية منضبطة ومقيّدة لئلاّ تؤدّي إلى نتائج عكسية، فوضع القيود على الحرية الشخصية أمر لا بدّ منه للحدّ من حدوث الفوضى والعبثية داخل المجتمع، لذلك فإنّ في الإسلام مبادئ ثابتة لا يمكن المساس بها أو جعلها عرضة لعبث العابثين تحت ذريعة أنّ الإسلام يكفل للفرد حرّيته الشخصية ((فجميع دساتير العالم تشتمل على مبادئ رئيسية لا يمكن المساس

(١) أنور الجندي، معلمة الإسلام، المجموعة الثالثة، بيروت- لبنان، المكتب الإسلامي، 1406هـ/1986م، 970.
(٢) الدكتور أحمد شوقي الفنجري، كيف نحكم بالإسلام في دولة عصرية، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، 1510.

بها أو مناقشتها، ففي روسيا لا يمكنك أن تنادي بالرأسمالية، وفي أمريكا تحظر الدعوة إلى الشيوعية، وكذلك في الإسلام لا يمكنك الدعوة إلى الكفر والتشكيك في الله... أو منع الفروض وإباحة المحرمات... لأنّ هذه من الأشياء الرئيسية التي تحرص كل دعوة أو مبدأ صيانتها لأنّ محاولة هدمها يعتبر هدماً للمبدأ من أساسه)) (٥٥)، وفي ذلك يقول الأستاذ النورسي: ((إنّ تفسير الحرية والعمل بها على أنّها التحرّر من القيود والانغمار في السفاهات والملذّات غير المشروعة والبذخ والإسراف وتجاوز الحدود في كلّ شيء اتباعاً لهوى النفس مماثل لمن يتحرّر من أسر سلطان واحد ويدخل في استبداد حقراء سافلين كثيرين)) (٥٦) لذلك ينبغي أن نعلم أنّه كما تكون للاستبداد والظلم نتائج وخيمة وتبعات خطيرة على المجتمع فإنّ للحرية العمياء المتروكة الزمام أيضاً تلك النتائج والتبعات الخطيرة إن لم نقل أكثر، ونخلص إلى القول في هذا الصدد إلى أنّه كما أنّ الاستبداد مرفوض فإنّ الحرية المطلقة التي تكون على حساب الآخرين أيضاً مرفوضة.

إنّ المستبدّ يحاول أن يكبت الحريّات العامّة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً لأنّ الحرية هي أكبر عائق في طريقه للممارسة الظلم والاستبداد، لذلك فلا بدّ من الدعوة إلى الحرية ونشره وتوعية عامّة الشعب بضرورته وأهميته في سبيل مقاومة الظلم والاستبداد، ولا بدّ أن تشمل الحرية كافة الميادين مثل حرية التفكير، وحرية التعبير، وحرية التعليم، وحرية النشر، وحرية الحركة والعمل، لقد ((جاء الإسلام بالحكمة.. ومحكمّاً قواعد الحرية السياسيّة المتوسطة بين الديمقراطية والأريستوقراطية.. وهذا القرآن الكريم مشحون بتعاليم إماتة الاستبداد وإحياء العدل والتساوي)) (٥٧).

لقد كان الرسول صلّى الله عليه وسلّم مع كونه نبياً يستنير في سيره بنور الوحي _ رغم ذلك _ فقد كان يستشير الصحابة رضوان الله عليهم في الكثير من الأمور التي تعرض عليه، وبذلك أعطاهم درساً عملياً في النهي عن الاستبداد والتفرد بالرأي وفي اتخاذ القرارات.

لذلك أكّد كلّ من الكواكبي و النورسي على ضرورة تمتّع الشعب بالحرية التامة لكي يقطع السبيل أمام استبداد المستبدّين، وبيّنوا أهمية الحرية في الكثير من كتاباتهما ومن ذلك قول الكواكبي: ((لا شكّ أنّ الحرية أعزّ شيء على الإنسان بعد حياته، وأنّ بفقدانها تفقد الآمال، وتبطل الأعمال، وتموت النفوس، وتتعلّل الشرائع، وتختلّ القوانين)) (٥٨)، ويقول الأستاذ النورسي: ((ألا إنّ الحرية أن يكون المرء مطلق العنان في حركاته المشروعة، مصنوّناً عن التعرّض، محفوظ الحقوق، ولا

(٥٥) المصدر نفسه، ص151.

(٥٦) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص85.

(٥٧) عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد، ص18.

(٥٨) عبد الرحمن الكواكبي، أم القرى، ط2، بيروت_ لبنان دار الرائد العربي، 1402هـ_ 1982jã 320.

يتحكّم بعض على بعض بسرّ ((ولا يجعل بعضكم بعضاً أرباباً من دون الله)) (٥)، ولا ياتمر عليه غير قانون العدالة والتأديب لئلاّ يفسد حرّية إخوانه، على أنّ كمال حرّيته بحرّيتهم... نحن معاشر البدو كنّا أحراراً حرّيتنا ولدت معنا.. ولكن أين أنتم من الحرّية الإنسانيّة التي كالشمس في البهاء... وما هي إلاّ التي تخدّرت في قصر المدنيّة.. وتولّدت بامتزاج لمعات حرّيات الأفراد... إنّ عبد الله حرٌّ، وإنّ خادم سلطان الكائنات برابطة الإيمان لا يتنزّل أن يذلّ أو يتذلّل لأنّ للإيمان شهامة تترفع عن الانقياد للتحكّم والاستبداد... وكذا للإيمان شفقة تنزّه عن تجاوز إلى حقوق الغير وإزالة حرّيته.. فبمقدار قوّة الإيمان تلاءم [كذا] (٥) الحرّية الشرعيّة)) (٥).

إنّ الإنسان الذي لا يأمن على نفسه وماله وكرامته وحقوقه من عبث العابثين فالموت أفضل له بكثير من تلك الحياة التي يعيشها في ظل الاستبداد والظلم والقهر، فالحرّية أعزّ شيء على الإنسان كما يقول الكواكبي، لذلك فمن فقدوها فلا معنى لحياته، وفي استشهاد الأستاذ النورسي بقوله تعالى: {وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ} على عدم جواز تحكّم البعض في البعض الآخر وكبت حرّياته وتقييد حركاته وسكناته في ذلك إشارة منه إلى أنّ المستبدّ ربّما يبلغ به استبداده إلى درجة يرى فيه نفسه نزعة إلهيّة، فالله وحده {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} (٥)، وهو وحده الذي يجب تنفيذ أوامره والابتعاد عن نواحيه دون نقاش أو تباطؤ، والمستبدّ الذي لا يقبل سماع قول: لا، ولا يقبل النقاش والجدال في كلّ ما يصدر عنه كأنّه يدّعي أنّه يحمل في نفسه نزعة إلهيّة!!

لقد بيّن الأستاذ النورسي في كلامه الآنف الذكر مسألة مهمّة وهي أنّ القرويين وأهل البادية ربّما يكونون أشدّ تمسكاً بالحرّية من أهل الحضرة، فالقرويّ يولد وتولد معه حرّيته _ كما قاله النورسي _ لذلك فهو أشدّ معارضة للاستبداد والظلم من أهل المدن، ولكن مع ذلك يخاطب النورسي البدويين بأنّ حرّيتهم لا زالت ناقصة، لأنّ الحرّية يجب أن تعمّ القرى والمدن على حدّ سواء، فالحرّية هي ملك للإنسانيّة جمعاء ولا يستغني عنها أحد من الناس، هذا وقد وصف الأستاذ النورسي الحرّية في المدينة بأنّها كالشمس في البهاء مشيراً بذلك إلى أهميّة انتشار الحرّية في المدن لأنّ التغيير ينطلق منها، وهي التي تشكّل قاعدة الحكم وتسييس أمور البلاد، لذلك فإنّ الحرّية التي يتمتع بها أهل القرى والبوادي قد لا يستفيد منها سكّان المدن، كما وصف الأستاذ النورسي الحرّية

(٥) لعله يقصد بذلك ما ورد في قوله تعالى في سورة آل عمران الآية (64): {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَعُولُوا أَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}.

(٥) وعلل الصواب تلاءماً.

(٥) بديع الزمان سعيد النورسي، رجّة العوام، ص 165.

(٥) الأنبياء، 23.

في المدينة بأنها مخدّرة لذلك فهي بحاجة إلى من يوقظها من سباتها، ويبعث فيها الحياة مرّة أخرى، ويشير كذلك إلى أنّ الحرّية في المدن مقتصرّة على أفراد معيّنين ينعمون بها على حساب شعوبهم المغلوبة على أمرها، وأخيراً يأتي الأستاذ النورسي ويربط بين الإيمان وطلب الحرّية ربطاً محكماً، ويؤكد على أنّ شهامة الإيمان لا يمكنها بحال من الأحوال أن ترضى بالذلّ والقهر والاستبداد.

ثانياً: تطبيق الشورى والديمقراطية في الحكم:

إنّ الحاكم لا يمكنه أن يستبدّ في حكمه ما لم تنهياً له الأرضية المناسبة لذلك، فالحاكم إذا كان فرداً وكانت مقاليد الأمور كلّها في يده فهناك احتمالات كبيرة أن يلجأ إلى الظلم والاستبداد، أمّا إذا كان الحكم شورياً وديمقراطياً، وكانت مقاليد الأمور في يد مجموعة من الناس فلا شكّ أنّ الاستبداد أبعد ما يكون عنهم وعن حكمهم، هذا وقد أكّد فقهاء المسلمين على وجوب استعانة الحاكم بأهل الحلّ والعقد واستشارتهم في إدارة دفة الحكم في البلاد لمنع حدوث الاستبداد، ولكي تكون القرارات أقرب إلى الصواب والعدل والمساواة، (وإذا دققنا النظر في أدوار الحكومات الإسلامية من عهد الرسالة إلى الآن نجد ترقّياً وانحطاطاً تابعين لقوّة أو ضعف احتساب أهل الحلّ والعقد واشتراكهم في تدبير شؤون الأمة، وإذا أرجعنا البصر إلى التاريخ الإسلامي نجد أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم كان أطوع المخلوقات للشورى امتثالاً لأمر ربّه في تبارك و تعالی: {وشاورهم في الأمر} (٥٦) حتّى أنّه ترك الخلافة لمجرّد رأي الأمة.

ثمّ كان أوّل الخلفاء رضي الله عنه أشبه الناس به... وهكذا كانت دولة الأمويين تحت سيطرة أهل الحلّ والعقد، فانتظمت على عهدهم الأحوال، كما كان ذلك كذلك على عهد صدر العباسيين حيث كانوا مدعنين لسيطرة رؤساء بني هاشم، ثمّ لما استبدّوا في الرأي والتدبير فخالفوا أمر الله واتباع طريقة رسول الله ساءت الحال حتّى فقد الملك (٥٧).

إنّ الأمة والدولة تكونان في خير ما كانت هناك شورى وديمقراطية في الحكم، أمّا إذا فقد ذلك فإنّ الخراب والدمار سوف يعمّان البلاد، والشواهد والوقائع التاريخية خير مثال على ذلك،

(٥٦) آل عمران، 159.

(٥٧) عبد الرحمن الكواكبي، أم القرى، ص 66.

يقول الأستاذ النورسي ((إنّ هذا الانقلاب (٥٥) لو أعطى الحرية التي أولدها إلى أحضان الشورى الشرعية لتربيتها فستبعث أجماد الماضي لهذه الأمة قوّة حاكمة، بينما لو صادفت تلك الحرية الأغراض الشخصية فستنقلب إلى استبداد مطلق فتموت تلك المولودة في مهدها... إنّ المسألة التي سمعتموها وهي المشروطيّة والقانون الأساس ما هي إلاّ العدالة الحقّة، والشورى الشرعية، تلقّوها بقبول حسن، اسعوا للحفاظ عليها لأنّ سعادتنا الدنيويّة في المشروطيّة، فلقد قاسينا الأمرين من الاستبداد أكثر من الآخرين)) (٥٦).

إنّ في تطبيق الشورى والديمقراطية في أي بلد هي ضمانة كبرى لمنع الظلم والاستبداد، وإذا ما وقع ظلم على أيّ فرد في إمكانه أن يرفع شكوى ضدّ من ظلمه وسوف يأخذ حقّه منه، لذلك يجب على المجتمعات الإنسانيّة إذا أرادت التخلص من أسر الاستبداد أن تعمل ليل نهار، وتستعين بشبّان الوسائل المشروعة والممكنة على ترسيخ الشورى والديمقراطية ونشرها بين الناس وتوعيتهم بأهميتها إذا ما أرادوا أن يعيشوا حياة حرّة كريمة بعيدة عن الظلم والاستبداد.

ثالثاً: الفصل بين السلطات:

لقد اعتادت الدول وتعارفت على تقسيم السلطات في الدولة إلى ثلاثة أقسام: السلطة التشريعيّة، والسلطة التنفيذية، والسلطة القضائيّة، وقد بينوا مهام وصلاحيّات كل سلطة من تلك السلطات الثلاث، ففي الحكومات الاستبداديّة تجمع هذه السلطات الثلاث في يد شخص واحد أو مجموعة من الأشخاص _ كأن يكونوا عائلة واحدة مثلاً _ فيُقدّم هذا الشخص أو هذه المجموعة بسن القوانين، وهي ذاتها التي تقوم بتنفيذها، فهل يعقل أن تسنّ هذه المجموعة قانوناً يناقض أو يصطدم مع مصالحها وأهدافها ورغباتها؟!

لذلك فلو أردنا أن نحدّد من استبداد الحكّام فلا بدّ من فصل تلك السلطات الثلاث ((والمقصود الحقيقي لمبدأ الفصل هو أن تكون السلطات متساوية ومتوازية ومستقلّة فلا تستطيع إحداها أن تستبدّد بالأمر، أو تستقلّ وحدها بالسلطة مع قيام التعاون بينها، والرقابة على

(٥٥) يقصد به قادة انقلاب جمعيّة الاتحاد والترقيّ الذين قاموا بالانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1908م، وقد كان الأستاذ النورسي يحاول أن يقدّم لهم النصّ والإرشاد ويحثّهم على الاستفادة من أخطاء السلاطين وعدم تكرارها إلاّ أنّهم خيّبوا آمال النورسي حيث فاق استبدادهم استبداد السلاطين وبذلك زادوا الطين بلة.

(٥٦) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص81.

بعضها... وبذلك تتم كفالة حقوق الأفراد وحرّياتهم، ويكون في أمان من الاستبداد والطغيان الناتج من تجمّع السلطات في يد واحدة تسرّ القانون ثم تتولّى تنفيذه)) (أ) .

رابعاً: خضوع الحاكم للمراقبة والمحاسبة:

لقد أكّد كلّ من الكواكبي و النورسي على ضرورة مراقبة الحكّام ومحاسبتهم لأنّ المستبدّ من طبعه أن لا يكفّ عن الاستبداد إلّا إذا وضع تحت المراقبة الدقيقة، والمحاسبة الشديدة، فالمحكومون من قبل أي حاكم يرتدعون عن ارتكاب الأخطاء والمخالفات لأنّ هناك حاكماً يراقبهم، وسوف يحاسبهم ويعاقبهم إن هم ارتكبوا خطأً ما، فكذلك هو شأن الحاكم يجب أن يكون هناك من يراقبه ويحاسبه على أفعاله، وخير من يتولّى هذه المهمّة هو الشعب نفسه _ بصورة مباشرة_ أو غير مباشرة من خلال البرلمان المنتخب الذي يمثّل ذلك الشعب، وإذا ما تأمّلنا في الشريعة الإسلاميّة نجد أنّه لم يكن ((أمر مراقبة شرعيّة أوامر الدولة لهيئة معيّنة _ ولا مانع من وجودها بل هو المطلوب _ وإتّما وكلّ ذلك إلى الشعب كلّ، إنّّه الأمين على شرع الله فواجب عليه أن يمتنع عن تنفيذ ما يخالف الشرع، وأن يبادر إلى مقاومة السلطة الجائرة، ودفعها بكلّ ما أمكنه من وسائل الدفع، وبذلك يقيم الإسلام رقابة شعبيّة يقظة في مواجهة السلطة لمنعها من الاستبداد وحملها على الالتزام بالشريعة ومقاصدها وأهمّها العدل)) (أ) .

إذاً لا بدّ أن يكون هناك من يراقب الحاكم ويحاسبه ويمنعه من الظلم والاستبداد وإلّا أصبح الحاكم مطلق العنان يقرّر ويشرّع ما تملّيه عليه أهوائه وميوله ونوازعه الشخصية سيّما إذا كان محاطاً ببطانة سوء ممن يباركون كلّ ما يقوم به الحاكم بغض النظر عمّا إذا كان ذلك العمل أو التصرف خطأً أو صواباً، حسناً أو سيئاً، المهم هو إرضاء الحاكم وإن كان على حساب الشعب وكرامته وحقوقه.

سادساً: حصر الهمة في المنفعة الشخصية:

(أ) الشيخ راشد الغنوشي، الحزّيات العامة في الدولة الإسلاميّة، ط 1، بيروت_لبنان، مركز دراسات الوحدة العربيّة، 1993jā .226

(أ) الشيخ راشد الغنوشي، المصدر السابق، ص222.

هذا الداء هو الذي يسمى بالأنانية التي طالما حدّر الأستاذ النورسي طلابه وغيرهم منها لما لها من آثار سلبية على المجتمع حيث يحب المصاب بذلك الداء الخير لنفسه من دون سائر الناس الآخرين، ويتعامل مع الآخرين على أساس المنفعة الشخصية، هذا وقد عدّ الأستاذ النورسي الأنانية مانعاً من موانع الإخلاص حيث قال: ((المانع الثاني للإخلاص هو: إعطاء ما يداعب أنانية النفس الأمانة بالسوء وما تستشرفه من منزلة ومكانة، تتوجه إليها الأنظار، وحب إقبال الناس، وطلب توجههم بدافع من حب الشهرة وذيع الصيت الناشئ من التطلّع إلى الجاه وحبّه... فكما أن هذا داء روحي وبيل، فهو باب إلى "الشرك الخفي" الذي هو الرياء والإعجاب بالنفس الماحق للإخلاص)).^(٥)

لذلك أكّد الأستاذ النورسي على ضرورة تحلّي الإنسان بروح الإيثار وطلب المنفعة العامة بدلاً عن الأنانية وحب المنفعة الشخصية المحدودة التي ربّما تكون في الكثير من الأحيان على حساب مصلحة ومنفعة الآخرين.

إنّ الإيثار هو من الأخلاق الرفيعة التي لا يتحلّى بها إلاّ من كان على درجة كبيرة من التقوى والزهد والخشوع لله تعالى، وقد عرّفه الراغب الأصفهاني بأنّه: ((للتفضّل ومنه أثرته وقوله تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ})).^(٦)، وعرّفه ابن القيم بأنّه: ((البذل، وتخصيصك لمن تؤثّره على نفسك)).^(٧)

وإذا كان الإيثار من الأخلاق المحمودّة فإنّ هناك خلقاً آخر يقابله وهو الأثرة، فالأثرة من الأخلاق المذمومة التي يعاب المرء عليها، وقد عرّفها الراغب بـ: ((أثرة: أي يستأثر بعضهم على بعض، والاستئثار التفرّد بالشيء من دون غيره)).^(٨)، وعرّفها ابن القيم بأنّها: ((استئثار صاحب الشيء به عليك وحوزه لنفسه دونك)).^(٩)

وإذا ما قارنّا بين كلّ من الأثرة والإيثار لتبيّن لنا البون الشاسع بينهما، فشأن ما بين الأثرة والإيثار، فصاحب الإيثار يؤثّر غيره على نفسه في شيء يكون هو أحوج ما يكون إليه، بينما صاحب الأثرة يفضّل نفسه على الآخرين حتّى ولو لم يكن محتاجاً إلى ذلك الشيء، والأثرة ((هي المرتبة التي قال فيها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للأَنْصار رضي الله عنهم "إنّكم ستلقون بعدي

^(٥) بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص250.

^(٦) التغابن، 16.

^(٧) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشلي، بيروت لبنان، 1392هـ/1972م، ص50.

^(٨) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، مدارج السالكين، القاهرة، دار الحديث، د.309.

^(٩) الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، ص5.

^(١٠) ابن القيم، مدارج السالكين، ص309.

أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض" والأنصار هم الذين وصفهم الله بالإيثار في قوله: {وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} (١٦) فوصفهم بأعلى مراتب السخاء وكان ذلك فيهم معروفاً (١٧).

إنّ داء الأنانية والنزعة الفردية (الأثرة) التي أشار إليها الأستاذ النورسي لهي أمر دخيل على الأمة الإسلامية، ولعلّ العامل الأقوى في بروز وانتشار هذا الداء في الأمة يكون متمثلاً في الوافد الثقافي الغربي، فالأمة في فترة ضعفها تخلّت عن الكثير من قيمها الخلقية والاجتماعية وأبدلتها بمجموعة من العادات والأخلاق الغربية والغريبة عنها ضناً منها أنّ ذلك سيساعدها على تجاوز محنتها وتخلّفها العلمي والاقتصادي، هذا وقد ((غلّف الغرب دعوته إلى سيادة الثقافة الغربية بغلاف جميل براق يخدع البسطاء والسذج من البشر، فأخذوا ينادون بوحدة الثقافة العالمية، وهي عبارة خلاصة المظهر، براءة الصورة، والهدف من وراء ذلك صهر الثقافات الإنسانية في بوتقة الثقافة الأوربية، وقد ركّزوا هجومهم على القيم والخصائص التي تميّز الثقافة الإسلامية لهدمها في الفرد المسلم والأمة المسلمة.

وشبيه هذه الدعوة دعوتهم الأمة الإسلامية إلى التحضّر والتمدّن، ويزعمون أنّ التمدّن والتحضّر هو نمط الحياة التي يعيشها العالم الغربي، فهي الدول المتقدمة أمّا نحن ودول العالم الثالث فمتخلّفون ومرادهم من وراء هذه الدعوة سوق الناس جميعاً إلى الولاء والعبودية لسيادة الفكر الغربي وإحلال القيم والمفاهيم الغربية محلّ القيم الفكرية والثقافية التي يدين بها الشرق والعالم الإسلامي وهي قيم ومفاهيم تختلف في جوهرها وأصولها وفلسفتها عن مثيلاتها في العالم الغربي (١٨).

هذا وقد سخر الاستعمار له مجموعة من المتنوّرين بزعمهم لنشر الدعوة إلى اتباع الغرب والتخلّق بأخلاقه والتثقف بثقافته وتبني فكره وحضارته، ولعلّه يأتي في مقدّمة هؤلاء سلامة موسى (1888-1958) الذي تحمّس للدعوة إلى التغريب أكثر من الغربيين أنفسهم، لذلك يقول عنه الدكتور محمد عمارة: ((كان الرجل مشروعاً فكرياً للعمالة الحضارية بلغ حدّ الصراحة العارية.. الكاملة للحضارة الغربية.. بل لقد مثّل القمّة في مشروع "التفرنّج" الذي استهدف نزع أسلحة المقاومة الحضارية لدى الأمة عندما عمّتها بلوى الاحتلال الاستعماري، وسقطت فريسة تحديات التغريب والمسح والنسخ والتشويه لذاتيتها القومية وهويّتها الحضارية.

وإذا كانت الحرب الاستعمارية الأولى قد مثّلت حقبة عموم هذه البلوى.. فسقطت ديار

(١٦) التغابن، 16.

(١٧) ابن القيم، مدارج السالكين، ص 304.

(١٨) الدكتور عمر سليمان الأشقر، نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ط 8، عمّان_الأردن، دار النفائس، 1421هـ/2000م؛ 600.

الإسلام تحت سنابك الاحتلال الاستعماري الغربي، وبدأ التنفيذ لمخطط المشاركة (الصهيونية_الصليبية) في قلب وطن العروبة وعالم الإسلام.. وطويت صفحة الخلافة الإسلامية رمز المشروع الإسلامي بالغائها... وتخلّقت في واقعنا الفكري والسياسي الداخلي دعوات وأحزاب جعلت النموذج الغربي نموذج الغالب المستعمر المثل الأعلى الذي يتعلّق به المغلوبون سبيلاً للتحرّر والخلاص^(٥٥).

لقد كانت المجتمعات الغربية ولا تزال تتسم بالأنانية وروح الفردية، فالإنسان الغربي لا يحب إلاّ نفسه، ولا يريد الخير إلاّ لنفسه، وإذا أحبّ شخصاً آخر فلمصلحة يروجها منه، وهذا الخلق هو الذي دفع بهم إلى نبذ التكافل الاجتماعي، والارتباطات العائلية، وعلاقات القرابة، وما إلى ذلك، حيث تفكّكت الأسرة ولم يبق لها أي اعتبار، ورغم كلّ ذلك ترى في المسلمين من ينادي بضرورة السير نحو خطى الغرب ويظهر إعجابه بهم، يقول الأستاذ منير شفيق: ((من دارج النقد الذي يوجّهه أولئك^(٥٦) لمجتمعاتنا ومنذ عشرات السنين أو ربّما منذ ما بعد منتصف القرن التاسع عشر ينصبّ على نمط العلاقات العائلية والعشيرية والقبلية، وحتى نمط العلاقة بين الجيرة والأصدقاء، ومن دارج الإعجاب بالنموذج الغربي الذي يوجّهه أولئك يتغنّى بعلاقة الفرد بالمجتمع والدولة هناك، وكيف أخذت تتحدّد العلاقات على أساس الأحزاب الحديثة والنقابات وأنظمة الضمان الاجتماعي والصحي، بعد أن تمّ التخلص من أنماط العلاقات الاجتماعية التقليدية، ويشار في مقدّمة ذلك إلى الخلاص من نمط القيود العائلية والالتزامات المختلفة بما في ذلك التزام الأبناء بضمان شيخوخة الآباء والأمّهات^(٥٧))).

أمّا الأستاذ سعيد النورسي فيرى أنّ الأنانية والروح الفردية من مخلفات وآثار الفكر الوافد على الأمة الإسلامية لذلك يجب محاربتها والتحلّي بدلاً عن ذلك بروح الإيثار وحبّ الخير للآخرين فيقول: ((إن السجّية المليّة التي أخذوها منّا^(٥٨) هي قول واحد منهم: "إن متّ أنا فلتحيا أمّتي فإن لي فيها حياة باقية" هذه السجّية أقوى أساس وأمتنه لرقبهم وتقدمهم، قد سرقوها منّا؛ إذ هذه الكلمة إنّما تنبع من الدين الحق ومن حقائق الإيمان، فهي لنا وللمؤمنين جميعاً، بينما دخلت فينا أخلاق رذيلة وسجّايا فاسدة، فترى ذلك الأناني الذي فينا يقول: "إذا متّ ظمّاناً فلا نزل القطر، وإن لم أر السعادة فعلى الدنيا العفاء" فهذه الكلمة الحمقاء إنّما تنبع من عدم وجود الدين ومن عدم معرفة الآخرة...))

(٥٥) الدكتور محمد عمارة، الإسلام بين التنوير والتزوير، ط1، القاهرة، دار الشروق، 1416هـ/1995، 97.

(٥٦) يقصد بهم المتغريين.

(٥٧) منير شفيق، في الحدائث والخطاب الحدائث، ط1، بيروت_لبنان، المركز الثقافي العربي، 167. (٥٨) يقصد بهم الأوروبيين الذين أخذوا من المسلمين الخصال الحميدة وأعطوهم مقابل ذلك خصالهم الرذيلة والدنيئة.

وبسبب عدم تيقظ أناس منا، وبحكم أخذنا الأخلاق الفاسدة من الأجانب فإن هناك من يقول: "نفسي نفسي" مع ما في أمتنا الإسلامية من سمو وقدسيّة، فألف رجل مثل هذا الشخص الذي لا يفكر إلا بمصلحته الشخصية ولا يبالي بمصلحة الأمة، إنما ينزل بمنزلة شخص واحد (٥١٣).

هذا وقد حدّد الأستاذ النورسي علاجاً مناسباً لداء الأنانيّة حيث يقول: ((من كانت همّته نفسه فليس من الإنسان لأنّه مدنيّ بالطبع، فهو مضطرّ لأن يراعي أبناء جنسه، فإنّ حياته الشخصية يمكن أن تستمرّ بحياته الاجتماعيّة، فمثلاً: إنّ الذي يأكل رغباً عليه أن يفكر كم يحتاج إلى الأيدي التي تحضر له ذلك الرغيف فهو يقبل تلك الأيدي معني، وكذا الثوب الذي يلبسه كم من الأيدي والآلات والأجهزة تضافرت لتهيئته وتجهيزه، وقيسوا على منوال هذين المثالين لتعلموا أنّ الإنسان مفطور على الارتباط بأبناء جنسه من الناس لعدم تمكّنه من العيش بمفرده وهو مضطرّ إلى أن يعطي لهم ثمناً معنوياً لدفع احتياجاته، لذا فهو مدنيّ فطرة، فالذي يحصر نظره في منافعه الشخصية وحدها إنّما ينسلخ من الإنسانيّة ويصبح حيواناً مفترساً)) (٥١٣).

إذاً يجب على الإنسان أن يتذكّر دوماً أنّه ليس هو وحده الذي يعيش في هذه الحياة، بل هناك أناس آخرون مثله، وهم أيضاً بحاجة إلى كلّ ما يحتاج إليه هو من حاجات ومنافع، كما عليه أن لا ينسى أنّ الإنسان _ أي إنسان _ لا يمكنه أن يستغني عن الآخرين مهما أوتي من الأسباب الماديّة والمعنويّة، فالبشر يحتاج بعضهم بعض، هكذا هي الحياة، ولكي تستمرّ الحياة على هذا الكوكب فلا بدّ من أن تتكاتف الجهود والمسعّي، وأن يكتمل بعضها بعضاً، ويساعد بعضها بعضاً، ويحمل بعضها هموم بعض والقيام بالعمل الجاد على إزالتها والعيش معاً في مجتمع يسوده الحبّ والمودّة والإيثار.

كانت تلك أخطر الأمراض الاجتماعيّة التي ابتلي المسلمون بها ولا يزالون والتي حدّرتنا الأستاذ النورسي منها، وشخصها لنا وبين أضرارها ومخاطرها على الأمة الإسلاميّة، وحدّد الدواء الناجع لكل منها بحكمة بالغة ودهاء منقطع النظير عسى أن تستخدمه الشعوب الإسلاميّة فتظفر بالفوز في الدارين، وإلا فتكون عواقبها وخيمة عليهم في الدنيا قبل الآخرة.

ثانياً: إصلاح الحكم:

لقد جعل الأستاذ النورسي قضية إصلاح نظام الحكم في تركيا واحدة من أهم أولويات مشروعه الإصلاحية منذ أن قَدِمَ إلى استانبول في المرّة الثانية عام 1907م، فقد حاول مراراً أن يلتقي بالسلطان عبد الحميد الثاني لكي يشرح له الأوضاع الخطيرة التي تشهدها البلاد إلا أنه لم يتمكن من ذلك، والأستاذ النورسي رغم دفاعه عن مواقف السلطان عبد الحميد الثاني في الكثير من المناسبات إلا أنه كان ينتقده هو الآخر على بعض تصرفاته، لذلك كان يرى أن الإصلاح يجب أن يبدأ من السلطان أولاً لأنه أكثر حاجة إليه من غيره، وقد ورد عنه قوله: ((كنت سابقاً أحسب أن فساد الشرق نابع من تعرض عضو منه للمرض، ولكن لما شاهدت استانبول المريضة وجسست نبضها، وشرحتها، أدركت أن المرض هو في القلب وسرى منه إلى جميع الجهات، فحاولت علاجه ولكن أكرمت بإلحاق صفة الجنون بي! حيث أنّ وشاية الحاسدين والخصماء أدت بي إلى أن أساق إلى مستشفى المجاذيب (٥٥) بأمر السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله رحمة واسعة)) (٥٦).

لذلك كان الأستاذ النورسي يحاول دوماً أن يصلح الحكام سواء في العهد العثماني أو العهد الاتحادي وما بعده لأنّ الحاكم إذا صلح صلحت الأمة أما إذا فسد الحاكم فلا شك أنّ الفساد سوف ينتشر في الأمة بشكل أعمق وأسوأ، يقول الأستاذ شكري أصلان الكردستاني في مقدّمته لكتاب ديوان الحرب العربيّ الذي ألفه الأستاذ النورسي: ((أثناء زيارة الإمام النورسي إلى استانبول سنة 1907م كانت الدولة العثمانية الإسلامية قد شارف [كذا] (٥٧) على الموت، فحاول مع فئة من المفكرين والعلماء أن يداوي جراح هذا المريض فقام بنشاطات سريعة وهادفة مرّة ومؤلمة أحياناً لأنّه كان يظنّ أهل الإدارة مخلصين فلم يخف من الإشارة إلى مكامن الفساد في الدولة ومحاولة الإصلاح، كما أنّ المعالجة كان أمراً لا بدّ منه وذلك كبت الأعضاء لصالح الجسد: أولاً: نصح السلطان عبد الحميد أن يقوم بأعمال إصلاحية في المدارس مثل تدريس العلوم الحديثة بجانب العلوم الإسلامية.

ثانياً: دعا السلطان إلى أن يعلن عن المشروطة لبقاء الدولة الإسلامية واستمرارها في رسالتها إذ كان يقول إنّ هذا النوع من الإدارة محال فإمّا هذا النوع الجديد _ المشروطة _ من الإدارة وإمّا الاضمحلال)) (٥٨).

هذا ومن جملة اعتراضات الأستاذ سعيد النورسي على السلطان عبد الحميد الثاني استبدال هذا الأخير في إدارة الحكم، وقد ردّ الأستاذ النورسي على ذلك الاستبدال بقوله: ((إن الاستبدال

(٥٥) مستشفى المجاذيب أي المجانين. (٥٦) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص 69.

(٥٧) ولعلّ الصواب قد شارفت.

(٥٨) بديع الزمان سعيد النورسي، ديوان الحرب العربي، ترجمها وعلّق عليها الأستاذ شكري أصلان الكردستاني، ص 5.

المتعسف لا صلة له بالشرعية الغراء، وإن الشرعية قد أتت لهداية العالم أجمع كي تزيل التحكم الظالم والاستبداد.

وإن ثلاثين سنة التي قضيناها صائمين عن الكلام متحمّلين بالصبر والتوكل على الله سننال ثوابها بانفتاح أبواب جنة الرقي، أبواب المدينة التي لا عذاب فيها (٥٥) (٥٥).

واضح من كلام الأستاذ النورسي أنه كان يحمل أملاً كبيراً في أن الأوضاع سوف تتغيّر نحو الأحسن وأن الاستبداد سوف يزول وتحلّ الحرية محلّها إلا أنه فوجئ باستبداد أشدّ وأقوى من استبداد السلطان عبد الحميد الثاني وذلك على يد جمعية الاتحاد والترقي (٥٦)، فقال: ((حينما كانت الحرية قرينة الجنون جعل الاستبداد الضعيف مستشفى المجاذيب مدرسة لي، والذي يبدو أن الغاية ما كانت استرداد الحرية من السلطان عبد الحميد بل تحويل استبداد ضعيف وضيئل إلى استبداد شديد وقوي)) (٥٧).

وفيما يأتي سوف أستعرض أهمّ القضايا المتعلقة بالحكم والتي حاول الأستاذ سعيد النورسي إصلاحها وبيان موقفه منها:

النورسي ونظام الحكم:

لقد تحدّث الأستاذ سعيد النورسي كثيراً عن نظام الحكم وأشكاله وخصائصه، وكان كثيراً ما يقارن بين الأنظمة الدستورية الشورية وبين الأنظمة الاستبدادية الدكتاتورية، وتراه كثيراً ما يستخدم

(٥٥) لقد قال الأستاذ النورسي هذا الكلام في بداية عهد الحرية، ويبدو أنه كان متفائلاً جداً بتحسّن الأوضاع، وانتشار الحرية، إلا أنه وللأسف الشديد قد خاب ظنّه حيث أن العهد الذي جاء بعد عهد السلطان عبد الحميد الثاني كان أشدّ استبداداً منه، حيث فرضت المزيد من القيود وخاصة على المفكرين والسياسيين ورجال الإصلاح، لذلك قال الأستاذ بعدما رأى تلك الأوضاع: (لقد كانت هذه الحكومة تخصم العقل أيام الاستبداد [يقصد بذلك أيام حكم السلطان عبد الحميد الثاني] إلا أنّها الآن تعادي الحياة بأكملها، فإن كانت الحكومة بهذا الشكل والمنطق فليعيش الجنون وليعيش الموت، ولتعش جهنّم مئوى للظالمين).

(٥٦) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص75.

(٥٧) يذكر الأستاذ مصطفى صنغر: أن الأستاذ بعدما عانى ما عانى من عهد الحزب الواحد (عهد مصطفى كمال وعصمت إينونو) كان يحاطب نفسه قائلاً: أيا سعيد تجزع أذى هذا الاستبداد الرهيب عقاباً لما اعترضت على سلطان رؤوف شفيق أنه

مستبد. نقلاً عن الأستاذ إحسان قاسم الصالحي في ترجمته لكتاب سيرة ذاتية ص76، الهامش 115.

(٥٨) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص75.

مصطلح النظام الجمهوري (ÖP) ويرى ضرورة تأييده والوقوف بجانبه في وجه الأنظمة الاستبدادية، ويصف الأستاذ النورسي النظام الجمهوري الذي يؤيده بأنه ذلك النظام الذي يكون ((عبارة العدالة والشورى وحصر القوة في القانون)) (ÖP).

وعندما سئل في محكمة "أسكي شهر" عن موقفه تجاه النظام الجمهوري أجاب:

((تستطيعون أن تتأكدوا من كتاب "السيرة الذاتية" الموجود لديكم بأني كنت شخصاً متديناً ومن أنصار النظام الجمهوري وذلك قبل أن تأتوا أنتم إلى الدنيا، هذا باستثناء رئيس المحكمة المتقدم في العمر، وخلاصة ذلك أنني كنت آنذاك منزوياً _ كحالي الآن _ تحت قبة مقبرة (ضريح) خالية، فكانوا يأتون لي بالحساء وكنت أقوم بإعطاء حبات الحساء إلى النمل وأكتفي بغمس الخبز في سائل الحساء، سألوني عن السبب فقلت: إن أمة النمل وكذلك النحل تعيش في نظام جمهوري، وأنا أعطي الحبات للنمل لنظامها الجمهوري.

ثم قالوا: أنت تخالف بذلك السلف الصالح فأجبتهم:

لقد كان الخلفاء الراشدون خلفاء ورؤساء جمهورية في الوقت نفسه؛ فالصديق الأكبر (رضي الله عنه) كان دون شك بمثابة رئيس جمهورية للعشرة المبشرة وللصحابه الكرام، ولكن ليس تحت عنوان أو شكل فارغ، بل كان كل منهم رئيس جمهورية متدين يحمل معنى العدالة الحقيقية والحرية الشرعية (ÖP).

ولعل من أسباب تأييد الأستاذ النورسي لقيام نظام جمهوري ما عاناه الأستاذ من الأنظمة الاستبدادية سواء في عهد العثمانيين أو في عهد حكم الاتحاد والترقي والعلمانيين عموماً، فقد مرر معنا أثناء الحديث عن موقف الأستاذ النورسي من الاستبداد كيف كان الأستاذ ينتقد استبداد السلطان عبد الحميد الثاني، كما استمر في نقد الاستبداد في عهد الذين توالوا على حكم تركيا في عهد الكماليين ومن بعدهم، لذلك أيد الأستاذ النورسي قيام حكم جمهوري علّه يساعد بعض الشيء في الحد من ممارسة الاستبداد في الحكم الذي كان يتصف به الحكام آنذاك.

(ÖP) النظام الجمهوري هو ذلك الحكم الذي يتم فيه اختيار رئيس الدولة عن طريق الانتخابات ولمدة معينة، ويسمح هذا النظام لمن تتوفر فيه الشروط والصفات المطلوبة أن يصل إلى منصب الرئيس الأعلى للدولة إذا فاز في الانتخابات، بعكس النظام الملكي الذي يسير وفق فكرة الوراثة في الحكم حيث يرث الابن الحكم عن والده والأخ عن أخيه وهكذا.

(ÖP) بديع الزمان سعيد النورسي، صيفل الإسلام، ص 527.
(ÖÖ) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص 425.

وإذا أمعنا النظر في رسائل النور لتبين لنا أنّ الأستاذ النورسي لا يشترط شكلاً معيّناً لنظام الحكم، بل الذي يشترطه هو قيام الحكم على أسس من العدالة والشورى والحرية وتطبيق القانون، ويقول في ذلك:

((إنّ القوّة لا بدّ أن تكون في القانون وإلاّ فسيتفشى الاستبداد في الكثيرين، ولا بدّ أن يكون المهيمن والامر الوجداني قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (٥٥)، وهذا يكون بالمعرفة التامة والمدنيّة الكاملة أو بتعبير آخر بالإسلام وإلاّ سيكون الاستبداد هو المستولي دائماً)) (٥٥).

إذا فالنظام الجمهوري الذي كان الأستاذ النورسي يؤيّده هو ذلك النظام القائم على العدالة والشورى وتطبيق القانون، وإلاّ فما الفائدة من إطلاق تسمية النظام الجمهوري على أنظمة حكم يتظاهر حكماًها بالديمقراطية وتطبيق القانون بينما دكتاتوريتهم واستبدادهم في واقع الأمر يفوق استبداد أي ملك جاء إلى الحكم بطريقة وراثية ((وكثيراً ما نجد أنّ بعض الدساتير قد أقرت لرئيس الجمهورية من الصلاحيات أكثر مما أقرت دساتير الدول الملكية للملوك)) (٥٦)، لذلك فوصف النظام في أي بلد بأنه جمهوري لا يكون مقبولاً إذا لم يثبت النظام الحاكم ذلك ويحقّقه في أرض الواقع.

هذا وقد تحدّث فقهاء السياسة قديماً وحديثاً عن مسألة اختيار الإمام (رئيس الدولة) وطريقتها، ولعلّ الإمام الماوردي يكون من أكثر من تحدّث عن ذلك قديماً حيث قام في كتابه الأحكام السلطانية بتفصيل الكلام عن طريقة اختيار الإمام، وأهم واجبات الإمام بعد أن يبايع من قبل أهل الحلّ والعقد، كما تحدّث عن حقوقه على الأمة وحقوق الأمة عليه، وفيما يأتي عرض موجز لكلامه رحمه الله حيث يقول:

((والإمامة تنعقد من وجهين: أحدهما: باختيار أهل الحلّ والعقد، والثاني: بعهد الإمام من قبل، أما انعقادها باختيار أهل الحلّ والعقد فقد اختلف العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة منهم على مناصب شتى فقالت طائفة لا تنعقد إلاّ بجمهور أهل الحلّ والعقد من كلّ بلد ليكون الرضا به عاقماً، والتسليم لإمامته إجماعاً... فإذا اجتمع أهل العقد والحلّ والاختيار تصفّحوا أحوال أهل الإمامة الموجودة فيهم شروطها فقدموا للبيعة منهم أكثرهم فضلاً، وأكملهم شروطاً، ومن يسرع الناس إلى طاعته ولا يتوقفون عن بيعته، فلو تكافأ في شروط الإمامة اثنان... [٥٧] كان أحدهما أعلم والآخر أشجع روي في الاختيار ما يوجبه حكم الوقت، فإن كانت الحاجة إلى فضل الشجاعة

(٥٥) الحج، 74.

(٥٦) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص 527.

(٥٧) الدكتور محمد فاروق النبهان، نظام الحكم في الإسلام، الكويت، من مطبوعات جامعة الكويت، 1987 jãl 69.

أدعى، لانتشار الثغور وظهور البغاة كان الأشجع أحقّ، وإن كانت الحاجة إلى فضل العلم أدعى لسكون الدهماء وظهور أهل البدع كان الأعلم أحقّ.

... وإذا قام الإمام بما ذكرناه من حقوق الأمة فقد أذى حقّ الله تعالى فيما لهم وعليهم، ووجب له عليهم حقّان: الطاعة والنصرة ما لم يتغيّر حاله^(٥).

من خلال عرضنا لكلام الإمام الماوردي الأنف الذكر يتبيّن لنا جملة أمور:

Ā - لقد بيّن الإمام الماوردي أنّ طرق استلام الحكم في الإسلام إمّا أن تكون باختيار أهل الحلّ والعقد، أو بعهد الإمام من قبل، ولم يتطرق إلى ذكر الطرق الأخرى مثل الاستيلاء على الحكم عن طريق القوّة والانقلابات العسكرية وما شابهها لأنّه لا يشرع تولّي الحكم بتلك الطرق والوسائل، وفي حديثه عن طريق تسلّم الحكم في الإسلام نراه قد ركّز على الطريقة الأولى وهي اختيار أهل الحلّ والعقد لأنّها هي الطريقة الشرعيّة والأكثر مقبوليّة من قبل الأمة من الطريقة الثانيّة _أي عهد الإمام من قبل_ لذلك أشار إلى أنّ الإمامة قد انعقدت بهذه الطريقة مرّتين فقط: المرّة الأولى: كانت في اختيار أبي بكر لعمر خليفة له من بعده، والمرّة الثانية: اختيار عمر بن الخطّاب لسنته من المرشحين لكي يختاروا من بينهم واحداً منهم لكي يخلفه بعد موته، وفي ذلك إشارة واضحة من قبل الإمام الماوردي إلى أفضليّة اللجوء إلى الطريقة الأولى وهي اختيار أهل الحلّ والعقد للإمام (رئيس الدولة).

Ē - لقد أكّد الإمام الماوردي على ضرورة مراعاة مقبوليّة الإمام (رئيس الدولة) من قبل عمّة الشعب لأنّ ذلك يكون أدعى إلى طاعته واحترامه وتنفيذ أوامره.

Ĕ - كما أشار الإمام الماوردي إلى مسألة هامّة أخرى وهي أنّه لا ينبغي اللجوء إلى اختيار الأعلم في كلّ الأوقات، بل يتوقّف اختيار الإمام على الجوانب التي تكون الأمة بحاجة إليها في ذلك الزمن (وهو ما عبّر عنه بحكم الوقت) فإذا كانت الأمة بحاجة إلى إمام قويّ لكي يمسك بزمام الأمور ويقضي على الفوضى في البلاد قدّم للإمامة على العالم وهكذا.

Ė - أما بالنسبة للحقوق والواجبات فقد بيّن الماوردي أنّه يجب على الإمام أن يؤدّي مهامّه وأن يقوم بالواجبات التي تقع على عاتقه أحسن قيام، وأنّه إذا فعل ذلك وجبت طاعته ونصرته على الأمة، أمّا أن يفرض الإمام (رئيس الدولة) طاعته على الرعيّة دون أن يقوم هو بأداء

^(٥) أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (Ē) 450هـ، الأحكام السلطانيّة والولايات الدينيّة، بغداد، المكتبة العالميّة، 1409هـ/1989 [Ĕ] 180 وما بعدها.

واجباته تجاههم فهذا أمر مرفوض لأنّ ((العلاقة بين الحاكم والمحكومين.. علاقة تعاقدية نيابية، الحاكم فيها نائب أو وكيل عن الأمة شرعاً وهي صاحبة الشأن والمصلحة الحقيقية)) (iii).

موقف النورسي من تدخّل الجيش في السياسة:

كان الأستاذ النورسي يرى أن الجيش واجبه فقط هو الدفاع عن الأمة ضد عدوها الخارجي، أما اشتغاله بالسياسة ونظام الحكم فهو بمثابة كارثة حقيقية لو حدث، لذلك كان الأستاذ النورسي يحدّر الجيش دوماً من معبّة التدخّل في السياسة وقد خاطبهم يوماً بقوله:

((يا عساكر الموحدين: إني أبلغكم أوامر سيد العالمين صلّى الله عليه وسلّم:

إنّ طاعة أولي الأمر ضمن الدائرة المشروعة فرض، فأولياء أموركم وأساتذتكم ضباطكم...

إنّ تاريخ العالم يشهد أن تدخّل الجنود في السياسة قد أدّى إلى أضرار جسيمة للدولة

وللأمة معاً، فلا بدّ أن حميتكم الإسلامية ستصرفكم عن مثل هذه الأضرار التي تصيب حياة

الإسلام التي تكفلتم بحفظها...

إنّ أعمالكم كانت علاجاً لهذه الحركات الانقلابية فإذا ما زادت انقلبت سماً قاتلاً، وأدت

بالحياة الإسلامية إلى أمراض حسام، ثمّ إن ما فينا من استبداد قد زال بهمتكم، ولكن نحن لا زلنا

تحت الاستبداد المعنوي لأوروبا في مضمار الرقيّ، فلا بدّ من الالتزام بأقصى درجات الحذر والسكينة والهدوء فلتحيا الشريعة الغراء، فليعيش الجنود)) (iii).

من المشاكل الرئيسة التي تعاني منها تركيا في الوقت الحاضر تدخّل الجيش في السياسة وأمور

الحكم في الدولة، وإذا كانت الكثير من الدول تعاني من استغلال حزب ما أو أسرة معينة للجيش

واستخدامه كورقة رابحة متى شاءت فإن الوضع في تركيا مختلف؛ حيث أن الجيش هو الذي يتحكّم

ويسيطر على الحكومة والأحزاب، وكافة مؤسسات الدولة، ومتى ما وصل إلى الحكم حزب لا

يعجب الجنرالات قام الجيش بالانقلاب عليه كما حدث في سنة 1960 و1971 و1980.

(iii) الدكتور فتحي الدّريني، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم، ط 2، بيروت_لبنان، مؤسسة الرسالة،

1407هـ/1987م، 431.

(iii) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص541.

إذا ما رجعنا إلى الخلفية التاريخية لهذه المشكلة في تركيا فسنرى أنّ تدخل الجيش في السياسة ليس وليد اليوم، بل يعود ذلك إلى بدايات نشوء الدولة العثمانية، فالدولة العثمانية أسست على يد العسكر، وكان العسكر هم حماة على مرّ الزمان، وقد اعتمدت الدولة العثمانية على سواعدهم في توسيع نفوذها وضمّ أقاليم أخرى إلى سلطنتهم (iii)، وما الجيش الإنكشاري الذي ابتلي العثمانيون به في فترة ما إلّا واحدة من معطيات تدخل الجيش في السياسة التركية منذ القَدَم وإلى يومنا هذا.

هذا ويمكننا تحديد بعض الأسباب لهذه الظاهرة والتي منها:

أولاً: تشكيلة النفسية التركية:

إنّ تشكيلة النفسية التركية هي تشكيلة عسكرية، وإليك مثلاً واحداً فقط على ذلك: حيث ((يتبيّن من خلال إحدى الإحصاءات أنّ تركيا بين عامي 1932 æ 1987م وضعت تحت الأحكام العرفية لفترات مجموعها 25 سنة و 9 أشهر و 18 يوماً، أي ما يعادل أربعين في المائة من تاريخها الجمهوري)) (iv).

ثانياً: العامل الاقتصادي:

إذا كنّا مقتنعين بصدق المقولة التي تقول: "السياسة والاقتصاد وجهان لعملة واحدة" أدركنا أنّ العامل الاقتصادي يشكّل سبباً مهماً في تدخل الجيش التركي في السياسة، فتركيا رغم محاولاتها للحاق بركب الدول الغنيّة، وسعيها الحثيث لزيادة دخل الفرد، رغم ذلك فإنّ اقتصادها لازال يتراجع، فالليرة التركية مستمرة في الهبوط، ودخل الفرد ما زال ينزل إلى درجة أنّ دولاً مثل بولندا والمجر وبلغاريا متوسط دخل الفرد الواحد فيها يفوق ضعف متوسط الدخل الفردي في تركيا (v). لذلك فإنّ الانقلابات العسكرية الثلاث التي حدثت في تركيا كان وراء كلّ واحدة منها أزمة اقتصادية حادة في البلاد ((كانت الحكومة المدنية عاجزة عن التعامل الصحيح معها مما يدفع

(iv) للمزيد من التفاصيل راجع الفصل التمهيدي من هذه الأطروحة.

(v) محمد نور الدين، تركيا الجمهورية الحاضرة، ط1، بيروت_لبنان، مركز الدراسات الاستراتيجية، 1998. 810

(vi) أنظر: صحيفة الأنباء، الكويت، العدد 1506، في 1980/3/8.

الجيش نحو السعي لإيجاد مخرج منها عبر الضغط على الحكم المدني أو استلام السلطة مباشرة)) (İÖ).

وفي الفترة التي سبقت انقلاب 1980م شهدت تركيا واحدة من أسوأ الأزمات الاقتصادية حيث ارتفعت أسعار النفط ارتفاعاً ملحوظاً وهذا الأمر أثر في الاقتصاد التركي لأن إنتاجها المحلي لا يسد سوى 15% من حاجاتها واستمرت المشاكل الاقتصادية بالتفاقم يوماً بعد يوم إلى أن قام الجيش بقيادة الجنرال كنعان إفرين بالانقلاب على الحكومة المدنية سنة 1980م.

ثالثاً: العامل الإيديولوجي:

منذ أن أمسك الجنرال مصطفى كمال أتاتورك بزمام الحكم في تركيا وإعلان العلمانية فيها، منذ ذلك اليوم إلى يومنا هذا يعتبر الجنرالات أنفسهم حماة للعلمانية في تركيا، وبناء عليه فهم مستعدون للإطاحة بأيّة حكومة إذا ما أحسّوا بأن العلمانية في تركيا أصبحت في خطر، يقول محمد نور الدين: ((من الطبيعي أن يتساءل المرء عن موقف الجيش من أيّة محاولة لتأسيس سلطة إسلامية في تركيا خصوصاً أنّ الجيش يعتبر نفسه حامي حمى العلمانية، جنرال متقاعد في الجيش رفض ذكر اسمه صرّح لمجلة "نقطة" الأسبوعية التركية أنّه في حال اتّجاه "الرفاه" لتأسيس مفهوم آخر للدولة فإنّه سيدخل في متاهة القضاء والمحكمة الدستورية... ويتحدّث مسؤولون عسكريون آخرون من رتب مختلفة من أنّهم سيرصدون مواقف "الرفاه" المخالفة للعلمانية وسيصدّون لأيّ خطوة تتعارض معها، إنّ جيشنا حسّاس بالنسبة لمسألة العلمانية أكثر من أي موضوع آخر)) (İÖ).

لقد قام الجنرالات بعد انقلاب 1960م بتقوية موقفهم من التدخل في السياسة وذلك من خلال استحداث مؤسسة جديدة ينصّ عليها الدستور باسم "مجلس الأمن القومي" الذي يضمّ كبار قادة الجيش من الجنرالات وبعض الوزراء البارزين، ورغم تسمية هذه المؤسسة بـ "مجلس الأمن القومي" والذي يوحي بأنّ مهمتها تقتصر على المسائل التي تمسّ الأمن القومي في تركيا رغم ذلك فإنّها تتدخل في كلّ صغيرة وكبيرة في تركيا مثل: ((الشؤون الاقتصادية والتربوية وحتى المواصلات،

(İÖ) مشرف وسمي الشمري، تدخل الجيش في السياسة التركية بعد الحرب العالمية الثانية، بحث ألقى في المؤتمر الأول للدراسات التركية الذي نظّمه مركز الدراسات التركية في جامعة الموصل في العراق في الفترة من 5/30 إلى 5/30 1989/6/1 | 90.

(İÖ) محمد نور الدين، تركيا في الزمن المتحوّل، ص60.

ومع أنّ ما يتّخذهُ مجلس الأمن القومي ليس سوى توصيات غير ملزمة للحكومة إلاّ أنّ الحكومات المتعاقبة لم يحدث أن رفضت أيّ توصية)) (١١٥).

هذا ويتشبّه الجيش لتبرير تدخّله العسكري وانقلاباته بالمادّة (35) من الدستور والذي ينصّ على السماح للجيش بالتدخّل العسكري لاستلام السلطة إذا أحسّت أن الجمهوريّة والديمقراطيّة والعلمانيّة معرّضة للخطر.

رابعاً: وهناك عامل آخر لتدخّل الجيش في السياسة في تركيا وهو السبب المادّي، حيث يكسب كبار قادة الجيش مئات الآلاف من الدولارات سنويّاً من وراء تدخّلهم في سياسة الدولة، وما المناورات العسكريّة التي اشترك فيها الجيش الإسرائيلي مع الجيش التركي على الأراضي التركيّة قبل سنوات إلاّ واحدة من مصادر كسب الأموال الطائلة التي حصل عليها كبار الجنرالات في تركيا، لذلك يقول الكثير من المحلّلين إنّ الجيش التركي لا يريد أن ينهي صراعه مع حزب العمّال الكردستاني لأنّه يحصل سنويّاً على ملايين الدولارات بفضل استمرار حالة الطوارئ في كردستان تركيا، لذلك فقد أشار باحث تركيّ إلى هذا العامل وأهميته في استمرار الجيش في السياسة بأنّه يوجد دور كبير ((تلعبه شبكة مصالح اجتماعيّة واقتصاديّة توفّر امتيازات هائلة على صعيد الثكنات والمجمعات السكنيّة والأسواق الاقتصاديّة وغيرها لأفراد القوّات المسلّحة ولا سيّما ذوي الرتب الرفيعة)) (١١٥).

كانت تلك مجموعة من أهمّ الأسباب التي أدّت وتؤدّي إلى تدخّل الجيش في السياسة التركيّة، هذا وقد عانت تركيا ولا زالت تعاني من هذه المعضلة وعواقبها الوخيمة على المجتمع التركي من كافّة النواحي السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والنفسيّة وغيرها من النواحي، لذلك حدّر الأستاذ النورسي من معبّة تدخّل الجيش في السياسة وأنّ واجبه يكمن في حماية الدولة من الأخطار الخارجيّة فحسب.

ثالثاً: إصلاح الاقتصاد:

أن للاقتصاد أهمية كبرى لكافّة المجتمعات لا سيّما في هذا العصر الذي أصبح الاقتصاد واحداً من أقوى أنواع الأسلحة التي تستخدمها الدول العظمى ضد بعضها، وكذلك تستعملها ضدّ

(١١٥) محمد نور الدين، تركيا الجمهوريّة الحائرة، ص85.

(١١٥) محمد نور الدين، تركيا الجمهوريّة الحائرة، ص83.

الدول الفقيرة في العالم الثالث، فقد استخدمت أمريكا سلاح تجويع الشعوب، والحصار الاقتصادي، وحظر انتقال البضائع ضد الكثير من الدول، لذلك قيل إن السياسة والاقتصاد وجهان لعملة واحدة حيث أن كلاً منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به سلباً وإيجاباً، لذلك نرى الأستاذ سعيد النورسي يتحدّث في رسائله عن الكثير من المسائل الاقتصادية إلا أنه لم يتطرق إلى التفاصيل بل ترك ذلك للمتخصصين فيه، فتحدّث عن أهمية الاقتصاد وكيفية الاستفادة منه في حياتنا اليومية، وضرورة إصلاح الاقتصاد للانعقاد من هيمنة الدول الأجنبية وضغوطاتها التي تمارسها ضد الدول الفقيرة عن طريق أموالها وديونها ومنتجاتها وبضائعها التجارية.

لقد ركّز الأستاذ النورسي على جملة من الأمور التي ينبغي تحقيقها لإصلاح الاقتصاد ومن تلك الأمور:

آ - التشجيع على دفع الزكاة:

بما أنّ للزكاة أهمية كبرى ولها دور فعّال وإسهام مباشر في حلّ الكثير من المشاكل الاقتصادية داخل المجتمع الإسلامي فقد جعلها الله تبارك وتعالى ركناً من الأركان الخمسة التي يقوم عليها الإسلام، لقد قرُن ذكر الزكاة مع الصلاة في القرآن الكريم في اثنتين وثمانين موضعاً منها قوله تعالى: {الَّذِينَ إِذَا مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} (١١٥).

هذا وقد ثبتت فرضية الزكاة بالقرآن والسنة وإجماع المسلمين، فقال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (١١١)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن فقال: (أدعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنّ الله تعالى افترض عليهم خمس صلوات في كلّ يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنّ الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وتردّ على فقرائهم) (١١١)، وورد في حديث آخر للرسول صلّى الله عليه وسلّم تهديد ووعيد كبيران لمن يمتنع عن أداء زكاة ماله فقال: (ما من صاحب ذهب

(١١٥) الحج، 41.

(١١١) التوبة، 103.

(١١١) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، ص294، حديث رقم: 1395.

ولا فضة لا يؤدّي منها حقّها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائح من نار فأحْمى عليها في نار جهنّم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلّما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتّى يقضى بين العباد فيرى سبيله إمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النار) (١١١).

لقد فرض الله سبحانه الزّكاة على الأغنياء لكي لا تتكدّس الثروات في خزائن فئة محدودة من الناس تتصرّف في الأموال كما تشاء، وبذلك اضطرّ الأغنياء إلى تدويل أموالهم ووضعها في المشاريع التجاريّة للمحافظة على ثرواتهم من النقص الحاصل جرّاء دفع الزّكاة سنويّاً، ولا شك أنّ ذلك قد أدّى ويؤدّي إلى تنشيط الحركة التجاريّة التي يستفيد منها الأغنياء والفقراء على حدّ سواء، ف ((الزّكاة في نظر الإسلام ليست إلاّ صرف بعض أموال الأُمّة ممثلة في أغنيائها إلى الأُمّة نفسها ممثلة في فقرائها، وبعبارة أخرى ليست إلاّ نقل الأُمّة بعض مالها من إحدى يديها وهي اليد المشرفة التي استخلفها الله على حفظه وتنميته والتصرف فيه وهي يد الأغنياء، إلى اليد الأخرى وهي اليد العاملة الكادحة التي لا يفي عملها بحاجتها أو التي عاجزت عن العمل، وجعل رزقها فيه ومنه وهي يد الفقراء)) (١١٢).

الزّكاة هي واحدة من أهم ركائز النظام الاقتصادي في الإسلام، ولها أهمية كبرى في انتعاش الاقتصاد، حيث يؤدّي إلى تدويل الأموال بين كافة طبقات المجتمع، ويمنع احتكار طبقة معيّنة من أفراد المجتمع لرؤوس الأموال وصرفها حسب أهوائها وشهواتها.

لقد أمر الله المسلمين بدفع الزّكاة، وجعلها ركناً من أركان الإسلام التي يكفّر جاحدها، وتوعّد بالعذاب الأليم لمانعها، وفي المقابل حرّم الرّبّا بكل أشكاله، وعدّه من الكبائر، وتوعّد بالعذاب المهين لكل من كان عوناً في التعامل بالرّبّا ورد أنّه صلّى الله عليه وسلّم لعن: (آكل الرّبا وموكله وكتبه وشاهديه وقال هم سواء) (١١٣)، وقال: (درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشدّ من ستة وثلاثين زنية) (١١٤).

هذا وقد بيّن الأستاذ النورسي في الكثير من كتاباته وأقواله الأضرار الجسيمة التي تلحق بالأُمّة جرّاء منع الزّكاة والتعامل بالرّبّا لذلك حدّر المجتمع من ذلك فقال في كتابه الكلمات تحت عنوان انتعاش الاضطرابات بموت الزّكاة وحياة الرّبّا: ((إن معدن جميع أنواع الاضطرابات والقلقل والفساد وأصلها، وإن محرّك جميع أنواع السيئات والأخلاق الدنيئة ومنبعها كلمتان اثنتان أو جملتان فقط:

(١١١) رواه الإمام مسلم، صحيح مسلم، ج7، كتاب الزّكاة، باب إثم مانع الزّكاة، ص64.

(١١٢) الإمام الأكبر محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، ص94.

(١١٣) رواه الإمام مسلم، صحيح مسلم، ج11، كتاب المساقاة، باب الرّبا، ص26.

(١١٤) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج5، ص225.

الكلمة الأولى: إذا شبعْتُ أنا فما لي إن مات غيري من الجوع.

الكلمة الثانية: تحمّل أنت المشاق لأجل راحتي، اعمل أنت لأكل أنا، لك المشقة وعليّ

الأكل.

والدء الشافي الذي يستأصل شأفة السم القاتل في الكلمة الأولى هو: الزكاة التي هي ركن

من أركان الإسلام.

والذي يجث عرق شجرة الزقوم المندرجة في الكلمة الثانية هو: تحريم الرِّبَا...

فإذا أرادت البشرية دوام الحياة فعليها أن تستمسك بالزكاة وتطرد الرِّبَا^(iiö).

E - الحث على الكسب والعمل:

لقد حثنا الإسلام كثيراً على السعي في طلب الرزق وقيام المرء بعمل ما يتكسب منه، ويسير

أمور حياته بما يدرّ عليه ذلك العمل أو تلك المهنة من أموال، فالإسلام يريد من الفرد المسلم أن

يكون عنصراً نافعاً ومنتجاً داخل مجتمعه، لا عنصراً مستهلكاً فحسب معتمداً على الآخرين في

توفير لقمة العيش وسائر مستلزمات الحياة، هذا وقد حثنا القرآن الكريم في العديد من آياته على

العمل والتكسب، منها: قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولاً فَامشوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا

مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النّشُورُ}^(iiö)، وقال في آية أخرى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا

مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }^(iiö)، ويقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اليد

العليا خير من اليد السفلى..)^(iiö)، كما ورد عنه أنه حثّ المسلمين كي يقوم كل منهم بعمل أو

مهنة ما يقتات بها حيث قال: (ما أكل أحد طعاماً قطّ خيراً من أن يأكل من عمل يده)⁽ⁱⁱⁱ⁾

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: ((يجب أن نعلم أنّ العمل في الإسلام واجب على كلّ قادر كما

أنّه حقّ له فلا يحلّ لمسلم أن يقعد عن العمل والكسب باسم التفرّغ للعبادة، والتوكّل على الله فإنّ

السماء لا تمطر ذهباً ولا فضّة، كما أنه لا يحلّ له أن يعتمد على إعانة يَمْنَحُهَا وهو قويّ قادر على

^(iiö) بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص851.

⁽ⁱⁱⁱ⁾ الملك، 15.

^(iiö) الجمعة، 10.

⁽ⁱⁱⁱ⁾ رواه الإمام البخاري، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، ص430، حديث رقم 2072.

1427. حديث رقم 301،

الاكتساب... إنَّ الإسلام ليقَدِّس العمل الدنيوي ويعتبره حيناً ضرباً من العبادة وتارة جهاداً في سبيل الله إذا اقترنت به النيّة الصالحة وصحبه الإخلاص والإتقان))⁽ⁱⁱⁱ⁾.

لذلك فقد كان الأستاذ النورسي أيضاً يَحَثُّ طلابَ النور وغيرهم على السعي والعمل الجاد للحصول على الرزق الحلال الذي به يقوى الإنسان على الاستمرار على طاعة ربّه وخدمة دينه، وكثيراً ما كان الأستاذ النورسي يشوِّق للناس العمل والتكسّب ويبين مزاياه ولذّته للعامل، وأن هذا الكون كلّه في عمل دائم لكي تستمرّ الحياة، حيث يقول:

((يا من لا يدرك مدى اللذة والسعادة في السعي والعمل..أيها الكسلان! اعلم أن الحقّ تبارك وتعالى قد أدرج لكمال كرمه جزاء الخدمة في الخدمة، وأدمج ثواب العمل في العمل نفسه.

ولأجل هذا كانت الموجودات قاطبة بما فيها الجمادات _ من زاوية نظر معيّنة _ تمثل الأوامر الربّانيّة بشوق كامل، وبنوع من اللذة عند أدائها لوظائفها الخاصّة بها والتي تطلق عليها "الأوامر التكوينيّة"، فكل شيء ابتداءً من النحل والنمل والطير.. وانتهاءً إلى الشمس والقمر كلّ منها يسعى بلذّة تامّة في أداء مهماتها، أي: اللذة كامنة في ثنايا وظائف الموجودات، حيث أنّها تقوم بما على وجه من الإتقان التام برغم أنّها لا تعقل ما تفعل ولا تدرك نتائج ما تعمل))⁽ⁱⁱⁱ⁾.

وإذا كان الإسلام قد حثّنا على ضرورة العمل والتكسّب فإنّ ذلك لا يعني جواز القيام بجمع المال والثروة بأية وسيلة كانت، وإذا كان المال في النظم الاقتصاديّة الوضعيّة هو الغاية والهدف دون النظر إلى الوسيلة فإنّ ذلك أمر مرفوض في الاقتصاد الإسلامي، فالحصول على المال والثروة في الإسلام يجب أن يكون بالطرق المشروعة التي لا شبهة فيها، لذلك فقد حرّم الإسلام أنواعاً من التكسّب منها: زراعة النباتات التي تستخدم في صنع المخدّرات كالخشخاش والحشيش وما إلى ذلك، وكذلك لا يجوز للمسلم أن يعمل في المصانع التي تنتج المنتجات الضارّة والمحرّمة كإنتاج الخمر والسكائر، وكذلك لا يجوز للمسلم أن يعمل في المؤسسات الإعلاميّة التي تعمل على هدم أركان الفضيلة والعقّة في المجتمع، وكذلك التي تبتّ السّموم في الفكر والثقافة والعقيدة، وهنالك الكثير من الأعمال والمهن الأخرى التي حرّمها الإسلام وقد بيّنها الفقهاء في كتبهم وفتاويهم، أما ما عدا ذلك من المهن والأعمال التي فيها فوائد عامّة للمجتمع مثل البناء، والزراعة، والتجارة وما إلى ذلك فكُلّها من الأعمال المباحة بل المنذوبة وينبغي على المسلمين أن يتعلّموا كل تلك الأعمال والمهن ويبدعوا فيها خدمة لهم ولجتمعاتهم التي يعيشون فيها.

⁽ⁱⁱⁱ⁾ الدكتور يوسف القرضاوي، دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، ط 1، بيروت_لبنان، مؤسسة الرسالة،

ج- ترشيد الاستهلاك والسعي لاستثمار مصادر الطاقة:

قبل التحدّث عن ترشيد الاستهلاك وضرر الإسراف من الضروري التطرّق إلى الحديث عن نظرة الإسلام إلى التمتع بالطيبات، فالتمتع بالطيبات التي أحلّها الله سبحانه لعباده أمر ضروري لكلّ إنسان لأنّه لا يستطيع العيش بدونها، ولا تستقيم حياته إلّا بها، وإذا رجعنا إلى نصوص القرآن والسنة النبويّة لوجدنا عشرات الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة التي تحثنا على التمتع بالطيبات منها قوله تعالى في حقّ التمتع بطيبات المأكّل والملبس: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ }^(iiD)، وقال في آية أخرى: { وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا حَلِيَّةً تُلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْلَلْكُمْ تَشْكُرُونَ }^(iiN)، وقال في حقّ التمتع بالملبس الحلال: { يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ }^(iiO)، وقال في حقّ التمتع بالمركب: { وَالْحَيْلَ وَالْبَغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ }^(iiO)، هذا وقد ردّ القرآن الكريم على الذين يرون أنّ التمتع بالطيبات في الدنيا منافٍ لكمال العبوديّة والتقرّب إلى الله بحجّة أنّ الدنيا دار ابتلاء واختبار لذلك فإنّه على المسلم أن يأخذ بأقلّ مما فيها، وأن يقتصر على استخدام أقلّ ما يمكن استخدامه من متاعها، فردّ الله تعالى عليهم بقوله: { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }^(iiO).

أما السنة النبويّة ففيها الكثير من التوجيهات التي تحثّ المسلم على التمتع بطيبات المأكّل والملبس والمشرب وغيرها من الطيبات، منها ما رواه أبو الأحوص عن أبيه قال: أتيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأنا أشعث أغبر فقال: (ما لك من المال؟) فقلت: من كلّ المال أتاني الله، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (إنّ الله إذا أنعم على عبد أحبّ أن يرى عليه)^(iiO)، وقال

^(iiD) البقرة، 172.

^(iiN) النحل، 14.

^(iiO) الأعراف، 31.

^(iiO) النحل، 8.

^(iiO) الأعراف، 32.

^(iiO) الإمام الحافظ أبو جعفر الطحاوي، مشكل الآثار، ج4، 10، بيروت_لبنان، دار صادر، 1333هـ، 115.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ) (iiö) ، وورد عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الْخُلُوءَ وَالْعَسَلَ) (iDj).

وإذا كان الإسلام قد أباح لنا التمتع بالطيبات فهذا لا يعني جواز قيام المسلم بصرف أمواله في الأمور والأشياء التافهة بحجة إباحة التمتع بالطيبات، وإذا كان القرآن قد أباح التمتع بالطيبات فقد حرم الإسراف أيضاً فقال تعالى: {وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (iDj) ، ووصف المبذرين بأنهم إخوان الشياطين فقال: {إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا} (iDj) ، وإذا كان الإسراف أمراً مرفوضاً ومنهياً عنه في الإسلام فإنّ البخل والشح أيضاً منهياً عنهما، فما هو الموقف الوسط بين الإسراف والشح؟ لقد بين القرآن الكريم ذلك لنا في آية رائعة فقال: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا} (iDj) ، ففي الآية ((تمثيل للبخل أي لا تكن بخيلاً منوعاً لا تعطي أحداً شيئاً كمن حبست يده عن الإنفاق وشدّت إلى عنقه (ولا تبسطها كل البسط) تمثيل للتبذير، أي ولا تتوسّع في الإنفاق توسّعاً مفرطاً بحيث لا يبقى في يدك شيء، والغرض من الآية لا تكن بخيلاً ولا مسرفاً (فتقعّد ملوماً محسوراً) أي فتصير مذموماً من الخلق والخالق، منقطعاً من المال كمن انقطع في سفره بانقطاع مطيته)) (iDj) .

هنالك جملة من الأسباب ساهمت في انتشار ظاهرة الإسراف في المجتمعات الإسلامية وقد لخصها الدكتور عبد الكريم بكار فيما يأتي:

Ã - ضعف الشعور الديني لدى المسلم أوجد لديه نوعاً من الحرمان، وجعل استسلامه لأهوائه وشهواته أيسر وأسهل.

Ĥ - فقر الحياة الثقافيّة والاجتماعيّة وجعدها جعل مجال التفاضل الوحيد هو كسب المال والتباهي بإنفاقه وهدره.

Ħ - ضعف الوعي بقيمة المال وحاجة الأمة إليه جعل الشعور بالمسؤوليّة حيال تثميره والحفاظ عليه ضعيفاً.

(iiö) رواه الإمام مسلم، صحيح مسلم، ج2، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر، ص89.
(iDj) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، القاهرة، مطبعة الميدان، د.ع.ج1985.
690.
(iDj) الأنعام، 141.
(iDj) الإسراء، 27.
(iDj) الإسراء، 29.
(iDj) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ط6، ج2، بيروت_لبنان، دار القرآن الكريم، 1405هـ/1985، 1580.

٤٤ - الافتتان بالنموذج الغربي والأمريكي خاصّة ومحاولة تقليد القوم والظن أنّ الإسراف مظهر من مظاهر التحضر والتقدّم، وإنّ عادات الاستهلاك السيئ تنتشر كما ينتشر الوباء الفتاك، على حين أنّ العلم والخبرة والحكمة تحتاج إلى تعلّم بطيء.

٤٥ - تكديس الأشكال الكثيرة من البضائع في الأسواق إلى جانب الإعلانات والدعايات التجارية يوجد لدى الناس نوعاً من الاحتياج المصطنع ويدفعهم دفعاً إلى مزيد من الاستهلاك (إدق).

أهميّة الرشد في الاستهلاك:

لا شك أنّ الرشد في الاستهلاك يحقق فوائد كثيرة سواء للفرد أو المجتمع على حدّ سواء ومن تلك الفوائد:

أولاً: إنزال البركة والمحافظة على كرامة الإنسان:

يجب على المستهلك سواء على مستوى الفرد أو الدولة أن يوازن بين دخله الذي يحصل عليه وبين ما يستهلكه من ذلك الدخل، لأنّه إذا لم يفعل ذلك ربّما حصل خلل في ميزانيته فيضطر إلى اللجوء لطلب القروض من الآخرين، وأخذ القرض وإن كان من الأمور المباحة إلاّ أنّه ليس أمراً محبّباً بل هو أمر ثقيل على المستقرض وتؤثّر فيه تأثيراً نفسياً واجتماعياً، وربّما يعرضه إلى ارتكاب ما نهى الله تعالى عنه كما ورد عنه صلّى الله عليه وسلّم: (إنّ الرجل إذا غرم حدّث فكذب ووعد فأخلف) (إدق).

يقول الدكتور يوسف القرضاوي:

((وكما أنّ الديون خطر على الفرد حتّى أنّها لتشين دينه وتنغص عليه دنياه فهي كذلك خطر على المجتمع وعلى الأمة، وكم رأينا في عصرنا مجتمعات استمرّت الاستقراض من الآخرين فسقطت في شبك الأقوياء وأدخلوها في أحابيلهم فغرقت في دوامة الديون بالمليارات وعشرات المليارات، ولو

(إدق) الدكتور عبد الكريم بكار، مدخل إلى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية، ط1، دمشق، دار القلم، 1420هـ/1999م، 326.

(إدق) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاستقراض، باب من استعاذ من الدين، ص496، حديث رقم: 2397.

تعودت الاعتماد على الله تعالى ثمّ على النفس وصممت على أن تعيش بالقليل مما تملك ولو مع بعض التقشّف والحِرمان من الكماليات والترفهيات حتّى يصلب عودها ويكتمل بناؤها لكان ذلك خيراً لها وأرضى لربّها وأعود بالنفع العمّ عليها)) (١٤٥).

لذلك على الإنسان أن يحافظ على الرشد في الاستهلاك والإنفاق ليتفادى الوقوع في مذلة الاقتراض، يقول الأستاذ النورسي في ذلك:

((هناك من الدلائل القاطعة التي لا يحصرها العدّ بأن الاقتصاد سبب جازم لإنزال البركة، وأساس متين للعيش الأفضل، أذكر منها ما رأيته في نفسي وبشهادة الذين عاونوني في خدمتي وصادقوني بإخلاص فأقول:

"لقد حصلت أحياناً وحصل أصدقائي على عشرة أضعاف من البركة بسبب الاقتصاد، حتّى أنه قبل تسع سنوات (١٤٥) عندما أصرّ قسم من رؤساء العشائر المنفيين معي إلى (بوردور) على قبول زكّاتهم كي يحولوا بيني وبين وقوعي في الذلّة والحاجة لقلّة ما كانت عندي من النقود فقلت لأولئك الرؤساء الأثرياء: برغم أن نقودي قليلة جدّاً إلاّ أنني أملك الاقتصاد، وقد تعودت على القناعة، فأنا أغني منكم بكثير، فرفضت تكليفهم المتكرّر الملح.. ومن الجدير بالملاحظة أن قسماً من أولئك الذين عرضوا عليّ زكّاتهم قد غلبهم الدّين بعد سنتين لعدم التزامهم بالاقتصاد إلاّ أن تلك النقود الضئيلة قد كفتني والله الحمد ببركة الاقتصاد إلى ما بعد سبع سنوات، فلم تُرق مئّي ماء الوجه، ولم تدفعني لعرض حاجتي إلى الناس، ولم تفسد عليّ ما اتخذته دستوراً لحياتي وهو الاستغناء عن الناس

نعم إنّ من لا يقتصد مدعو للسقوط في مهاوي الذلّة ومعرّض للانزلاق إلى الاستجداء والهوان معني" (١٤٥).

هذا وقد استطاع الأستاذ النورسي أن يعيش حياته كلّها دون أن يمدّ يد العوز إلى أحد رغم قلّة ما في يده من المال وذلك بسبب اقتصاده في معيشتة وبعده عن الإسراف والتبذير الذي لا يجني منه صاحبه إلاّ المهانة والندم.

(١٤٥) الدكتور يوسف القرضاوي، دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، ط 1، بيروت_لبنان، مؤسسة الرسالة، 1417هـ/1996jã 237.

(١٤٥) يقصد بذلك سنة 1926م حيث نفي الأستاذ سعيد النورسي مع عدد كبير من رؤساء العشائر وغيرهم من الناس إثر فشل ثورة الشيخ سعيد بيران وإخماد نارها. (١٤٥) بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص215.

ثانياً: شكر الله تعالى على نعمه:

إنّ الإنسان الذي يلتزم بالرشد في الاستهلاك إنّما يشكر ربّه على ما أنعم عليه من النعم، فالنعم التي ينعم الله تعالى بها على عباده ينبغي أن لا تتعرض للهدر والاستهانة بها، بل ينبغي أن يتعامل الإنسان معها بالصورة الصحيحة والمناسبة، والذي ينفق ماله دون مراعاة لأوجه الإنفاق ودون أي التزام بسلم الأولويات كأنّه يستهين بنعمة المال التي أنعم الله تعالى بها عليه، يقول الأستاذ النورسي في ذلك:

((إن الخالق الرحيم سبحانه يطلب من البشرية شكراً وحمداً إزاء ما أهدق عليها من النعم والآلاء، إلا أن الإسراف مناف للشكر، واستخفاف خاسر وخيم تجاه النعمة، بينما الاقتصاد توقيير مريح إزاء النعمة.

أجل إن الاقتصاد كما هو شكر معنوي فهو توقيير للرحمة الإلهية الكامنة في النعم والإحسان، وهو سبيل إلى العزة بالابتعاد عن ذل الاستجداء المعنوي، وهو وسيلة قوية لإحساس ما في النعم والآلاء من لذة.. وهو سبب متين لتذوق اللذات المحببة في ثنانيا نعم تبدو غير لذيذة.. ولكون الإسراف يخالف الحكيم المذكورة آنفاً باتت عواقبه وخيمة)) (INĪ).

ثالثاً: تفادي نشوء الأحقاد والضغائن داخل المجتمع:

لا شك أنّ جميع أفراد المجتمع _ أي مجتمع _ هم ليسوا على درجة واحدة من حيث الوضع الاقتصادي والمالي، لذلك فالطبقة الفقيرة تكون عيونها متجهة دوماً إلى ما تنفقه وتستهلكه الطبقة الغنية والميسورة، فإذا قامت الطبقة الغنية بالإسراف في الاستهلاك فإنّ ذلك قد يؤدي إلى مضاعفة ألم حرمان الفقراء داخل ذلك المجتمع ((وخصوصاً إذا كان في الأمة من لا يجد ما يمسك الرّمق أو يطفىء الحرق وإذا استمرّ هذا الحال تأججت قلوب المحرومين حقداً وضغناً على المترفين المسرفين وانقسم المجتمع إلى طبقات متناحرة متحاسدة، وقد روي أنّ عمر بن عبد العزيز علم أنّ قريباً له اشترى خاتماً فصّه بألف درهم فكتب إليه مستنكراً: بلغني أنّك اشتريت خاتماً فصّه بألف درهم، فإذا جاءك كتابي هذا فبعه، وأطعم بثمانه ألف جائع، واشترى خاتماً فصّه من حديد، واكتب عليه:

رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه)) (ĪNĪ).

سبل الحدّ من الاستهلاك غير المنضبط:

ابتداءً يجب أن نعلم أنه ليس من السهل تغيير العادات والسلوكيات ونمط العيش الذي اعتاده البعض داخل مجتمعاتنا سيّما ونحن نعيش في ظلّ العولمة التي دخلت في شتى مجالات الحياة السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة والرياضيّة وغيرها من المجالات، فالغرب يمارس وباستمرار ضغوطات هائلة لتعميم نموذج ونمط عيشه وحياته المرفهة العابثة على سائر أنحاء العالم وذلك عن طريق الإعلانات المتلفزة عبر الفضائيات، والانترنت، والصحافة، ولا شك أنّ تلك الوسائل تؤثّر سلباً على أفراد مجتمعاتنا شئنا أم أبينا في عالم أصبح أصغر من القرية الصغيرة، بل أصبح داخل إطار شاشة الستلايت أو الإنترنت، ولكن رغم كل تلك التهديدات ينبغي علينا أن لا نياس من إمكانيّة إيجاد الحلول والسبل المناسبة والواقعيّة التي من شأنها أن تحدّ من ظاهرة الإسراف والاستهلاك الجنوبي غير المنضبط الذي يمارسه البعض، ومن تلك السبل:

أولاً: القيام بحملات توعية مستمرة داخل سائر مؤسسات الدولة، والتركيز على أهميّة الاقتصاد في العيش، والمحافظة على الثروات، وترشيد الإنفاق والاستهلاك، والتحذير من الإسراف والتبذير وصرف الأموال في الأمور التافهة والقليلة _ أو العديمة _ الفائدة، ولعلّ من الوسائل المفيدة في هذا المجال ((تأليف كتيّبات توزّع على ربّات البيوت لإرشادهنّ إلى كفيّة الطهي والخياطة والتأثيث الذي يجمع بين الجودة والبساطة والجمال ورخص الثمن، ومثل القيام بحملات صحفّية وإذاعيّة وتلفازيّة، و وضع لوحات في الشوارع وإنشاء الجمعيات والمؤسسات التي تنشر الفكر والثقافة الاقتصاديّة في الاستهلاك، وتحارب عادات الترف والتبذير والهدر وتكون على مقربة من الناس لتوعيتهم وإرشادهم)) (ĪNĪ).

ثانياً: إبراز قدوات حسنة ونماذج رائدة في مجال ترشيد الاستهلاك، وهذه المسؤوليّة تقع على عاتق العلماء والمعلّمين والدعاة والوجهاء داخل المجتمع لأنّ الناس يقتدون بهم فإذا رأوهم متمسّكين بالاقتصاد والرشد في الإنفاق فلا شكّ أنّهم سيتأثّرون ويقتدون بهم فينتج من ذلك خير وفير ونفع عميم للمجتمع بأسره.

(ĪNĪ) الدكتور يوسف القرضاوي، دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، ص257.

(ĪNĪ) الدكتور عبد الكريم بكار، مدخل إلى التنمية المتكاملة، ص328.

ثالثاً: قيام العلماء بإعداد مجموعة من الخطب وحثّ الناس من خلالها على فضيلة وأجر الاقتصاد في المعيشة، والتحذير من الإسراف والتبذير، وبيان إثم المسرفين والمبذرين، وينبغي على الخطباء تذكير المسلمين بهذا الموضوع بين الحين والآخر، كما يجب عليهم أن يكونوا قدوات صالحة وحسنة للناس في هذا المجال.

رابعاً: كما ينبغي على الدولة أن تقوم بواجبها في هذا المجال، ومن المسؤوليات التي تقع على عاتقها في هذا الصدد القيام بالحجر على المسرفين والمبذرين، فالحجر أمر وارد في التشريع الإسلامي وكذلك في القوانين الوضعيّة، وهو أمر لا بدّ منه للمحافظة على ثروة السفيه الذي لا يجيد صرف أمواله في المجالات النافعة له ولأسرته ومجتمعه، والحجر نوعان: ((النوع الأول: حجر على الإنسان لمصلحة نفسه، أي لصيانة ماله من الضياع والتبديد إذا أطلقت يده فيه وذلك كالصبي والمعتوه والمبذّر، والأصل في ذلك قوله تعالى: {وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ} ^(١٦٧)، وقوله تعالى: {فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمِلِّ وِثْيَهُ بِالْعَدْلِ} ^(١٦٨)، وقوله تعالى: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا} ^(١٦٩).

وعن أبي موسى الأشعري: السفهاء هنا كل من يستحقّ الحجر، أي سواء أكان سبب الحجر الصغر أم الجنون أم سوء التصرف في المال وإتلافه.

وقال الطبري بعد أن حكى أقوال المفسرين: الصواب عندنا أنّها عامّة في حقّ كل سفيه، صغيراً كان أو كبيراً، ذكراً كان أو أنثى، والسفيه هو الذي يضيع المال ويفسده بسوء تدييره.

النوع الثاني: الحجر لمصلحة الغير:

هو حجر لحق الغير، كالحجر على المدين المفلس لحقّ غرمائه المطالبين، ودفعاً للضرر عنهم، وكما روى كعب بن مالك أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حجر على معاذ وباع ماله مع ما كان لمعاذ من فضل ومكانة عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولكنّه كان سخيّ اليد، يبسطها كل البسط، ولا يردّ سائلاً، حتّى ذهب ماله وكثرت ديونه، وطالب الدائنون بحقّهم، فباع الرسول صلّى الله عليه وسلّم ماله) ^(١٧٠).

أما بالنسبة لاستثمار مصادر الطاقة فقد كان الأستاذ النورسي يدرك أهميتها لذلك كان

^(١٦٧) النساء، 6.

^(١٦٨) البقرة، 282.

^(١٦٩) النساء، 5.

^(١٧٠) الدكتور يوسف القرضاوي، دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، ص 271.

يحث الحكومات المتعاقبة على السلطة في تركيا على السعي لاستثمارها والاستفادة منها، وكان لا يرى بأساً من أن يستفيد المسلمون من التقدم العلمي والتقنيات الحديثة التي توصل إليها الأوروبيون، ولم يقف عند هذا الحد بل حثّ المسلمين على السعي لكي يفوقوا الأوروبيين في مجال التقدم العلمي والصناعي كما كانوا عليه قبل ذلك عندما كان الأوروبيون يعيشون في متاهات الجهل والتخلف، وكانوا هم يستفيدون من المخترعات التي كان المسلمون يصنعونها.

لقد أكد الأستاذ النورسي على الاستفادة من الحديد الذي يعدّ المصدر الأساسي والمادة الأولية لسائر الصناعات والمخترعات حيث يقول: ((بسم الله الرحمن الرحيم {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ} ^(١٦٥)، إن القرآن الكريم قد قال كلمة "أنزلنا" لأجل التنبيه إلى جهة النعمة العظيمة التي ينطوي عليها الحديد والتي لها أهميتها في الحياة، فالقرآن الكريم لا يلفت الأنظار إلى مادة الحديد نفسها ليقول "أخرجنا" بل يقول "أنزلنا" للتنبيه إلى النعمة العظيمة التي في الحديد، وإلى مدى حاجة البشر إليه... نعم إن الحديد هو منشأ جميع الصناعات البشرية ومنبع جميع رقيها ومحور قوتها... إن الخالق الجليل عندما فصل الأرض من الشمس أنزل معها الحديد ليحقق أكثر حاجات البشر ويضمنها، فالقرآن الحكيم يقول بإعجاز ما معناه: أنجزوا بهذا الحديد أعمالكم واسعوا للاستفادة منه بإخراجه من باطن الأرض)) ^(١٦٥).

رابعاً: إصلاح التعليم:

لا شك أن للتعليم ونظمه أهمية بالغة في حياة المجتمعات، فبالعلم ترتقي الأمم والشعوب نحو العلاء، وبه يحققون آمالهم وطموحاتهم نحو الرقي والتقدم والازدهار، لذلك فإن الدول التي تولي اهتماماً كبيراً بالعلم وأنظمة التعليم، وتهيأ الأجواء المناسبة للمتعلمين في كافة المراحل الدراسية تتقدم على غيرها من الدول التي تصرف جلّ اهتماماتها في مجالات أخرى، وبناء عليه فإن الاهتمام بإصلاح التعليم يجب أن يكون له الأولوية مقارنة بالاهتمام بالإصلاح في المجالات الأخرى، لأن النظام التعليمي يمثل الأساس والعنصر الهام في تحقيق الإصلاح الشامل، و((هو المسؤول الأول عن إعداد رجال السياسة، والاقتصاد، والتربية، والقضاء والتشريع، لذلك فإن إصلاحه يقود إلى إصلاح بقية فروع النظام العام، ذلك لأنه هو الذي يقوى على إعداد جيل صالح قادر على تمكين

الإسلام في نفوس الفرد والمجتمع، وعلى تسديد الحياة العامة والخاصة بتعاليم الدين)) (١٦٧).

لقد كان الأستاذ النورسي يبيّن باستمرار الدور الكبير والأهمية البالغة التي يشكّلها التعليم بالنسبة للشعوب، فقد قال في كتابه الكلمات: ((إن البشرية في أواخر أيامها على الأرض ستنتساب إلى العلوم، وتنصب إلى الفنون، وتستمدّ كل قواها من العلوم والفنون، فيتسلّم العلم زمام الحكم والقوّة)) (١٦٨)، وقال عن فضل العلم: (إن هذا العلم هو الذي أهل الإنسان لينال أفضلية ليس على الملائكة وحدهم بل أيضاً على السماوات والأرض والجبال في حمل الأمانة الكبرى)) (١٦٩).

إنّ التعليم في العالم الإسلامي عموماً والعالم العربي على وجه الخصوص يواجه تحديات عدّة، ومشاكل جمّة، فالأنظمة الدراسية في الكثير من دولها لا زالت أنظمة قديمة لم تتغيّر رغم التغيّر الذي طرأ على كافة مجالات الحياة، والمناهج والوسائل التعليمية في الكثير من تلك الدول لا يصلح تدريسها واستخدامها في هذا العصر، ولعلّ من مساوئ التعليم الأخرى في بلادنا التركيز على أنواع معينة من الدراسة وترك الأنواع والفروع الأخرى شبه مهملة، ولا شك أنّ ذلك يضرّ بالعملية التعليمية ضرراً بالغاً، أما بالنسبة للنظم التعليمية فإنّ الدول العربية والإسلامية لم تتمكن لحدّ الآن من التحرّر تحرراً تاماً من السيطرة الاستعمارية، يقول الأستاذ أنور الجندي في ذلك: ((ولا ريب أنّ أخطر ما واجهه المسلمون والعرب في عصرهم الحديث هو هذه السيطرة الاستعمارية التي فرضت عليهم أنظمة في التعليم غريبة ووافدة متعارضة مع حاجتهم ووجهتهم، ولقد كان للإرساليات التبشيرية دورها الخطير في هذا الصدد، ثمّ جاءت البرامج التعليمية الوطنية فاستوحت كثيراً من اتجاهات هذه المناهج، ثم رسبت هذه المفاهيم في أعماق مقرّرات التعليم، وما زالت تعطي الانطباع بأن العلوم الحديثة هذه كلّها من صنع الغرب، متجاهلين دور المسلمين فيها وهو دور كبير... وما يزال التاريخ الإسلامي يعرض عرضاً مشوّهاً ممزّقاً وفق المنهج الغربي)) (١٧٠).

هذا وقد أكّد الأستاذ النورسي في مشروعه لإصلاح النظام التعليمي على جملة أمور نذكر

منها:

(١٦٧) الدكتور قطب مصطفى سنو، التعليم منطلقاً للإصلاح والإعمار من المنظور النوري، بحث ألقى في مؤتمر حركة التجديد بحلول القرن الحادي والعشرين ودور بديع الزمان سعيد النورسي، المنعقد في العاصمة الماليزية: كوالالامبور في 21-22 أوكست 1999. 60

(١٦٨) بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص292.

(١٦٩) لعلّ الأستاذ النورسي يشير بذلك إلى الآية الكريمة { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } الأحزاب، 72.

(١٧٠) بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص270.

(١٧١) أنور الجندي، دراسات إسلامية معاصرة، ج 10، ص11، صيدا_لبنان، منشورات المكتبة العصرية،

1401/1982-1190.

أولاً: ضرورة الجمع بين دراسة العلم الديني والعلوم الدنيوي في المدارس.

لقد اطلع الأستاذ النورسي على الكثير من العلوم الحديثة في فترة مبكرة من حياته، فقد كان يدرك مدى أهمية تلك العلوم الحديثة لخدمة الإيمان والقرآن لذلك قام بدراستها دراسة عميقة إلى درجة التأليف في بعضها، وبناء عليه كان الأستاذ النورسي يرى ضرورة الجمع بين العلوم الحديثة والعلوم الدينيّة الشرعية في كلّ من المدارس الدينيّة والمدارس العامّة على حدّ سواء، فإصلاح المدارس عنده ((يبدأ من قيام المدارس الحكوميّة بتدريس الدين بجانب العلم لكي لا ينحرف الطلاب إلى الشك والإلحاد، وقيام المدارس الدينيّة بتدريس العلوم الحديثة لكي لا ينحرف طلابها إلى التعصب وإلى ضيق الأفق)) (١٥٦).

إنّ التفرقة بين العلوم وتقسيمها إلى علوم دينيّة وعلوم دنيويّة أو طبيعيّة، وبالتالي تخصيص مدارس لتدريس كل قسم منهما منفصلاً عن الآخر إنّما هو أمر محدث حيث كان الأصل أن تدرّس العلوم التي يطلقون عليها علوماً دينيّة جنباً إلى جنب مع العلوم الطبيعيّة التجريبيّة، وقد كانت المدارس في العصور الإسلاميّة تزخر بالكثير من العلماء الذين كانوا يجمعون بين العلوم الإسلاميّة والعلوم الطبيعيّة من طبّ، وفلك، وكيمياء، ورياضيات، وغيرها من العلوم.

ولكن وبعدها قامت البلدان الإسلاميّة بتقليد الغرب في كلّ شيء قامت بفصل العلوم عن بعضها وتقسيمها إلى علوم دينيّة وعلوم دنيويّة تطبيقيّة، وبالتالي تقسيم المدارس والمعاهد والجامعات على هذا الأساس إلى درجة أنّه أصبحت مادّة التربية الإسلاميّة في المدارس الابتدائيّة والمتوسّطة وحتىّ الإعداديّة في الكثير من البلدان الإسلاميّة مادّة هامشيّة ومحدودة في نطاق ضيق، أما الجامعات فإنّها قد أصبحت خالية تماماً من العلوم الإسلاميّة بحجّة أنّه توجد كليّات خاصّة بالدين مثل كليّات الشريعة وأصول الدين التي تأخذ على عاتقها تدريس العلوم الإسلاميّة، وقد فاتها أن الغرب إنّما لجأ إلى ذلك بسبب الصراع الذي حدث بين العلم ورجال الكنيسة الذين كانوا يحاربون العلم والعلماء، ويقابلون مخترعاتهم العلميّة بإصدار أحكام السجن والتعذيب بل وحتىّ الإعدام على أولئك المبدعين!!

وفي ذلك يقول الشيخ أبو الحسن الندوي:

((إنني لا أؤمن بتقسيم العلم، وإنني أعتقد أن العلم وحدة لا تتجزأ ولا تقبل التوزيع والتصنيف... بل إنني لا أؤمن بتقسيم العلم إلى ديني وديني أيضاً... أرى أن من واجب الجامعات الإسلامية أن تحاول أن لا تقع فجوة بين العلم والدين كما وقعت بينها في العالم المسيحي، أو في دنيا الديانات التي لم تكن فيها رابطة العلم والعقل، بل إن نشوءها كان مديناً للجهل، فقد تولدت وازدهرت بمعزل عن العلم والعقل، بل على غفلة من العلم والعقل، ففيها مجال لنشوء الفجوة بين العلم والدين وبين العلم والعقل، ولكن لا يتصوّر ذلك في الدين الذي أعلن دعوته منذ اليوم الأول بل منذ اللحظة الأولى بما يلي: {إِقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ} ^(١٠٥) ^(١٠٦) .

إنّ النظرة الإسلامية إلى العلم والعلماء والمخترعات الحديثة تختلف تماماً عن نظرة الكنيسة إليها، فالإسلام ينظر إلى جهود العلماء لخدمة الإنسانية على أنّها عبادة يتقرّب بها أولئك العلماء إلى ربّهم، وقد ذهب أغلب العلماء إلى أنّ قوله صلّى الله عليه وسلّم (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنّة) ^(١٠٧) يشمل كل من طلب العلم سواء أكان علماً شرعياً أم علماً طبيعياً لأن كلا العلمين يخدمان المجتمع إذا خلصت النية.

لذلك فإنّ العودة إلى تدريس العلوم الإسلامية مع العلوم الطبيعيّة في المدارس والجامعات إنّما هي عودة إلى الأصل وإلى المسار الصحيح الذي كانت المؤسسات التعليميّة تسير عليه، ولا يفهمّن أحد أنّي أدعو إلى تدريس كافّة العلوم الإسلاميّة في كليّات الطبّ والهندسة وغيرها من الكليّات، أو تدريس العلوم الطبيعيّة التي تدرّس في تلك الكليّات في كليّات الشريعة وأصول الدين!! فهذا أمر في غاية الصعوبة ولا يمكن تحقيقه لأنّه يلغي مسألة التخصص في العلوم، بل الذي أدعو إليه هو مزج تلك العلوم بعضها ببعض الآخر _ كما اقترحه الأستاذ سعيد النورسي _، أي القيام بربط المسائل الطبيّة بالآيات والأحاديث التي أشارت إلى بعض تلك المسائل، وكذلك ربط علوم الفضاء بالآيات والأحاديث التي تشير إلى ذلك، بالإضافة إلى تدريس العلوم الشرعيّة الضروريّة وبصورة مبسّطة جدّاً في كليّات الطب والهندسة والزراعة وغيرها من الكليّات العلميّة، وفي المقابل القيام بتدريس العلوم الحديثة والتجريبيّة بصورة مبسّطة في كليّات الشريعة وأصول الدين، أما مسألة الاختصاص فإنّه يحتفظ كلٌّ باختصاصه الذي تمرّس عليه خلال سنوات الدراسة الجامعيّة، وبذلك

^(١٠٥) العلق، 1_5.

^(١٠٦) أبو الحسن الندوي، الطريق إلى السعادة والقيادة، ط 2، بيروت_لبنان، مؤسسة الرسالة، 1405هـ/1984jã1230 وما

بعدها.

^(١٠٧) الإمام أحمد بن حنبل، المسند، ج 2jã2520.

نخرج جيلاً مثقفاً ثقافاً متكاملة، ونقضي على الكثير من الخلافات والنقاشات الفكرية التي ينشغل بها طلبة الجامعات.

ثانياً: ربط العلم بالإيمان:

لقد كان الأستاذ النورسي يرى أن العلوم التجريبية البحتة إنما هي خادمة للإيمان والقرآن والحقائق الدينية، وأنه لا يوجد أي تناقض بين الحقائق العلمية الثابتة بالأدلة والبراهين الدامغة وبين الثوابت الإسلامية، خلافاً لما يدّعيه بعض الجهلة من أن هناك تناقضاً بينهما، وسبب ادعائهم هذا حسب اعتقادي؛ إما لأنهم لم يتعمقوا في تلك العلوم، ولم يفرقوا بين النظريات العلمية والحقائق العلمية، وإما أنهم لم يطلعوا على حقيقة الإسلام، وإما أنهم يحملون حقداً دفيناً تجاه الإسلام فيحاولون النيل منه بهذه الطريقة.

لقد عدّ الأستاذ النورسي الاعتقاد الباطل لدى بعض الناس من أنه يوجد تناقض بين الإسلام والحقائق العلمية، عدّ ذلك من أهم الأسباب التي أدت إلى كسوف شمس الإسلام، فقال: ((أما المانع الثامن وهو أهم الموانع، والبلاء النازل فهو توهمنا _ نحن والأجانب _ بخيال باطل؛ وجود تناقض وتصادم بين بعض ظواهر الإسلام وبعض مسائل العلوم، فمرحى لجهود المعرفة الفياضة وانتشارها، وبخٍ بخٍ لعناء العلوم الغيورة اللتين أمدتا تحري الحقائق، وشحننا الإنسانية، وغرستا ميل الإنصاف في البشرية فجهزتا تلك الحقائق بالأعتدة لدفع الموانع، فقضت وستقضي عليها قضاء تاماً.

نعم إن أعظم سبب سلب منا الراحة في الدنيا، وحرم الأجانب من سعادة الآخرة، وحجب شمس الإسلام وكسفها هو: سوء الفهم وتوهم مناقضة الإسلام ومخالفته لحقائق العلوم.

فيا للعجب! كيف يكون العبد عدو سيده، والخادم خصم رئيسه، وكيف يعارض الابن والده!! فالإسلام سيد العلوم ومرشدها ورئيس العلوم الحقة ووالدها)) (١٥٥).

إذاً فليس هناك أي تناقض بين الحقائق العلمية ونصوص القرآن والسنة الصحيحة، وإذا وجد نوع من التعارض والتناقض بينهما فمردّه يكون إما إلى عدم ثبوت صواب تلك المسألة العلمية، وإما إلى وجود خلل في تفسير وشرح تلك النصوص الشرعية (القرآن والسنة)، وإلا ف ((العلم الصحيح

(١٥٥) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص23.

والدين الصحيح لا يتضادان، ولا ينفي أحدهما الآخر، بل على العكس يتمم أحدهما الآخر لأن أحدهما يخاطب الذكاء والآخر يخاطب الوجدان لذلك فإنّ من الممكن أن يسيرا جنباً إلى جنب تربط بينهما الصداقة ، وأكبر دليل على هذا هو أنّهما اجتمعا في السابق ويجتمعان حالياً معاً عند كثير من الأفراد (١٠٩).

وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم والسنة النبوية لوجدنا العشرات من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحثنا على التعلّم والتعليم وتشجيعهما، ويكفي أنّ القرآن الكريم ابتدأ نزوله بكلمة (اقرأ) بصيغة الأمر، كما أعقبت الآية ذلك بذكر القلم الذي كان شيئاً نادراً في الجزيرة العربية في ذلك الزمن، ويشير سيّد قطب رحمه الله تعالى إلى سبب ذكر القلم في تلك الآية إلى أنّ القلم ((كان وما يزال أوسع وأعمق أدوات التعليم أثراً في حياة الإنسان... ولم تكن هذه الحقيقة إذ ذاك بهذا الوضوح الذي نلمسه الآن ونعرفه في حياة البشرية، ولكنّ الله سبحانه كان يعلم قيمة القلم، فيشير إليه هذه الإشارة في أول لحظة من لحظات الرسالة الأخيرة للبشرية)) (١١٠).

أما الأحاديث التي أمرت بالتعلّم والتعليم فكثيرة جداً منها قوله صلّى الله عليه وسلّم: (طلب العلم فريضة على كلّ مسلم)، وقوله: (من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار يوم القيامة) (١١١).

يقول الأستاذ النورسي في كتابه الكلمات:

((إنّ كل ما ناله الإنسان من الكمال العلمي، والتقدم الفني، ووصوله إلى خوارق الصناعات والاكتشافات تعبّر عنه الآية الكريمة بتعليم الأسماء: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} (١١٢) (١١٣)).

لقد كان الأستاذ النورسي يسعى سعياً حثيثاً إلى إقناع الآخرين بأنّ هذه العلوم التي هي نعم كبرى أنعم الله تعالى بها على الإنسان، وأنّ هذه الاكتشافات العلمية الباهرة التي خدمت البشرية جمعاء، وهذه الصناعات الإنتاجية التي سهّلت الحياة وذلّت الكثير من الصعاب والعقبات في طريق البشرية، كلّ ذلك وكل تلك العلوم هي التي ألهم الله تعالى عباده بها، حيث أنّ الله سبحانه قد خلق الإنسان وأودع فيه مجموعة من الطاقات الذهنية والعلمية والعقلية تمكّنه من استيعاب وربط نتائجها بمقدّماتها، والتأمّل في طبيعة الموجودات وبالتالي القيام بالتجارب المستمرة عليها والتوصّل في النهاية

(١٠٩) الدكتور علي فؤاد باشكيل، موقف الدين من العلم، ترجمه عن التركية: أورهان محمد علي، ط 3، العراق_بغداد، دار الأنبار للطباعة والنشر، 1408هـ/ 1450.

(١١٠) سيّد قطب، في ظلال القرآن، ج6؛ 3939.
(١١١) رواه الإمام أحمد بن حنبل، المسند، ج2؛ 2630.
(١١٢) البقرة، 31.
(١١٣) بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص290.

إلى اكتشاف أمور مهمّة واختراع أجهزة نافعة تخدم الإنسانية جمعاء.

لقد كان الأستاذ النورسي يحاول دوماً أن يربط بين العلم والدين، ومن ذلك قوله:

((لو كانت هناك صيدليّة ضخمة، في كلّ قنينة من قنانيها أدوية ومستحضرات حيويّة وضعت فيها بموازين حسّاسة وبمقايير دقيقة، فكما أنّها ترينا أنّ وراءها صيدليّاً حكيماً وكيميائياً ماهراً، كذلك صيدليّة الكرة الأرضيّة التي تضم أكثر من أربعمئة ألف نوع من الأحياء، وكلّ واحد منها في الحقيقة بمثابة زجاجة مستحضرات كيميائيّة دقيقة، وقنينة مخاليط حيويّة عجيبة فهذه الصيدليّة الكبرى تري حتى للعميان صيدليها الحكيم ذا الجلال، وتعرف خالقها الكريم سبحانه بدرجة كمالها وانتظامها وعظمتها قياساً على تلك الصيدليّة التي في السوق على وفق مقاييس علم الطّب الذي تقرأونه (١٥٧).

لقد ضرب الأستاذ في حديثه مع أولئك الطلبة أمثلة محسوسة لبيان الترابط الوثيق بين الدين والعلم، ففي المثال الأول بيّن أنّ الإنسان إذا وقف مندهشاً أمام الترتيب والتناسق والموازين الحسّاسة والمقايير الدقيقة في صيدليّة ضخمة فإنّ عليه أن يتأمّل بشكل أدق وأعمق في صيدليّة الكرة الأرضيّة _ على حدّ تعبير الأستاذ النورسي _ لكي يرى بديع صنع الله الذي أتقن صنع كل شيء وقدّره فأحسن تقديره، وعليه أن يتأمّل في هذه الدقّة المتناهية، والانسجام المتناسب، والترابط الوثيق بين أجزاء هذا الكون الواسع العريض لكي يتبيّن له عظمة الله تبارك وتعالى الذي خلق هذا الكون.

ثالثاً: الحث على القيام بالبحث العلمي والتعاون بين العلماء:

لقد أكّد الأستاذ النورسي على ضرورة قيام العلماء بالبحث العلمي الجاد للتوصل إلى الحقائق والبراهين الدامغة بدلاً من التوقعات والفرضيات والاحتمالات، وكان يؤكّد على أن الأسلوب الخطابي لم يعد كافياً لإقناع الناس، بل لابدّ من ذكر الأدلّة والبراهين العلميّة على ما نقول، لذلك يقول الأستاذ النورسي: ((لما كان المهيمن هو الحق والبرهان والعقل والشورى في خير القرون وعصور السلف الصالح لم يك للشكوك والشبهات موضع، كذلك نرى أنه بفضل انتشار العلوم في الوقت الحاضر وهيمنته بصورة عامّة وفي المستقبل هيمنة تامّة إن شاء الله سيكون المهيمن هو الحق بدلاً من القوّة، والبرهان بدلاً من التعصّب والفسفسطة، والحميّة بدلاً من الأحاسيس الماديّة، والعقل بدلاً من الطبع، والهدى بدلاً من الهوى...))

ومن محاسن سلطان الأفكار أن تخلّصت شمس الإسلام مما كان يحجبها من غيوم الأوهام

والخيالات، بل أخذت كل حقيقة منها بنشر نورها حتى المتعفين في مستنقع الإلحاد أخذوا يستفيدون من ذلك النور.

ومن محاسن مشاورة الأفكار تأسست المعتقدات والمسالك على البراهين القاطعة، وربط الحقائق بالحق الثابت الممدد للكمالات كلها، مما يؤدي إلى عدم تمويه الأفكار وخداعها بالباس الباطل لباس الحق)) (١٥٦).

وبخصوص ضرورة التعاون بين العلماء في المجالات العلميّة يقول: ((إن قسماً من العلوم هو كرفع الصخر بحاجة إلى التعاون وتلاحق الأفكار، وأغلب هذا القسم هو من العلوم الماديّة)) (١٥٧).
لقد وضع الأستاذ النورسي أربعة قواعد ينبغي على الباحثين المسلمين الاستناد عليها والعمل وفقها وتلك القواعد هي:

(الأولى): إعلان عظمة الخالق الجليل بانتظامه واتفاقه مع غيره.

الثانية: إظهار أنّ الإسلام زبدة العلوم الحقيقيّة.

الثالثة: إثبات تطابق الإسلام مع القوانين والنواميس الإلهيّة الجارية في العالم وانطباقه عليها لينمو الإسلام ويتزعرع بإمداد تلك النواميس الفطريّة.

الرابعة: توجيه الأفكار إلى حقائق الأشياء والحثّ عليها والتنبيه إليها، فمثلاً: إنّ القسّم بالأجرام العلويّة والسفليّة في القرآن الكريم إنّما هو لتنبيه الغافلين دوماً وحثّهم على التفكير فالقسّم القرآني قرع العصا لمن غطّ في نوم الغفلة)) (١٥٨).

ففي القاعدة الأولى أكدّ الأستاذ النورسي على ضرورة إثبات عظمة الله سبحانه وتعالى من خلال النظر والتأمّل في الانتظام الدقيق والانسجام التام بين أجزاء هذا الكون، ينبغي على الباحثين المسلمين العمل على ذلك للوقوف بوجه المحاولات التي يسعى لها البعض لدراسة هذا الكون بعيداً عن ذكر عظمة الله تعالى وقدرته في إبداع هذا الكون.

أما في القاعدة الثانية فقد أكدّ الأستاذ النورسي على أنّه مهما تقدّمت العلوم والتكنولوجيا، واكتشفت المخترعات والأجهزة المتطورة فإنّ الإسلام سيبقى زبدة للعلوم الحقيقيّة التي لا يمكن لأيّ عالم فضلاً عن الأناس العاديين الاستغناء عنه.

وفي القاعدة الثالثة تأكيد من قبل الأستاذ النورسي على ضرورة قيام الباحثين المسلمين

(١٥٦) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص51.

(١٥٧) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص33.

(١٥٨) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص30.

بالعمل على إثبات تطابق الإسلام مع الحقائق العلميّة، والوقوف بوجه الذين يحاولون إثبات خلاف ذلك بالادعاء بأنّ هناك تناقض بين الإسلام والعلم وأنّ الإسلام يقف حجر عثرة في طريق العلم وتطوّره.

أمّا في القاعدة الرابعة فقد حثّ الأستاذ النورسي الباحثين المسلمين على التأمل بدقّة في حقائق الموجودات الماثورة في هذا الكون، وبنههم إلى التأمل والتفكير في سبب قَسَم الله تعالى في الكثير من آيات القرآن الكريم بالأجرام السماويّة والأرضيّة أيضاً، وبذلك يشجّعهم على السعي الجاد والقيام بالبحث العلمي والكشف عن خفايا هذا الكون.

لقد وضع الأستاذ النورسي مجموعة من المبادئ التي ينبغي على الباحث الجاد مراعاتها لكي يحقّق النتائج المرجوة والطّيبة من خلال أبحاثه ومن تلك المبادئ:

أولاً: التأمل في الأشياء وعدم الحكم عليها بظاهرها، ويقول في ذلك: ((من شأن المحقق سبر غور الموضوع، والتجرّد من المؤثرات الزمانيّة، والغوص في أعماق الماضي، ووزن الأمور بموازين المنطق ووجدان منبع كل شيء ومصدره)) (١٠٦).

ثانياً: ضرورة التخصّص في ميدان من ميادين العلم، ويقول في ذلك: ((من المسلّمات أنّ الماهر في مهنة الهندسة ربّما يكون عاميّاً وطفيليّاً في مهنة أخرى كالطبّ ودخيلاً فيها... فمن ادعى الكلّ فاته الكلّ لأنّ لكلّ علم صورة حقيقيّة، وبالتخصّص تتمثّل صورته الحقيقيّة، إذ المتخصّص في علم إن لم يجعل سائر معلوماته متمّمة وممدّة له تمثّلت من معلوماته الهزيلة صورة عجيبة)) (١٠٧).

ثالثاً: عدم إطلاق الأحكام جزافاً: يقول الأستاذ النورسي في ذلك: ((... والرغبة في إطلاق الكلام جزافاً فيما يصف والانجذاب إلى المبالغة فيما يحكي، وبهذه السجّية السيئة يكون الإحسان كالإفساد، ومن حيث لا يعلم يتولّد النقصان من حيث يزيد... فكما أنّ الاستزادة من دواء شاف قلب له إلى داء كذلك المبالغون في الترغيب والترهيب... حاصل الكلام: يجب على كلّ محبّ للدين وعاشق للحقيقة الاطمئنان بقيمة كلّ شيء وعدم إطلاق الكلام جزافاً وعدم التجاوز)) (١٠٨).

رابعاً: عدم الانشغال بالقشر عن اللب: وفي ذلك يقول الأستاذ النورسي: ((من لم يجد اللب ينهمك في القشر، ومن لم يعرف الحقيقة يزلّ إلى الخيالات، ومن لم ير الصراط المستقيم يقع في الإفراط والتفريط، ومن لا يملك ميزاناً ولا موازنة له يخذع وينخدع كثيراً)) (١٠٩).

(١٠٦) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص40.

(١٠٧) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص41.

(١٠٨) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص46.

(١٠٩) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص63.

الخاتمة

الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة بقي لي أن أقول إنَّ الأستاذ النورسي عالم واسع جداً لذا لا أدعي أنني قد أحطت بكل جوانب الموضوع، ولكن أرجو أن أكون قد وفقت في كشف اللثام عن بعض الجوانب الهامة من حياة الأستاذ النورسي، وآرائه الفكرية والدعوية، وطروحاته الإصلاحية، وإلا فهناك الكثير من الجوانب الأخرى التي تنتظر باحثين جادّين لكي يعملوا فيها أقالمهم، ويلقوا الضوء عليها، وتقدمها إلى قراء الأستاذ النورسي بكل دقة وأمانة علمية.

هذا وقد توصلت خلال هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتي منها:

١ - إن الدولة العثمانية مرّت بفترات متباينة حيث كانت في بعض الأحيان تبلغ أوج قوتها، بينما كانت في بعضها الآخر تنحدر إلى مستويات متدنية من الضعف والركود، هذا وقد تضافرت أسباب عدّة لضعف الدولة العثمانية شيئاً فشيئاً إلى أن زالت من الوجود، ومن أهم تلك الأسباب حسب رأيي: اتساع رقعة الدولة كثيراً مما أدى إلى عدم تمكن العثمانيين من السيطرة عليها، والتخلف العلمي الذي كان سائداً في الدولة، وانغماس أكثر السلاطين في حياة اللهو والبذخ والمجون.

٢ - لقد حاول السلطان عبد الحميد الثاني إعادة مجد الدولة العثمانية، وبذل جهوداً حثيثة في ذلك، وأجرى الكثير من الإصلاحات، إلا أن الخرق كانت قد اتسعت على الراقع كما يقولون، لذا لم يتمكن من تحقيق ما كان يصبو إليه لأسباب عدّة من أهمها حسب اعتقادي: الوضع المالي المتدهور للدولة العثمانية، وازدياد حركات التمرد يوماً بعد يوم، وتآمر اليهود وتأليبهم للدول الأخرى على الدولة العثمانية، بالإضافة إلى الفتن الداخلية التي كانت البلاد تعاني منها.

٣ - لقد شهدت الدولة العثمانية _الجمهورية التركية فيما بعد_ فساداً مستشرياً على كافة الأصعدة، حيث تراجع دور الدين في حياة الشعب التركي، وأخذ يشعر بالضعف والانهزام أمام الأوروبيين، لذا حاول أن يقلّده في كل شيء، مما أدّى إلى انتشار العادات والتقاليد السيئة بين الناس، وأخذ الغزو الفكري يجتاح البلاد، لذلك فقد كانت تركيا بأمس الحاجة إلى مصلح حكيم، وداعية جريء، ومفكر بارع لكي يتصدّى لتلك الهجمات التي كانت تشنّ على الإسلام والمسلمين، ولكي يصلح ما أفسده الأعداء، فكان أن قيّض الله الأستاذ النورسي للقيام بذلك، فقام بتلك المهمة خير

قيام، ولم يذق طعم الراحة إلى آخر يوم من حياته، وبذلك تمكّن بفضل الله سبحانه أن يخفّف من وطأة المهجمة على الإسلام، ويوقف الأعداء عند حدّهم، ويكوّن حركة نشطة في طول البلاد وعرضها.

٤ - لقد كان الأستاذ النورسي شخصيّة جُمعت فيها عدّة شخصيّات، حيث كان عالماً كبيراً، ومقاتلاً شجاعاً، وسياسياً ومفكراً بارعاً، واجتماعياً حكيماً، وخطيباً مفوّهاً، لذلك التفّت الناس حوله، واتبعه مئات الألوف من الناس، واتخذوه مرشداً ومعلماً.

٥ حمل الأستاذ النورسي في بداية شبابه في السياسة، وبقي يمارسها فترة من الزمن، وكان ينوي من وراء ذلك إصلاح أولياء أمور البلاد، إلّا أنه فتر بعد ذلك عن العمل السياسي بسبب ما كان يشاهده من بعض السياسيين الذين كانوا يمارسون السياسة الميكافيليّة، ويلجئون إلى الكذب والنفاق والكيل بمكيالين، لذلك فقد فتر عن العمل السياسي إلّا أنه لم يتركه بل مارسه إلى آخر يوم من حياته ولكن بطريقته الخاصّة.

٦ - إنّ عدم مشاركته وتأييده لثورة الشيخ سعيد بيران في سنة 1925م كان بسبب عدم قناعته بجدوى الثورة في تلك الظروف، فقد كان الأستاذ النورسي مطلعاً على القدرات العسكريّة لكلا الطرفين تلك القدرات التي لم تكن بينهما أية مناسبة من حيث العدد والعدد، وكان يرى النهاية المأسويّة للثورة لذلك نصّحهم بالتخلّي عن تلك الفكرة إلّا أنّهم لم يستمعوا إلى نصائحه فحدث ما حدث، حيث أخذت نار الثورة، وسبق الشيخ سعيد بيران وثلّة من رجاله إلى حبال المشانق حيث أعدموا ونفي الباقون إلى أماكن نائية ومن بينهم الأستاذ سعيد النورسي وعدد من طلابه.

7- لقد كان الأستاذ النورسي يؤمن بالعمل الجماعي المنظّم، لذلك أسس حركته حركة النور، وحدّد شروطاً لانتماء الأفراد إليها، كما بين أهداف الحركة ووسائلها، وبين لكل فرد من أفراد الحركة ما له وما عليه، كما اهتمّ بالجانب التنظيمي والأمني والمعلوماتي، وقد كانت تلك المسائل تعد أفكاراً متقدّمة بالنسبة لذلك الزمن.

8- قام الأستاذ النورسي ببيان رأيه في أهم القضايا والمسائل التي كانت تشغل بال المثقّفين، وغير المثقّفين في تلك الفترة، وأهم تلك القضايا كانت: قضية الوحدة الإسلاميّة، والجهاد، والمشروطيّة، والقوميّة، والحضارة الأوروبيّة، والسياسة، هذا وقد أبدع الأستاذ النورسي في حديثه عن تلك القضايا، وفصّل الكلام عنها وعن ملابساتها، والأوجه العديدة لتلك القضايا.

9- لقد استمرّت حركة النور في نشاطها وعملها الدعوي والإصلاحي بعد وفاة الأستاذ النورسي، ولكن بسبب عدم تهيئة الأستاذ النورسي للشخص الثاني في الحركة في حياته، تعددت اجتهادات طلاب النور بعد وفاة الأستاذ النورسي فانصرفت كل مجموعة إلى صرف جهودها في جانب معيّن من الجوانب الدعويّة الإصلاحيّة الخدميّة، ويذكر في هذا الصدد أن تلك الجاميع متفاهمة فيما بينها، وليس بينهم ذلك التنافر والتناوب كما هو الحال عادة في الجماعات والأحزاب التي تتفرّق وتتشتت بعد فترة من التماسك والاتحاد.

10- لم يسلم الأستاذ النورسي ولا حركته حركة النور من بعض المآخذ والانتقادات التي يمكن أن يؤاخذوا عليها، والتي لولاها لتمكّنوا من تقديم خدمات أكثر في المجال الإصلاحي والدعوي.

11- لقد استند الأستاذ النورسي على مجموعة من الركائز المهمّة والمبتينة في مشروعه الإصلاحي والتي منها: تناول الإصلاح بشكل شامل، والتدرج، واستخدام أسلوب الحكمة واللين، والإيجابية في التعامل مع الأشخاص والأحداث.

12- لقد كانت عمليّة الإصلاح عند الأستاذ النورسي تسير جنباً إلى جنب، حيث كان يصلح نفسه ويهدّبها ويزيّجها، وفي الوقت ذاته كان يصلح طلابه والأناس الآخرين، ويزيّجهم ويوجههم إلى الوجهة الصحيحة.

13- رغم تأثر الأستاذ النورسي بالتصوف، وكبار أقطاب التصوف إلاّ أنه لم يكن صوفيّاً، بل حتّى لم يكن مقتنعاً أنّ بإمكان التصوف الوقوف أمام كيد الأعداء، لذلك كان يردد دوماً إن عصرنا هذا ليس بعصر التصوّف بل هو عصر إنقاذ الإيمان.

14- قام الأستاذ النورسي بتشخيص علل المجتمع ثمّ قام بعد ذلك بتحديد الدواء الناجع لتلك الأمراض التي يعاني منها أفراد المجتمع، وقد اتبع الأستاذ في ذلك أسلوب الأطباء الماهرين الذين يقومون بتشخيص العلة ومن ثمّ يحددون الدواء المناسب لها.

15- طرح الأستاذ مشروعاً إصلاحيّاً شاملاً وواسعاً شمل كافّة الجوانب سواء الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو التعليمية، أو غيرها من الجوانب الهامّة والتي هي بأمس الحاجة إلى الإصلاح.

16 لقد كان للأستاذ النورسي تأثير ملحوظ في المحيط الكردي، وقد بذل جهوداً طيبة في سبيل إصلاح الأوضاع المؤلمة التي كان يعيشها الشعب الكردي، لذلك كان يطالب دوماً من السلاطين والحكومات التي أتت بعدهم بتقليص الخدمات اللازمة والضرورية للشعب الكردي وخاصة في مجال التعليم.

فهرس المصادر

المصادر:

- 1- ابن قيّم الجوزيّة، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، ج1، بيروت_لبنان، دار الكتاب العربي.
- 2- ابن قيّم الجوزيّة، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، القاهرة، دار الحديث، د.Ĥ.
- 3- ابن قيّم الجوزيّة، الإمام شمس الدين محمد، الجواب الكافي لمن سئّل عن الدواء الشافي ط 1، العراق بغداد، مطبعة منير، 1403هـ/1983.
- 4- البخاري، الحافظ أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (194_256هـ)، صحيح البخاري، بيروت_لبنان، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، د.Ĥ.
- 5- التبريزي، محمد بن عبد الله بن الخطيب، مشكاة المصابيح، ج 1، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، 30، المكتب الإسلامي، بيروت_لبنان، 1405هـ-1985.
- 6- الترمذي، الإمام محمد بن عيسى، سنن الترمذي، د.ط، مكة المكرمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.Ĥ.
- 7- الجزري، أبو الحسن علي بن عبد الواحد المعروف بابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 7، د.ط، بيروت-لبنان، دار الفكر، 1398هـ-1978.
- 8- الخازن، علاء الدين علي بن محمد البغدادي المعروف، تفسير الخازن، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، د.Ĥ.
- 9- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين (Ĥ 545_606هـ)، التفسير الكبير، ج 12، بيروت_لبنان، دار إحياء التراث العربي، د.Ĥ.
- 10- السجستاني، أبو داود، سنن أبي داود، بيروت-لبنان، دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع، 1409هـ-1988.
- 11- السخّاوي، الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (Ĥ 902هـ) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، صححه وعلّق على حواشيه عبد الله محمد الصديق، ط 1، بيروت_لبنان، دار الكتب العلميّة، 1399هـ_1979.

- 12 - السفاريني، العلامة الشيخ محمد، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، ط 3، بيروت_لبنان، المكتب الإسلامي، 1411هـ_1991م.
- 13 - السيوطي، الحافظ جلال الدين، تاريخ الخلفاء، د.ط، العراق_بغداد، مطبعة منير، 1371هـ_1952م.
- 14 - الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج 1 القاهرة، مطبعة الميدان، د.ع.
- 15 - الشيباني، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، د.ط، بيروت-لبنان، المكتب الإسلامي، 1952م.
- 16 - الطبراني، الحافظ، المعجم الأوسط، ج7، تحقيق الدكتور محمود الطحان، ط 1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
- 17 - الطحاوي، الإمام الحافظ أبو جعفر، مشكل الآثار، ج 4، بيروت_لبنان، دار صادر، 1333هـ.
- 18 - الغزالي، الإمام أبو حامد محمد، إحياء علوم الدين، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط 1، بيروت_لبنان، دار الأرقم، 1419هـ_1998م.
- 19 - الماوردى، أبو الحسن علي بن محمد (ع 450هـ)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، بغداد، المكتبة العالمية، 1409هـ/1989م.
- 20 - النورسي، بديع الزمان سعيد، سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط 1، إستانبول، دار سوزلر للنشر، 1419هـ_1998م.
- 21 - النورسي، بديع الزمان سعيد، الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط 1، إستانبول، دار سوزلر للنشر، 1414هـ_1993م.
- 22 - النورسي، بديع الزمان سعيد، اللمعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط 1، تركيا_إستانبول، دار سوزلر للنشر، 1413هـ_1993م.
- 23 - النورسي، سعيد، ديوان الحرب العرفي، ترجمة شكري أصلان الكردستاني، مخطوط.

- 24- النورسي، بديع الزمان سعيد، صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط 1، استانبول - تركيا، دار سوزلر للنشر، 1416هـ - 1995ع.
- 25- النورسي، بديع الزمان سعيد، رجحة العلماء المسماة برجحة الخواص وبآخرها رجحة العوام، تركيا، أنقرة، مطبعة النور، 1958ع.
- 26- النورسي، بديع الزمان سعيد، الملاحق في فقه دعوة النور، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط 1 تركيا_استانبول، دار سوزلر للنشر، 1415هـ_1995ع.
- 27- النورسي، بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز، ط 1، إستانبول_تركيا دار سوز لر للنشر، 1414هـ_1994ع.
- 28- النورسي، بديع الزمان سعيد، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط 2، القاهرة، دار سوزلر للنشر، 1412هـ-1992ع.
- 29- النورسي، بديع الزمان سعيد، المثنوي العربي النوري، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط 2، استانبول- تركيا، دار سوزلر للنشر، 1414هـ-1994ع.
- 30- النورسي، بديع الزمان سعيد، آثار بديعية، تركيا استانبول، نشریات اتحاد يانجيليك، 1999ع.
- 31- النورسي، بديع الزمان سعيد، المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط 1، تركيا _ استانبول، دار سوزلر للنشر، 1992ع.
- 32- النيسابوري، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، الجامع الصحيح، د.ط، بيروت_لبنان، دار المعرفة، د.ع.

ثانياً: الأعمال الحديثة:

- 1- أبا بطين، الدكتور أحمد بن محمد، المرأة المسلمة المعاصرة إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة، ط 1، الرياض، دار عالم الكتب، 1411هـ/1991ع.
- 2- أحمد، الدكتور إبراهيم خليل وآخرون، تركيا المعاصرة، د.ط، العراق - الموصل، 1988ع.

- 3- الأشقر، الدكتور عمر سليمان، نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ط 8، عمان_الأردن، دار النفائس، 1421هـ/2000.
- 4- الأفغاني، جمال الدين ومحمد عبده، العروة الوثقى، بيروت_لبنان، المكتبة الأهلية، 1351هـ-1933.
- 5- أنطونيوس، جورج، يقظة العرب، ترجمة الدكتور ناصر الدين الأسد والدكتور إحسان عباس، ط 4 بيروت_لبنان، دار العلم للملايين، 1974.
- 6- باشكيل، الدكتور علي فؤاد، موقف الدين من العلم، ترجمه عن التركيّة: أورهان محمد علي، ط 3 العراق_بغداد، دار الأنبار للطباعة والنشر، 1408هـ/1988.
- 7- برجايوي، سعيد أحمد، الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري، د.ط، الأهلية للنشر والتوزيع، $\hat{E}.\hat{I}$.
- 8- البستاني، الدكتور محمود، دراسات في علم النفس الإسلامي، ط 2، بيروت_لبنان، دار البلاغة، 1411هـ/1991.
- 9- بكّار، الدكتور عبد الكريم، مدخل إلى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية، ط 1، دمشق، دار القلم، 1420هـ/1999.
- 10- بني المرجة، موفق، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، د10 الكويت، مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1984.
- 11- البوطي، الدكتور محمد سعيد رمضان، من الفكر والقلب، دمشق، منشورات مكتبة الفارابي، 1969.
- 12- الجندي، أنور، دراسات إسلامية معاصرة، ج 11، صيدا_لبنان، منشورات المكتبة العصرية، 1401هـ/1982.
- 13- الجندي، أنور، معلمة الإسلام، المجموعة الثالثة، بيروت_لبنان، المكتب الإسلامي، 1406هـ/1986.
- 14- الحاج، عزيز، القضية الكردية في العشرينات، ط 2، بغداد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1985.

- 15 - حسن، الدكتور عبد الباسط محمد، جمال الدين الأفغاني وأثره في العالم الإسلامي، ط 1، القاهرة، مكتبة وهبة، 1402هـ-1982.ã
- 16 - حسون، علي، الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية، ط 3، بيروت، المكتب الإسلامي، 1403هـ - 1983.ã
- 17 - الحصري، ساطع، البلاد العربية والدولة العثمانية، القاهرة، جامعة الدول العربية - معهد الدراسات العربية العالمية، 1957.ã
- 18 - حلاق، الدكتور حسان، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897-1909م، بيروت، دار الجامعة للطباعة والنشر، 1978.ã
- 19 - حوى، سعيد، الأساس في التفسير، ج5؛ 20، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.
- 20 - الخربوطلي، علي حسني، غروب الخلافة الإسلامية، د.ط، القاهرة، مؤسسة المطبوعات الحديثة، د.É.
- 21 - دروزه، محمد عزت، تركيا الفتاة، بيروت، مطبعة الكشاف، 1946.ã
- 22 - الدريني، الدكتور فتحي، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم، ط 2، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، 1407هـ/1987.ã
- 23 - الدوسكي، تحسين إبراهيم، المدخل لدراسة الأدب الكردي، ج 1؛ 10؛ 1، م، من منشورات جمعية علماء كردستان، 1413هـ_1993.ã
- 24 - رضا، الشيخ محمد رشيد، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، ج 1؛ 10؛ 1، المنار، 1350هـ-1931.ã
- 25 - الزحيلي، الدكتور وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، ج4؛ 10، دمشق، دار الفكر، 1418هـ_1997.ã
- 26 - زهران، الدكتور حامد عبد السلام، علم النفس الاجتماعي، ط4، القاهرة، عالم الكتب، 1977.ã
- 27 - زيادة، الدكتور خالد، اكتشاف التقدم الأوروبي دراسة في المؤثرات الأوروبية على العثمانيين في القرن الثامن عشر، ط1، بيروت - لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1981.ã
- 28 - زيدان، الدكتور عبد الكري، أصول الدعوة، ط 3، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، 1408هـ/1987.ã

- 29- الزين، مصطفى، أتاتورك وخلفاؤه، د.ط، بيروت، د. 1982ã.
- 30- السحمراني، الدكتور أسعد، الاستبداد والاستعمار وطرق مواجهتها عند الكواكبي والإبراهيمي، ط 1 بيروت-لبنان، دار النفائس، 1404هـ-1984ã.
- 31- السحمراني، الدكتور أسعد، مالك بن نبي مفكراً إسلامياً، ط 2، بيروت-لبنان، دار النفائس، 1406هـ-1986ã.
- 32- السعيد، الدكتور أحمد، التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة، د.ط، القاهرة، د. 1982ã.
- 33- سعيد، حبيب محمد، (جمكيك له زياني ماموستا سعيدى نورسى) نبذة عن حياة الأستاذ النورسي مؤلف باللغة الكردية، ط 1 1992ã - 1413هـ.
- 34- سلوي، زنار، في سبيل كردستان، ترجمة ر. علي، بيروت، دار الكاتب، 1987ã.
- 35- شاهين، نجم الدين، ذكريات عن سعيد النورسي، ترجمة أسيد إحسان قاسم، ط 1، بغداد، مطبعة الحوادث، 1406هـ-1986ã.
- 36- شحاتة، الدكتور: زين محمد، أسماء الله الحسنى، ط 1، بيروت-لبنان، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، 1418هـ-1998ã.
- 37- الشرباصي، الدكتور أحمد، يسألونك في الدين والحياة، بيروت-لبنان، دار الجيل، د. 1982ã.
- 38- شفيق، الدكتور منير، في الحداثة والخطاب الحداثي، ط 1، بيروت-لبنان، المركز الثقافي العربي، 1999ã.
- 39- شلتوت، الإمام الأكبر محمود، الإسلام عقيدة وشريعة، بيروت-لبنان، دار الشروق، د. 1982ã.
- 40- الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، ط 6 2، بيروت-لبنان، دار القرآن الكريم، 1405هـ/1985ã.
- 41- الصالحي، إحسان قاسم، بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره، ط 2، إستانبول، دار سوزلر للنشر، 1987ã.
- 42- الصوّاف، محمد محمود، المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، القاهرة، دار الاعتصام، 1979ã.

- 43- ضابط تركي، الرجل الصنم كمال أتاتورك، ترجمة عبد الله عبد الرحمن، ط 5، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1414هـ-1994ã.
- 44- طعمة، نوري، المشكلة الاجتماعية المعاصرة، ط 2، بيروت_لبنان، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، 1400هـ-1980ã.
- 45- طوران، مصطفى، يهود الدوئمة، ترجمه عن التركيبة كمال خوجة، تونس، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1983ã.
- 46- عبد الحميد، الدكتور محسن، النورسي متكلم العصر الحديث، القاهرة، دار سوزلر للنشر فرع القاهرة، .Ê.Ï
- 47- عبد الخالق، عبد الرحمن، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ط 2، الكويت، مكتبة ابن تيمية للطبع والنشر والتوزيع، د.Ê.
- 48- عزّام، الدكتور عبد الله، الإسلام ومستقبل البشرية، ط 4، الزرقاء _ الأردن، مكتبة المنار، 1407هـ-1987ã.
- 49- العقّاد، عباس محمود، عبقرى الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبدة، بيروت_لبنان، دار الكتاب العربي، 1971ã.
- 50- علي، أورهان محمد، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، ط 1، تركيا _ إستانبول، شركة النسييل للطباعة، 1416هـ _ 1995ã.
- 51- علي، أورهان محمد، السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عصره، ط 1، بغداد، دار الأنبار، 1407هـ_1987ã.
- 52- عمارة، الدكتور محمّد، الإسلام بين التنوير والتزوير، ط 1، القاهرة، دار الشروق، 1416هـ/1995ã.
- 53- عمارة، الدكتور محمد، الجامعة الإسلامية والفكرة القومية عند مصطفى كامل، بيروت-لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1976ã.
- 54- عمارة، الدكتور محمد، الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني دراسة وتحقيق، ط 1، القاهرة، 1968ã.
- 55- عمارة، الدكتور محمد، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، ج 1، بيروت_لبنان، د.ä. 1972.

- 56- الغوثي، الشيخ راشد، الحرّيات العامّة في الدولة الإسلاميّة، ط 1، بيروت_لبنان، مركز دراسات الوحدة العربيّة، 1993ã.
- 57- الفنجرى، الدكتور أحمد شوقي، كيف نحكم بالإسلام في دولة عصريّة، القاهرة، الهيئة المصريّة للكتاب، 1990ã.
- 58- القرضاوي، الدكتور يوسف، دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، ط 1، بيروت_لبنان، مؤسسة الرسالة، 1417هـ/1996ã.
- 59- قطب، سيّد، المستقبل لهذا الدّين، بيروت_لبنان، دار الشروق، د.É.
- 60- الكردي، بديع الزمان سعيد، ديوان الحرب العربي وسعيد الكردي، ترجمها وعلّق عليها شكري أصلان الكردستاني، مخطوط.
- 61- الكواكي، عبد الرحمن، أمّ القرى، ط2، بيروت_لبنان دار الرائد العربي، 1402هـ_1982ã.
- 62- الكواكي، عبد الرحمن، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، القاهرة، المكتبة التجاريّة الكبرى، 1350هـ-1931ã.
- 63- لنشوفسكي، جورج، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية، ترجمة جعفر الخياط، د.ط، بغداد، د.äjä. 1964ã.
- 64- محمد، سمير رجب، الفكر الأدبي والديني عند الداعية الإسلامي بديع الزمان سعيد النورسي، ط 2، القاهرة، شركة سوزلر للنشر فرع القاهرة، 1416هـ_ 1995ã.
- 65- المصري، جميل عبد الله محمد، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، ط 2، المدينة المنورة، 1406هـ/1989ã.
- 66- النبهان، الدكتور محمد فاروق، نظام الحكم في الإسلام، الكويت، من مطبوعات جامعة الكويت، 1987ã.
- 67- النحوي، الدكتور عدنان علي رضا، بناء الأمة المسلمة الواحدة، ط 1، الرياض، دار الحوي للنشر والتوزيع، 1417هـ/1997ã.
- 68- الندوي، أبو الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، القاهرة، الدار السلفيّة لنشر العلم، 1410هـ/1989ã.

- 69- الندوي، أبو الحسن، الطريق إلى السعادة والقيادة، ط 2، بيروت_لبنان، مؤسسة الرسالة، 1405هـ/1984.ã
- 70 - النعيمي، الدكتور أحمد نوري، اليهود والدولة العثمانية، د.ط، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1990.ã
- 71 - النعيمي، الدكتور أحمد نوري، الحياة السياسية في تركيا الحديثة 1919-1938.ã ط، بغداد، من منشورات جامعة بغداد، 1989.ã 124.õ
- 72 - النعيمي، الدكتور أحمد نوري، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا حاضرها ومستقبلها، الأردن_عمان، دار البشير، 1992.ã 56.õ
- 73 - النعيمي، الدكتور أحمد نوري، الحياة السياسيّة في تركيا الحديثة 1938_1945م، بغداد، مطبعة جامعة بغداد، 1990.ã
- 74 - نور الدين، محمد، تركيا الجمهورية الحائرة، ط 1، بيروت، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، 1998.ã
- 75 - الوصيف، الدكتور فرج محمد، بديع الزمان سعيد النورسي عصره ودعوته، القاهرة، دار نور الإسلام للنشر والتوزيع، 1996.ã

الرسائل الجامعية:

- ١ - بكير، حسن عبد الرحمن، بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت إلى كلية الدعوة الإسلامية في الجماهيرية الليبية سنة 1417هـ-1997.ã

- ٢ - شريقيّة، عبد الله، منهج سعيد النورسي في الإصلاح الديني، رسالة ماجستير، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1998ã.
- ٣ - صابان، الدكتور سهيل، الأوضاع الثقافية في تركيا في القرن الرابع عشر الهجري، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية الشريعة في الرياض.
- 4- علي، الدكتور عبد الله محمد، كردستان في عهد الدولة العثمانية في منتصف القرن التاسع عشر إلى بدء الحرب العالمية الأولى، أطروحة دكتوراه قدّمت إلى جامعة صلاح الدين في مدينة أربيل في كردستان العراق سنة 1998ã.

الأبحاث العلميّة:

- ١ - أحمد، الدكتور إبراهيم خليل، الحركة النورسية في تركيا المعاصرة، بحث مقدم إلى المؤتمر الأول للدراسات التركيّة، جامعة الموصل_مركز الدراسات التركيّة، 1989ã.
- 2- باشار، الدكتور علاء الدين، العمل الإيجابي القاعدة الثابتة لعمر مديد، بحث مقدم للمؤتمر العالمي لبديع الزمان سعيد النورسي المنعقد في الفترة من 24-26/9/1995م في استانبول- تركيا.
- 3- بيومي، الدكتور عبد المعطي محمد، كيف يعمل القرآن في هذا العصر في رؤية بديع الزمان النورسي، بحث مقدم للمؤتمر العالمي الرابع نحو فهم القرآن في كليات رسائل النور المنعقد في استانبول بتركيا في الفترة 20-22 سبتمبر 1998ã.
- 4- ذلك، شَنر، منهج وطريقة رسائل النور وغايتها، بحث مقدم إلى مؤتمر: بديع الزمان سعيد النورسي في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامي المنعقد في استانبول_تركيا في الفترة من 27-29/9/1992ã.
- 5- سنو، الدكتور قطب مصطفى، التعليم منطلقاً للإصلاح والإعمار من المنظور النوري، بحث ألقى في مؤتمر حركة التجديد بحلول القرن الحادي والعشرين ودور بديع الزمان سعيد النورسي، المنعقد في العاصمة الماليزيّة: كوالالامبور في 21-22 أوكست 1999ã.

- 6- الشمري، مشرف وسمي، تدخّل الجيش في السياسة التركيّة بعد الحرب العالميّة الثانيّة، بحث ألقى في المؤتمر الأول للدراسات التركيّة الذي نظّمه مركز الدراسات التركيّة في جامعة الموصل في العراق في الفترة من 5/30 إلى 1989/6/1
- 7- الطنطاوي، عبد الله، منهج الإصلاح والتغيير عند النورسي، بحث قدّم في الحلقة الدراسيّة المنعقدة في عمّان في 12 حزيران. 1997.
- 8- قوشبنار، بلال، آراء النورسي حول مذهب وحدة الوجود، بحث ألقى في المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النورسي المنعقد في الفترة من 1995/9/26_24 م في استانبول.

الدوريات:

- 1- جفك، سليمان، حياة ونضال بديع الزمان سعيد النورسي، مجلة نو بهار (الربيع الجديد)، العدد السادس، سنة 1992ã.
- 2- الدوسكي، تحسين إبراهيم، النورسي والقضية الكردية، مجلّة نداء الحق، السنة الأولى، العدد الخامس، 1412 هـ - 1992ã.
- 3- غفور، عبد الجبار قادر، أضواء جديدة على جريدة كورد، مجلّة كاروان (المسيرة)، العراق-أربيل، السنة السابعة، العدد 72؛ 1989ã.

الموسوعات والمعاجم:

- 1- الأصفهاني، الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشلي، بيروت لبنان، 1392هـ/1972ã.

- ٢ - أنيس، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، ط 2، بيروت_لبنان، دار الأمواج، 1410هـ/1990ã.
- 3- التهانوي، محمد علي، موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة I. رفيق العجم، ج1، بيروت_لبنان، 1996ã.
- 4- الداقوقي، د. إبراهيم وآخرون، المعجم التركي العربي، ج 1، العراق_ وزارة الثقافة والإعلام، 1981ã.
- 5- الكيّالي، عبد الوهاب وآخرون، الموسوعة السياسيّة، ط 1، بيروت_لبنان، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر.
- 6- عبد الحميد، محمد محي الدين، المخترار من صحاح اللّغة، ط1، طهران، د. 1343هـ.
- 7- الموسوعة العربيّة الميسّرة، بإشراف محمد شفيق غربال، بيروت_لبنان، دار نفضة لبنان، 1980ã.
- 8- الموسوعة الميسّرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومتابعة د. مانع بن حمّاد الجهني، ط3، الرياض، دار الندوة العالميّة للطباعة والنشر والتوزيع، 1418هـ_1998ã.
- 9- الموسوعة: عربيّة عالميّة مصوّرة بالألوان، ج 12، المشرف العام: الأستاذ نيقولا ناهض، بيروت، الشركة الشرقيّة للمطبوعات، سنة 2000ã.

اللقاءات:

- ١ - لقاء مع نور الدين الكيلاني، في الساعة (15: 2) بعد ظهر يوم 1999/8/19م في مدينة إستانبول بتركيا.
- ٢ - لقاء مع عز الدين طاهر علي، استانبول تركيا، السبت 1999/8/21م، الساعة الثامنة والنصف ليلاً.

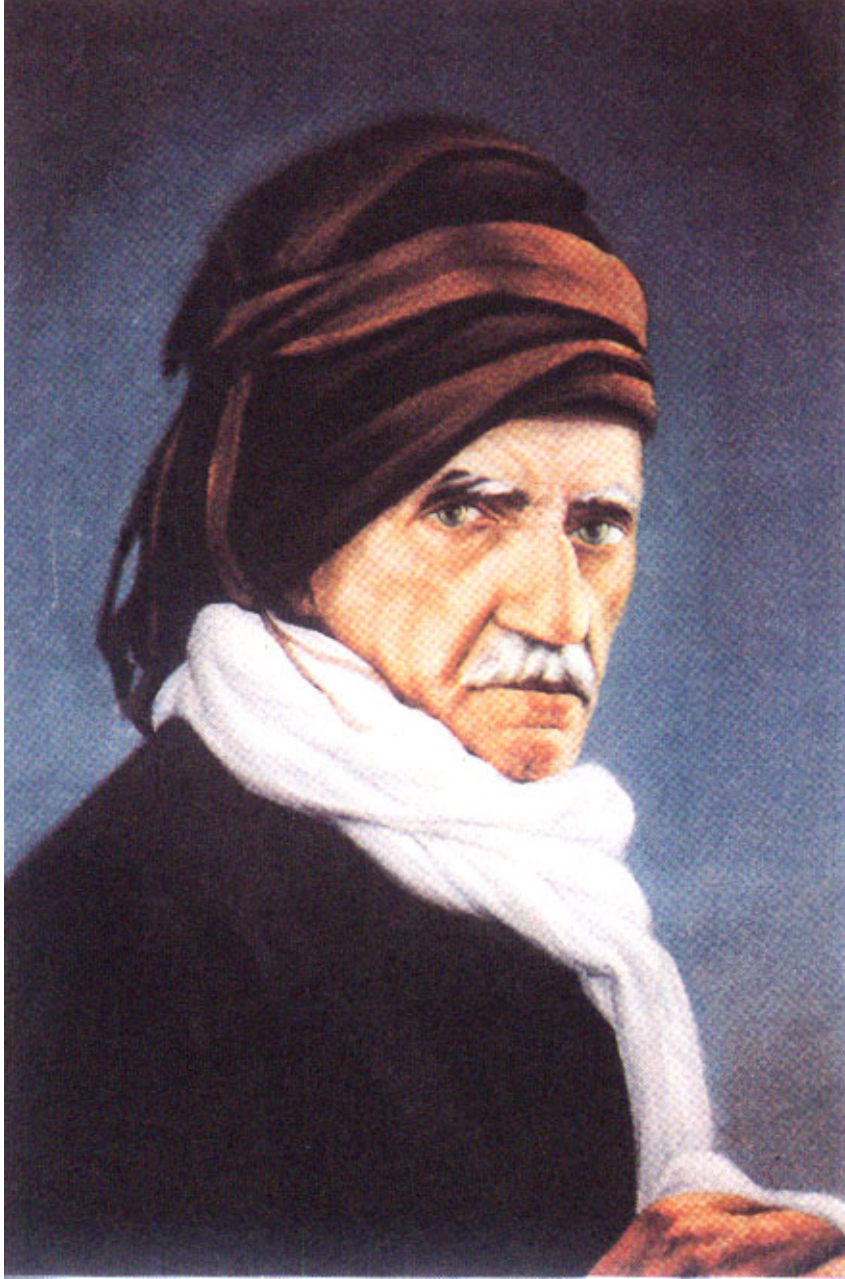
- ٣ - لقاء مع الدكتور أحمد آق كوندز، استانبول-تركيا، 2000.
- ٤ - لقاء مع الأستاذ كنعان الدمرداش، استانبول_تركيا، الثلاثاء 2000/2/8.
- 5- لقاء مع الأستاذ أورخان محمد علي، استانبول-تركيا، الأربعاء 2000/2/2م، الساعة:
11,30 صباحاً.
- 6- لقاء مع السيد حمزة طاهر الشوشي، العراق-دهوك، 2000.
- 7- لقاء مع الأستاذ فاروق رسول يحيى، العراق-السليمانية، في 2000/8/20 الساعة 11,30
قبل الظهر.



صورة رقم (1) السلطان عبد الحميد الثاني لحظة دخول وفد الحركة عليه لتبليغه قرار الخلع



صورة رقم (2) الباحث أثناء إجراء المقابلة مع السيد نور الدين كيلاني (أحد طلبة الأستاذ النورسي الذين ما زالوا على قيد الحياة)



صورة رقم (3) الأستاذ النورسي وقد بدت عليه علامات الشيب



صورة رقم (4) الباحث أمام الباب الرئيسي لخان الشكرجي الذي كان يرتاده
الأستاذ النورسي في استانبول



صورة رقم (5) الأستاذ النورسي مع ابن أخيه عبد الرحمن وهما يرتديان الزي الكردي المعتاد

Dr. M. G. G. G.

تعاون و ترقی غزنیسی

۱۳۲۴

جینتک واسطه نشر انکاریدر
تاریخ تاسیس ۱۳۲۶ - ۱۳۲۴

نومبر ۱ - جینتک هندیوم بردومه نشر اوله جین دینی، علمی، سیاسی، ادبی، اجتماعی غزنی دور ۳۰ جلد ۱

مذوجات

مقدمه	سایه پیل م. توفیق
جینتک بیانیه	جینتک بیانیه
تألیف سیاهی	تألیف سیاهی
کردار و کردستان	کردار و کردستان
عقابی امریادی وسادت	عقابی امریادی وسادت
مستقله عنابر	مستقله عنابر
عسکران	عسکران
مهم بر عریشه	مهم بر عریشه
کرد وشجاعت اقوام	کرد وشجاعت اقوام
کردجه فدای	کردجه فدای
کردیه مقاله	کردیه مقاله
کردیه شعرار	کردیه شعرار
تلاوتی رسم عالیسی	تلاوتی رسم عالیسی
توفیقان = تحریم	توفیقان = تحریم
کرد ارباب فکر و قانت و بیانات	کرد ارباب فکر و قانت و بیانات
اعتقاد	اعتقاد
تفراتر	تفراتر

درسمات
سلاطین
۱۳۲۴

صهورة صهیوت الاصل لجریده کرد لتعاون و ترقی غزنی دور ۳۰ جلد ۱
فیس استنبولک

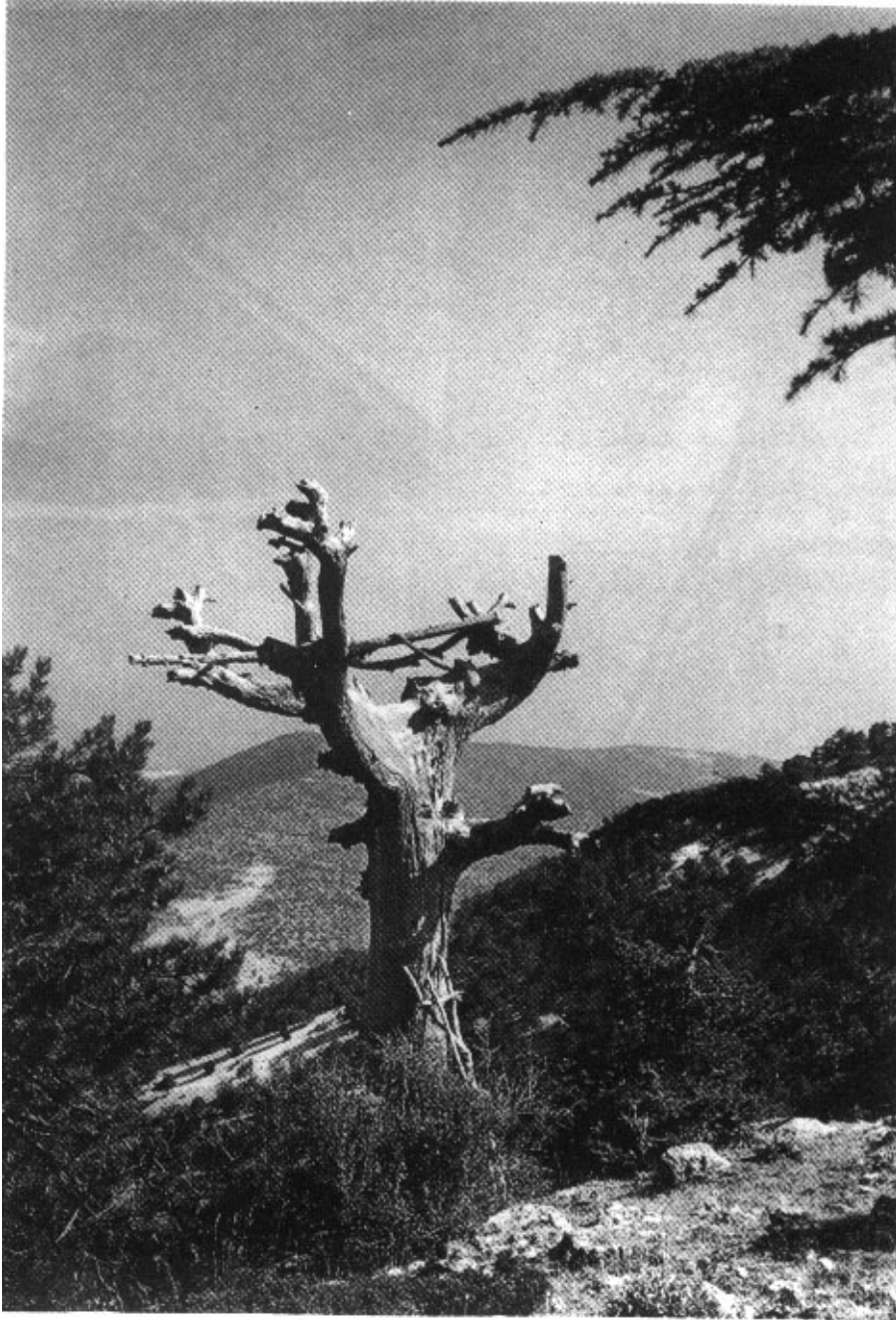
صورة رقم (6) صورة طبق الأصل لجریده کرد تعاون و ترقی الصادرة في استانبول سنة 1908



صورة رقم (7) الأستاذ النورسي بالزيّ العسكري أثناء الحرب العالمية الأولى



صورة رقم (8) منزل الأستاذ النورسي في بارلا وأمامه فوق الشجرة موقع
تأملات الأستاذ النورسي



صورة رقم (9) الشجرة التي تقع على قمة جبل جام والتي كان الأستاذ النورسي يتأمل فوقها في الصيف

مركز سياسي لدراسة الراي في السياسة العام في سياسي شمالي فرنسي سيد

لونه بنفي
مكتب تاليفه بالبرستان بونه
مركبه مصر ، قبرص
و كرهه اموز
سنة ١٩٠٠ آبي آبي
مخزنه
استادول اميون سنكي ١٠٨
مخوض

وقائع

ساج و مدير ستولي
شريف موديش و
امور محرمه اميون مدرسته
مرايسه اولور
تورسي :
پره نامه سالي بنك سليسي

ملا اعد عمى جيتكسروج الكاريد

تومرو ٧٠ صبه ٣

حقيقت

بز قالوبلان جيت محمدية داخلز .
جهت الوحدت انعامن ، توحيددر . بيان
وايعانز ، ابتاددر . مادامك موحدز ، متحدز .
ملا احمد جزيري كرده ، كرده اولورق
بيورمشك

سروحدت زازل كرده حتى بايد

هر روزه من اعلاى كفا الله اليه مكلفدر . بو
زمانده ، انك بيوك سبي ، ماده ترق ايجكدر .
زيرا اجنييل قون وسنايع سلاحيه بزي
استبداد مئوبلري التده ازيورور . بزده
فن وسنت سلاحيه اعلاى ، الهيك انك
مدعش دشمنى اولان جهل وقتز واختلاف
افكاره جهاد ايده جكر . اما : جهاد خارجي .
شريت غرائك براهين قاطعه سنك الماس ،
قلنجلرسته حواله ايده جكر . زيرا مدنيلره غلبه
چالني اقناع ايده در . سوز اكلاميان و شيلركي
اجبار ايده كدر . ز محبت فداييلري بزي خدمت
وقتز برتدر . مشروطيتك عدالت ومشورت
وقانونده انحصار قوندن عبارتدر . اون اوج

عصر اول شريعت غرا تاسيس اينديكنندن
احكامده اورويابه ديليجيلاك اينك دين اسلامه
بيوك بر جتايتدر . وشاله متوجه اتا زى قيادني
كيدر . قوت قانونده اولين بر قسه استبداد توزيع
اولوش اولور (ان الله هو القوي المتين) حاكم
و آمر ، وجداني اولملي . اوده معرفت تام ومدنييت
عام ويا خود دين اسلام نامله اولملي . بوقسه
استبداد انا حاكم فرمالوله جقدر . اتفاق هداددر
حواده دكل .

انسانلر حرا اوله بيلر . اما : بيه عباد الله بدرل .
هر شئ حرا اولملي . شريعتده حرددر . مشرور
طبعده . مسائل شريعتيه ، رشوت و بريمه جكدر .
اشته سنك قصورينه ، اسنك قصورينه سنك
عسذراوله نماز . پاسه مانع هر كاددر . حواله
اينك منبع هر ذلتدر . نه لازم ايشقه سي
دوشونسون ! استبدادك يادكاريدر . بو جهلرك
مايتني ربط ايده جك اولان مقصدمانى تركيه
بيلمديكيم اميون بمطالعينك فكر لرسته حواله
ايده بيورم .

بديع الزمان سعيد كرده

nûbihar

صورة رقم (10) غلاف مجلة البركان التي كان الأستاذ النورسي ينشر بعض مقالاته فيها



صورة رقم (11) الباحث أثناء إجراء المقابلة مع الأستاذ الشهيد عز الدين يلدرم رحمه الله



صورة رقم (12) الباحث أثناء إجراء المقابلة مع الأستاذ الدكتور أحمد آق كوندز



صورة رقم (13) الباحث أمام باب هيئة وقف الأبحاث العثمانية في استانبول



صورة رقم (14) الباحث مع الأستاذ أورخان محمد علي بعد إجراء المقابلة معه
في منزله باستانبول



صورة رقم (15) منظر جانبي لمشروع جامعة الزهراء

فهرس الموضوعات

ملاحظة : لقد طرأت بعض التغييرات على أرقام الصفحات لذا وجب التنويه.

3	كلمة شكر ووفاء
4	الإهداء
5	المقدمة

الفصل التمهيدي:

13	تركيا من الإسلام إلى العلمانية
14	نشوء الدولة العثمانية
17	انتقال الخلافة من العباسيين إلى العثمانيين
19	الخلافة في ظل حكم سلاطين آل عثمان
23	الخلافة العثمانية قبيل انتقالها إلى السلطان عبد الحميد الثاني
24	السلطان عبد الحميد ومكانته بين السلاطين العثمانيين
33	خلع السلطان عبد الحميد الثاني
37	الدولة العثمانية بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني
38	الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى
41	إلغاء الخلافة العثمانية

الباب الأول:

45	سعيد النورسي حياته وحركته
----	---------------------------

الفصل الأول:

46	سعيد النورسي عصره وحياته
47	عصر الأستاذ سعيد النورسي
47	أولاً: الحالة السياسية في تركيا في عصر النورسي
53	ثانياً: الحالة الفكرية في تركيا في عصر النورسي
61	ثالثاً: الحالة الاجتماعية في تركيا في عصر النورسي
65	حياة الأستاذ سعيد النورسي

المرحلة الأولى:

- 67 وتبدأ من سنة 1293هـ 1876م وتنتهي في سنة 1325هـ 1907م
- 67 ولادته وأسرته
- 69 صفاته الخلقية
- 69 صفاته الخلقية
- 71 نشأته وتلقيه العلم
- 73 سعيد النورسي في بايزيد

المرحلة الثانية:

- 81 وتبدأ من سنة 1325هـ 1907م إلى سنة 1342هـ 1923م
- 83 الأستاذ سعيد النورسي والسلطان عبد الحميد الثاني
- 86 الأستاذ النورسي مع مفتي الديار المصرية
- 87 حادثة 1909م
- 88 الأستاذ النورسي ودوره في الجمعيات والاتحادات
- 89 أولاً: جمعية التعاون والتزقي الكردي
- 89 ثانياً: جمعية نشر المعارف الكردية
- 90 ثالثاً: جمعية بعث كردستان
- 91 رابعاً: جمعية الهلال الأخضر
- 91 خامساً: الاتحاد المحمدي
- 93 عودة الأستاذ النورسي إلى وان
- 94 رحلة الأستاذ النورسي إلى بلاد الشام
- 97 الأستاذ النورسي والعمل العسكري
- 98 النورسي وقيادة القوات الفدائية سنة 1912
- 99 الأستاذ النورسي في الحرب العالمية الأولى
- 101 الأستاذ سعيد النورسي في الأسر
- 103 فرار الأستاذ النورسي من الأسر
- 106 الأستاذ النورسي عضواً في دار الحكمة الإسلامية
- 108 الأستاذ النورسي في آنقرة
- 110 العودة إلى وان

المرحلة الثالثة:

وتبدأ من سنة 1342هـ 1923م وتنتهي في سنة 1369هـ 1949م

- 113 الأستاذ النورسي وثورة الشيخ سعيد
116 الأستاذ النورسي في منفى بارلا
119 ظهور رسائل النور .
119 التعريف برسائل النور
120 انتشار رسائل النور
123 الأستاذ النورسي في أسكي شهر
125 الأستاذ سعيد النورسي في منفى قصطموني
126 الأستاذ النورسي في سجن دنزلي
127 الأستاذ سعيد النورسي في منفى أمير داغ
128 الأستاذ النورسي في سجن أفيون

المرحلة الرابعة:

وتبدأ من سنة 1369هـ 1949م وتنتهي في سنة 1380هـ 1960م

- 132 الجولة الأخيرة للأستاذ النورسي

الفصل الثاني:

133 **حركة النور**

- 136 حركة النور أمام التحديات
138 انتشار حركة النور
139 الجانب التنظيمي والأمني لدى حركة النور
139 النورسي والعمل الجماعي
140 كيفية الانضمام إلى حركة النور
144 مراتب الطلاب في حركة النور
145 عدد أفراد طلاب النور في زمن الأستاذ النورسي

148	بعض شروط الانتماء إلى حركة النور
150	الجانب الأمني لدى حركة النور
152	أسس ومبادئ حركة النور
152	أولاً: أسس طالب النور
154	ثانياً: أسس حركة النور
157	أهداف حركة النور
161	وسائل حركة النور
169	أسلوب النورسي وحركة النور في الدعوة والإرشاد
173	حركة النور وموقفها تجاه أبرز القضايا المعاصرة
174	أولاً: الوحدة الإسلامية
175	النورسي وتأثره بفكر الأفغاني ومحمد عبدة حول الجامعة الإسلامية
180	ثانياً: الجهاد
182	ثالثاً: المشروعية
183	رابعاً: القومية
186	خامساً: الحضارة الأوروبية
189	سادساً: السياسة
193	حركة النور بعد وفاة الأستاذ سعيد النورسي
198	أولاً: جماعة بني آسيا (YENI ASYA) أي آسيا الجديدة
201	ثانياً: جماعة فتح الله كولن (GULEN)
204	ثالثاً: جماعة وقف الزهراء (ZEHRA VAKFI)
207	رابعاً: مجموعة بني نسيل (YENI NESIL) الجيل الجديد
208	حركة النور وتأثيرها في المحيط الكردي
223	حركة النور في الميزان
224	Ã- الانتقادات الموجهة إلى الأستاذ النورسي
228	Ê- الانتقادات الموجهة إلى حركة النور

الباب الثاني:

الفصل الأول:

232	النورسي وإصلاح الذات
233	تمهيد
235	ركائز الخطة الإصلاحية للنورسي
244	النورسي وإصلاح الذات
245	النورسي وإصلاح الفرد
246	أولاً: النورسي وإصلاح نفسه
249	النورسي والتصوف
256	النورسي وتركية النفس
263	ثانياً: النورسي وإصلاح طلابه
264	أسلوب الأستاذ النورسي في إصلاح وتربية طلابه
275	ثالثاً: النورسي وإصلاح الآخرين
276	النورسي وإصلاح الأسرة

الفصل الثاني:

282	النورسي وإصلاح المجتمع
283	أولاً: إصلاح المجتمع
302	حول مفهوم الاستبداد
302	الاستبداد والحكم
304	سبل مواجهة الاستبداد
315	ثانياً: إصلاح الحكم
317	النورسي ونظام الحكم
320	موقف النورسي من تدخّل الجيش في السياسة
324	ثالثاً: إصلاح الاقتصاد
331	أهمية الرشد في الاستهلاك
334	سبل الحدّ من الاستهلاك غير المنضبط
336	رابعاً: إصلاح التعليم

346	الخاتمة
352	ملحق الصور
336	فهرس الآيات القرآنية
370	فهرس أطراف الحديث
373	فهرس الأعلام
380	فهرس الأماكن
387	فهرس المصادر
401	فهرس الموضوعات

Sa'eed Al-Nawrasi

1960 -1876

And his Reform Movement in Turkey

By
Dr. Azad S. Sammo

Provide
Dr. Esmaeel A. Sugairy